

الكشاف

في حقايق التزيين والادب في حقايق التأليف

تأليف

ابن القاسم جارا الله محمد بن عسمر الزخري الخوارزمي

٤٦٧-٥٣٨ هـ

ويكيه

الكافي الشافي

في تحرير اعداد الكشاف

ابن امار الحافظ احمد بن حنبل العسقلاني

الترقيم ٨٥٢ هـ

دار المعرفة

بيروت - لبنان

الكشاف

عَنْ حَقَائِقِ النَّزْرِ فِي عَيْنِ الْأَفْوَاقِ فِي حُجُوبِ التَّأْوِيلِ

تَأليف

أبي القاسم جارا لله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي

٤٦٧-٥٣٨ هـ

ويكيه

الكافي الشاف

في تخریج أمادي الكشاف

للإمام الحافظ أحمد بن حنبل العسقلاني

المتوفى ٨٥٢ هـ

وبذيله

- ١- كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام ناصر الدين أحمد بن النير لابن سكين المالكي
- ٢- هامشية الأستاذ الفاضل محمد عليان المرزوقي الشافعي من كبار علماء الأزهر.
- ٣- مشاهد الانتصاف على سوا هذا الكشاف

الجزء الثاني

دار المعرفة

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنعام مكية

إلا الآيات ٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ فمدنية

وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ۝ وَهُوَ اللَّهُ

— ﴿سورة الأنعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية﴾ —

(بسم الله الرحمن الرحيم) جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وجعل الظلمات والنور) وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تضيير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم أزواجا جعل الآلهة إلهها واحداً (فإن قلت) لم أفرد النور (قلت) لا قصد إلى الجنس كقوله تعالى والملك على أرجائها أولان الظلمات كثيرة لأنه ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار (فإن قلت) علام عطف قوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) (قلت) إمام على قوله الحمد لله على معنى

(القول في سورة الأنعام وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) «الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» (قال الفرق بين الجعل والخلق أن الخلق فيه معنى التقدير الخ) قال أحمد وقد وردت جعل وخلق مورداً واحداً فورد وخلق منها زوجها وورد وجعل منها زوجها وذلك ظاهر في الترادف إلا أن للخاطر ميل إلى الفرق الذي أبداه الزمخشري ويؤيده أن جعل لم يصحب السموات والأرض وإنما لزمتهما خلق وفي إضافة الخلق في هذه الآية إلى السموات والأرض والجعل إلى الظلمات والنور مصداق للتمييز بينهما والله أعلم . عاد كلامه (قال فإن قلت لم أفرد النور قلت لا قصد الخ) قال أحمد وقد سبق للزمخشري الاستدلال بجمع الجنس على التكثير واعتقاده أنه أدل على الكثرة من الأفراد وقد قدمنا ما في ذلك من النظر وأسلفنا الاستدلال بقول حبر الأمة كتابه أكثر من كتبه على خلاف ذلك وهو رأى الإمام أبي المعالي ولو قال الزمخشري إن جمع الظلمات لا اختلافها بحسب اختلاف ما ينشأ عنه من أجناس الأجرام وإفراد النور لا اتحاد الجنس الذي ينشأ عنه وهو النار لكان أولى والله أعلم (عاد كلامه) (قال فإن قلت علام عطف ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه الثاني نظر من حيث أن عطفه على الصلة

فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَوَّهَرَهُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ

أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته وإما على قوله خلق السموات على معنى أنه خالق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه (فإن قلت) فما معنى ثم (قلت) استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محيهم ومبهم وبعثهم (ثم قضى أجلا) أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة وقيل الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الأول النوم والثاني الموت (فإن قلت) المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله وأجل مسمى عنده (قلت) لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فإن قلت) الكلام السائر أن يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم (قلت) أوجبه أن المعنى وأي أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم (في السموات) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أو هو المعروف بالالهية أو المتوحد بالالهية فيها أو هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز أن يكون الله في السموات خبراً بعد خبر على معنى أنه الله وأنه في السموات والأرض بمعنى أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء

يوجب دخوله في حكمها ولو قال الحمد لله الذي ۝ الذين كفروا بهم يعدلون لم يسند لخلو الجملة من العائد ويمكن أن يقال وضع الظاهر الذي هو ربهم موضع المضمرة تفخيماً وتعظيماً وأصل الكلام الذي يعدل به الذين كفروا أو الذي الذين كفروا يعدلون به باتساع وقوعها صلة رعاية لهذا الأصل فهذا نظر من حيث الإعراب ونظيره قوله تعالى ۝ وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم، فيمن جعل ما موصلة لشرطية فإن دخول جاءكم وما بعده في حكم الصلة يستدعي ضميراً عائداً إلى الموصول وهو مفقود لفظاً لأن الظاهر وضع فيه موضع المضمرة والأصل ثم جاءكم رسول مصدق له فاستقام عطفه ودخوله في حكم الصلة بهذه الطريقة لكن بقي في آية الأنعام هذه نظر في المعنى على الإعراب المذكور وهو أنه يصير التقدير الحمد لله الذي الذين كفروا يعدلون ووقوع هذا عقب الحمد غير مناسب كما ترى فالوجه والله أعلم عطفه على أول الكلام لأعلى الصلة والله الموفق ۝ قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده (قال إن قلت المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفاً وجب الخ) قال أحمد وليس في إرادة هذا المعنى، وجب للتقديم وتدور دونه علم الساعة في سياق التعظيم لها وهو مع ذلك مؤخر عن الخبر في قوله ۝ وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون، فالظاهر والله أعلم أن التقديم إنما كان لأن الكلام منقول من كلام آخر وكان الأصل والله أعلم ثم قضى أجلا وأجلا مسمى عنده إذ كلاهما مقضى فلما عدل بالكلام عن العطف الأفرادي تمييزاً بين الأجلين رفع الثاني بالابتداء وأقر بمكانه من التقديم والله أعلم ۝ قوله وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سرهم وجهرهم ويعلم ما تكسبون (قال في السموات متعلق بمعنى اسم الله الخ) قال أحمد وما الآيتان الكریمتان إلاتوأمتان فإن التمدح في آية الزخرف وقع بما وقع التمدح به ههنا من القدرة على الإعادة والاستئثار بعلم الساعة والتوحد في الألوهية وفي كونه تعالى المعبود في السموات والأرض ۝ عاد كلامه (قال أو هو المعروف بالالهية أو هو الذي يقال له الله فيهما الخ) قال أحمد وهذه الوجوه كلها كأن التعبير وقع فيها بالملزوم عن لوازمه المشهورة به كما وقع ذلك في قوله ۝ أنا أبو النجم وشعري شعري ۝ أي المعروف المشهور لأنه بنى على أنه متى ذكر شعره فهم السامع عند ذكره خواصه من الجودة والبلاغة وسلامة النسيج لاشتهاره بذلك فاقصر على قوله شعري انكالا على فهم السامع ۝ قوله تعالى ۝ ولولنا عليك كتاباً في قرطاس فليسوه بأيديهم لقال

إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ، فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ .
 أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا
 وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ . وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ
 كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلْيَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ
 وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَا يَلْبَسُونَ .

كأن ذاته فيهما . (فإن قلت) كيف موقع قوله يعلم (سرهم وجهرهم) (قلت) إن أردت المتوحد بالالهية كان تقريراً له
 لأن الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك إذا جعلت في السموات خبراً بعد خبر وإلا فهو كلام
 مبتدأ بمعنى هو يعلم سرهم وجهرهم أو خبر ثالث (ويعلم ما تكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب . من في (من
 آية) للاستغراق وفي (من آيات ربهم) للتبعض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال
 والاعتبار إلا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأساً لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب (فقد
 كذبوا) مردود على كلام محذوف كأنه قيل إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو
 الحق (لما جاءهم) يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فجزوا عنه (فسوف يأتيهم أنباء) الشيء الذي
 (كانوا به يستهزئون) وهو القرآن أي أخباره وأحواله بمعنى سيعلون بأي شيء استهزؤا وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع
 استهزاء وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته . مكن له في الأرض
 جعل له مكاناً فيها ونحوه أرض له ومنه قوله إنا مكنا له في الأرض أولم نمكن لهم وأما مكنته في الأرض فأنبته فيها ومنه
 قوله ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله (مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم) والمعنى
 لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثموداً وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا
 والسماء المطلة لأن الماء ينزل منها إلى السحاب والسحاب أو المطر . والمدرار المزار . (فإن قلت) أي فائدة
 في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم (قلت) الدلالة على أنه لا يتعاضدهم أن يهلك قرناً ويخرب بلاده منهم فإنه قادر
 على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله تعالى : ولا يخاف عقباها ، (كتاباً) مكتوباً (في قرطاس)
 في ورق (فلسوه بأيديهم) ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا (إن
 هذا إلا سحر مبين) نعتاً وعتاداً للحق بعد ظهوره (لقضى الأمر) لقضى أمر إهلاكهم (ثم لا ينظرون) بعد نزوله طريقة
 عين إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن
 ثم لا يؤمنون كما قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى لم يكن بدء من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة وإما

الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ، (قال ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يخ) قال أحدوا الظاهر أن فائدة زيادة فلسوه له بأيديهم تحقيق
 القراءة على قرب أي فقرؤه وهو في أيديهم لا بعيد عنهم لما آمنوا وإلا فالخط لا يدرك باللس حتى يجعل فائدة زيادته إدراكه
 بوجهين كما يفهم من كلام الزمخشري . قوله تعالى وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون (قال يعني
 لا ينظرون بعد نزوله طريقة عين الخ) قال أحد لا يحسن أن يجعل سبب مناجزتهم بالهلاك ووضوح الآية في نزول الملك فإنه ربما
 يفهم هذا الكلام أن الآيات التي لهم الإيمان بها دون نزول الملك في الوضوح وليس الأمر كذلك فالوجه والله أعلم
 أن يكون سبب تعجيل عقوبتهم بتقدير نزول الملك وعدم إيمانهم أنهم اقترحوا ما لا يتوقف وجوب الإيمان عليه إذ

وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
 انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۚ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ
 لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

لأنه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب إهلاكم وإما لأنهم إذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسنائه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الأحوال في صورة دحية لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم) ولخاطنا عليهم ما يخطون على أنفسهم حينئذ فإنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة إنسان هذا إنسان وليس بملك فإن لهم الدليل على أنى ملك أنى جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بأنى ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فإذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز أن يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصة ولبسنا عليهم بلام واحدة وقرأ الزهرى وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد (ولقد استهزى) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه (خفاق) بهم فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به (فان قلت) أى فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا (قلت) جعل النظر مسيئا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله (سيروا في الأرض ثم انظروا) فمناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المناقع وإيجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك ثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (لمن ما في السموات والأرض) سؤال تبكيت (قل لله) تقرير لها أى هو الله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدر أن تضيفوا شيئا منه إلى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أى أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته ونصب الأدلة لكم على توحيده بما أتم مقربون به من خلق السموات والأرض ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) فيجازيكم على إشراككم وقوله (الذين خسروا أنفسهم) نصب على الذم أو رفع أى أريد الذين خسروا أنفسهم أو

الذى يتوقف الوجوب عليه المعجز من حيث كونه معجزا لا المعجز الخاص فإذا أجيوا على وفق مقترحهم فلم ينجع فيهم كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ في العناد المناسب لعدم النظرة والله أعلم عاد كلامه (قال) وإما لأنه يزول الاختيار الذي قاعدة التكليف مبنية عليه عند نزول الملك فيجب إهلاكم وإما لأنهم إذا شاهدوا الملك في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون (قال أحمد) ويقوى هذا الوجه قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قال ابن عباس ليتمكنوا من رؤيته ولا يهلكوا من مشاهدته صورته عاد كلامه (قال ومعنى ثم بعد ما بين الأمرين قضاء الأمر الخ) قال أحمد وهذه النكته من محاسن تنبيهاته وقوله تعالى قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (قال إن قلت أى فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا الخ) قال أحمد وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الأمر بالسير في المكانين واجداً ليكون ذلك مسيئا في النظر فحيث دخلت الفاء فلاظهار السببية وحيث دخلت ثم فلتنبيه على

(قوله جعل مسيئا عن السير) لعله جعل بالنظر مسيئا

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ وَلِيًّا فَاطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۝ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ

أنتم الذين خسروا أنفسهم ۝ (فان قلت) كيف جعل عدم إيمانهم مسيئاً عن خسارتهم والأمر على العكس (قلت) معناه الذين خسروا أنفسهم في علم الله لا اختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون (وله) عطف على الله (ماسكن في الليل والنهار) من السكني وتعديه بنى كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان ۝ أولى غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لاني اتخذ الولي فكان أولى بالتقديم ونحوه أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون آله أذن لكم ۝ وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدعتها (وهو يطعم ولا يطعم) وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون والمعنى أن المانع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الأشهب وهو يطعم ولا يطعم على بناءهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الأزهرى أطمعت بمعنى استطعمت ونحوه أفدت ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطى ويمنع وييسر ويقدر ويغنى ويفقر (أول من أسلم) لأن النبي سابق أمته في الإسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى سبحانه تكلمت إليك وأنا أول المؤمنين (ولانكونن) وقيل لي لانكونن (من المشركين) ومعناه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك و(من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رحمه) الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك إن أطمعت زيدا من جوعه فقد أحسنت إليه تريد فقد أتممت الإحسان إليه أو فقد أدخله الجنة لأن من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوماً أو مذكوراً قبله وهو العذاب ويجوز أن ينصب يومئذ يصرف انتصاب المفعول به أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم أي هوله فقد رحمه وينصر هذه القراءة قراءة أبي رضي الله عنه من يصرف الله عنه (وإن يمسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه إلا هو (وإن يمسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل

أن النظر هو المقصود من السير وأن السير وسيلة إليه لا غير وشتان بين المقصود والوسيلة والله أعلم ۝ قوله تعالى قل إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين (قال المراد الرحمة العظمى وهي النجاة من النار الخ) قال أحمد وإنما يلحق إلى تخصيص الرحمة إما بكونها العظمى وإما برحمة الثواب أنه لو بقيت على إطلاقها لما زاد الجزاء على الشرط من المعلوم ضرورة أن صرف العذاب رحمة ما والعجب أن الزمخشري يصحح تخصيصها برحمة الثواب بأن صرف العذاب يستلزم الثواب ولا بد وغيره يصحح هذا التخصيص بأنه لا يلزم من صرف العذاب حصول الثواب لجواز أن يصرف عنه العذاب ولا يثاب فأفاد الجزاء إذا فائدة لم تفهم من الشرط هكذا صححه القونوي ولعمري إن قاعدة المعتزلة تلجج إلى ما ذهب إليه الزمخشري لانقسام المسكنين عندهم إلى مستوجب للجنة

أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلِ لَا أَشْهَدُ قُلِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفَاحِشُ الظَّالِمُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرْنَاكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُزْعَمُونَ ۝ ثُمَّ لَمْ تُكُنْ فَتَقْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ

شيءٍ قدیر) فكان قادراً على إدامته أو إزالته (فوق عباده) تصويراً للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقبوله وإنا فوقهم قاهرونه الشيء أهم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح أن يقال في الله عز وجل شيء لا كالأشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالأجسام ۝ وأراد أي شهيد (أكبر شهادة) فوضع شيئاً مقام شهيد ليبالغ في التعميم (قل الله شهيد بيني وبينكم) يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله أكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم أي هو شهيد بيني وبينكم وأن يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكثر شيء شهادة شهيداً (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أي لا نذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والهجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبیر من بلغه القرآن فكانت أرى محمداً صلى الله عليه وسلم (أنتم لتشهدون) تقرير لهم مع إنكار واستبعاد (قل لا أشهد) شهادتكم (الذين آتيناكم الكتاب) يعني اليهود والنصارى (يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته وبعته الثابتة في الكتابين معرفة خالصة) كما يعرفون أبناءهم) بحلامهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلبسون بغيرهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وببصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) به جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعائنا عند الله ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحراً ولم يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم (ويوم نحشرهم) ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليقى على الإبهام الذي هو داخل في التخويف (أين شركاؤكم) أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله (الذين كنتم تزعمون) معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان ۝ وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وإنما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم مارجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيم

فالعذاب قطعاً ويسندون ذلك إلى العقل لا إلى السمع ۝ قوله تعالى وقل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم، (قال الشيء أهم العام لوقوعه على كل ما يصح الخ) قال أحمد وتفسيره الشيء يخالف الفريقين الأشعرية فإنهم فسروه بالموجود ليس إلا والمهتزة فإنهم قالوا والمعلوم الذي يصح وجوده فاتفقوا على خروج المستحيل وعلى الجملة فهذه المسئلة معدودة من علم الكلام باعتبار ما وأما هذا البحث فلغوي والتحاكم فيه لأهل اللغة وظاهر قولهم غضبت من لاشيء وإذا رأى غير شيء ظنه رجلاً أن الشيء لا ينطلق إلا على الموجود إذ لو كان الشيء كل ما يصح أن يعلم عدماً كان أو وجوداً أو ممكناً أو مستحيلاً لما صدق على أمر ما أنه ليس بشيء والأمر في ذلك قريب

أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُوهَا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ بِجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَهُمْ يَهْتَفُونَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ

وحسرتهم (فتنهم) كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقالوا عليه وافخروا به وقالوا دين آياتنا إلا ججوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من الدين به ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمى فتنه لأنه كذب ۝ وقرئ تسكن بالناء وفتنتهم بالنصب وإنما أنتك إن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولك من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنه وبالياء والناء مع رفع الفتنه ۝ وقرئ ربنا بالنصب على النداء (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) أى يفترون إلهيته وشفاعته (فان قلت) كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الآلهة وروى على أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته (قلت) الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشاً ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون وقد أتينا بالخلود ولم يشكروا فيه ونادوا يا مالك ليتض عنا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعنى فى الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عى وإلغام لأن المعنى الذى ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبوءة وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء إلا أنهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبّه كذبهم فى الآخرة بكذبهم فى الدنيا (ومنهم من يستمع إليك) حين تتلوا القرآن روى أنه اجتمع أبرسفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته يعنى الكعبة ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبرسفيان إني لأراه حقاً فقال أبو جهل كلا فنزلت ۝ والآكنة على القلوب والوقر فى الآذان مثل فى نبق قلوبهم ومسامعهم عن قوله واعتقاد صحته ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم يجولون عليه أو هى حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة وقرأ بكسر الواو (حتى إذا جاؤك يجادلونك) هى حتى انى تقع بعدها الجمل والجمله قوله إذا جاؤك (يقول الذين كفروا) ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون الجارة ويكون إذا جاؤك فى محض الجزم بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسيره والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون (إن هذا إلا أساطير الأولين) فيجعلون

۝ قوله تعالى ثم لم تكن فتنهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (قال فتنهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الخ) قال أحمد وفى الآية دليل على أن الإخبار بالشىء على خلاف ما هو به كذب وإن لم يعلم المخبر مخالفة خبره لمخبره إلا تراه جعل إخبارهم وتبريهم كذباً مع أنه تعالى أخبر أنهم ضل عنهم ما كانوا يفترون أى سلبوا علمه حينئذ دهشاً وخبره فلم يرفع ذلك إطلاق الكذب عليهم ۝ قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا (قال الآكنة على القلوب والوقر فى الآذان مثل فى نبق قلوبهم ومسامعهم عن قوله الخ) قال أحمد رحمه الله وهذه الآية حسناً فى رد معتقد القدرية الذين يزعمون أن الله تعالى أراد من هؤلاء المستمعين أن يعوا القرآن ويفقهوه وأنه لم يمنعهم من ذلك ومحال

إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ۝ بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ۝ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا

كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية في التكذيب (وهم يبهون) الناس عن القرآن أو عن الرسول عليه الصلاة والسلام واتباعه ويثبطونهم عن الإيمان به (ويتأون عنه) بأنفسهم فيضلون ويضلون (وإن يهلكون) بذلك (إلا أنفسهم) ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبوطالب لأنه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويتأى عنه ولا يؤمن به وزوى أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءاً فقال

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ۝ حتى أوسد في التراب دفينا ۝ فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وابشر بذلك وقر منه عيوننا ۝ ودعوتني وزعمت أنك ناصح ۝ ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه ۝ من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبه ۝ لو جدتني سمعاً بذلك مينا

فزلت (ولوترى) جوابه محذوف تقديره ولوترى لرأيت أمراً شديداً (وقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلعا هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته ۝ وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقرفا (ياليتنا نرد) تم تمنيم ثم ابتدؤا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدن الإيمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الإثبات وشبهه سيويه بقولهم دعني ولا أعود بمعنى دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم تركتني ويجوز أن يكون معطوفاً على نرد أو حالاً على معنى ياليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني (فإن قلت) يدفع ذلك قوله وإنهم لكاذبون لأن التمني لا يكون كاذباً (قلت) هذا ممن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فأحسن إليك وأكافئك على صنيعك فهذا ممن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال إن رزقني الله مالا كافأتك على الإحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب بإضمار أن على جواب التمني ومعناه إن رددنا لم نكذب ونسكن من المؤمنين (بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل) من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجراً إلا أنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المناققين وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولوردوا)

على زعمهم أن يمنعهم من ذلك ويريد أن لا يفقهوه لأن ذلك عندهم قبيح فانظر كيف تكلفهم هذه الآية بالرد وتنادى عليهم بالخطأ إذ قوله أن يفقهوه ومعناه كراهة أن يفقهوه وبين الإرادة على زعمهم والكراهة على ما أنبأ عنه الآية بكون بعيد والله الموفق ۝ قوله تعالى ولوترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون (قال وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب بإضمار أن على جواب التمني الخ) قال أحمد وكثيراً ما تناوب بصيغة التمني والخبر الآتري إلى قوله تعالى وبما كانوا يكذبون في قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين إلى قوله وبما كانوا يكذبون وهذه المعاهدة إنما كانت تمنياً بصيغة الخبر والله أعلم وأبين من ذلك قوله تعالى في آية أخرى وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل فهذا هو التمني بعينه ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة والله الموفق

(قوله لأن التمني لا يكون كاذباً) لعله التمني أوله التمني لا يكون كاذباً

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَنْحَسِرَتْنَا عَلَىٰ مَا قَرَّبْنَا فِيهَا ۝ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۝ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهُوَ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لما نوا عنه) من الكفر والمعاصي (وإنهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أي ولوردوا الكفروا ولقالوا (إن هي إلا حياتنا الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاناة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وإنهم لكاذبون على معنى وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وكفى به دليلاً على كذبهم (وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف (قال) مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل قال (أليس هذا بالحق) وهذا تعين من الله تعالى لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو إلا باطل (بما كنتم تكفرون) بكفركم بقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في مواضع أخرى (حتى) غاية لكذبوا إلا خسروا لأن خسرتهم لا غاية لها أي ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت يحى الساعة (فإن قلت) أما يتحسرون عند موتهم (قلت) لما كان الموت وقوعاً في أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمى باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات فقد قامت قيامته. أو جعل يحى الساعة بعد الموت لسرعة كالأواقع بغير فترة (بغته) فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغته أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغته (فترطنا فيها) الضمير للحياة الدنيا يحى بضميرها وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة أول للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله (يحملون أوزارهم على ظهورهم) كقوله فيما كسبت أيديكم لأنه اعتد حمل الأثقال على الظهور كما ألف الكسب بالأيدي (سَاءَ مَا يَزِرُونَ) بثس شيئاً يزرون وزرهم كقوله ساء مثلاً القوم جعل أعمال الدنيا عباً وطهراً واشتغالاً بما لا يعنى ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة (وقوله للذين يتقون) دليل على أن ما عدا أعمال المتقين لعب وهو وقراً ابن عباس رضى الله عنه ولدنار الآخرة وقريء تعقلون بالناء والياء ۝ قد في (قد نعلم) بمعنى ربما الذي يحى لزيادة الفعل وكثرته كقوله:

أخافنة لانهلك الخرماله ۝ ولكنه قد يهلك المال نائله

والهاء في (إنه) ضمير الشأن (ليحزنك) قريء بفتح الياء وضمهاو (الذي يقولون) هو قولهم ساحر كذاب (لا يكذبونك) قريء بالتشديد والتخفيف من كذبه إذا جعله كاذباً في زعمه وأكذبه إذا وجد كاذباً والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله

۝ قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا أو ذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله الآية (قال قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يحى لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله) قال أحمد ومثلهما في قوله وقد تعلمون أي رسول الله إليكم فإنه يكثر عليهم برسالته ويؤكد به بظهور آياته حتى يقيم عليهم الحججة في جمعهم بين متناقضين أذيته ورسوخ عليهم برسالته والله أعلم ومنه أيضاً قوله ۝ قد أترك القرن مصفراً أنامله ۝ والغرض التعبير عن المعنى بما يشعر بعكسه تنبيهاً على أنه بلغ الآية التي ما بعدها إلا الرجوع إلى الضد وذلك من لطائف لغة العرب وغرائبها ۝ عاد كلامه (قال وقريء يكذبونك بالتشديد والتخفيف من كذبه إلى قوله ولكن الظالمين الخ) قال أحمد وفي هذا النوع من إقامة الظاهر مقام المضمرفنان من نكت البيان إحداهما

وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ
 آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَإِن كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَيِّنَاتٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ

لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته فإله عن حزنك لنفسك وإنهم
 كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك بجحود آيات الله تعالى والاستمانة بكتابه ونحوه قول
 السيد لغلامه إذا أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانوك وفي هذه الطريقة قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
 وقيل فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق
 ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين فعرّفوا أنه لا يكذب
 في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان أبو جهل يقول ما تكذبك لأنك عندنا صادق وإنما تكذب ما جئتنا به وروى
 أن الأحنس بن شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له
 والله إن محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنوقصي باللواء والسقاية والحجابه والنبوة فإذا يكون لسائر
 قريش فنزلت وقوله (ولكن الظالمين) من إقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم (ولقد كذبت)
 تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك
 لغلامك ما أهانوك ولكنهم أهانوك (على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وإيذائهم (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من
 قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبي المرسلين) بهص أتبائهم وقصصهم وما كابدوا
 من مصابرة المشركين ۝ كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه وإعراضهم عما جاء به فزل لعلمك باخع نفسك إنك لا تهدي
 من أحببت (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغى نفقا في الأرض) منفذا تنفذ فيه إلى ماتحت الأرض حتى
 تطلع لهم آية يؤمنون بها (أو سلما في السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل يعني أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على
 إسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لآتى بها رجاء إيمانهم
 وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان بود أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم فقيل له إن استطعت ذلك فافعل
 دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلمهم يؤمنون ويجوز أن
 يكون ابتغاء النفق في الأرض أو السلم في السماء هو الاثبات بالآيات كأنه قيل لو استطعت النفوذ إلى ماتحت الأرض
 أو الرقي إلى السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب أن كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى

الإسهاب في ذمهم وهذه النكتة يستقل بها الظاهر من حيث كونه ظاهراً حتى لو كان لقباً جامعاً والآخرى زيادة منه توكد
 ذمهم تفهم من اشتقاق الظاهر ۝ عاد كلامه (قال وقوله ولقد كذبت رسول من قبلك تسلياً الخ) قال أحمد رحمه الله ولا دلالة فيه
 لأنه مؤتلف مع نفي التكذيب أيضاً وموقعه حينئذ من الفضيلة أبين أي هؤلاء لم يكذبوك فقلك أن تصبر عليهم ولا يحزنك
 أمرهم وإذا كان من قبلك من الأنبياء قد كذبهم قومهم فصبروا عليهم فأنت إذ لم يكذبوك أجدر بالصبر فقد اتلف
 كما ترى بالتفسيرين جميعاً ولكنه من غير الوجه الذي استدلل به فيه تقريب لما اختاره وذلك أن مثل هذه التسليية
 قد وردت مصرحاً بها في نحو قوله وإن يكذبوك فقد كذبت رسول من قبلك فسلاه عن تكذيبهم له بتكذيب غيرهم من
 الأمم لأنبيائهم وما هو إلا تفسير حسن مطابق للواقع مؤيد بالنظائر والله أعلم ۝ قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية

(قوله وهو استعظامك بجحود آيات الله) لعله لجحود

مَنْ الْجَاهِلِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمُرْتَبِيعِينَ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝ وَالَّذِينَ

فلان نزوره (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكون من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه (إنما يستجيب الذين يسمعون) يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وإنما يستجيب من يسمع كقوله إنك لا تسمع الموتى (والموتى يعثهم الله) مثل لقدرته على إجاتهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يعث الموتى من القبور يوم القيامة (ثم إليه يرجعون) للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك وقيل معناه هؤلاء الموتى يعني الكفرة يعثهم الله ثم إليه يرجعون حينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء (لولا نزل عليه آية) نزل بمعنى أنزل ۝ وقرئ أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لأن تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وإنما قالوا ذلك مع تكرار ما أنزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) تضطرم إلى الإيمان كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن إنزالها (أم أمثالكم) مكتوبة أرزاقها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وأعمالكم (ما فرطنا) ما تركنا وما أغفلنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ماوجب أن يثبت بما يختص به (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الأمم كلها من الدواب والطيور فيوضها وينصف بعضها من بعض كما روى أنه يأخذ للجماء من القرناء ۝ (فإن قلت) كيف قيل إلا أمم مع أفراد الدابة والطيور (قلت) لما كان قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومعنى أن يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله إلا أمم على المعنى (فإن قلت) هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير بجناحيه (قلت) معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة بأنه قيل وما من دابة قط

(قال) بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكون من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه) قال أحمد وهذه الآية أيضا كافلة بالرد على القدرية في زعمهم أن الله تعالى شاء جمع الناس كلهم على الهدى فلم يكن إلا ترى أن الجملة مصدره بلو ومقتضاها امتناع جوابها لامتناع الواقع بعدها فامتناع اجتماعهم على الهدى إذا إنما كان لامتناع المشيئة فمن ثم ترى الزمخشري يحمل المشيئة على قهرهم على الهدى بآية ملجئة لا يكون الإيمان معها اختيارا حتى يتم له أن هذا الوجه من المشيئة لم يقع وإن مشيئة اجتماعهم على الهدى على اختيار منهم ثابتة غير ممتعة ولكن لم يقع متعلقها وهذه من خباياها ومكانه فاحذرنا والله الموفق ۝ قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء (قال إن قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الخ) قال أحمد ولم يبين وجه زيادتها للتعميم ولقائل أن يقول يلزم من العموم في أجناس الطير دخول كل طائر في الجوف العموم وإن لم يذكر في الجو وكذلك يلزم من عموم الدواب في سائر أصنافها أن يندرج في ذلك كل دابة في الأرضين وإن لم يذكر في الأرض فلا بد من بيان وجه الزيادة فتقول . وقع قوله في الأرض ويطير بجناحيه موقع الوصف العام وصفة العام

(قوله إلى استماعهم) لعله استماعهم

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يَضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
 إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ
 مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ

في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها (فإن قلت) فما الغرض في ذكر ذلك (قلت) الدلالة على عظم قدرته ولطف عله وسعة سلطانه وتديره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف وهو حافظ لماله وما عليها مهيم على أحوالها لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان ۝ وقرأ ابن أبي عملة ولا طائر بالرفع على المحل كأنه قيل وما دابة ولا طائر ۝ وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف ۝ (فإن قلت) كيف أتبعه قوله (والذين كذبوا بآياتنا) قلت لما ذكر من خلائقها آثار قدرته ما يشهد لرؤيته وينادي على عظمته قال والمكذبون (صم) لا يسمعون كلام المنبه (بكم) لا ينظفون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكير فيه ثم قال إيدانا بأنهم من أهل الطبع (من يشأ الله يضلله) أي يخذله ويخله وضلاله لم يلفظ به لأنه ليس من أهل اللطف (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي يلفظ به لأن اللطف يجدي عليه (أرأيتكم) أخبروني والضمير الثاني لا محل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كأنك تقول أرأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره إن أتاكم عذاب الله (أو أتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أعبر الله تدعون) بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضرر أم تدعون الله دونها (بل إياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون إليه) أي ما تدعونه إلى كشفه (إن شاء) إن أراد أن يفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتسنون ما تشركون وتركون آلهتكم أولا تذكرونها في ذلك الوقت لأن أذهانكم في ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده إذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أعبر الله تدعون كأنه قيل

عامة ضرورة المطابقة فكأنه مع زيادة الصفة تضافرت صفتان عامتان والله أعلم ۝ قوله تعالى من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (قال معنى يضلله يخذله ولم يلفظ به الخ) قال أحمد وهذا من تحريفاته للهداية والضلالة اتباعا لمعتقده الفاسد في أن الله تعالى لا يخلق الهدى ولا الضلال وأنهما من جملة مخلوقات العباد ولم تحرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرقعها وقد اتسع الخرق على الراقع والله الموفق ۝ قوله تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتكم الساعة أعبر الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتسنون ما تشركون (قال متعلق الاستخبار محذوف تقديره الخ) قال أحمد هو لا يدع أن يحجر واسعا فيوجب على الله رعاية المصالح بناء على القاعدة الفاسدة من مراعاة الصلاح والأصلح عاد كلامه قال وتسنون ما تشركون أي وتركون آلهتكم الخ) قال أحمد وإنما ياتي الاختصاص حيث يقول معناه أتخصون آلهتكم ثم قال بل تخصون الله بالدعاء من حيث تقدم المفعول على الفعل في قوله أعبر الله تدعون وقوله بل إياه تدعون وتقديم المفعول عنده يفيد الاختصاص والحصر وقوله تعالى إياك نعبد في قوة قولك لا نعبد إلا إياك وقد مضى الكلام عليه ۝ عاد كلامه (قال ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أعبر الله تدعون الخ)

(قوله إيدانا بأنهم من أهل الطبع) أي الختم على القلوب وقوله أي يخذله الخ فسر الإضلال بذلك لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة أما عند أهل السنة فيخلق الشر كالحير فالإضلال على ظاهره عندهم بمعنى خلق الضلال في القلب (قوله تقول أرأيتك نفسك) لعله أرأيت نفسك الخ

لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۚ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۚ
فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ
عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذَفُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ۚ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله ۚ فإن (قلت) إن علقتم الشرط به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون إليه مع قوله أو أتاكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين (قلت) قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله إن شاء إيدانا بأنه إن فعل كان له وجه من الحكمة إلا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه ۚ البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الأموال والأفئس والمعنى ولقد أرسلنا إليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نبي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء أي تركوا الاعتاط به ولم ينفع فيهم ولم يزرهم (فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلطفه أخرى طلبا لصلاحه) حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار (أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) واجعون متحسرون آيسون (فقطعت دابر القوم) آخرهم لم يترك منهم أحد قد استؤصلت شأقتهم (والحمد لله رب العالمين) إيدان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم ۚ وقرئ فتحنا بالتشديد (إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بأن يصمكم ويعميكم (وختم على قلوبكم) بأن يغطي عليهما ما يذهب عندهم فهمكم وعقلكم (يأتيكم به) أي يأتيكم بذلك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه (يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها ۚ لما كانت البغته أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته قيل (بغته أوجهرة) وعن الحسن ليلا أو نهاراً وقرئ بغته أوجهرة (هل يهلك) أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون ۚ وقرئ هل يهلك بفتح الياء (مبشرين ومنذرين)

قال أحمد ولقد سدد النظر لولا أنه نغض ذلك بما يفهم وجوب مراعاة المصالح وأن مشيئة الله تعالى تابعة للمصلحة وقد تقدم آنفا فاحذره وعليك بما سواه فإنه من بديع النظر والله الموفق ۚ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطعت دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (قال الحمد ههنا إيدان بوجوب الحمد عند هلاك الخ) قال أحمد ونظيرها قوله تعالى وأطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى فيمن وقف ههنا وجعل الحمد على إهلاك المتقدم ذكرهم من الطاغين ومنهم من وقف على المنذرين وجعل الحمد متصلاً بما بعده من إقامة البراهين على وحدانية

(قوله واجعون متحسرون) في الصحاح الواجم الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام (قوله قد استؤصلت شأقتهم) قرحة تخرج من أسفل القدم فتكوى فتذهب ثم ضربت مثلاً في الاستئصال أفاده الصحاح (قوله قيل بغته أوجهرة) قوله بغته أوجهرة كذا في أبي السعود والبيضاوي وفي بعض نسخ هذا الكتاب بغته أوجهرة وكتب عليه أي بتحريك الغين والهاء اه

فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمَسِّمُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝
 قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ قُلُوبِ
 هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مَنْ

من آمن بهم وبما جاؤا به وأطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليلتهم بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم
 بالبراهين القاطعة (وأصلح) ما يجب عليه إصلاحه مما كلفه جعل العذاب، ما سا كأنه حتى يفعل بهم ما يريد من الآلام
 ومنه قولهم لقيت منه الأمرين والافورين حيث جمع العقلاء وقوله إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
 وزفيراً أي لا ادعى ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وإرزاقه وعلم الغيب
 وأنى من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى وأفضله وأقربه منزلة منه أي لم ادع إلهية ولا ملكية لأنه ليس بعد
 الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواى وتستنكرونها وإنما ادعى ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة
 (هل يستوى الأعمى والبصير) مثل الضال والمهتدى ويجوز أن يكون مثلاً لمن اتبع ما يوحى إليه ومن لم يتبع أول من ادعى

الله تعالى وأنه جل جلاله خير مما يشركون فعلى الأول يكون الحد حتماً وعلى الثانى فاتحة وهو مستعمل فهما شرعا ولكن في آية
 النمل أظهر في كونه مفتوحاً لما بعده وفي آية الأنعام ختم لما تقدمه حتماً إذ لا يقتضى السياق غير ذلك والله أعلم به قوله تعالى
 قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير
 أفلا تفكرون الآية (قال أى لا ادعى ما يستبعد في العقول الخ) قال أحمد رحمه الله هو ينبنى على القاعدة المتقدمة له في تفضيل
 الملائكة على الأنبياء ولعمري أن ظاهر هذه الآية يؤيده فلذلك انتهز الفرصة في الاستدلال بها والمخالفه أن يقول إنما وردت
 الآية رداً على الكفار في قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لو أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه
 كنز الآية فرد قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام بأنه بشر وذلك شأن البشر ولم يدع أنه ملك حتى يتعجب من أكله للطعام وحينئذ
 لا يلزم منها تفضيل الملائكة على الأنبياء لأنه لا خلاف أن الأنبياء يأكلون الطعام وأن الملائكة ليسوا كذلك فالفرقة بهذا
 الوجه متفق عليها ولا يوجب ذلك اتفاقاً على أن الملائكة أفضل من الأنبياء وكذلك رد قولهم أو يلقى إليه كنز بأنه لا يملك خزائن
 الله تعالى حتى يأتيهم بكنز منها على وفق مقترحهم ولا قال لهم ذلك حتى يقام عليه الحجة به وهذه الآية جاء الترتيب فيها
 مخالفاً لترتيب قوله لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون قال الزمخشري لأنهم أعلى من الأنبياء
 وقد أخرج هنا دعوى الملكية عن دعوى الإلهية إذ الإلهية أجل وأعلى والملكية أدنى ولا محل لذلك إلا التمهيد الذى
 أسلفته وقد جعلت الأمر في التقديم والتأخير تبعاً للسياق فقد تقتضى البلاغة في بعضه عكس ما تقتضيه في الآخر ولم يحسن
 الزمخشري في قوله ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة فإنه جعل الإلهية من جملة المنازل كالملكية ومثل هذا الإطلاق
 لا يسوغ والمنزلة عبارة عن المحل الذى ينزل الله فيه العبد من عاقب وغيره فإطلاقها على الإلهية تحريف والله الموفق للصواب ۝
 عاد كلامه (قال والأعمى والبصير مثل الضال والمهتدى الخ) قال أحمد قوله أو ادعى الخحال يعنى المستحيل ولذلك قابله بالمستقيم
 يريد الممكن وذلك مسبب عن دعوى الإلهية إذ اتعاؤها لا يجوز عقلاً وأما مدعى الملكية فلا يقاس بمدعى الإلهية في الاستحالة العقلية
 ويجوز في القدرة أن يجعل البشر ملكاً أو الملك بشراً كما يجوز أن يجعل البشر أنبياء ويدل على هذا الجواز قوله ولو جعلناه ملكاً
 لجعلناه رجلاً هذا مع أن العقل يجيزه في قدرة الله تعالى لأن الجواهر متماثلة والمعاني القائمة ببعضها يجوز أن تقوم بكلها

(قوله لقيت منه الأمرين والافورين) الأمرين بنون الجمع الدواهي والافورين بكسر الراء الدواهي العظام كذا في
 الصحاح (قوله من الملائكة الذين هم أشرف جنس) أى عند المعتزلة أما عند أهل السنة فالبشر أشرف على ما تقر في التوحيد

دُونَهُ وَوَلِيٍّ وَلَا شَفِيعَ لَهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ

المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الإلهية والملكية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلوا أنى ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلى بما لا بد لي منه (فان قلت) أعلم الغيب ما يحله من الإعراب (قلت) النصب عطفاً على قوله عندى خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (وأذره) الضمير راجع إلى قوله ما يوحى إلى و (الذين يخافون أن يحشروا) إما قوم داخلون في الإسلام مقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما يوحى إليه (لعلهم يتقون) أى يدخلون في زمرة المتقين من المسلمين وإما أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث وإما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقاً فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار دون المتمردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء ۝ وقوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعاً لهم ولا بد من هذه الحال لأن كلا محشور فالخوف إنما هو الحشر على هذه الحال ۝ ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بإنذارهم ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم وإكرامهم وأن لا يطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك وأتى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته ويواظبون عليها ۝ والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روى أن رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت عنا هؤلاء الأعداء يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان وأضرابهم رضوان الله عليهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا إليك وحادثناك فقال عليه الصلاة والسلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فأقهم عنا إذا جئنا فإذا فنا فأقدم معك إن شئت فقال نعم طمأنى إيمانهم وروى أن عمر رضى الله عنه قاله لو فعلت حتى تنظر إلى ما يصيرون قال فاكتب بذلك كتاباً فدعا بصحيفة وبعلى رضى الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقاله قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى أن تقوم عنه وقال الحمد لله الذى

فالمعاني التى بها كان الملك ملكا يجوز أن يخلقها الله تعالى للبشر وبالعكس وعدم وقوعه لا يابى استقامته وإمكانه والله الموفق ۝ قوله تعالى وأذره به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون (قال الذين يخافون إما قوم آمنوا إلا أنهم مفرطون الخ) قال أحمد وإنما كانت هذه الحال لازمة لو قيل وأذره به الذين يحشرون لأنه لولا الحال لعم الأمر بالإنداز كل أحد والمقصود تخصيصه بالبعث وأما وقد قيل وأذره به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم فهذا الكلام مستقل برأسه ومضمونه تخصيص الإنذار بالمأمور به بالقوم الخائفين من البعث إما لأنهم مقرون به وإما لأنهم محتاطون لأنفسهم فيحملهم الخوف على النظر المفضى إلى اليقين دون العتاة المصممين على الجحد وليس كل خائف من البعث لا شفيع له فإن الموحدين أجمعين خائفون وهم مشفوع لهم وإن غنى باللازمة التى لا ينفك ذو الحال عنها كالتى فى قوله وهو الحق مصداقاً فإنما هو حينئذ يبنى على قاعدته فى إنكار الشفاعة فكل خائف عنده لا شفيع له إذ لا يخاف إلا أصحاب الكبائر غير التائبين أو الكفار والكل عنده سواء لا شفيع لهم وحيث أثبتت الشفاعة جعلها خاصة بزيادة الثواب فلا ينالها إلا من يستوجب على زعمه الثواب بعمله الصالح وتكون الشفاعة مفيدة للمزيد على ما يرضيه فهذا عنده لا يخاف من البعث لأنه يستوجب الجنة فمن ثم جعل الحال لازمة إذ الناس قسمان غير خائف فلا تناوله الآية وخائف فذاك إنما خاف لأنه استوجب العقاب فلا شفاعة تناله وهذه من دقاته الخفية ومكانه المزوية فتغطن لها والله الموفق برحمته

مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ۝ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِمَ عَلَيْكُمْ كِتَابُ رَبِّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ لِي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ

لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات (وما عليك من حسابهم من شيء) كقوله إن حسابهم إلا على ربى وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم على معنى وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسمة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضى لحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى (فان قلت) أما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم إليه (وما من حسابك عليهم من شيء) (قلت) قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى وفى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل به هذا المعنى إلا الجملتان جميعاً كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهتك إيمانهم ويحرك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين (فتطردهم) جواب النفي (فتكون من الظالمين) جواب النهى ويجوز أن يكون عطفاً على فتطردهم على وجه التسبب لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم وقرئ بالذم واللعن (وكذلك فتنا) ومثل ذلك الفن العظيم فتنا بعض الناس ببعض أى ابتليناهم بهم وذلك أن المشركين كانوا يقولون للسلدين (أهولاء) الذين (من الله عليهم من بيننا) أى أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء إنكاراً لأن يكون أمثالهم على الحق ويمنوننا عليهم من بينهم بالخير ونحوه ألقى الذكر عليه من بيننا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافته وا حتى كان افتتانهم سبباً لهذا القول لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا بخذول مفتون (أليس الله بأعلم بالشاكرين) أى الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق (فقل سلام عليكم) إما أن يكون أمراً بتبليغ سلام الله اليهم وإما أن يكون أمراً بأن يبدأهم بالسلام إكراماً لهم وتطييباً لقلوبهم وكذلك قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ إنه فإنه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل (أنه من عمل منكم) وبالفتح على الإبدال من الرحمة (بجهالة) فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهالة لأن من عمل ما يؤدي إلى الضرر فى العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على أنها قالت عشية زرتها ۝ جهلت على عمد ولم تك جاهلاً

والثانى أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل إنها نزلت فى عمر رضى الله عنه حين أشار بإجابة الكفرة إلى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة وقرئ (ولتستبين) بالناء والياء مع رفع السيل لأنها تذكر وتؤنث وبالناء على خطاب الرسول مع نصب السيل يقال استبان الأمر

(قوله والاتسام بسمة) لعله بسمة (قوله ليقولوا ذلك خذلناهم) فسر بهذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يخلق

الشر وعند أهل السنة يخلق الشر كالخير

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَّكُمُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا اسْتَعْجَلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۝ قُلْ لَوْ أَن عِنْدِي مَا اسْتَعْجَلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ

وتبين واستبينته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين تفصل آيات القرآن وتلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجي إسلامه ومن يرى فيه أمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده وتستوضح سبيلهم فتعامل كلامهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (نهيت) صرفت وزجرت بماركب في من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبارة ما تعبدون (من دون الله) وفيه استجهال لهم ووصف بالافتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة (قل لا أتبع أهواءكم) أي لا أجرى في طريقكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتبنيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل (قد ضللكم إذا) أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفي أن يكون الهوى متبعاً به على ما يجب اتباعه بقوله (قل إنني على بينة من ربي) ومعنى قوله إنني على بينة من ربي وكذبتكم به إنني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق (وكذبتكم به) أتم حيث أشركتم به غيره يقال أنا على بينة من هذا الأمر وأنا على يقين منه إذا كان ثابتاً عندك بدليل ۝ ثم عقبه بمبادل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحق بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال (ما عني ما استعجلون به) يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (إن الحكم إلا لله) في تأخير عذابكم (يقض الحق) أي القضاء الحق في كل ما يقضى من التأخير والتعجيل في أقسامه (وهو خير الفاصلين) أي القاضين وقرئ يقض الحق أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره (لو أن عندي) أي في قدرتي وإمكانتي (ما استعجلون به) من العذاب (لقضى الأمر بيني وبينكم) لأنه كتمت عاجلاً غضبا لربي وامتعضاً من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعاً (والله أعلم بالظالمين) وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتكم به أي بالبينه وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن ۝ (فإن قلت) بم انتصب الحق (قلت) بأنه صفة لمصدر يقضى أي يقضى القضاء الحق ويجوز أن يكون مفعولاً به من قولهم قضى الدرع إذا صنعها أي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبدالله يقضى بالحق (فإن قلت) لم أسقط الياء في الحُط (قلت) اتباعاً للخط للفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين ۝ جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لأن المفاتيح يتوصل بها إلى مافي المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتيحها وكيف تفتح توصل

۝ (قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (قال المفاتيح استعارة لأن المفاتيح يتوصل بها إلى مافي المخازن الخ) قال أحمد إطلاق التوصل على الله تعالى ليس سديداً فإنه يوم تجدد وصول بعد تباعد إذ قول القائل توصل زيد إلى كذا يفهم أنه وصل بعد تكلف وبعد والله تعالى مقدس عن ذلك والغائب كالحاضر في علمه والعلم بالكائن هو العلم بما سيكون لا يتغير ولا يختلف وليس لنا أن نطلق مثل هذا الإطلاق إلا عن ثبت والله الموفق ۝ عاد كلامه

(قوله بأن يغافصوا بالعذاب) يغافصوا يؤخذوا على غنلة يقال غافصت الرجل أخذته على غزاة اه (قوله وقرئ يقض الحق) ظاهره أن قراءة يقض من القضاء هي المشهورة فليجزر (قوله وامتعضاً من تكذيبكم) الامتعض اشتداد الغضب أفاده الصحاح

مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ۝ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَرْهُمُ الْحَقِّ إِلَّا لَهٗ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ۝ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنَ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُنَّ أُنْجِنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝

إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغييات وحده لا يتوصل إليها غيره. كمن عنده مفاتيح أقفال الخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في الخازن والمفاتيح جمع مفتاح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقبل هي جمع مفتاح بفتح الميم وهو الخزن ۝ ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شيء من هذه الأشياء إلا يعلمه وقرله (إلا في كتاب مبين) كالتكرير لقوله إلا يعلمها الآن معنى إلا يعلمها ومعنى إلا في كتاب مبين واحد الكتاب المبين علم الله تعالى أو اللوح ۝ وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان أن يكون عطفًا على محل من ورقة وأن يكون رفعًا على الابتداء وخبره إلا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة إلا في الدار (وهو الذي يتوفاكم بالليل) الخطاب للكفرة أي أنتم منذ حون الليل كاه كالجيف (ويعلم ما جرحتم بالنهار) ما كسبتم من الآثام فيه (ثم يبعثكم فيه) ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن أجله كقولك فيم دعوتني فتقول في أمر كذا (ليقضى أجل مسمى) وهو الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم (ثم إليه مرجعكم) وهو المرجع إلى موقف الحساب (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) في ليالكم ونهاركم (حفظة) ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبي حاتم السجستاني أنه كان يكتب عن الأصمى كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال أبو حاتم وهذا أيضا مما يكتب (فإن قلت) الله تعالى غني بعلمه عن كتابة الملائكة فما فائدتها (قلت) فيها لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الأشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزر لهم عن القبيح وأبعد من السوء (توفته رسلنا) أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه وعن مجاهد جعلت الأرض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز أن يكون ماضيًا ومضارعًا بمعنى توفاه و (يفرطون) بالتشديد والتخفيف فالفرط التواني والتأخير عن الحد والإفراط مجاوزة الحد أي لا يتقصون مما أمروا به أو لا يزيدون فيه (ثم ردوا إلى الله) أي إلى حكمه وجزائه (مولاهم) مالكمهم الذي يلي عليهم أمورهم (الحق) العدل الذي لا يحكم إلا بالحق (الاله الحكم) يومئذ لا حكم فيه لغيره (وهو أسرع الحاسبين) لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق (ظلمات البر والبحر) مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذوكوا كب

(قال ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها الخ) قال أحمد وفائدة هذا التكرير التطرية لما بعد عهده لأنه لما عطف على ورقة بعد أن سلف الإيجاب المقصود للعلم في قوله إلا يعلمها وكانت

(قوله منذ حون الليل كاه) منذ حون منسطحون على القفا أو منقلبون على الوجه أفاده الصحاح (قوله دعوتني فتقول في أمر كذا) لعله فيقول

قُلْ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلَّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا أَنظُرْ كَيْفَ نَصَّرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ۝ لِّكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِينِكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعْدُ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِ لَعَلَّهُمْ

أى اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فإذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما (أثن أنجيتنا) على إرادة القول (من هذه) من هذه الظلمة الشديدة ۝ وقرئ ينجيكم بالتشديد والتخفيف وأنجانا وخفية بالضم والكسر (هو القادر) هو الذى عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة (عذابا من فوقكم) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان (أو من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم ومن تحت أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات (أو يلبسكم شيئا) أو يخلطكم فرقا مخلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خاطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله
وكتيبة لبستها بكتيبة ۝ حتى إذا التبتت نفضت لهايدى

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسأته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فاء أمتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك فلما نزل أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا قال هاتان أهون ومعنى الآية الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة ۝ والضمير في قوله (وكذب به) راجع إلى العذاب (هو الحق) أى لا بد أن ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل إلى أمركم أمنعكم من التكذيب إجباراً إنما أنا منذر (لكل نبأ) لكل شيء ينأ به يعنى إنباهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به (مستقر) وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير فيه للفرآن (يخوضون في آياتنا) فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى أيديتهم يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) فلا بأس أن تجالسهم حينئذ (وإما ينسيتك الشيطان) وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم (فلا تعقد) معهم (بعد الذكرى) بعد أن تذكر النهى ۝ وقرئ ينسيتك

هذه المعطوفات داخله فى إيجاب العلم وهو المقصود وطالت وبعد ارتباط آخرها بالإيجاب السالف كان ذلك جديرا بتجديد العهد بالمقصود ثم كان اللائق بالبلاغة المألوفة فى القرآن التجديد بعبارة أخرى لئلا تقاها السامع غضة جديدة غير مألوفة بالتكرير وهذا السر إنما ينقب عنه المسيطر فى علم البيان ونكت اللبان والله الموفق ۝ قوله تعالى وإما ينسيتك الشيطان فلا تعقد بعد الذكرى مع القوم الظالمين، (قال مجرود معناه وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهى الخ) قال أحمد وهذا التأويل الثانى يروم تنزيله على قاعدة التحسين والتقييح بالعقل وأنه كاف وإن لم يرد شرع فى التحريم وغيره من الأحكام إذا كانت واضحة للعقل كجالسته المستهزئين فإن قبجها بين بالعقل فهو مستقل بتحريمها وحيث ورد الشرع بذلك فهو كاشف لحكمها ومبنية عليه لا منثى فيها حكما وقد علمت فساد هذه القاعدة ومخالفتها للعقائد السنية على أن الآية تنبؤ عنه

(قوله أن يراد ما يشفون عليه) أى يشرفون ويقربون أفاده الصحاح

يَتَّقُونَ ه وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ ابْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا

بالتشديد ويجوز أن يراد وإن كان الشيطان ينسبك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لأنها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن ذكرناك قبحها ونهيناك عليه معهم (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم (ولكن) عليهم أن يذكرهم (ذكرى) إذا سمعواهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وهو عظمتهم (لعالمهم يتقون) لعالمهم يحتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز أن يكون الضير الذين يتقون أي يذكرهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروى أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن تطوف فرخص لهم (فإن قلت) ما محل ذكرى (قلت) يجوز أن يكون نصبا على ولكن يذكرهم ذكرى أي تذكيرا ورفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفاً على محل من شيء كقولك ما في الدار من أحد ولكن زيد لأن قوله من حسابهم يأبي ذلك (اتخذوا دينهم لعباً ولهواً) أي دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعباً ولهواً وذلك أن عبادة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحار والسواحب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها ديناً لهم أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعباً ولهواً حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عياداً يعظموه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيادهم لعباً ولهواً غير المسلمين فإنهم اتخذوا عيادهم كما شرعه الله ه ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبالي بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم (وذكر به) أي بالقرآن (أن تبسل نفس) مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتن بسوء كسبها وأصل الإبسال المنع لأن المسلم إليه يمنع المسلم قال

وأبسالى نبي بغير جرم ه بعوناه ولا بدم مراق

ومنه هذا عليك بسل أي حرام محذور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه أو لأنه شديد البسور يقال بسر الرجل إذا اشتد عبوسه فإذا زاد قالوا بسل والعباس منقبض الوجه (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأن الفادي يعدل المقدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لأن العدل ههنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ وأما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المقدي به فصح إسناده إليه (أولئك)

فإنه لو كان النسيان المراد ههنا نسيان الحكم الذي يدل عليه العقل قبل ورود هذا النهي لما عبر بالمستقبل في قوله « وإما ينسبك » فأما وقد ورد بصيغة الاستقبال فلا وجه لحملة على الماضي والله الموفق ه قوله تعالى وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها (قال معناه وإن تفد كل فداء والعدل والفدية الخ) قال أحمد وهذا أيضاً من عيون إعرابه ونكت إعرابه التي طالما ذهل عنها غيره وهو من جنس تذكيره في منع عود الضمير من قوله فنفتح فيها إلى الهيئة من قوله كهيئة الطير مع أنه السابق إلى الذهن وإنما حملة على القول بأن العدل ههنا مصدر إن الفعل تعدى إليه بغير واسطة ولو كان المراد المقدي به لكان مفعولاً به فلم يتعد إليه الفعل إلا بالباء وكان وجه الكلام وإن تعدل بكل عدل فلما عدل عنه علم أنه مصدر والله أعلم

(قوله كان الشيطان ينسبك قبل النهي) بناء على أن هناك حكماً قبل الشرع وهو مذهب المعتزلة ولا حكم قبل الشرع عند أهل السنة (قوله بغير جرم بعوناه) أي جنيناه وفي الصحاح البع الجناية والجرم

لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا
وَنُرْذِلُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ
إِثْنَا قُلْ إِن هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا ضَلُّوا إِلَّا الضَّلَالَةَ ۝ وَإِن أَضَلَّهُمْ لَبُرْتُ لَهُمْ ظُلْمًا لَّيِّنًا ۝ وَإِن يَدْعُوا إِلَىٰ الْهُدَىٰ
إِثْنَا قُلْ إِن هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا ضَلُّوا إِلَّا الضَّلَالَةَ ۝ وَإِن أَضَلَّهُمْ لَبُرْتُ لَهُمْ ظُلْمًا لَّيِّنًا ۝ وَإِن يَدْعُوا إِلَىٰ الْهُدَىٰ

إشارة إلى المتخذين دينهم لعباً ولهواً ۝ قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة
الأوثان (قل أدعوا) أنعبد (من دون الله) الضار النافع مالا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا (ونرد على أعقابنا) راجعين
إلى الشرك بعد إذ أنقذنا الله منه وهدانا الإسلام (كالذي استهوته الشياطين) كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان
(في الأرض) المهمة (حيران) تائهاً ضالاً عن الجادة لا يدري كيف يصنع (له) أي لهذا المستوى (أصحاب) رفقة (يدعونه
إلى الهدى) إلى أن يهدوه الطريق المستوي أو سبي الطريق المستقيم بالهدى ۝ يقولون له (إثنا) وقد اعتسف المهمة
تابعاً للجن لا يجيبهم ولا يأتهم وهذا مبنى على ما تزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوي الإنسان والغيلان تستولي عليه
كقوله كالذي يتخبطه الشيطان من المس فشبّه الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه
إليه فلا يلتفت إليهم (قل إن هدى الله) وهو الإسلام (هو الهدى) وجده وما وراءه ضلال وغي ومن يتبع غير الإسلام
ديناً فماذا بعد الحق إلا الضلال ۝ (فإن قلت) فما محل الكاف في قوله كالذي استهوته (قلت) النصب على الحال من
الضمير في نرد على أعقابنا أي أنكص مشبهين من استهوته الشياطين ۝ (فإن قلت) ما معنى استهوته (قلت) هو استعمال
من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويته وحرصت عليه ۝ (فإن قلت) ما محل (أمرنا) (قلت) النصب عطفاً على محل
قوله إن هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم (فإن قلت) ما معنى اللام في (لنسلم) (قلت) هي
تعديل اللام بمعنى أمرنا وقل لنا أسلموا الأجل أن نسلم (فإن قلت) فإذا كان هذا واراد في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكيف

۝ قوله تعالى قل أدعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته
الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب
العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون (قال نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه
عبد الرحمن إلى عبادة الأوثان الخ) قال أحمد ومن أنكر الجن واستيلاءها على بعض الأناس بقدره الله تعالى حتى
يحدث من ذلك الخبطة والصرع ونحوهما فهو بمن استهوته الشياطين في مهامه الضلال الفلسفي حيران له أصحاب من
الموحدين يدعونه إلى الهدى الشرعي اثنا وهو ركب في ضلالة التعاسيف لا يلوي عليهم ولا يلتفت إليهم فمرة يقول
إن الوارد في الشرع من ذلك تخييل كما تقدم في سورة البقرة ومرة يعده من زعمات العرب وزخارفها وقد أسلفنا
ذلك في البقرة وآل عمران قولاً شافياً بليغاً جدد به عهداً والله الموفق ۝ عاد كلامه (قال فإن قلت إذا كان هذا وارداً
في أبي بكر فكيف قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل أدعوا من دون الله الخ) قال أحمد هو مبنى على أن الأمر
هو الإرادة أو من لوازمه إرادة المأمور به وهذا الإعراب منزل على معتقده هذا وأما أهل السنة فكما علمت أن الأمر
عندهم غير الإرادة ولا يستلزمها وقولهم في هذه اللام كقولهم في وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون من نقي كونها
تعليلاً والوجه في ذلك أنهم لما أوضحت لهم الآيات البينات وأزيجت عنهم العلل وتمكنوا من الإسلام والعبادة امتثالاً
للأمر جعلوا بمثابة من أريد منهم ذلك تمكيناً لحضهم على الامتثال ولقطع أعذارهم إذا فعل بهم فعل المراد منهم ذلك
ومن شأن المريد للشيء إذا كان قادراً على حصوله أن يزيح العلل ويرفع الموانع وكذلك فعل مع المكلفين وإن لم تكن

(قوله في الأرض المهمة) أي المفازة المتسعة أفاده الصحاح

تُحْشَرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ
يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَخَذَ مِنْهُ آصْنَامًا آلِهَةً
إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

قيل الرسول عليه الصلاة والسلام قل أبدو (قلت) للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
خصوصاً بينه وبين الصديق أبي بكر رضي الله تعالى عنه (فإن قلت) علام عطف قوله (وأن أقيموا) (قلت) على موضع
لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أي للإسلام وإقامة
الصلاة (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدماً عليه وانتصابه بمعنى الاستقراء كقولك يوم الجمعة القتال واليوم
بمعنى الحين والمعنى أنه خلق السموات والأرض قائماً بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الأشياء كن فيكون ذلك
الشيء قوله الحق والحكمة أي لا يكون شيئاً من السموات والأرض وسائر المكروبات إلا عن حكمة وصواب (يوم
ينفخ) ظرف لقوله (وله الملك) كقوله لمن الملك اليوم ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول
لقوله الحق أي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم لمحدوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون
ويقدر يقوم بالحق (عالم الغيب) هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح (آزر) اسم أبي إبراهيم عليه السلام وفي كتب
التواريخ أن اسمه بالسريانية تارح والأقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشاخ وفالغ وما أشبهها
من أسماءهم وهو عطف بيان لآيه وقرئ آزر بالضم على الداء وقيل آزر اسم صنم فيجز أن ينزبه للزوجه عبادته كما
نزل ابن قيس بالرقبات اللاتي كان يشبهن قليل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين
أدعى بأسماء نيزا في قبائلها ۝ كأن أسماء أضحيت بعد اسمائ

أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ۝ وقرئ آزر تتخذ أصناماً آلهة بفتح الهمزة وكسرهما
بعدهمزة الاستفهام وزاى سا كنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد آزر على الإنكار ثم قال تتخذ أصناماً

الطاعة مرادة من جميعهم وأما إذا كانت اللام هي التي تصحب المصدر كما يقول الزجاج تقديره الأمر للإسلام وكذلك
يقول في قوله تعالى يريد الله ليبين لكم الإرادة للبيان وهي اللام التي تصحب المفعول عند تقدمه في قولك لزيد ضربت
فهى على هذا الوجه غير محتاجة للتأويل وقد قيل إنها بمعنى أن كأنه قيل وأمرنا أن نسلم قال هذا القائل وكى ولام كى
في أمرت وأردت خاصة بمعنى أن لا على بابها من التعليل والغرض من دخولها إفادة الاستقبال على وجه أوثق
وأبلغ إذ لا يتعلق هذان المعنيان أعنى الأمر والإرادة إلا بمستقبل وقد جمع بين الثلاثة اللام وكى وأن في قوله
أردت لكما أن يطير البيت ، وهذا الوجه أيضاً سالم المعنى من الخلل الذي يعتقده الزمخشري والمحافظة على العقيدة
وقد وجدنا السبيل إلى ذلك بحمد الله متعينة والله الموفق ۝ عاد كلامه (قال فإن قلت علام عطف قوله وأن أقيموا الخ)
قال أحمد وهذا مصداق للقول بأن لنسلم معناه أن تسلم وأن اللام فيه رديفة أن لإيراد عطفها عليها فذلك هو الوجه الصحيح
إن شاء الله وفي ورود أقيموا الصلاة محكياً بصيغته وورود نسلم محكياً بمعناه إذ الأصل المطابق لأقيموا أسلموا
بمصداق لما قدمته عند قوله تعالى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن عبدوا الله ربى وربكم ، وبينت ثم أن ذلك جائز على
أن يكون عيسى عليه السلام حكى قول الله تعالى عبدوا الله ربكم ورب عيسى بمعناه فقال عبدوا الله ربى وربكم فهذا
مثله في حكاية المعنى دون اللفظ والله أعلم

(قوله وانتصاب اليوم لمحدوف) لعله بمحدوف

المُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ
بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً
قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُسْقِطُهَا عَلَىٰ بَرِيٍّ مُّمْتَسِرٍ مُّكُونٍ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَحَآجَةَ قَوْمِهِ قَالَ اتَّخَذُوا مِنِّي فِي اللَّهِ مَقَدًّا وَأَخَافُ

آلهة ثبينا لذلك وتقريراً وهو داخل في حكم الإنكار لأنه كاليان له (فلما جن عليه الليل) عطف على قال إبراهيم لأبيه وقوله وكذلك نرى إبراهيم جملة مدترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف إبراهيم ونبصره ۝ ملكوت السموات والأرض يعنى الربوبية والإلهية ونوقفه لمعرفة ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال ۝ وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونرى حكاية حال ماضية وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئاً منها لا يصح أن يكون لها لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثاً أحدثها وصانعاً صنعها ومدبر دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها (هذا ربى) قول من ينصف خصمه مع عليه بأنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (لأحب الآفلين) لأحب عبادة الأرباب المتغيرين على حال إلى حال المتقلبين من مكان إلى مكان المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الأجرام (بازغاً) مبتدئاً في الطلوع (إن لم يهدنى ربى) تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر لها وهو نظير الكوكب في الأفول فهو ضال وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه (هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضاً مع خصومه (إنى برىء مما تشركون) من الأجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها (إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض) أى الذى دلت هذه المحادثات عليه وعلى أنه مبتدؤها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فكاه الله والأول أظهر لقوله إن لم يهدنى ربى وقوله ويأقومونى برىء مما تشركون (فإن

قوله تعالى وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكباً الآية قال قوله فلما جن عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه الخ) قال أحمد وفي الاعتراض بهذه الجملة تنويه بما سيأتى من استدلال إبراهيم عليه السلام وأنه تبصير له من الله تعالى وتسديده عاد كلامه (قال وكان أبوه أزرو وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب الخ) قال أحمد والتعريض بضلالهم ثانياً أصرح وأقوى من قوله أو لا لأحب الآفلين وإنما ترقى إلى ذلك لأن الخصوم قد أقامت عليه الاستدلال الأول حجة فأنسو بالقدرح فى معتقدهم ولو قيل هذا فى الأول فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون إلى الاستدلال فاعرض صلوات الله عليه بأنهم فى ضلالة إلا بعد أن وثق بأصغائهم إلى تمام المقصود واستماعهم إلى آخره والدليل على ذلك أنه ترقى فى التوبة الثالثة إلى التصريح بالبراءة منهم والتقريع بأنهم على شرك حين قيام الحجة عليهم وتباج الحق وبلغ من الظهور غاية المقصود والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال وقوله هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضاً مع الخصوم الخ) قال أحمد وصدق الزمخشري بل ذلك متعين وقد ورد الحديث الوارد فى الشفاعة أنهم يأتون إبراهيم عليه السلام فيلتمسون منه الشفاعة فيقول نفسى لا أسأل أحداً غيرى ويذكر كذباته الثلاث ويقول لست لها يريد قوله لسارة هى أختى وإنما عنى فى الإسلام وقوله إنه سقيم وإنما عنى همه بقومه وبشركهم والمؤمن يسقمه ذلك وقوله بل فعله كبيرهم وقد ذكرت فيه وجوه من التعريض فإذا عد صلوات الله عليه وسلامه على نفسه هذه الكلمات مع العلم بأنه غير مؤاخذ بها دل ذلك على أنها أعظم ما صدر منه فلو كان الأمر على ما يقال من أن هذا الكلام محكى عنه على أنه نظر لنفسه لكان أرى أن بعده

مَا تَشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۚ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۚ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى

قلت) لم احتج عليهم بالأفول دون البروغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال (قلت) الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب (فإن قلت) ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والإشارة للشمس (قلت) جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقوله لهم ما جاءتك حاجتك ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث الأترام قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث ۚ وقرئ نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض بالتاء ورفع الملكوت ومعناه نصره دلائل الربوبية (وحاجه قومه قال أنحاجوني في الله) وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفى الشركاء عنه منكرين لذلك (وقد هدان) يعني إلى التوحيد (ولا أخاف ما تشركون به) وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء (إلا أن يشاء ربي شيئا) إلا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فخذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت ذنبا أستوجب به إنزال المسكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي (وسع ربي كل شيء علما) أي ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في عله إنزال المخوف بي من جهتها (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفساد والقادر والعاجز (وكيف أخاف) لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه (و) أنتم (لا تخفون) ما يتعلق به كل مخوف وهو إثمكم بالله ما لم ينزل بأشراكه (سلطانا) أي حجة لأن الأشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون على الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف ۚ ولم يقل فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازا من تركيته نفسه فعدل عنه إلى قوله (فأي الفريقين) يعني فريقي المشركين والموحدين ۚ ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسدهم وأبي تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس (وتلك) إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه

وأعظم مما ذكرناه لأنه حينئذ يكون شكال جزما على أن الصحيح أن الأنبياء قبل النبوة معصومون من ذلك ۚ عاد كلامه (قال فإن قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البروغ وكلاهما انتقال الخ) قال أحمد وهذه أيضا من عبون نكته ووجوه حسناته ۚ قوله تعالى وحاجه قومه قال أنحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما تشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (قال إلا أن يشاء معناه إلا وقت مشيئة ربي شيئا فخذف الوقت الخ) قال أحمد هو بمعنى يجعلها قادرة على أن المضرة خالق قدرة يخاق بها المضرة لمن يريد بناء على قاعدته وقد علمت أن عقيدة أهل السنة أن ذلك لا يجوز عقلا أن يخاق غير الله ولا يقدر قدرة مؤثرة في المقدور إلا هو وإن كان الزمخشري لم يصرح ههنا من عقيدته وإنما يعني حيث يصرح أو يكنى ما يلائمها وينزل عليها وغاية خوف إبراهيم منها المعلق على مشيئة الله لذلك خوف الضرر عندها بقدرة الله تعالى لا بها وكأنه في الحقيقة لم يخف إلا من الله لأن الخوف الذي أثبتته منها معلق بمشيئة الله وقدرته وهو كالأخوف منها والله أعلم ۚ عاد كلامه (قال ومعنى وكيف أخاف ما تشركتم الخ ما لكم تنكرون على الأمن الخ) قال أحمد ويحتمل أن يكون العدول إلى ذلك ليعم بالأمن كل موحد بالخوف كل مشرك ويندرج هو في حكم المرحدين وقومه في حكم المشركين وأحسن الجواب ما أفاد وزاد (قال والمراد بقوله ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسدهم وأبي تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس) قال أحمد وقد ورد أن الآية لما نزلت عظمت على الصحابة وقالوا

قَوْمَهُ نَزَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ جَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا
مِّن قَبْلٍ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا
وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَمِن
آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ
مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِن
يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَكْفُرْنَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِمُ آقَدَهُ قُل لَّا اسْتَلْكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ

من قوله فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون ۝ ومعنى (آتيناهم) أرشدناه إليها ووفقناه لها (نرفع درجات من نشاء) يعنى
فى العلم والحكمة وقرئ بالتونين (ومن ذريته) الضمير لنوح أو لإبراهيم و (داود) عطف على نوحا أى وهدينا داود (ومن
آبائهم) فى موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آباءهم (ولو أشركوا) مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات
سكانوا كغيرهم فى حبوط أعمالهم كما قال تعالى وتقدس وإن أشركت ليحبطن عملك ، (آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (فإن
يكفر بها) بالكتاب والحكمة والنبوة أو بالنبوة (هؤلاء) يعنى أهل مكة (قوما) هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل
قوله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وبدليل وصل قوله فإن يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بنى آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار أنهم لم يعن مجاهدتهم الفرس ومعنى
توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهد به ويحافظ عليه ۝ والباء فى بها
صلة كافرين ۝ وفى بكافرين تأكيد الذى ۝ فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالافتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول
والمزاد بهم طرفتهم فى الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وهى هدى مالم تنسخ فإذا نسخت
لم تبقى هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبداً والهاء فى اقتده الموقوف تسقط فى الدرج واستحسن إيثارا لوقف لثبات الهاء
فى المصحف (وما قدروا الله حق قدره) وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده والالطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل
والوحى إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته فى سخطة على الكافرين
وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة ۝ والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ
يجعلونه بالناء وكذلك تبدوونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة فى إنكار أنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزهوا
ملا بد لهم من الإقرار به من أنزال التوراة على موسى عليه السلام وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم

أينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام إنما هو الظلم فى قول لقمان إن الشرك لظلم عظيم وإنما هو يروم بذلك تنزيهه على معتقده
فى وجوب وعيد العصاة وأنهم لاحظ لهم فى الأمن كالكفار ويجعل هذه الآية تقتضى تخصيص الأمن بالجامعين الأمرين الإيمان
والبراءة من المعاصى ونحن نسلم ذلك ولا يلزم أن يكون الخوف اللاحق للعصاة هو الخوف اللاحق للكفار لأن العصاة من
المؤمنين إنما يخافون العذاب المؤقت وهم آمنون من الخلود وأما الكفار فغير آمنين بوجه ما والله الموفق ۝ قوله تعالى
۝ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدوونها وتخفون كثيراً (قال وأدرج تحت
الإلزام توبيخهم وإن نعى عليهم الخ) قال أحدوهذا أيضاً من دقة نظره فى الكتاب العزيز والتعمق فى آثار معادته وإبراز محاسنه

قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِلُوهُ قَرَاطِيسَ تُبَدُّونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا
وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاءُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا
مُصَدِّقًا الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يَحَافِظُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطَاتُ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

لكتبهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض فقبل (جاء به موسى) وهو نور وهدى للناس حتى غيرهه ونقصوه وجعلوه
قراطيس مقطعة وورقات مفرقة لئلا يتمكنوا من الإبداء والإخفاء وروى أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود رؤسائهم
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الخبير السمين فأنت الخبير
السمين قد سمعت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له
قومه ويحك ما هذا الذي بلغنا عنك قال إنه أعصيتني فزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا
إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنزل علينا الكتاب لكاننا هدى
منهم (وعلمت ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الخطاب لليهود أي علمت على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ما لم تعلموا أنتم وأتم حملة
التوراة ولم تعلم آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون
وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله تعالى : لتنذر قوما ما أنذرتهم ، (قل الله) أي أنزله الله فإنهم لا يقدر
أن يناكروك (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ، ويقال لمن كان في عمل
لا يجدي عليه إنما أنت لاعب و (يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم ويجوز أن يكون في خوضهم حالا من يلعبون
وأن يكون صلة لهم أول ذرهم (مبارك) كثير المنافع والفوائد (ولتنذر) معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل
أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار وقريش وينذر بالياء والتاء ، وسميت مكة (أم القرى) لأنها
مكان أول بيت وضع للناس ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم ولأنها أعظم القرى شأننا وبعض المجاورين

فمن ياق في بعض القرى رحله ، فأم القرى ما في رحالي ومنتابي

(والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون) بهذا الكتاب وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة
فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن ، وخص الصلاة لأنها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفاً في المحافظة على
أخواتها (افتري على الله كذباً) فزعم أن الله بعثه نبياً (أو قال أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء) وهو مسيلة الخنق الكذاب
أو كذاب صنعاء الأسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب
فكبرا على وأمهاني فأوحى الله إلي أن انفخهما فنفختهما فطارا عني فأولتهما الكذابين الذين أنا بيدهما كذاب اليمامة
مسيلة وكذاب صنعاء الأسود العنسي (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي
كان يكتب لرسول الله ﷺ فكان إذا أملى عليه سمياً كتب هو عليها حكماً وإذا قال عليها حكماً كتب غموراً رحباً
فلما نزلت ، ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال تبارك
الله أحسن الخالقين فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمداً صادقاً لقد أوحى
إلي مثل ما أوحى إليه ولئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال فارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلماً قبل فتح مكة وقيل
هو النضر بن الحرث والمستهزون (ولوترى) جوابه محذوف أي لرأيت أمراً عظيماً (إذ الظالمون) يريد الذين ذكروهم

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرْدًى
كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ
شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۝ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۝ فَالِقُ الإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

من اليهود والمنثبة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتغالهم وغمرات الموت شدائده
وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة (باسطوا أيديهم) يبسطون اليهم أيديهم يقولون
هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالجاج والتشديد في الإرهاق من غير
تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المساط يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول
له أخرج إلى مالي عليك الساعة ولا أريم مكانى حتى أزرعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب
(أخرجوا أنفسهم) خلصوها من أيدينا أى لا تقدر أن تخلصنا (اليوم تجزون) يجوز أن يريدوا وقت الإمامة وما
يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاوّل الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيامة ۝ والهون
الهوان الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكّن فيه (عن آياته تستكبرون) فلا
تؤمنون بها (فرادى) منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن أوثانكم التى زعمتم أنها
شفعاؤكم وشركاء الله (كما خلقناكم أول مرة) على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد (وتركتم ما خولناكم) ما تفضلنا به
عليكم فى الدنيا فاشغلتكم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم (فيكم شركاء)
فى استعبادكم لانهم حين دعواهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفى استعبادهم ۝ وقرئى فرادى بالتووين وفراد
مثل ثلاث وفردى نحو سكرى (فإن قلت) كما خلقناكم فى أى محل هو (قلت) فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أى
بجئنا مثل خلقناكم (تقطع بينكم) وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشئيين تربد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل
إلى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم وفى قراءة عبدالله لقد
تقطع ما بينكم (فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى النواة والحنطة (يخرج الحى من
الميت) أى الحيوان والناس من النطف والبيض والحب والنوى (ويخرج) هذه الأشياء الميتة من الحيوان والناس ۝
(فإن قلت) كيف قال يخرج الميت من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت (قلت) عطفه على فالق
الحب والنوى لأعلى الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لأن فالق الحب

قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب
الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (قال أصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت
للشدة الغالبة الخ) قال أحمد هو يجعله من مجاز التمثيل ولا حاجة إلى ذلك والظاهر أنهم يفعلون معهم هذه الأمور حقيقة
على الصور المحكية وإذا أمكن البقاء على الحقيقة فلا يعدل عنها ۝ عاد كلامه (وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب الخ)
قال أحمد ومثله ويبسطوا اليكم أيديهم وأسنتمهم بالسوء ۝ قوله تعالى إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت
ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا تقدير العزيز

(قوله ولا أريم مكانى) أى أبرح وفى الصحاح رامة يرعى أى برحه (قوله نريد أوقع بينهما على إسناد) لعله أوقع الجمع بينهما

والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحى من الميت لأن النامى فى حكم الحيوان ألا ترى إلى قوله يحيى الأرض بعد موتها (ذلكم الله) أى ذلكم المحيى والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره (الإصباح) مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله

أفنى رياحا وبنى رياح ه تناسخ الامساء والإصباح

بالكسر والفتح مصدرين وجمع مساء وصبح (فإن قلت) فما معنى فلق الصبح والظلمة هى التى تنفلق عن الصبح كما قال تردت به ثم انفردى عن أديمها ه تفرى ليل عن بياض نهار

(قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد فائق ظلمة الإصباح وهى الغيب فى آخر الليل ومنقضاء الذى يلى الصبح والثانى أن يراد فائق الإصباح الذى هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسما الفجر فلما بمعنى مفلوق وقال الطائى

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه ه وأول الغيث قطر ثم ينسكب

ه وقرئ فائق الإصباح وجاعل الليل سكنا بالنصب على المدح وقرئ النخمى فلق الإصباح وجعل الليل السكن ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا له من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن لأنه يستأنس بها الأترام سموها المونسى والليل يطمئن إليه النعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه (والشمس والقمر) قرنا بالحركات الثلاث فالنصب على إختار فعل دل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر حسبانا أو يعطفان على محل الليل (فإن قلت) كيف يكون الليل محل والإضافة حقيقية لأن اسم الفاعل المضاف إليه فى معنى المضى ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس (قلت) ما هو فى معنى المضى وإنما هو دال على جعل مستمر فى الأزمنة المختلفة وكذلك فائق الحب وفائق

العليم (قال معناه فائق الحب والنوى بالنبات والشجر الخ) قال أحمد رحمه الله وقد ورد جميعا بصيغة الفعل كثيرا فى قوله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون وقوله أمن تلك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى فعطف أحد القسمين على الآخر كثيرا دليل على أنهما توأمان مقترنان وذلك يبيد قطعه عنه فى آية الأنعام هذه وروده إلى فائق الحب والنوى فالوجه والله أعلم أن يقال كان الأصل وروده بصيغة اسم الفاعل أسوة أمثاله من الصفات المذكورة فى هذه الآية من قوله فائق الحب وفائق الإصباح وجاعل الليل ويخرج الحى من الميت إلا أنه عدل عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع فى هذا الوصف وحده وهو قوله يخرج الحى من الميت لإرادة لتصوير إخراج الحى من الميت واستحضاره فى ذهن السامع وهذا التصوير والاستحضار إنما يتمكن فى أدائهما الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضى وقدمضى تمثيل ذلك بقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة فعدل عن الماضى المطابق لقوله أنزل لهذا المعنى ومنه ما فى قوله

إلى قد لقيت الغول تسمى ه بسبب كالصحيفة صحصحان فأخذه فأضربه فخرت ه صريعا للبدن وللجران

فعدل إلى المضارع لإرادة لتصوير شجاعته واستحضاره لذهن السامع ومنه إننا نخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة فعدل عن مسبحات وإن كان مطابقا لمحشورة بهذا السبب والله أعلم ثم هذا المقصد إنما يحيى فيما تكون العناية به أقوى ولا شك أن إخراج الحى من الميت أشهر فى القدرة من عكسه وهو أيضا أول الحالين والنظر أول ما يبدأ فيه ثم القسم الآخر وهو إخراج الميت من الحى ناشئ عنه فكان الأول جديرا بالنصديروالتأكيد فى النفس ولذلك هو مقدم أبدأ على القسم الآخر فى الذكر على حسب ترتيبهما فى الواقع وسهل عطف الاسم على الفعل وحسنه أن اسم الفاعل فى معنى الفعل المضارع فكل واحد منهما يقدر بالآخر فلا جناح فى عطفه عليه والله أعلم ه عاد كلامه (قال فإن قلت ما معنى فائق الصبح والظلمة وهى التى تنفلق الخ) قال أحمد وقيل الخالق والخالق بمعنى فيكون المراد خالق الإصباح والأظهر ما فسره عليه المصنف والله أعلم ه قوله تعالى

(قوله لاستراحته فيه وجمامه) أى راحته من التعب وفى الصحاح الجمام بالفتح الراحة

حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

الإصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما علمي حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان للكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران (ذلك) إشارة إلى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذي قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (في ظلمات البر والبحر) في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما للملاستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات ۝ من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرا ومن كسرهما كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلکم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحنها أو فنكم مستقر ومنكم مستودع ۝ (فإن قلت) لم قيل (يعلمون) مع ذكر النجوم و(يفقهون) مع ذكر إنشاء بني آدم (قلت) كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أطف وأدق صنعة وتدبيراً فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقاً له (فأخرجنا به) بالماء (نبات كل شيء) نبت كل صنف

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون (قال إن قلت لم قيل مع ذكر النجوم يعلمون الخ) قال أحمد لا يتحقق هذا التفاوت ولا سبيل إلى الحقيقة وما هذا الجواب إلا صناعي والتحقيق أنه لما أريد فصل كليهما بفاصلة تنبها على استقلال كل واحدة منهما بالمقصود من الحجج كره فصلهما بفاصلتين متساويتين في اللفظ لما في ذلك من التكرار فعدل إلى فاصلة مخالفة تحسنا للنظم واتساقا في البلاغة ويحتمل وجهها آخر في تخصيص الأولى بالعلم والثانية بالفقه وهو أنه لما كان المقصود التعريض بمن لا يتدبر آيات الله ولا يعتبر بمخلوقاته وكانت الآيات المذكورة أولا خارجة عن أنفس الناظر ومنافية لها إذ النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الإلهية في تدبيره لها أمر خارج عن نفس الناظر ولا كذلك النظر في إنشائهم من نفس واحدة وتقلبهم في أطوار مختلفة وأحوال متغيرة فإنه نظر لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها فإذا تمهد ذلك فجعل الإنسان بنفسه وبأحواله وعدم النظر فيها والتفكير أبشع من جهله بالأمور الخارجة عنه كالنجوم والأفلاك ومقادير سيرها وتقلبها فلما كان الفقه أدنى درجات العلم إذ هو عبارة عن الفهم نفي من أبشع القبيلين جهلا وهم الذين لا يتبصرون في أنفسهم ونفي الأدنى أبشع من نفي الأعلى درجة نخس به أسوأ الفريقين حالا ويفقهون ههنا مضارع فقه الشيء بكسر القاف إذا فهمه ولو أدنى فهم وليس من فقه بضم القاف لأن تلك درجة خالية ومعناه صار فقيها قاله الهروي في معرض الاستدلال على أن فقه أنزل من علم وفي حديث سليمان أنه قال وقد سأله امرأة جاءتته فقوت أي فهمت كالمعجب من فهم المرأة عنه وإذا قيل فلان لا يفقه شيئا كان أدم في العرف من قولك فلان لا يعلم شيئا وكان معنى قولك لا يفقه شيئا أيست له أهلية الفهم وإن فهم وأما قولك لا يعلم شيئا فغايته نفي حصول العلم له وقد يكون له أهلية الفهم والعلم لو يعلم والذي يدل على أن التارك للفكرة في نفسه أجهل وأساء حالا من التارك للفكرة في غير قوله تعالى وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون نخس التبصر في النفس بعد اندراجها فيما في الأرض من الآيات وأنكر على من لا يتبصر في نفسه إنكاراً مستأنفا وقولنا في إدراج الكلام أنه نفي العلم عن أحد الفريقين ونفي الفقه عن الآخر يعني بطريق التعريض حيث خص العلم بالآيات المفصلة والتفقه فيها بقوم فأشعر أن قوما غيرهم لا علم عندهم ولا تفقه والله الموفق فتأمل هذا الفصل وإن طال بعض الطول فالنظر في الحسن غير مملول

يَفْقَهُونَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجَ مِنْهُ حَبًّا
مُتَرًا كَبِيرًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانُ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ انظُرُوا
إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ه وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ
بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ه بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ

من أصناف النامي يعني أن السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل (فأخرجنا منه) من النبات (خضرا) شيئاً غصاً أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل و(قنوان) رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعه بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز أن يكون الخبر محذوفا لدلالة أخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحة على أنه اسم جمع كركب لأن فعلا ليس من زيادة التفسير (دانية) سهلة المجتنى معرضة للقطف كالشيء الداني القريب المتناول ولأن النخلة وإن كانت صغيرة يناها القاعد فإنها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القرية وترك ذكر البعيدة لأن النعمة فيها أظهر وأدل بذكر القرية على ذكر البعيدة كقوله سرايل تقيمكم الحتر وقوله (وجنات من أعناب) فيه وجهان أحدهما أي يراد ثم جنات من أعناب أي مع النخل والثاني أن يعطف على قنوان معنى وحاصلة أو ومخرجة من النخل قنوان وجنات من أعناب أي من نبات أعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفاً على نبات كل شيء أي وأخرجنا به جنات من أعناب وكذلك قوله (والزيتون والرمان) والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيم الصلاة لفضل هذين الصنفين (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه الشيطان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً وقرئ متشابهاً وغير متشابهه وتقديره والزيتون متشابهها وغير متشابهه والرمان كذلك كقوله ه كنت منه ووادي برية ه والمعنى بعضه متشابهه وبعضه غير متشابهه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الإهمال (انظروا إلى ثمره إذا أثمر إذا أخرج ثمره كيف يخرج ضئيلاً ضعيفاً لا يكاد يفتفع به ه وانظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئاً جامداً المنافع وملاذ نظراً اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال إلى حال وقرئ وينعه بالضم يقال نعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره بالضم ه أن جعلت (لله شركاء) مفعولى جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وأن جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول (فإن قلت) فافائدة التقديم (قلت) فافئدة استعظام أن يتخذ الله شريك من كان ملكاً أو جنياً أو إنسياً أو غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء ه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الإضافة التي للتبيين والمعنى أشركوهم في عبادته لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع وإبليس خالق الشر وكل ضار (وخلقهم) وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا أن الله خالقهم دون الجن ولم يمنعه علمهم أن يتخذوا من لا يخاق شريكاً للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم أي اختلاقهم الإفك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم إلى الله في قولهم والله أمرنا بها (وخرقوا له أي افتعلوا له) (بنين وبنات) وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل إذا كذب كذبة في نادى القوم يقول له بعضهم قد خرقتها والله ويجوز أن يكون من خرقت الثوب إذا شقه أي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وخرقوا له بمعنى وزوروا له أولاداً لأن المزور محترف مغير للحق إلى الباطل (بغير علم) من غير

لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَاقٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ قَدْ جَاءَكُمْ
بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا

أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب ولكن رمية بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية (بديع السموات) من إضافة
الصفة المشبهة إلى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر أى بديع شعره أو هو بديع في السموات والأرض كقولك فلان ثبت الغدر أى
ثابت فيه والمعنى أنه عديم النظر والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ وخبره (أنى
يكون له ولد) أو فاعل تعالى وقرئ بالجذر ذاع على قوله وجعلوا لله أو على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه إبطال الولد من ثلاثة
أوجه أحدها أن مبدع السموات والأرض وهى أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لأن الولادة من صفات الأجسام
ومخترع الأجسام لا يكون جسم حتى يكون والداً والثانى أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال
عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث أنه ما من شيء إلا وهو خالفه والعالم به ومن كان بهذه الصفة
كان غنياً عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وإنما جاز للفصل كقوله لقد ولد الأختال
أم سوء (ذلكم) إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا إله إلا هو
خالق كل شيء) أى ذلكم الجامع لهذه الصفات (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة على معنى أن من استجتمت له هذه الصفات
كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال (وهو على كل شيء وكيل) يعنى وهو مع تلك الصفات
مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبته الله فى حاسة النظر
به تدرك المبصرات فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه لأنه متعال أن يكون مبصراً فى ذاته لأن الأبصار إنما
تتعلق بما كان فى جهة أصلاً أو تابعاً كالأجسام والهيئات (وهو يدرك الأبصار) وهو للطف إدراكه للدركات يدرك
تلك الجواهر اللطيفة التى لا يدركها مدرك (وهو اللطيف) يلفظ عن أن تدركه الأبصار (الخبير) بكل لطيف فهو يدرك
الأبصار لا تلفظ عن إدراكه وهذا من باب اللطف (قد جاءكم بصائر من ربكم) هو وارد على لسان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقوله وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البصر نور العين الذى به تبصر

قوله تعالى «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» (قال محمود البصر هو الجوهر اللطيف الذى
ركبه الله تعالى فى حاسة النظر به تدرك الخ) قال أحمد وقد سلف الكلام على هذه الآية فى غير موضعها لأن المصنف
تعجل الكلام عليها قبل الذى يريد الآن أن الإدراك عبارة عن الإحاطة ومنه فلما أدركه الغرق أى أحاط به وإنما
لمدركون أى محاط بنا فالمنفى إذاً عن الأبصار إحاطتها به عز وعلا لا مجرد الرؤية ثم إتما أن تقتصر على أن الآية لا تدل
على مخالفتنا أو نزيد فنقول يدل لنا أن تخصيص الإحاطة بالنفى يشعر بطريق المفهوم بثبوت ما هو أدنى من ذلك وأقله
بمجرد الرؤية كما أنا نقول لا نحيط به الأفهام وإن كانت المعرفة بمجرتها حاصله لكل مؤمن فالإحاطة للعقل منفية كنى
الإحاطة للحس وما دون الإحاطة من المعرفة للعقل والرؤية للحس ثابت غير منفى ولم يذكر الزمخشري على إحالة
الرؤية عقلاً دليلاً ولا شبهة فيحتاج إلى القدرح فيه ثم معارضته بأدلة الجواز ولكنه اقتصر على استبعاد أن يكون المرئى
لا فى جهة فيقتصر معه على إلزامه استبعاد أن يكون الموجود لا فى جهة إذ اتباع الوهم ببعدهما جميعاً والانتقاد إلى العقل

(قوله لأنه متعال عن أن يكون مبصراً) استحالة الرؤية مذهب المعتزلة لظاهر هذه الآية وجوازها مذهب أهل السنة
لقوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» وكل يؤول مستند الآخر وتحقيقه فى التوحيد

دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بَغِيرَ عِلْمِ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا

أى جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فانفسه) أبصر وإياها نفع (ومن عمى) عنه فعلى نفسه عمى وإياها ضرر بالعمى (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم (ولية ولوا) جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست أصرفها ومعنى (درست) قرأت وتعلمت وقرئ درست أى درست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الأولين ودرست بضم الراء مبالغة فى درست أى اشتدت دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمداً صلى الله عليه وسلم وجاز الإضمار لأن الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز أن يكون الفعل للآيات وهو لأهلها أى دارس أهل الآيات وحملتها محمداً وهم أهل الكتاب ودرس أى درس محمد ودارسات على هى دارسات أى قديمات أو ذات دروس كعيشة راضية ۝ (فإن قلت) أى فرق بين اللامين فى ليقولوا ولينيه (قلت) الفرق بينهما أن الأولى مجاز والثانية حقيقة وذلك أن الآيات صرفت للنيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لأنه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل النيين شبه به فسبق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لينيه (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى قوله (ولينيه) (قلت) إلى الآيات لإيها فى معنى القرآن كأنه قيل وكذلك نصرف القرآن أو إلى القرآن وإن لم يجز له ذكر لكونه معلوماً إلى التبيين الذى هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز أن يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودرسته فيرجع إلى الكتاب المقدر (لا إله إلا هو) اعتراضاً كدبه إيجاب اتباع الوحي لا يحسن له من الإعراب ويجوز أن يكون حالاً من ربك وهى حال مؤنثة كقوله وهو الحق مصدقاً (ولا تسبوا) الآلهة (الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) وذلك أنهم قالوا عند نزول قوله تعالى ۝ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لنتنهن عن سب آلهتنا أولم يجون إلهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنوا لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله تعالى (فإن قلت) سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهى عنه وإماما يصح النهى عن المعاصى (قلت) رب طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة فيجب النهى عنها لأنها معصية لا لاطاعة كالنهى عن المنكر هو من أجل الطاعات فإذا علم أنه يؤدى إلى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهى عن ذلك النهى كما يجب النهى عن المنكر (فإن قلت) فقد روى عن الحسن وابن سيرين أنهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك فى ديننا (قلت) ليس هذا من نحن بصدده لأن حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فإنهن يحضرنها حضر الرجال أولم يحضروا بخلاف سب الآلهة وإنما خيل إلى محمد أنه مثله حتى نبه عليه الحسن (عدواً) ظلماً وعدواناً وقرئ عدواً بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدوا فلان عدواً وعدواً وعدواً وعدواً وعن ابن كثير عدواً بفتح العين بمعنى أعداء (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (كذلك زينا لكل أمة) مثل ذلك التزيين زينا لكل أمة من الأمم الكفار سوء عملهم أى خلياتهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى

يبطل هذا الوهم ويجيزهما معاً وهذا الفدر كاف بحسب ما أورده فى هذا الوضع والله الموفق

(قوله أى خلياتهم وشأنهم) فسر التزين بذلك لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة ويخلق الخير عند أهل السنة

يَعْمَلُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ
أَنهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَنُقِلَبُ أَلْفِدَّتْهُمْ وَأَبْصَرْتُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرْتُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

زين لهم أو زينه في زعمهم وقولهم إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا (فينبئهم) فيؤنبئهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله) وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها إلا على موجب الحكمة أو إنما الآيات عند الله لا عندى فكيف أجيبكم إليها وآتيكم بها (وما يشعركم) وما يدريكم (أنها) أن الآية التي تقترحونها (إذا جاءت لا يؤمنون) بها يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرعون بذلك وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون بحجتها فقال عز وجل وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرعون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون به ألا ترى إلى قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة وقيل أنها بمعنى لعلها من قول العرب انت السوق أنك تشتري لحما وقال امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لآتنا ۝ نبي الديار كما بكى ابن خدام

وتقويها قراءة أتي لعلها إذا جاءت لا يؤمنون وقرئ بالكسر على أن الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال أنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لامزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون أي يحلفون بأنهم يؤمنون عند حجيتها وما يشعركم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها (ونقلب ألفتهم ۝ ونذرتهم) عطف على لا يؤمنون داخل

قوله تعالى «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون» قال يعني أن الله تعالى قادر على أن ينزل الآيات ولكنه لا ينزلها إلا على موجب الحكمة الخ قال أحمد وحزب النظر في الآية يتضح بمثال فنقول إذا قال لك القائل أكرم فلانا فإنه يكافئك وكنت أنت تعلم منه عدم المكافأة فإذا أنكرت على المشير بآكرامه قلت وما يدريك أني إذا أكرمته يكافئني فأنكرت عليه إثباته المكافأة وأنت تعلم نفيها فإن انعكس الأمر فقال لك لا تكرمه فإنه لا يكافئك وكنت تعلم منه المكافأة فأنكرت على المشير بحرمانه قلت وما يدريك أنه لا يكافئني تريد وأنا أعلم منه المكافأة فكان مقتضى الإنكار على المؤمنين الذين أحسنوا الظن بالمعاندن فاعتقدوا أنهم يؤمنون عند نزول الآية المقترحة أن يقال وما يدريك أنها إذا جاءت يؤمنون كما تقول في المثال منكراً على من أثبت المكافأة وأنت تعلم خلافها وما يدريك أنه يكافئني بإسقاط لا وإن أثبتنا انعكس المعنى إلى أن المعلوم لك الثبوت وأنت تنكر على من نفي فلما جاءت الآية تفهم بيادئ الرأي أن الله تعالى علم الإيمان منهم وأنكر على المؤمنين نفيم له والواقع على خلاف ذلك اختلف العلماء فحمل بعضهم لإعلى الزيادة وبعضهم أول أن باعل وبعضهم جعل الكلام جواب قسم محذوف وقد تفتح أن بعد القسم فقال التقدير والله أنها إذا جاءت لا يؤمنون وأما الزمخشري ففتن بقاء الآية على ظاهرها وقرارها في نصابها من غير حذف ولا تأويل فقال قوله السالف ونحن نوضح اطراده في المثال المذكور ليتضح بوجهيه في الآية فنقول إذا حرمت زيدا لعلك بعدم مكافأته فأشير عليك بالإكرام بناء على أن المشير يظن المكافأة فلك معه حالتان حالة تنكر عليه ادعاء العلم بما يعلم خلافه وحالة تعذره في عدم العلم بما أحطت به علماً فإن أنكرت عليه قلت وما يدريك أنه يكافئني وإن عذرت في عدم علمه بأنه لا يكافئني قلت وما يدريك أنه لا يكافئني يعني ومن أين تعلم أنت ما علمته أنا من عدم مكافأته وأنت لم تخبر أمره خبري فكذلك الآية إنما ورد فيها الكلام إقامة عذر للمؤمنين في عدم علمهم بالمغيب في علم الله تعالى وهو عدم إيمان هؤلاء فاستقام دخول لا وتعين وتبين أن سبب الاضطراب التباس الإنكار بإقامة الأعذار والله الموفق للصواب

يَعْمَهُونَ ۚ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ۚ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۚ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةٌ

في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أو لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم إنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لانكفهم عن الطغيان حتى يعمها فيه وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء أي الله عز وجل وقرأ الأعمش وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء للمفعول (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وكلهم الموتى) كما قالوا فأتوا بآياتنا (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا قبيلا ككفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا أو جماعات وقيل قبيلا مقابلة وقرئ قبيلا أي عيانا (إلا أن يشاء الله) مشيئة إكراه واضطرار (ولكن أكثرهم يجهلون) فيقسمون بالله جهد أيمانهم على مالا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما خيلنا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بين قبلك من الأنبياء وأعدائهم لم تمنهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر وانتصب (شياطين) على البدل من عدوا أو على أنهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن (يوحى بعضهم إلى بعض) يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض وعن مالك بن دينار إن شيطان الإنس أشد على من شيطان الجن لأنى إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الإنس يجئني فيجترني إلى المعاصي عيانا (زخرف القول) ما يزينه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ويمويه (غرورا) خدعا وأخذاً على غرة (ولو شاء ربك ما فعلوه) ذلك أي ما عاديك أو ما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم (ولتصغى) جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في (إليه) يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في فعلوه أي ولتميل إلى ما ذكر

قوله تعالى «ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله» (قال محمود معناه إلا أن يشاء الله مشيئة إكراه واضطرار) قال أحمد بل المراد إلا أن يشاء الله منهم اختيار الإيمان فإنه تعالى لو شاء منهم اختيارهم للإيمان لا اختاروه وآمنوا حتما ما شاء الله كان والزمخشرى بنى على القاعدة الفاسدة في اعتقاده أن الله تعالى شاء منهم الإيمان اختياراً فلم يؤمنوا إذ لا يجب على زعم طائفته نفوذ المشيئة ولا يطلقون القول كما أطلقه سلف هذه الأمة وحمة شريعتها من قولهم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن بل يقولون إن أكثر ما شاءه لم يقع إذ شاء الإيمان والصالح من جميع الخلق فلم يؤمن ويعمل الصالح إلا القليل وقليل ما هم وهذا كله مما يتعالى الله عنه علواً كبيراً فإذا صدمتهم مثل هذه الآية بالرد تحيلوا في المدافعة بحمل المشيئة المنفية على مشيئة القسر والاضطرار وإنما يتم لهم ذلك أن لو كان القرآن يتبع الآراء وأما وهو القدرة والمتبوع فما خالفه حينئذ وترجح عنه في النار وما بعد الحق إلا الضلال والله الموفق للصواب

(قوله حتى يعمها فيه) أي يتحيروا (قوله وقرئ قبيلا أي عيانا) في الصحاح رأيت قبيلا وقبيلا بالضم أي مقابلة وعيانا ورأيت قبيلا بكسر القاف قال الله تعالى «أو يأتيهم العذاب قبيلا» أي عيانا (قوله وتحقيقها ما ذكر والضمير في إليه) أي في قوله تعالى «وليقلوا درست»

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ
الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَنزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۚ
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ وَإِن تَطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ
يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۚ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن مِّنِّينَ ۚ وَمَا لَكُمْ إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا
ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ وَإِن كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِن رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ۚ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا
يَقْتَرِفُونَ ۚ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَسِّدُوا لَهُمْ

من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين (أفئدة) الكفار (وليرضوه) لأنفسهم (وليقترفوا ما هم مقترفون) من الآثام
(أفغير الله أبتغى حكما) على إرادة القول أى قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بينى وبينكم ويفصل الحق منا من
المبطل (وهو الذى أنزل إليكم الكتاب) المعجز (مفصلا) مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة بالصدق عليكم
بالافتراء ۚ ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له (فلا تكونن
من الممترين) من باب التهييج والإلهاب كقوله تعالى «ولا تكونن من المشركين» أو «فلا تكونن من الممترين» فى أن
أهل الكتاب يعلمون أنه نزل بالحق ولا يريدك جحودا كثرا وكفرهم به ويجوز أن يكون فلا تكونن خطابا لكل أحد
على معنى أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطابا
لاقتة (وتمَّتْ كلمات ربك) أى تم كل ما أخبر به وأمر ونهى وواعد وأوعد (صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) لا أحد يبدل
شيئا من ذلك بما هو أصدق وأعدل وصدقاً وعدلاً نصب على الحال وقرئ كلمة ربك أى ما تكلم به وقيل هو القرآن (وإن تطع
أكثر من فى الأرض) من الناس أضلوك لأن الأكثر فى غالب الأمر يتبعون هواهم ثم قال (إن يتبعون إلا الظن) وهو ظنهم أن
آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وإنهم إلا يخرضون) يقتدون بهم على شىء أو يكذبون فى أن الله حرم كذا وأحل
كذا ۚ وقرئ من يضل بضم الياء أى يضل الله (فكلوا) مسبب عن إنكار أتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون
الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أتم قيل
للمسلمين إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا (بما ذكر اسم الله عليه) خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو
مات حتف أنفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى بيسم الله (وما لكم إلا تأكلوا) وأى غرض لكم فى أن لا تأكلوا (وقد فصل
لكم) وقد بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرم وهو قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَقُرِئَ فِصْلٌ لَّكُمْ مَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ عَلَى تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ وَهُوَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إلا ما اضطررتم إليه) مما حرم عليكم فإنه حلال لكم فى حال الضرورة (وإن كثيرا ليضلون) قرئ بفتح
الياء وضمها أى يضلون فيحرمون ويحللون (بأهوائهم) وشهواتهم من غير تعلق بشرىعة (ظاهر الإثم وباطنه) ما أعلنتم
منه وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا فى الحوائث وباطنه الصديقة فى السر (وإنه لفسق) الضمير
راجع إلى مصدر الفعل الذى دخل عليه حرف النهى يعنى وأن الأكل منه لفسق أو إلى الموصول على وإن أكله لفسق

(قوله خطابا لاقتة) لعلة خطاب

وَأَنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۚ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا

أوجعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا (فإن قلت) قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد (قلت) قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله أو فسقا أهل لغير الله به (ليوحون) ليوحسون (إلى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم ولأننا نكون مما قتله الله وبهنا يرجع تأويل من تأوله بالميتة (إنكم لمشركون) لأن من اتع غير الله تعالى في دينه فقد أشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وإن كان أبو حنيفة رحمه الله مرخصا في النسيان في العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فهما مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميزه بين المحق والمبطل والمهد والضال بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس مستضيئاً به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلالهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله (كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار أي صفتها هذه وهي قوله فيها أنهار (زين للكافرين) أي زين الشيطان أو الله عز و علا

قوله تعالى ولأننا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق (قال إن قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد الخ) قال أحمد مذهب مالك وأبي حنيفة سواء في أن متروك التسمية عمدا لا يؤكل سواء كان تهاونا أو غير تهاون ولا شبه قول شاذ بجواز غير المتهاون في ترك تسميته والآية تساعد مذهب الإمامين مساعدة بينة فإنه ذكر عقيب غير المسمى عليه قوله وإنه لفسق وذلك إن كان عبارة عن فعل المكلف وهو إهمال التسمية أو تسمية غير الله فلا يدخل النسيان لأن الناسي غير مكلف فلا يكون فعله فسقا ولا هو فاسق وإن كان نفس الفسق الذبيحة التي لم يسم عليها ولم يكن مصدرا فإنما تسمى الذبيحة فسقا نقلا لهذا الاسم من المصدر إلى الذات فالذبيحة التي تركت التسمية عليها نسيانا لا يصح أن تسمى فسقا إذ الفعل الذي ينقل منه هذا الاسم ليس بفسق فإذا تمهد ذلك فيما أن يقول لادليل في الآية على تحريم منسى التسمية فبقي على أصل الإباحة أو يقول فيها دليل على إباحته من حيث مفهوم تخصيص النهي بما هو فسق فما ليس بفسق ليس بحرام وهذا النظر يسند إذا لم تكن الميتة متناولة في هذه الآية وأما إذا ثبت أنها مرادة تعين صرف الفسق إلى الأكل والمأكل ولو كان الضمير من قوله وإنه عائد إلى المصدر المنهى عنه أو إلى الموصول وحينئذ يندرج المنسى في النهي ولا يستقيم على أن الميتة مندرجة كاندراج المنسى لأن الوجه الذي به تندرج الميتة هو الوجه الذي به يندرج المنسى إذ يكون الفسق إما لاكل وإما للمأكل نقلا من الأكل ولا ينصرف إلى غير ذلك لأن الميتة لم يفعل المكلف فيها فعلا يسمى فسقا سوى الأكل والمنسى تسميته لا يستقيم أن يسمى الذبح فيها فسقا لاجل النسيان فيتعين صرفه إلى الأكل ومن ثم قوى عند الزمخشري تعميم التحريم حتى في المنسى لأنه يرى أن الميتة مرادة من الآية ولا بد إذ هي سبب نزول الآية والتحقيق أن العام الظاهر متى ورد على سبب خاص كان نصا في السبب ظاهرا باقيا على ظهوره فيما عداه وإذا ثبت اندراج الميتة لزوم اندراج المنسى كما تقدم وحينئذ يضطر مبيح المنسى إلى تخصيص فيتمسك بقوله عليه الصلاة والسلام ذكر الله على قلب كل مؤمن من سمى أو لم يسم وكان الناسي ذا كرا حكما وإن لم يكن ذا كرا وجودا وهذا عند التحقيق ليس بتخصيص ولكن منع لاندراج الناسي في العموم وسنده الحديث المذكور ويؤيد بأن العام الوارد على سبب خاص وإن قوى تناوله للسبب حتى ينهض الظاهرة فيه نصا إلا أنه ضعيف التناول لما عداه حتى ينحط عن أمالي الظواهر فيه ويكتفي من معارضته بما لا يكتفي به منه لولا السبب وهذا البحث متطلع بفنون

(قوله وبما ذكر غير اسم الله عليه) لعلة اسم غير الله

مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۚ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَنَا
مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا
كَانُوا يَمْكُرُونَ ۚ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا
كَاثِمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ
فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ ۚ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ

على قوله زيناهم أعمالهم ويدل عليه قوله (وكذلك جعلنا في كل قرية أكبر مجرميها) يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها
ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكبر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كفناهم عن المكر وخص
الأكبر لأنهم هم الحاملون على الضلال والمالكرون بالناس كقوله أمرنا مترفها وقرئ أكبر مجرميها على قولك هم أكبر
قومهم وأكبر قومهم (وما يمكرون إلا بأنفسهم) لأن مكرهم يحق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم
موعد بالنصرة عليهم ۚ روى أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بهامتك لأنى أكبر منك سنأوأكثر
منك مالا وروى أن أبا جهل قال زاحنا بنى عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسى زهان قالوا منانى يوحى إليه والله
لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحى كآياته فنزلت ونحوها قوله تعالى « بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة »
(الله أعلم) كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن لا يصطفى للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذى يضعها فيه منهم
(سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) من أكبرها (صغار) وقراءة بعد كبيرهم وعظمتهم (وعذاب شديد) فى الدارين من الأسر والقتل
وعذاب النار (فمن يرد الله أن يهديه) أن يلطف به ولا يريد أن يلفظ إلا بمن له لطف (يشرح صدره للإسلام) يلطف به
حتى يرغب فى الإسلام وتسنن إليه نفسه ويحب الدخول فيه (ومن يرد أن يضله) أن يخذله ويخليه وشأنه وهو الذى لا يظفله
(يجعل صدره ضيقاً حرجاً) يمنعه الطافة حتى يتسوق قلبه وينبوع عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الإيمان وقرئ ضيقاً بالتخفيف
والتشديد حرجاً بالكسر وحرجاً بالفتح وصفاً بالمصدر (كأثما يصعد فى السماء) كأنما يراول أمرأ غير ممكن لأن صعود السماء
مثل فيما يمتنع ويعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدره وقرئ يصعد وأصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعده وأصله يتصاعد
ويصعد من صعد ويصعد من أصعد (يجعل الله الرجس) يعنى الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من
الطيب أو أراد الفعل المؤدى إلى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وهذا صراط ربك) وهذا طريقه
الذى اقتضته الحكمة وعادته فى التوفيق والخذلان (مستقيماً) عادلاً مطرداً وانتصابه على أنه حال مؤكدة كقوله وهو الحق
مصدقاً (لهم) لقوم يذكرون (دار السلام) دار الله يعنى الجنة أضافها إلى نفسه تعظيماً لها أودار السلامة من كل آفة وكدر
(عند ربهم) فى ضمانه كما تقول فلان عندى حق لا ينسى أو ذخيرة لهم لا يعلمون كتبها كقوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
أعين (وهو وليهم) مواليهم ومحبيهم أو ناصرهم على أعدائهم (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا
يعملون (ويوم نحشرهم) منصوب بمحذوف أى واذ كريوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا (يامعشر الجن) أو ويوم نحشرهم

(قوله ومعناه خليناهم ليمكروا) أوله بذلك لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة ويخلقها كالخير عند أهل السنة وكذا
قوله تعالى ومن يرد أن يضله الخ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً (قوله وقراءة بعد كبيرهم وعظمتهم) أى ذل أنه (قوله
أن يخذله ويخليه وشأنه) فسر الإضلال بذلك لأنه تعالى لا يفعل الشر عند المعتزلة أما عند أهل السنة فيضله كالخير
وكذا يقال فى قوله يمنعه الطافة

جَمِيعًا يَمْعَشِرُ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا
 آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي
 بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ يَمْعَشِرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَقصُرُونَ عَلَيْكُمْ

وقلنا يامعشر الجن كان ما لا يوصف لفظاً عنه والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين (ق- استكبرتم من الإنس) أضللتهم منهم كثيراً أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجحيم الغفير كما تقول استكبر الأمامير من الجنود واستكبر فلان من الأشياع (وقال أولياؤهم من الإنس) الذين أطاعوهم واستمعوا إلى رسوستهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم وقيل استمتع الإنس بالجن ما في قوله وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن وأن الرجل كان إذا نزل وادياً وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتع الجن بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم لهم (وبلغنا الذي أجلت لنا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لرهبهم وتحسر على حالهم (خالدين فيها إلا ما شاء الله) أي يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير فقد روى أنهم يدخلون وادياً فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاونون ويطلبون الرد إلى الجحيم أو يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب إليه أن ينفس عن خناقه أهلكتني الله إن نفست عنك إلا إذا شئت وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفى منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله إلا إذا شئت من أشد الوعيد مع تمكهم بالموعود لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطاع (إن ربك حكيم) لا يفعلن شيئاً إلا بما وجب الحكمة (عليم) بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد (نولي بعض الظالمين بعضاً) نخايهم حتى يتولى بعضهم بعضاً كما فعل الشياطين وغرارة الإنس أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرانهم كما كانوا في الدنيا (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي ۝ يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (ألم يأتكم رسل منكم) واختلف في أن الجن هل بعث إليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يعث إليهم رسول من جنسهم لأنهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الإنس خاصة وإنما قيل رسل منكم لأنهم لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل أراد رسل الرسل من الجن إليهم كقوله تعالى ولوا إلى قومهم منذرين وعن الكلبي

شقي على نكت بدیعة والله الموفق للصواب ۝ قوله تعالى قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم (قال معنى هذا الاستثناء أنهم يخلدون في عذاب النار الأبد كله الخ) قال أحمد قد ثبت خلود الكفار في العذاب ثبوتاً قطعياً فمن ثم اغتنى العلماء بالكلام على الاستثناء في هذه الآية وفي أختها في سرورة هود فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللکفار والمستثنى العصاة لأنهم لا يخلدون وهذا تأويل أهل السنة وقد غلط الزمخشري في إنكاره في آية هود وتناهى إلى ما نعوذ بالله منه فقدح في عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه راوى الحديث الشاهد لهذا التأويل ونحن نبرأ إلى الله تعالى من القدح في مثل عبد الله وهو من جملة الصحابة رضوان الله عليهم وفقهائهم وزهادهم وذهب بعضهم إلى أن هذا الاستثناء مجبود بمشيئة رفع العذاب أي يخلدون إلا أن يشاء الله لو شاء وفائدته إظهار القدرة والإعلان بأن خلودهم إنما كان لأن الله تعالى قد شاءه وكان من الجائز العقلي في مشيئته أن لا يعذبهم ولو عذبهم لا يخلدهم وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه وإنما هو مقتضى مشيئته وإرادته عز وجل وفيها على هذا الوجه دفع في صدر المعزلة الذين يزعمون أن تخلد الكفار

(قوله من قول الموتور الذي ظفر)

آيَاتِي وَيَذُرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۝ ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّا عَمَلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءِ يذْهَبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَّا يَشَاءُ ۝ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ۝ إِنْ مَاتُوا عَدُونَ لَاتِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ قُلْ يَتَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي

كانت الرسل قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون إلى الإنس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الإنس والجن (قالوا شهدنا على أنفسنا) حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله ألم يأتكم لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار فكان تقريراً لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا لإقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأهم محجرجون بها (فإن قلت) ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين (قلت) تتفاوت الأحوال والمواطن في ذلك اليوم المطاول فيقرون في بعضها ويحجدون في بعضها أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم (فإن قلت) لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم (قلت) الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلته نظرهم لأنفسهم وأهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم إن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لهم واستيجاب عذابه وإنما قال ذلك تحذيراً للسامعين من مثل حالهم (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وإنذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك و (أن لم يكن ربك مهلك القرى) تعليل أي الأمر ما قصصناه عليك لانتفاء كون ربك المهلك القرى بظلم على أن أن هي التي تنصب الأفعال ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة على معنى لأن الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك أن تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع (بظلم) بسبب ظلم قدموا عليه أو ظمنا على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم يذنبوا برسول وكتاب لكان ظلما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح (ولكل) من المكلفين (درجات) منازل (مما عملوا) من جزاء أعمالهم (وما ربك بغافل عما تعملون) بساء عنه يخفي عليه مقاديره وأحواله وما يستحق عليه من الأجر (وربك الغني) عن عبادته وعن عبادتهم (ذو الرحمة) يرحم عليهم بالكيف ليعرضهم للنافع الدائمة (إن يشأ يذهبكم) أي العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين (من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام) المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ الممكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (اعملوا على مكاتتكم) يحتمل العملوا

واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة وأنه لا يجوز في العقل أن يشاء خلاف ذلك وذهب الزجاج إلى وجه لطيف إنما يظهر بالبسط فقال المراد والله أعلم إلا ما شاء من زيادة العذاب ولم يبين وجه استقامة الاستثناء والمستثنى على هذا التأويل لم يغير المستثنى منه في الحكم ونحن نبينه فتقول العذاب والعياذ بالله على درجات متفاوتة فكان المراد أنهم مخلدين في حبس العذاب إلا ما شاء ربك من زيادة تبلغ الغاية وتنتهي إلى أقصى النهاية حتى تكاد لبلوغها الغاية ومباينتها لأنواع العذاب في الشدة تعد ليس من جنس العذاب وخارجة عنه والشئ إذا بلغ الغاية عندهم عبروا عنه بالصد كما تقدم في التعبير عن كثرة الفعل برب وقد وهما موضوعان لضرر الكثرة من القلة وذلك أمر يعتاد في لغة العرب وقد حام أبو الطيب حوله فقال ۝ لقد جدت حتى كاد يخل حاتم ۝ إلى المنتهى ومن السرور يكاد ۝ فكان هؤلاء إذا بلغوا إلى غاية العذاب ونهاية الشدة فقد وصلوا إلى الحد الذي يكاد أن يخرج من اسم العذاب المطلق حتى يسوغ معاملته في التعبير بمعاملة المفاير وهو وجه حسن لا يكاد يفهم من كلام الزجاج إلا بعد هذا البسط وفي تفسير ابن عباس رضى الله عنه ما يؤيده والله الموفق

عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَسْكُونُ لَهُ عَقِبَةَ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ هـ وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ
وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ
فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ هـ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرِدُوهُمْ

على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم الى أنتم عليها يقال للرجل إذا أمر أن
يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت على فأنت عليه لا تتحرف عنه (إني عامل) أي عامل على مكاتي التي أنا
عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم (فسوف تعلمون) أي تاتوا له
العاقبة المحمودة وطريقة هذا الأمر طريقة قوله اعملوا ماشتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لا يأتي منه إلا
الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه ويعمل بخلافه (فإن قلت) ما موضع (من) قلت
الرفع إذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم أو النصب إذا كان بمعنى الذي و (عاقبة الدار) العاقبة الحسنى التي خلق الله
تعالى هذه الدار لها وهذا طريق من الإذار لطيف المسلك فيه إنصاف في المقال وأدب حسن مع تضمن شدة
الوعيد والوثوق بأن المنذر محق والمنذر مبطل هـ كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم فإذا
رأوا ما جعلوه لله زكياً نامياً يزيد في نفسه خيراً رجعوا لجعلوه للآلهة وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها واعتلوا
بأن الله غنى وإنما ذاك لآلهتهم وإيثارهم لها وقوله (مما ذرأ) فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو
الذي ذرأه وزكاه ولا يرد إلى ما لا يقدر على ذره ولا تزكية (بزعمهم) وقرئ بالضم أي قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم
بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لأنهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم في القرية (فلا يصل إلى الله)
أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (فهو يصل إلى شركائهم)
من إنفاق عليها بذبح نسائك عندها والإجراء على سدنتها ونحو ذلك (ساء ما يحكمون) في إيثار آلهتهم على الله تعالى
وعملهم ما لم يشرع لهم (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة أو مثل ذلك التزيين
البلغ الذي هو علم من الشياطين والمعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوهم قتل أولادهم بالوآد أو بنحرم الآلهة

هـ قوله تعالى و كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم الآية (قال المعنى أن شركاءهم من الشياطين
أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم الخ) قال احمد رحمه الله لقد ركب المصنف في هذا الفصل من عيباء وتاه
في تيهام وأنا أبرأ إلى الله وأبرئ حملة كتابه وحفظه كلامه بما رماه به فإنه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار
كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لا نقلاً وسماعاً لذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه وأخذ بين أن وجه غلظه رؤيته الياء
ثابتة في شركائهم فاستدل بذلك على أنه مجرور وتعين عنده نصب أولادهم بالقياس إذ لا يضاف المصدر إلى أمرين معاً
فقرأه منصرباً قال المصنف وكانت له مندوحة عن نصبه إلى جزه بالإضافة وإبدال الشركاء منه وكان ذلك أولى مما
ارتكبه يعني ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف إليه الذي يسمح في الشعر فضلاً عن النثر فضلاً عن المعجز
فهذا كله كما ترى ظن من الزمخشري أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأياً منه وكان الصواب خلافه والفصيح سواه ولم
يعلم الزمخشري أن هذه القراءة بنصب الأولاد والفصل بين المضاف والمضاف إليه بها يعلم ضرورة أن النبي صلى الله

(قوله وهي التخلية والتسجيل على المأمور) في الصحاح السجل الصك وقد سجل الحاكم تسجيلاً وفيه أيضاً هي مسجلة
للبر والفاجر قال الأصمعي أي مرسله يقال أسيحت الكلام أي أرسلته اهـ (قوله ومثل ذلك التزيين البالغ الذي) لعنه
التزيين الذي

وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَقَالُوا هَذِهِ الْأَعْمَىٰ وَحَرِثٌ حَجَرٌ لَا يَطْعَمُهُمْ

وكان الرجل في الجاهلية يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبدالمطلب ۝ وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل أولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل أولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم وأما قراءة ابن عامر قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجز الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سجا مردوداً كما سمع ورد ۝ زج القلوص أبي مزاده ۝ فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزاله والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء ولوقراً بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (ليردوهم) ليهلكوهم بالإغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام حتى زلوا عنه إلى الشرك وقيل دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس

عليه وسلم قرأها على جبريل كما أنزلها عليه كذلك ثم تلاها النبي صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الأئمة ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرؤون بها خلفاً عن سلف إلى أن انتهت إلى ابن عامر فقرأها أيضاً كما سمعها فهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلاً عن أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزخشرى ولا بقول أمثاله من لحن ابن عامر فإن المنكر عليه إنما أنكر ما ثبت أنه برام منه قطعاً وضرورة ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشائين أعنى علم القراءة وعلم الأصول ولا يعد من ذوى الفنين المذكورين لحيف عليه الخروج من رتبة الدين وأنه على هذا العذر لني عهدة خطيرة وزلة منكورة تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواتراً فإن هذا القائل لم يثبتها بغير النقل وغايته أنه ادعى أن نقلها لا يشترط فيه التواتر وأما الزخشرى فظن أنها تثبت بالرأى غير موقوفة على النقل وهذا لم يقل به أحد من المسلمين وما حمله على هذا الخيال إلا النغالي في اعتقاد اطراد الأقيسة النحوية فظنها قطعية حتى يرد ما خالفها ثم إذا تنزل معه على اطراد القياس الذي ادعاه مطرداً فقراءة ابن عامر هذه لا تخالفه وذلك أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإن كان عسراً إلا أن المصدر إذا أضيف إلى معموله فهو مقدر بالفعل وبهذا التقدير عمل وهو أن لم تكن إضافته غير محضة إلا أنه شبه بما إضافته غير محضة حتى قال بعض النحاة إن إضافته ليست محضة لذلك فالحاصل أن اتصاله بالمضاف إليه ليس كاتصال غيره وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف إليه بالظرف فلا أقل من أن يتميز المصدر على غيره لما بيناه من انفكاكه في التقدير وعدم توغله في الاتصال بأن يفصل بينه وبين المضاف إليه بما ليس أجنبياً عنه وكأنه بالتقدير فكه بالفعل ثم قدم المفعول على الفاعل وأضافه إلى الفاعل وبقي المفعول مكانه حين الفك ويسهل ذلك أيضاً تغاير حال المصدر إذ تارة يضاف إلى الفاعل وتارة يضاف إلى المفعول وقد التزم بعضهم اختصاص الجواز بالفصل بالمفعول بينه وبين الفاعل لوقوعه في غير مرتبته إذ ينوى به التأخير فكأنه لم يفصل كما جاز تقدم المضمرة على الظاهر إذا حل في غير رتبته لأن النية به التأخير وأنشد أبو عبيدة ۝ فداسهم دوس الحصاد الدائس ۝

وأنشد أيضاً: يفر كن حب السنبل الكنافج ۝ بالقاع فرك القطن المحالج

فمن فصل كما ترى بين المصدر وبين الفاعل بالمفعول وما يقوى عدم توغله في الإضافة جواز العطف على موضع مخفوضه رفعا ونصبا فهذه كلها نكت مؤيدة بقواعد منظرة بشواهد من أقيسة العربية تجمع شمل القوانين النحوية لهذه القراءة وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة وهذا القدر كاف إن شاء الله في الجمع بينهما والله الموفق وما أجريناه في أدراج الكلام من تقريب إضافة المصدر من غير المحضة إنما أردنا انضمامه إلى غيره من الوجوه التي يدل باجتماعها على أن الفصل غير منكر في إضافته ولا مستبعد من القياس ولم نفرده في الدلالة المذكورة

إِلَّا مَنْ نَشَأَ بَرْعَمَهُمْ وَأَنْعَمَ حَرَمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذِكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا

(فإن قلت) ما معنى اللام (قلت) إن كان التزيين من الشياطين فهى على حقيقة التعليل وإن كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة (ولو شاء الله) مشيئة قسر (ما فعلوه) لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو لما فعل الشياطين أو السدنة التزيين أو الإرداء أو اللبس أو جميع ذلك إن جعلت الضمير جارياً مجرى اسم الإشارة (وما يفترون) وما يفترونه من الإفك أو افتراؤهم (حجر) فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقاتدة حجر بضم الحاء وقرأ ابن عباس حرج وهو من التصديق وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لأهلهم قالوا (لا يطعمها إلا من نشاء) يعنون خدام الأوثان والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) وهى البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) فى الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذه أنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكرون اسم الله فجعلوها أجناساً بهوهم ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله (افتراء عليه) أى فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وانصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لأن قولهم ذلك فى معنى الافتراء ۝ كانوا يقولون فى أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور لا تأكل منه الإناث وما ولد منها ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث وأنت (خالصة) للحمل على المعنى لأن ما فى معنى الأجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك ويجوز أن تكون التاء للبالغة مثلها فى راوية الشعر وأن تكون مصدراً وقع موقع الخالص كالعاقبة أى ذوخالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله (لذكورنا) هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالاً متقدماً لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصة على الإضافة وفى مصحف عبدالله خالص (وإن يكن ميتة) وإن يكن ما فى بطونها ميتة وقرئ إن تكن بالتأنيث على وإن تكن الأجنة ميتة وقرأ أهل مكة وإن تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير فى قوله (فهم فيه شركاء) لأن الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) أى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحليل والتحريم من قوله تعالى «وتصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام» ۝ نزلت فى ربيعة ومضر والعرب

إذ المنفق على عدم تمحضها لا يسترغ فيها الفصل فلا يمكن استقلال الوجه المذكور بالدلالة والله الموفق ۝ قوله تعالى وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (قال فيه وأنت خالصة للحمل على المعنى لأن ما فى معنى الأجنة الخ) قال أحمد ليسا سواء لأنه فى الآية الأولى رجوع إلى اللفظ بعد المعنى وفيه إجمال وبينهما بون اقتضى أن أنكر جماعة من متأخري الفنون وقوعه فى الكتاب العزيز وادعوا أن جميع ماورد فيه يعود على المعنى بعد اللفظ وقد اتزم غيرهم إجازة ذلك وعدوا فى الكتاب العزيز منه موضعين يمكن صرف الكلام فيهما إلى غير الموصول وعلى الجملة فالحمل على اللفظ بعد المعنى قليل وغيره أولى ما وجد إليه سبيل وقد ذكر المصنف وجهين آخرين سوى ذلك فقال ويجوز أن تكون الهاء للبالغة مثلها فى راوية الشعر وأن يكون مصدراً وقع موقع الخالص كالعاقبة أى ذوخالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالاً متقدماً لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله ولقد أحسن فى الاحتراز بمنع الحال من المجرور حتى يتعين المصدر

مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فَقَرَأَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّتَ مَعْرُوشَتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَتٍ
وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ أَسَمُ عَدُوٍّ مَّبِينٍ ۝ ثَمْنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكْرَيْنِ

الذين كانوا يثدون بناتهم مخافة السبي والفقر (سفهها بغير علم) لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لا هم
وقرئ قتلوا بالشديد (ما رزقهم الله) من البحار والسواحب وغيرها (أنشأ جنات) من الكروم (معروشات)
مسموكات (وغير معروشات) متروكات على وجه الأرض لم تغزض وقيل المعروشات مافي الأرياف والعرمان مما
غرسه الناس واهتموا به فغزضوه وغير معروشات مما أنبت الله وحشياً في البراري والجبال فهو غير معروش يقال
عزشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه الضبان وسقف البيت عرشه (مختلفاً أكله) في اللون والطعم
والحجم والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمرة الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً
عليه ومختلفاً حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك كقوله تعالى فادخلوها خالدين ۝ وقرئ ثمرة بضم تين ۝ (فإن
قلت) ما فائدة قوله (إذا أثمر) وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه (قلت) لما أبيض لهم الأكل من ثمرة قيل إذا أثمر
ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر مثلاً يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وأينع (وآتوا حقه يوم
حصاده) الآية مكية والزكاة إنما فرضت بالمدينة وأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك
واجباً حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدينة والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على إيتاء الحق
واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء (ولا تسرفوا) في الصدقة كما روى
عن ثابت بن قيس بن شماس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئاً إلى منزله ولا تبسطها كل البسط
فتقع ملوماً محسوراً (حمولة وفرشاً) عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ينسج
من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم
لأنها دانية من الأرض للطاقة أجرامها مثل العرش المفروش عليها (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) في التحليل والتحرير من
عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشاً (اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى كالجلج
والناقة والثور والبقرة والسكر والشاة والنعجة والنيس والمنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد فإذا كان معه غيره من جنسه
سمى كل واحد منهما زوجاً وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى والدليل عليه قوله تعالى ثمانية أزواج
ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون
معه آخر من جنسه تسميتهم الزخاجة كأساً بشرط أن يكون فيها خمر ۝ والضأن والمعز جمع ضأن وما عز كتاجر وتجر
وقرئاً بفتح العين وقرأ أبي ومن المعزى ۝ وقرئ اثنان على الابتداء ۝ الهمزة في (آلذكرين) للإنكار والمراد بالذكرين
الذكر من الضأن والذكر من المعز ۝ وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى إنكار أن يحزم
الله تعالى من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيئاً من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل إناث الجنسين وكذلك الذكران
من جنسى الإبل والبقر والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما وذلك أنهم كانوا يحزمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها تارة

(قوله مسموكات) أي مرفوعات وفي الصحاح سمك الله السماء رفعها والسمك السقف (قوله الذكر والأنثى والدليل
عليه) عبارة النسبي ويدل عليه (قوله ذكورة الأنعام) ذكورة يجمع الذكر على ذكارة كحجارة وذكور وذكوران

حَرَّمَ أَمْ الْإِنثِيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثِيَيْنِ نَبْثُونِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَمَنْ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمَنْ
الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آذَنْتُكُمْ حَرَّمَ أَمْ الْإِنثِيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ
بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قُلْ لَا أَجِدُ
فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي
ظُلْفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ

وأولادها كيفما كانت ذكورا وإناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم (نبثوني بعلم) أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتم (إن كنتم صادقين) في أن الله حرمه (أم كنتم شهداء) بل كنتم شهداء ومعنى الهمزة الإنكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي تحرمه فتممهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرستم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسول (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب إليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس) وهو عمرو بن لحي ابن قعدة الذي بحر البحائر وسبب السوائب (فإن قلت) كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه (قلت) قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبي من المعدود وذلك أن الله عز وجل من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم ويا باحتما لهم فاعتراض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتسديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد (فيما أوحى إلي) تنبيه على أن التحريم إنما ثبت بوحي الله تعالى وشرعه لا بهوى الأنفس (محترما) طعاما محترما من المطاعم التي حرمتموها (إلا أن يكون ميتة) إلا أن يكون الشيء المحترم ميتة (أو دما مسفوحا) أي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالسكند والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله سمي ما أهل به لغير الله فسقا وتوغل في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولاتأكلوا مما يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وأهل صفة له منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل أي أهل لغير الله به فسقا (فإن قلت) فعلام تعطف (أهل) وإلام يرجع الضمير في (به) على هذا القول (قلت) يعطف على يكون ويرجع الضمير إلى ما يرجع إليه المستكن في يكون (فمن اضطر) فمن دعت الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات (غير باغ) على مضطر مثله تارك لمواساته (ولاعاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فإن ربك غفور رحيم) لا يؤاخذ ذوا الظفر ماله أصع من دابة أو طائر وكان بعض ذات الظفر حلالا لهم فلما ظلوا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ۝ وقوله (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) كقولك من زيد أخذت ماله تربد بالإضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله (إلا ما حملت ظهورها) يعني إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أو الحوايا) أو اشتمل على الأمعاء (أو ما اختلط بعظم) وهو شحم الآلية وقيل الحوايا عطف على

هذا ما في الصحاح لكن عبارة النسفي كعبارة المصنف فخر (قوله وهب الثروب وشحوم الكلى) الثروب شحوم رقيقة قد غشيت الكرش والأمعاء كذا في الصحاح (قوله والجنوب من السحفة) السحفة الشحمة الملتزقة بالجلد على الظهر من الكنف إلى الورك نقله في الصحاح

جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝
سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۝
قُلْ فَلِلَّهِ الحِجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قُلْ هَلْ شَهِدَ آءَ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن

شعورهم ما أو بمنزلة ما في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين (ذلك) الجزاء (جزيناهم) وهو تحريم الطيبات (ببغيتهم) بسبب ظلمهم (وإننا لصادقون) فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقناهم الوعيد وأحللناهم العقاب (فإن كذبوك) في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبعي ويخلف الوعيد جوداً أو كرماً (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) لأهل طاعته (ولا يرد بأسه) مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) فلا تغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولو لا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كذهب المجبرة بعينه (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي جاؤا بالكذب المطلق لأن الله عز وجل ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبرائه من مشيئة القبائح وإرادتها والرسول أخبروا بذلك فمن عاق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره (حتى ذاقوا بأسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قائم (فتخرجوه لنا) وهذا من التهمك والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة (إن تتبعون إلا الظن) في قولكم هذا (وإن أنتم إلا تخرون) تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون ۝ وقيل كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف (قل لله الحجة البالغة) يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم (فلو شاء لهداكم أجمعين) منكم

قوله تعالى « ذلك جزيناهم ببغيتهم وإننا لصادقون فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين » قال معناه ذلك الجزاء جزيناهم ببغيتهم بسبب ظلمهم الخ قال أحمد هذه الآية وردت فيمن كفر وافترى على الله ووعد الكافر باتفاق واقع به غير مردود عنه وأهل السنة وإن قالوا يجوز العفو عن العاصي الموحد فلا يقولون إن ذلك حتم ولا يلزمهم ذلك لأن الله تعالى حيث توعد المؤمنين العصاة عاق حلول الوعيد بهم بالمشيئة وأخبر أنه يغفر لمن يشاء منهم فمن ثم اعتقدنا أن كل موحد عاص في المشيئة وحيث أطلق وعيدهم في بعض الظواهر فهو محمول على المقيد فلا يلزمهم حينئذ اعتقاد الخلف في الخبر والزمخشرى إنما يندندن حول إلزامهم ذلك وأنه له ۝ قوله تعالى « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء » كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرون ۝ (قال فيه هذا إخبار بما سوف يقولونه الخ) قال أحمد فائدة توطين النفس على الجواب ومكافئتهم بالرد وإعداد الحجة قبل أو أنها كما قال سيقول السفهاء من الناس ۝ عاد كلامه (قال فلما وقع ذلك منهم قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم الخ) قال أحمد رحمه الله قد تقدم أيضاً الكلام على هذه الآية أو ضحنا أن الرد عليهم إنما كان

(قوله كذهب المجبرة بعينه) يعني أهل السنة من أن كل كائن فهو مراد له تعالى ولو شراً وتحقيق الفرق بينه وبين قول المشركين في علم التوحيد ويكفي فيه أن قولهم من باب التهمك كما قالوا لما قيل لهم أنفقوا بما رزقكم الله أنظم من لو شاء الله أطعمه (قوله على قود مذهبكم) لعله من قاد الفرس ونحوه قوداً إذا جزه بسهولة أي على طبق مذهبكم أي على مقتضاه وما يؤدى إليه

شَهِدُوا وَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

ومن مخالفكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضى أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما اتم عليه وبين ما هم عليه (هلم) يستوى فيه الواجد والجمع والمذكور والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم توثق وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم (فان قلت) كيف امره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما ثم امره بأن لا يشهد معهم (قلت) امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحججة ويلقهم الحجر ويظهر للشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوى أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله (فلا تشهد معهم) يعنى فلا تسلم لهم ماشهدوا به ولا تصدقهم لانه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحداً لله تعالى (فان قلت) هلا قيل قل لهم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأى فرق بينه وبين المنزل (قلت)

لا اعتقادهم أنهم مسلوبون اختيارهم وقدرتهم وأن إشرأهم إنما صدر منهم على وجه الاضطرار وزعموا أنهم يقيمون الحججة على الله ورسله بذلك فرد الله قلوبهم وكذبهم في دعواهم عدم الاختيار لأنفسهم وشبههم بن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل وأشرك بالله واعتمد على أنه إنما يفعل ذلك كله بمشيئة الله ورام لإخام الرسل بهذه الشبهة ثم بين الله تعالى أنهم لا حجة لهم في ذلك وأن الحججة البالغة له لا لهم بقوله ألا الله الحججة البالغة ثم أوضح تعالى أن كل واقع بمشيئته وأنه لم يشأ منهم إلا ما صدر عنهم وإنه لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون بقوله فلو شاء لهداكم أجمعين والمقصود من ذلك أن يتمحض وجه الرد عليهم ويتخلص عقيدة نفوذ المشيئة وعموم تعلقها بكل كائن عن الرد وينصرف الرد إلى دعواهم بسلب الاختيار لأنفسهم وإلى إقامتهم الحججة بذلك خاصة وإذا تدبرت هذه وجدتها كافية في الرد على من زعم من أهل القبلة أن العبد لا اختيار له ولا قدرة البتة بل هو مجبور على أفعاله مقهور عليها وهم الفرقة المعروفة بالمجبرة والمصنف يغالط في الحقائق فيسمى أهل السنة مجبرة وإن أثبتوا للعبد اختياراً وقدرة لأنهم يسلبون تأثير قدرة العبد ويجعلونها مقارنة لأفعاله الاختيارية مميزة بينها وبين أفعاله القسرية فمن هذه الجهة سوى بينهم وبين المجبرة ويجعله لقباً عاماً لأهل السنة وجماع الرد على المجبرة الذين ميزناهم عن أهل السنة في قوله تعالى سيقول الذين أشركوا إلى قوله قل فله الحججة البالغة وتنمة الآية رد صراح على طائفة الاعتزال القائلين بأن الله تعالى شاء الهداية منهم أجمعين فلم تقع من أكثرهم ووجه الرد أن لو إذا دخلت على فعل مثبت نفته فيقتضى ذلك أن الله تعالى لما قال فلو شاء لم يكن الواقع أنه شاء هدايتهم ولو شاءها وقعت فهذا تصريح بطلان زعمهم ومحل عتدهم فإذا ثبت اشتغال الآية على رد عقيدة الطائفتين المذكورتين المجبرة في أولها والمعتزلة في آخرها فاعلم أنها جامعة لعقيدة السنة منطبقه عليها فإن أولها كما بينا يثبت للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان وآخرها يثبت نفوذ مشيئة الله في العبد وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الإلهية خيراً أو غيره وذلك عين عقيدتهم فإنهم كما يثبتون للعبد مشيئة وقدرة يسلبون تأثيرها ويعتقدون أن ثبوتها قاطع لحجته ملزم له بالطاعة على وفق اختياره ويثبتون نفوذ مشيئة الله أيضا وقدرته في أفعال عباده فهم كما رأيت تبع للكاتب العزيز يثبتون ما أثبت وينفون ما نفي مؤيدون بالعقل والنقل والله الموفق ع عاد كلامه (قال فإن قلت هلا قيل قل لهم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأى فرق بينه وبين المنزل الخ) قال أحمد رحمه الله ووجه مناقضته له أنه لو قيل على خلاف المنزل وهو قوله هلم بشهداء يشهدون يفهم أن الطالب للشهداء ليس على تحقيق من أن ثم شهداء كما يقول الحاكم للدعى هات بينة تشهد بذلك فهو لا يتحقق أن للدعى بينة ثم يكون قوله فإن شهدوا تحقياً لأن ثم شهداء فالجمع بينهما متناقض كاترى والله الموفق

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ
نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِبَائَهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَلِكَ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ
أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بِكُمْ

المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقدرونهم ويشقون بهم ويعتضدون
بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيفت الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء
معروفون موسومون بالشهادة لهم وببصرة مذهبهم والدليل عليه قوله تعالى فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل لهم
شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أساساً بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالعرض وبتناقضه
قوله تعالى وإن شهدوا فلا تشهد معهم ۝ تعال من الخاص الذي صار عاماً وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن
هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى هم و (ما حرم) منصوب بفعل التلاوة أي أتلى الذي حرمه ربكم أو يحرم بمعنى
أقل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في (ألا تشركوا) مفسرة ولا للهي (فإن قلت) هلا قلت هي التي
تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلاً من ما حرم (قلت) وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا
تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله وبالوالدين إحساناً لأن التقدير وأحسنوا بالوالدين إحساناً
وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا ويعهد الله أوفوا (فإن قلت) فما تصنع بقوله وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه فيمن قرأ
بالتفح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتلى عليكم نفي الإشراك
والتوحيد وأتلى عليكم أن هذا صراطى مستقيماً (قلت) أجعل قوله وأن هذا صراطى مستقيماً علة للتابع بتقدير اللام
كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً بمعنى ولأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه والدليل عليه القراءة
بالكسر كأنه قيل واتبعوه صراطى لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطى لأنه مستقيم (فإن قلت) إذا جعلت أن مفسرة لفعل
إلتلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منها محرم كاله شرك وما بعده مما دخل عليه حرف
النهي فما تصنع بالأوامر (قلت) لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمت جميعاً فعمل التحريم واشتركن في الدخول
تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضرارها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول
ونكث عهد الله (من إملاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشية إملاق (ما ظهر منها وما بطن) مثل قوله
ظاهر الإثم وباطنه (إلا بالحق) كالتقصص والقتل على الردة والرجم (إلا بالتي هي أحسن) إلا بالخصلة التي هي أحسن
ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثمينه والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه (بالقسط) بالسوية والعدل
لانكلف نفساً إلا وسعها) إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإبقاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد
من القسط الذي لازيادة فيه ولا نقصان مما يجرى فيه الحرج فأمر بلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه (ولو كان
ذا قربنى) ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص
كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ۝ وقرئ وأن هذا صراطى مستقيماً بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطى
على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الأعمش وهذا صراطى وفي مصحف عبدالله وهذا صراط ربكم وفي مصحف
أبي وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع

عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَمَعَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۖ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ۖ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۖ إِنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ۖ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِزِي الَّذِينَ يَصْدَفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدَفُونَ ۖ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ

والضلالات (تفرق بكم) فتفرقكم أيادي سبأ (عن سبيله) عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام ۖ وقرئ تفرق بإدغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشده ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب يده أن هذه الآيات لأول شيء في التوراة (فإن قلت) علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب (قلت) على وصاكم به (فإن قلت) كيف صح عطفه عليه ثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل (قلت) هذه التوصية قديمة لم تنزل توصياها كل أمة على لسان نبيهم كما قال ابن عباس رضى الله عنهما محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بى آدم قديما وحديثا (ثم) أعظم من ذلك أنا (آتينا موسى الكتاب) وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب (تماما على الذى أحسن) تماما للكرامة والنعمة على الذى أحسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ونдал عليه قراءة عبدالله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أى تمتة للكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ وفى كل ما أمر به أو تماما على الذى أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته أى زياده على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذى أحسن بالرفع أى على الذى هو أحسن بخذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع أى على الدين الذى هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما أى تاما كاملا على أحسن ما تكون عليه الكتب أى على الوجه والطريق الذى هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (على طائفتين) يريدون أهل التوراة وأهل الإنجيل (وإن كنا) هى أن الخفيفة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والأصل وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن (عن دراستهم) عن قراءتهم أى لم نعرف مثل دراستهم (لكننا أهدى منهم) لحدثة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغازاة حفظنا لأيام العرب ووقائدها وخطبها وأشعارها وأبجاعتها وأمثالها على أما أميون ۖ وقرئ أن يقولوا أو يقولوا بالياء (فقد جاءكم بيته من ربكم) تبييت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات والمعنى إن صدقكم فيما كنتم تعتدون من أنفسكم فقد جاءكم بيته من ربكم فحذف الشرط وهو من أحسن الخدوف (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ما عرف صحتها وصدقها أو تمكن من معرفة ذلك (وصدغ عنها) الناس فضل وأضل (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) كقوله الذين كفروا وصدروا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب ۖ الملائكة ملائكة الموت أو العذاب (أو يأتى ربك) أو يأتى كل آيات ربك

لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضَرُوا أَنَا مُنْتَظِرُونَ ؕ إِنَّ
الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ؕ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ؕ
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ؕ قُلِ إِنِّي
هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيًّا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ؕ قُلِ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

بدليل قوله (أو يأتي بعض آيات ربك) يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما نتذاكرون فقلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفاً بالمغرب وخسفاً بالشرق وخسفاً بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى وناراً تخرج من عدن (لم تكن آمنت من قبل) صفة لقوله نفساً وقوله (أو كسبت في إيمانها خيراً) عطف على آمنت والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات مبلغة مضطرة ذهب أو ان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة الإيمان غير كسبة في إيمانها خيراً فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيراً ليعلم أن قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تفك إحداها عن الأخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد وإلا فالشقوة والهلاك (قل انتظروا إننا منتظرون) وعيد وقرئ أن يأتيهم الملائكة بالياه والناء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الإيمان مضافاً إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض أصابعه (فرقوا دينهم) اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية وافرقت النصارى ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وقيل فرقوا دينهم فأمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم أي تركوه (وكانوا شيعاً) فرقا كل فرقة تشيع إماماً لها (لست منهم في شيء) أي من السؤال عنهم وعن تفرقتهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف (عشر أمثالها) على إقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها وقرئ عشر أمثالها برفعها جميعاً على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد وعد بالواحد سبعائة و وعد ثواباً بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل (وهم لا يظلمون) لا ينقص من ثوابهم ولا يزداد على عقابهم (ديناً) نصب على البدل من محل إلى صراط لأن معناه هداى صراطاً بدليل قوله ويهديكم صراطاً مستقيماً والقيم في فعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم وقرئ قياماً والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به و (ملة إبراهيم) عطف

قوله تعالى «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» (قال محمود فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت الخ) قال أحمد رحمه الله هو يروم الاستدلال على صحة عقيدته في أن الكافر والعاصي سواء في الخلود بهذه الآية إذ سوى بينهما في عدم الانتفاع بما يستدركانه بعد ظهور الآيات ولا يتم لذلك فإن هذا الكلام اشتمل على النوع المعروف من علم البيان والبلاغة باللف وأصل الكلام يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد ولا نفساً لم تكسب في إيمانها خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد إلا أنه لف الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً بلاغة واختصاراً وإيجازاً أراد أن يثبت أن ذلك هو الأصل فهو غير مخالف لقواعد السنة فإننا نقول لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وإن نفع الإيمان المتقدم في السلامة من الخلود فهذا بأن يدل على رد الاعتزال أحدر من أن يدل له والله الموفق

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ۖ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۚ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۚ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَابْنِي رَبًّا
وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ
فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۚ

﴿سورة الأعراف مكية﴾

إلا من آية ۱۶۳ إلى غاية ۱۷۰ فمدنية وآياتها ۲۰۶ نزلت بعد ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ الْمَصَّ ۚ كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَىٰ

بيان و (خيفاً) حال من إبراهيم (قل إن صلاتي ونسكي) وعبادتي وتقربتي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح
كما في قوله «فضل لربك وانحر» وقيل صلاتي وحببي من مناسك الحج (ومحياي ومماتي) وما آتته في حياتي وما أموت
عليه من الإيمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصة لوجهه (وبذلك) من الإخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين)
لأن إسلام كل نبي متقدم لإسلام أمته (قل أغير الله أبغى ربا) جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهم والهمزة الإنكار أي
منكر أن أبغى ربا غيره (وهو رب كل شيء) فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل أغير الله
تأمروني أعبد (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا واتحمل خطاياكم (جعلكم خلائف الأرض)
لأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين تخلفت أمته سائر الأمم أو جعلهم يخلف بعضهم بعضاً أو هم خلفاء الله في أرضه
يملكونها ويتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الشرف والرزق (ليبلوكم فيما آتاكم) من نعمة المال
والجاه كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضع والحر بالعبودية الغنى بالفقر (إن ربك سريع العقاب)
لمن كفر نعمته (وإنه لغفور رحيم) لمزقها بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنزلت على سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل فمن
قرأ الأنعام صلى الله عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعد كل آية من سورة الأنعام يوماً وليلة

﴿سورة الأعراف مكية﴾

﴿غير ثمان آيات واسمائهم عن القرية إلى وإذ نتقنا الجبل وهي مائتان وخمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (كتاب) خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب و (أنزل إليك) صفة له والمراد بالكتاب السورة
(فلا يكن في صدرك حرج منه) أي شك منه كقوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك وسمى الشك حرجاً لأن الشاك ضيق

﴿القول في سورة الأعراف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ «المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه» الآية (قال الحرج الشك الخ)
قال أحمد ويشهد له قوله تعالى فلا تكونن من الممترين ولهذا النكتة ميز إمام الحرمين بين العلم والاعتقاد الصحيح بأن المقدر ربط
السكر بعتقد والاعتقاد افتعال منه والعلم يشعر بانحلال العقود وهو الانشراح والتباج والثقة وما أحسن تنبيهه بقوله والاعتقاد
افتعال منه يريد إذا كان العقد مبانياً للعلم فما ظنك بالاعتقاد لأن صيغة الافتعال أبلغ معنى ومنه الاعتقاد والاحتمال ومن ثم ورد

لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ ۝ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا بِجَاءِهَا بِأَسْنَاءٍ يَدِينُ أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ ۝ فَسَاكَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا

الصدر حرجه كما أن المتيقن من شرح الصدر منفسحه أى لا تشك في أنه منزل من الله ولا تخرج من تبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذا هم فكان يضيق صدره من الأداة ولا ينبسط له فأتمته الله ونهاه عن المبالاة بهم (فإن قلت) سم تعاق قوله (لتنذر) (قلت) بأنزل أى أنزل اليك لإنيذارك به أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك إذا أيقن أنه من عند الله شجوه اليقين على الإنذار لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكلم على عصمته (فإن قلت) فما محل ذكرى (قلت) يحتمل الحركات الثلاث النصب بإضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكر كبيراً لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفاً على كتاب أو بأنه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أى للإنذار وللذكرى (فإن قلت) النهى في قوله فلا يكن متوجه إلى الحرج فواجهه (قلت) هو من قولهم لا أرينك ههنا (اتبعوا ما أنزل إليكم) من القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل إليكم وأمركم باتباعه وعن الحسن بن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم نزلت وما معناها ۝ وقرأ مالك بن دينار ولا تتبعوا من الابتغاء ومن يتبع غير الإسلام ديناً ۝ ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء (قليلاً مما تدكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تدكرون محذوف التاء ويتدكرون بالياء وقليلاً نصب بتدكرون أى تدكرون تذكراً قليلاً وما مزيدة لتوكيد القلة (جاءها) جاء أهلها (بياتنا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات يات ياتنا حسناً وبيته حسنة وقوله (هم قائلون) حال معطوفة على ياتنا كأنه قيل جاءهم بأسنا بائتين أو قائلين (فإن قلت) هل يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل قرية أو قبل الضمير في أهلكتناها

في الخير كسب وفي نقيضه اكتسب لأن النفوس في الشهوات والمخالفات واتباع الأهواء أجدر منها في الطاعات ووقع الأعراف وعلى ذلك جاءها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وإن كان العلم من الأعم المأخوذ من العلة بالتحريك وهي الشرح الشفة وانشقاقها فالذي ذكره الإمام حينئذ نهاية في نوعه والله الموفق ۝ عاد كلامه (قال أو ولا تخرج من تبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له الخ) قال أحمد ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل إليه كنز أو جاءه مع ملك الآية ۝ عاد كلامه (قال فإن قلت النهى في قوله فلا يكن متوجه إلى الحرج فواجهه قلت هو من قولهم لا أرينك ههنا) قال أحمد يريد أن الحرج منهى في الآية ظاهر والمراد النهى عنه والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال وقوله هم قائلون حال معطوفة على ياتنا كأنه قيل جاءهم الخ) قال أحمد الاكتفاء بالضمير في الجملة الاسمية الواقعة حالاً ضعيف والأفصح دخول الواو كما اختاره الرخشي وأما الزجاج وغيره فيجعلون أحد الأمرين كافي في الاسمية إماماً الواو وإما الضمير وأما قول الرخشي إن الجملة المدطوقة إنما حذف منها الواو والحال كراهية لاجتماعها وهي واو عطف أيضاً مع مثلها ففيه نظر وذلك أن الواو والحال لا بد أن تمتاز عن الواو العطف بمزية ألا تراها تصحب الجملة الاسمية عقيب الفعلية في قولك جاءني زيد وهو راكب ولو كانت عاطفة مجردة لاستقبح توسطها بين المتغايرين وإن لم يكن قبيحاً فالأفصح خلافه فلما رأيتها توسط بينهما والكلام حينئذ هو الأفصح أو المتعين علمت أنها ممتازة بمعنى وخاصة عن الواو العطف وإذ ثبت امتيازها عن العاطفة فلا غرو في اجتماعها معها وإن كان فيها معنى العطف مضافاً إلى تلك الخاصة فأمّا أن تسلبه حينئذ لاغناء العاطف عنها أو تستمر عليه كما تجتمع الواو ولكن لما فيها من زيادة معنى الاستدراك في مثل قوله ولكن لا يشعرون فعلى هذا كان من الممكن أن تجتمع الواو والحال مع العاطف بلا كراهية والذي يدل على ذلك أنك لو قلت سبح الله وأنت راكع أو وأنت ساجد لكان فصيحاً لا خيب فيه ولا كراهية

كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَلَنَسْتَلِزَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأْنِسُ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقْصُنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۝
وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقِّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا

(قلت) إنما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها وإنما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله أو هم قائلون (فإن قلت) لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون (قلت) قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلاً أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتاج فيه إلى واو لأن الذكر قد عاد إلى الأول والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استئقالاتاً لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقوله جاءني زيد راجلاً أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده وأما جاءني زيد هو فارس بحيث (فإن قلت) فما معنى قوله أهلكتناها فجاءها بأسنا والإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس (قلت) معناه أردنا إهلاكها كقوله إذا قمتم إلى الصلاة وإنما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القبولة لأنهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القبولة (فما كان دعواهم) ما كانوا يدعونه من دينهم وينحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم بظلالته وفساده وقولهم (إنا كنا ظالمين) فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا لأنه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم بالكعب ويجوز فما كان دعواهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم وإن لات حين دعاهم فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وإن قالوا رفع اسم له ويجوز العكس (فلنستأنس الذين أرسل إليهم) أرسل مسنداً إلى الجار والمجرور وهو إليهم ومعناه فلنستأنس المرسل إليهم وهم الأمم يسألهم عما أجابوا عنه رسالهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبت المرسلين ويسأل المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجتبم (فلنقصن عليهم) على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم (فإن قلت) فإذا كان عالماً بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم (قلت) معناه التوبيخ والتقريع والتقريب إذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبيأؤهم (والوزن يومئذ الحق) يعني وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعها على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفة أي والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلمهم الوزن الحق أي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقليل توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر إليه الخلائق تأكيداً للحجة وإظهاراً

فالتحقيق والله أعلم في الجملة المعطوفة على الحال أن المصحح لوقوعها حالاً من غير واو هو العاطف إذ يقتضى مشاركة الجملة الثانية لما عطفت عليه في الحال فيستغنى عن واو الحال كما أنك تعطف على المقسم به فتدخله في حكم القسم من غير واو مرفعة في مثل والليل إذا يغشى والهار إذا تجلى وفي مثل فلا أقسم بالخمس الجوار الكنس والليل إذا عسعس ولو قلت في غير التلاوة وبالليل إذا عسعس لجاز ولكن يستغنى عن تكرار حرف القسم لنيابة العاطف منابه فهذا والله أعلم سبب استغناء الجملة المعطوفة على الحال عن الواو المصححة للحالية فالحاصل من هذا أنك إن أتيت بواو الحال مصاحباً للعاطف لم تخرج عن حد الفصاحة إلى الاستئقال بل أفدت تأكيداً وإن لم تأت بها كذلك في الفصاحة مع إفادة الاختصار والله الموفق للصواب قوله تعالى قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين (قال فإن قلت لم أجيب إلى استنظاره وإنما استنظر ليفسد عباده الخ) قال أحمد وهذا السؤال إنما يورده ويلتزم الجواب عنه القدرية الذين يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح في أفعاله وأما أهل السنة فقد أصغوا حق الإصغاء إلى قوله تعالى لا يستل عما يفعل وهم يسئلون فلا يورد أحد منهم

(قوله أى والوزن يوم يسأل الله الأمم) هذا إنما ينبى على أن يومئذ متعلق بالوزن والحق خبر أما على ما قاله فالتقدير ويوم يسأل الخ ويمكن أن مراده والوزن كائن يوم يسأل الله الأمم ورسلمهم أى الوزن الحق وكان الأقرب أى والوزن

أَنفُسُهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝
وَأَقَدَّ خَلْقَنَّاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝
قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا
يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ

للنصفه وقطعاً للمعدوة كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد بها عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم وتشهد
عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد وكما ثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء
السوي والحكم العادل (فن ثقلت موازينه) جمع ميزان أو موازن أي فن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر
وهي الحسنات أو ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل وحق لميزان توضع
فيه السيئات أن يخف (آياتنا يظلمون) يكذبون بها ظلماً كقولهم فظلموا بها (مكناكم في الأرض) جعلنا لكم فيها مكاناً
وقراراً أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة وهي ما يعاش به من
المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه تصریح الباء وعن ابن عامر أنه همز على التشبيه بصحائف
(ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه بعد ذلك ألا ترى إلى قوله (ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم) الآية (من الساجدين) من سجد لآدم (ألا تسجد) لا في أن لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك
أن تسجد لما خلقت بيدي ومثاها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم (فإن قلت) ما فائدة زيادتها (قلت) توكيد معنى
الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك (إذا
أمرتك) لأن أمرى لك بالسجود أوجب عليك إيجاباً وأحتمه عليك حتماً لا بد لك منه (فإن قلت) لم سأله عن المانع
من السجود وقد علم ما منعه (قلت) للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدراءه بأصل آدم
وأنه خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب عليه لما رأى أن سجود الفاضل للفاضل خارج من الصواب (فإن قلت)
كيف يكون قوله (أنا خير منه) جواباً لما منعك وإنما الجواب أن يقول معنى كذا (قلت) قد استأنف نصة أخير
فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو أن أصله من نار وأصل آدم من طين فعلم منه الجواب وزيادة
عليه وهي إنكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله مأمور بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعد
أن يأمر بما أمر به (فاهبط منها) من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر
العاصين المتكبرين من الثقلين (فما يكون لك) فما يصح لك (أن تتكبر فيها) وتعصى (فاخرج إنك من الصاغرين)
من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك كما تقول الرجل قم صاعراً إذا أهنته وفي ضده قم راشداً وذلك
أنه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال اتعش نعشك
الله ومن تكبر وعدا طوره وهسه الله إلى الأرض (فإن قلت) لم أجيب إلى استنظاره وإنما استنظر ليفسد عباده
ويغويهم (قلت) لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من أعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف

هذا السؤال ولا يجيب عنه من يورده والله الموفق

الحق يوم يسأل الخ) (قوله رفع الله حكمته) في الصحاح حكمة اللجام ما أحاط بالخطأ اه) (قوله وهسه الله إلى
الأرض) وهسه أي غمزه إلى الأرض والوهص كسر الشيء الرخو وشدة الوطء على الأرض كذا في الصحاح

الْمُنْظَرِينَ ۖ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ ثُمَّ لَا تَجِدُنِي فِي سِرَابٍ وَلَا فِي جَعْدٍ وَلَا فِي جَمَلٍ ۚ وَإِنِّي لَأَكْفُرُ بِالْإِغْوَاءِ الَّتِي كُنتَ تُغْوِي ۚ وَمِنَ الَّذِينَ سَبَّوهُ فَتَبَايَعُوا عَلَيْهِمْ خِيَارًا ۚ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ

الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وماركب في الأنفس من الشهوات ليمتنع بها عباده (فبما أغويتني) فبسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفسا ومناصب وعن الأصم أمرتني بالسجود فحملت الأنف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في إغرائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم (فإن قلت) بم تعلقت الباء فإن تعلقت باللاقعدن يصد عنه لام القسم لأنقول والله يزيد لا أمرن (قلت) تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فيما أغويتني أقسم بالله لأقعدن أي فبسبب إغوائك أقسم ويجوز أن تكون الباء للقسم أي فأقسم بإغوائك لأقعدن وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان تكليفاً والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الأبد فكان جديرا بأن يقسم به ۖ ومن تكاذيب المجبرة ما حكوه عن طاوس أنه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمي بالقدر فجلس إليه فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال إبليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول أنا أغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على إضافة النبأح إلى الله سبحانه أن لفقوا الأ كاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما الاستفهام

ۖ قوله تعالى قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (قال والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في إغرائهم حتى يفسدوا بسببي الخ) قال أحمد تحت كلام الزمخشري هذا نزغتان من الاعتزال خفيتان ۖ أحدهما تحريفه الإغواء إلى التكليف لأنه يعتقد أن الله تعالى لم يغره أي لم يخلق له الغي بناء على قاعدة التحسين والتقييح والصلاح والأصالح فيضطره اعتقاده إلى حمل الإغواء على تكليفه بالسجود لأنه كان سيئا في غيره وكثيرا ما يؤثر أفعال الله تعالى إذا أسندها إلى ذاته حقيقة إلى التسبب ويجعل ذلك من مجاز السببية لأن الفعل له ملابسات بالفاعل والمفعول والزمان والمكان والسبب فأسنده إلى الفاعل حقيقة وإسناده إلى بقيتها مجاز ويجعل الفعل مسندا إلى الله تعالى لأنه مسببه لأنه فاعله وقد استدل على ذلك فيما سلف بقول مالك بن دينار لرجل رآه مقيدا مجبوسا في مال عليه هذه وضعت القيود في رجلك وأشار إلى سلة فيها أخبصة وألوان مختلفة رآها عند المسجون أي اعتناؤك بهذه الأطعمة كان سيئا في تبذير المال الذي آل بك إلى وضع القيود في رجلك فعلى هذا يروم حمل هذه الآية يعني بما كلفتني من التكليف الذي كان سيئا في خالق الغي لنفسي لأقعدن فيجعل إبليس هو الفاعل في الحقيقة وأما إسناد الفعل إلى الله تعالى فمجاز هذه إحدى النزغتين ۖ والأخرى جعله التكليف من جملة الأفعال لأنه يزعم أن كلام الله تعالى محدث من جملة أفعاله لاصفة من صفاته والتكليف من الكلام فهاتان زلتان جمع القدرية بينهما ۖ وإبليس لعنه الله لم يرض واحدة منهما لأنه نسب الإغواء إلى الله تعالى إذ هو خالق كل شيء فما الظن بطائفة ترضى لنفسها من خفي الشرك ما لم يسبق به إبليس فعوذ بالله من التعرض لسخط الله ۖ عاد كلامه (قال) ومن تكاذيب المجبرة ما حكوه عن طاوس أنه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمي بالقدر فجلس إليه فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال إبليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول أنا أغوي نفسي انتهى كلام طاوس على زعمهم وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على إضافة النبأح إلى الله سبحانه وتعالى أن لفقوا الأ كاذيب على الرسول والصحابة والتابعين انتهى كلامه (قال أحمد) وإنما أوردت مثل هذا من كلامه وإن كان غير محتاج إلى التنبيه على فساده وحيدته عن العقائد

(قوله ومن آدم أنفسا ومناصب) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فأدم أفضل منهم (قوله ومن تكاذيب المجبرة ما حكوه) يعني أهل السنة وسامم المعتزلة بذلك لفولهم أن خالق أفعال العباد ولو قبيحة هو الله تعالى فيكون العبد مجبورا فيها فكيف يصح تكليفه ولو كلفهم أثبوا للعبد الكسب في أفعاله ولذلك صح تكليفه أما الجبر المنافي للتكليف فهو أن لا يكون للعبد دخل في فعله أصلا بحيث يكون كالريشة المعالقة في الهواء وبه قالت المجبرة الحقيقية كما هو مذکور في أواخر المراقف

سورة الأعراف
 أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَيَسْأَلُكَ اللَّهُ بِمَا كَفَرْتَ وَلَا تَظُنُّ أَنَّكَ إِذْ جَعَلْتَ اللَّهُ رَبًّا فَتَكُونُ

كأنه قيل بأى شيء أغويتني ثم ابتداء لا تفعدن وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ وأصل النفي الفساد ومنه غوى الفصيل إذا بشم والبشم فساد في المعدة (لا تفعدن لهم صراطك المستقيم) لا اعتراض لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله ۝ كما عسل الطريق الثعلب ۝ وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن أى على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرفة قعدله بطريق الإسلام فقال له تدع دين آباءك فعصاه فأسلم ثم قعدله بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعدله بطريق الجهاد فقال له تقاتل فنقتل فيقسم مالك وتكبح امرأتك فعصاه فقاتل (ثم لا تينهم) من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته إليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ۝ (فإن قلت) كيف قيل (من بين أيديهم ومن خلفهم) بحرف الابتداء (وعن أيمنهم وعن شمائلهم) بحرف المجاوزة (قلت) المفعول فيه عدى إليه الفعل نحو تديته إلى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى شماله وعلى شماله فلما معنى على يمينه أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلى من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه أنه جالس متجاوفاً عن صاحب اليمين منصرفاً عنه غير ملاصق له ثم كثير حتى استعمل في المتجاوفاً وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لأن السهم يبعد عنها ويستعملها إذا وضع على كبدها للرمى ويبدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فيه لأنهما طرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جثته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربع مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أمان بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ ۝ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ۝ وأما من خافي فيخوف في الضيعة على خلفي فأقرأ ۝ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ۝ وأما من قبل يميني فيأينني من قبل الثناء فأقرأ ۝ والعاقبة للمتقين ۝ وأما من قبل شمالي فيأينني من قبل الشهوات فأقرأ ۝ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ۝ (ولا تجدوا أكثرهم شاكرين) قاله تظنيماً بدليل قوله ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة بإخبار الله تعالى لهم (مذموماً) من ذامه إذا ذمه ۝ وقرأ الزهري مذموماً بالخفض مثل مسول في مسؤل ۝ واللام في (لمن تبعك) موطئة للقسم و (لأملأن) جوابه وهوسات مستجاب الشرط (منكم) منك ومنهم فقلب ضمير المخاطب كما في قوله إنكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم منكم أجمعين على أن لأملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره (ويا آدم) وقلنا يا آدم ۝ وقرئ هذى الشجرة والأصل الياء والهاء بدل منها ۝ ويقال وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كقولك المرأة

الصحيحة لتباج الحجية في وجوب الرد عليه وتعيينه على من هداه الله إليه ولقد صدق طائوس رضى الله عنه وأما قول الزمخشري في أهل السنة الذين سماهم مجبرة أنهم يتهاكون في نسبة القبائح إلى الله تعالى فخالصه أنهم يخلصون التوحيد حتى لا يؤمنون بخالق غير الله ولكي يصدقوا قوله تعالى متمدحاً الله خالق كل شيء ولا كالتقديرية الذين هم يتهاكون حتى هم بشر كون ويعرفون الكلام عن مواضعه فيؤولون الفاعل بالمسبب فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون والله الموفق للصواب

(قوله قاله تظنياً) أصله تظننا فأبدلت النون ياء والضممة كسرة والتظني أعمال الظن اه

مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيَدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٍ تَهُمَا وَقَالَ مَانِهٖمَا رَبُّكَمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُلَّمَا لَمَسَنِ النَّاصِحِينَ ۝ فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا

ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تاتي اليه الرسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله وسوس اليه ألقاها اليه (ليدي) جعل ذلك غرضاً له ليسوءها إذا رأيا ما يؤثران ستره وأن لا يطلع عليه مكشوفاً وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور وأنه لم يزل مستقبها في الطباع مستقبها في العقول (فإن قلت) مالواو المضمومة في (ووري) لم تقلب همزة كما قلت في أو يصل (قلت) لأن الثانية مده كالف واري وقد جاء في قراءة عبد الله أوري بالقلب (إلا أن تكونا ملكين) إلا كراهة أن تكررا ملكين وفيه دليل على أن الملكية بالمنظر الأعلى وأن البشرية تلمح مرتبها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله ومالك لا يبلى (من الخالدين) من الذين لا يموتون ويقون في الجنة ساكنين ۝ وقرئ من سواتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة (وقاسمهما) وأقسم لهما (إني لكل من الناصحين) (فإن قلت) المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفة وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى « تقاسموا بالله لنبيته » (قلت) كأنه قال لهما أقسم لكما أني لمن الناصحين وقال له أنقسم بالله أنك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسم له بقبولها أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم (فدلاهما) فنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بغرور) بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وإنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنه إنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبده يفعلون ذلك طلباً للعتق فقيل له إنهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما ذقا الشجرة) وجدا طعمها آخذين في الأكل منها وقيل

۝ قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال مانها كما ربكنا عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إني لكل من الناصحين الآية (قال فيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور الخ) قال أحمد وفي هذه الكلمات أيضا جنوح إلى قاعدة الاعتزال في أمرين أحدهما قوله إن كشف العورة لم يزل مستقبها في العقول فإنه ينشأ عن اعتقاده أن التقييح والتحسين بالعقل وإن جاز أن يصدر هذا الكلام من المعتقد لعقيدة السنة إلا أنه لا يريد به ظاهره إذ التحسين والتقييح إنما يدركان بالشرع والسمع لا بالعقل ومعنى هذا الإطلاق ولو صدر من سني أن العقل يدرك المعنى الذي لأجله حسن الشرع المستروحيح الكشف . الأمر الثاني استدلاله على تفضيل الملائكة على الأنبياء وقد مضى أن ذلك معتقد المعتزلة وإن كان بعض أهل السنة قد مال اليه ، والجواب بمن يعتقد تفضيل الأنبياء أنه لا يلزم من اعتقاد إبليس لذلك وسوسته بأن الملائكة أفضل أن يكون الأمر كذلك في علم الله تعالى ألا ترى إبليس لعنه الله قد أخبر أن الله تعالى منعهما من الشجرة حتى لا يخلدا أو لا يكونا ملكين وهو في ذلك كاذب مبطل فلا دليل فيه إذ ليس في الآية ما يوجب تقرير الله تعالى لإبليس على ذلك ولا تصديقه فيه بل ختمت الآية بما يدل على أنه كذب لهما وغرهما إذ قال الله تعالى عنه فدلاهما بغرور فعمل تفضيله الملائكة على النبوة من جملة غروره والله أعلم عاد كلامه (قال فإن قلت المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك الخ) قال أحمد ويكون في الكلام حينئذ لف لأن آدم وحواء عليهما السلام لا يقسمان له بلفظ المتكلم ولكن بالخطاب فجعل القسم من الجانبين كلاماً واحداً مضافاً لإبليس ۝ عاد كلامه (قال أو أقسم لهما على النصيحة وأقسما له على قبولها) قال أحمد وهذا التأويل يتم لوجود المقاسمة عن ذكر المقسم عليه وأما حيث جعل المقسم عليه هو النصيحة لا غير فيبعد التأويل المذكور إلا أن يحمل الأمر على أنه سمي قبول النصيحة نصيحة للمشاكلة والمقابلة كما قيل في قوله تعالى وواعدنا موسى أنه سمي التزام موسى للوفاء والحضور

عَنْ تَلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝
قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۝ يَبْنِي آدَمُ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمُ وَرِيشًا
وَلِبَاسٍ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ يَبْنِي آدَمُ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ ابْوَيْكُم

الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم (بدت لهما سواتهما) أي تماقت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها
من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأيت مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما
من جنس الأظفار وعن وهب كان لباسهما نوراً يحول بينهما وبين النظر ۝ ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا
وقرأ أبو السمال وطفقا بالفتح (يخصفان) ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستتراها كما يخصف النعل بأن تجعل طرقة
على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخلصان بكسر الحاء وتشديد الصاد وأصله يخلصان ۝ وقرأ الزهري يخلصان
من أخصف وهو منقول من خصف أي يخلصان أنفسهما وقرئ يخلصان من خصف بالتشديد (من ورق الجنة)
قيل كان ورق التين (ألم أنهلك) عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة
إبليس وروى أنه قال لآدم ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن
ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذباً قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لاتنال العيش إلا كذا فأهبط وعلم
صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز ۝ وسميا ذنبيهما وإن كان صغيراً
مغفوراً ظلما لأنفسهما وقالوا (لنكونن من الخاسرين) على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات
واستصغارهم العظيم من الحسنات (اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وإبليس و(بعضكم لبعض عدو) في موضع الحال
أي متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه (مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع إلى حين) وانتفاع بعيش إلى
انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال
لها خلي ملائكة ربي فإني أصابني الذي أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدروترا وحفظته وكفنته
في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده ۝ جعل ما في الأرض
منزلاً من السماء لأنه قضى ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ۝ والريش لباس الزينة استعير من
ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباساً يورى سوا تكم ولباساً يزينكم لأن الزينة غرض صحيح كما
قال لتركبوها وزينة وإكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه وريشاً جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى)
ولباس الورع والخشية من الله تعالى وارتفاعه على الابتداء وخبره إما الجملة التي هي (ذلك خير) كأنه قيل ولباس التقوى
هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر وأما المفرد الذي هو خير وذلك صفة
للبدء كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون

دم عليه السلام
مرفعات ورفن

البدء ميعاداً فأسند التعبير بالمفاعلة والله أعلم ۝ قوله تعالى قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين (قال سمي ذنبيهما ظلماً وإن كان صغيراً مغفوراً الخ) قال أحمد وهذا أيضاً اهتزال خفي لأنهم يزعمون أن اجتناب
الكبائر يوجب تكفير الصغائر وإن لم يتب العبد منها فهذا معنى قول الرخصي وإن كان صغيراً مغفوراً وإنما سميت
هذا الاعتزال بالخفاء لأن هذا الكلام يستقيم وروده عن أهل السنة لكنهم يعنون بكونه مغفوراً أن الله تعالى تفضل
بغفرانه ولو شاء لآخذ به وإن كان الأنبياء معصومين من الكبائر لا كما يزعمه المهتزلة من وجوب مغفرته والله الموفق

مَنْ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ ثِيَابِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ

إشارة إلى اللباس الموارى للسوء لأن مواراة السوء من التقوى تفضيلاً له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خير مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وأبى ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفاً على لباساً وریشاً (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني إنزال اللباس (لعلهم يذكرون) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدر السوات وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى (لا يفتنكم الشيطان) لا يمتحنكم بأن لا تدخلوا الجنة كما يحن أبو بكر بأن أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما) حال أي أخرجهما نازعاً لباسهما بأن كان سبباً في أن نزع عنهما (إنه يراكم هو) تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه منزلة العدو المداحي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون. وعن مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤونة إلا من عصم الله (وقبيله) وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعى رؤيتهم زور ومخرقة (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سؤلوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول (فإن قلت) علام عطف وقبيله (قلت) على الضمير في يراكم المؤكدهم والضمير في أنه للشأن والحديث وقرأ البيهقي وقبيله بالنصب وفيه وجهان أن يعطفه على اسم إن وأن تكون الواو بمعنى مع وإذا عطفه على اسم إن وهو الضمير في أنه كان راجعاً إلى إبليس الفاحشة ما تبلغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاعتذروا بهم وبأن الله تعالى أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد التقليد ليس بطريق العلم والثاني افتراء على الله وإلحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما فعله لنقلنا عنه وعن الحسن إن الله تعالى بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم قذرة مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه

قوله تعالى «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم» (قال محمود وفيه دليل بين أنهم لا يرون الخ) قال أحمد أين يذهب به عما ورد في الحديث الصحيح من اعتراض إبليس رأسهم ومقدمهم النبي صلى الله عليه وسلم يروم أن يشغله عن صلواته حتى أمكنه الله منه فأخذ عليه الصلاة والسلام فدعته وأراد أن يربطه إلى سارية من سوارى المسجد يلعب به الصبيان حتى ذكر دعوة سليمان عليه السلام فتركه وإذا جاز ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام كان جائزاً لأولياء الله والمتبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كرامة لكن الزمخشري يصدّه عن ذلك جرده لكرامة الأولياء لأنه عقيدة إخوانه إذ الكرامة إنما يؤتاها الولي الصادق فكيف ينالها من يشك في إسلامه فإنهم انى عذر من جردها والتكذيب بها رزقنا الله الإيمان بالكرامات إن لم تكن لها أهلا والله الموفق قوله تعالى «وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون» (قال محمود وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما الخ) قال أحمد وهذا أيضاً من الاعتزال الخفي وغرضه أن يمهّد

(قوله من الدروع والجواشن والمغافر) قوله الجواشن هي ما يندسج من الدروع على قدر الصدر والمغافر ما يندسج منها على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة (قوله العدو المداحي يكيدكم) في الصحاح المداحاة المداواة يقال داجيته إذا داريته كأنك سائرته العداوة (قوله أي خلينا بينهم وبينهم) فسر الجعل بذلك لأنه تعالى لا يخاق الشر عند المعتزلة وعند أهل السنة بخلقه كالخير (قوله وهم قذرة مجبرة يحملون) أي كالمجبرة يعني أهل السنة لقولهم إن الله يريد الشر كالخير والإرادة هي الأمر عند المعتزلة لكنها غير عند أهل السنة فالفحشاء بإرادته تعالى لكنه لا يأمر بها وتحقيقه في التوحيد وقوله فعل القبيح مستحيل عليه أي عند المعتزلة دون أهل السنة

بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۝ يَبْنِي ۝ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ
لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ

قول الله تعالى (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) لأن فعل القبيح مستحيل
عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على
أن مبنى قولهم على الجهل المفروض وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت غرابة (بالقسط) بالعدل وبما قام في النفوس أنه مستقيم
حسن عند كل عيز وقيل بالتوحيد (وأقيموا وجوهكم) وقل أقيموا وجوهكم أي اقصدا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين
إلى غيرها (عند كل مسجد) في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلاة (وادعوه) واعدوه (مخلصين له الدين)
أي الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصا (كما بدأكم تعودون) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء
الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة (فريقا هدى) وهم الذين أسلموا أي وفقهم للإيمان
(وفريقا حق عليهم الضلالة) أي كلمة الضلالة وعلم الله أنهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل مضمرة
يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة (إنهم) إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين
أولياء) أي تولوهم بالطاعة فيما أمرهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم وأنهم هم الضالون باختيارهم
وتولاهم الشياطين دون الله (خذوا زينتكم) أي ريشكم ولباس زينتكم (عند كل مسجد) كلما صلتم أو طعمتم وكانوا
يطوفون عرابة. وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كانت أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد
وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت عنه لأنهم قالوا لا نبعده الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب
كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والمنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وكان بنوعا من أيام
حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فإننا أحق أن نفعل فقيل لهم
(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك خصلتان سرف
ومخيلة ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء
والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله تعالى
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم
الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمة رأس الداء وأعط كل بدن ماء وودته فقال النصراني
ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً (زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (والطيبات من الرزق) المستلذات من
الماء كل والمشارب ومعنى الاستفهام في من إنكار تحريم هذه الأشياء قبل كانوا إذا أحرزوا حزموا الشاة وما يخرج
منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هي الذين آمنوا في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها (خالصة)

قاعدة التحسين والتقييح ومراعاة الصلاح والأصلح واستحالة مخالفة ذلك على الله تعالى ولا يتم من ذلك غرض لأن المنكر
عليهم دعواهم أن الله تعالى أمرهم بالفحشاء وهم كاذبون في هذه الدعوى ولا يلزم من سلب الأمر الإرادة لأن الله تعالى

رَبِّ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ يَسْتَأْذِنُ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رِسَالٌ مِنْكُمْ بِقُصُوفٍ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أُصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتُوفَوْنَهُمْ قَالُوا إِنَّا بِنَاكُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۝ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ

لهم (يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد (فإن قلت) هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم (قلت) لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله تعالى ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر (الفواحش) ما تفاحش قبحه أي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج (والإثم) عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر (والبغي) الظلم والكبر أفرد به بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى (مالم ينزل به سلطاناً) فيه تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله) وأن تقولوا عليه وتفكروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم ۝ وقرئ فإذا جاء آجالهم وقال (ساعة) لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس يقول المستعجل نصاحبه في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه (إمّا يأتينكم) هي إن الشرطية ضمت إليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (فإن قلت) فما جزاء هذا الشرط (قلت) الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتيناكم بالناء (فمن أظلم) فمن أشنع ظلماً ممن يقول على الله مالم يقوله أو كذب ما قاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار (حتى إذا جاءتهم رسلنا) حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له أي إلى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي إذا جاءتهم رسلنا قالوا و (يتوفونهم) حال من الرسل أي متوفينهم والرسل ملك الموت وأعوانه ۝ وما وقعت مرصولة بأين في خط المصحف وكان حقها أن تفصل لأنها مرصولة بمعنى أين الآلهة الذين تدعون (ضلوا عنا) غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافاً منهم بأنهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وأنهم لم يحمده في العاقبة (قال ادخلوا) أي يقول الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افتري على الله كذباً أو كذب بآياته وهم كفار العرب (في أمم) في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين لهم أي أدخلوا في النار مع أمم (قد خلعت من قبلكم) وتقدم زمانهم زمانكم (لعنت أختها) التي ضلت بالافتداه بها (حتى إذا ادركوا فيها) أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار

يأمر بما لا يريد ويريد مالا يأمر به ۝ قوله تعالى قل إنما حزم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً الآية (قال في هذا تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره) قال أحد وإنما يعني التهكم منه لأن الكلام جرى مجرى ماله سلطان إلا أنه لم ينزل لأنه إنما نفي تنزيل السلطان به ولم ينف أن يكون به سلطان وكان أصل الكلام وأن تشركوا بالله ما لا سلطان به فينزل فيكون على طريقة ۝ على صاحب لا يهتدي بمناره

لَأُولَئِكَ رَبَّنَا هَوْلًا أَضَلُّونَا فَتَاتَهُمْ عَذَابًا ضَعِيفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضَعِيفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝ وَقَالَتْ
 أُولَئِكَ لَأُخْرِمَهُنَّ مِمَّا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا
 بَيِّنَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ
 نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ۝ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ نَفْسًا إِلَّا وَسِعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
 غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ

(قالت أحرام) منزلة وهي الاتباع والسفلة (لاولاهم) منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان
 خطابهم مع الله لا معهم (عذابا ضعفا) مضاعفا (لكل ضعف) لان كلام القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين (ولكن
 لاتعلمون) قرئ بالياء والتاء (فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أى
 فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضعف (فذوقوا العذاب) من قول القادة أو من قول الله لهم
 جميعا (لاتفتح لهم أبواب السماء) لا يصعد لهم عمل صالح إليه يصعد الكلم الطيب كلا إن كتاب الأبرار لاني عليين وقيل
 إن الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا
 كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح
 بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات والياء على أن الفعل لله عز وجل ۝ وقرأ ابن
 عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبیر الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن
 الجمل ومعناها القمل الغليظ لأنه جبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضى الله عنه إن الله أحسن تشبيها
 من أن يشبه بالجمل يعنى أن الجمل مناسب للخيط الذى يسلك في سم الإبرة والبعر لا يناسبه إلا أن قراءة العامة أوقع
 لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك يقال أضيق من خرت الإبرة وقالوا للدليل الماهر خربت للاهتداء به في المضائق
 المشبهة بأخرات الإبر والجمل مثل في عظم الجرم قال

۝ جسم الجمل وأحلام العصافير ۝

إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبداً من نوح هذا الحيوان الذى
 لا يابح إلا في باب واسع في ثقب الإبرة وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالاً للسائل وإشارة إلى أن طلب
 معنى آخر تكلف ۝ وقرئ في سم بالحركات الثلاث ۝ وقرأ عبد الله في سم الخيط والخياط والخيط كالخزام والمخزم ما يخاط به
 وهو الإبرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزي المجرمين) ليؤذن أن الإجمام هو السبب الموصل إلى العقاب
 وأن كل من أجرم عوقب وقد كثره فقال (كذلك نجزي الظالمين) لأن كل مجرم ظالم لنفسه (مهاد) فراش (غواش) غطية
 أعطية وقرئ غواش بالرفع كقوله تعالى ۝ وله الجوار المنشآت ۝ في قراءة عبد الله (لأنكلف نفساً إلا وسعها) جملة معترضة بين
 المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتسبه وصف الواصف من النعم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان
 الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح وقرأ الأعمش لا تكلف نفس ۝ من كان في قلبه غل على أخيه في الدنيا نزع منه
 فسلبت قلوبهم وظهرت ولم يكن بينهم إلا التواد والتعاطف وعن علي رضى الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة
 والزبير منهم (هدانا لهذا) أى وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح (وما كنا لنهتدي)

سورة الأعراف
رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ وَنَادَىٰ اصْحَابَ الْجَنَّةِ اصْحَابَ النَّارِ
أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ ۖ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۖ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى

اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف أهل الشام ما كنا لنهتدى
بغيره وأعلى أنها جملة موصحة الأولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لنا لطفاً وتنبها على الاهتداء فاهتدينا بقولون ذلك
سروراً واغتياباً بما نالوا وتلذذاً بالتكلم به لا تقرباً وتعبداً كما ترى من رزق خيراً في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن
لا يقوله للفرح لا للقرنة (أن تلکم الجنة) أن مخففة من الثقيلة تقدیره ونودوا بأنه تلکم الجنة (أورثتموها) والضمير ضمير الشأن
والحديث أو تكون بمعنى أي لأن المناداة من القول كأنه قيل وقيل لهم أي تلکم الجنة أورثتموها (بما كنتم تعملون) بسبب
أعمالكم لا بالفضل كما تقول المبطله ۖ أن في (أن قد وجدنا) يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي
سبقت آتفا وكذلك (أن لعنة الله على الظالمين) وإنما قالوا لهم ذلك اغتياباً بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم
ولتكون حكاية لطفاً لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع

ۖ قوله تعالى « وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا
أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » (قال محمود اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم الخ) قال أحمد وهذه
تكفح وجوه القدرية بالرّد فإنها شاهدة شاهدة تامة مؤكدة باللام على أن المهتدى من خلق الله له الهدى وأن غير ذلك
محال أن يكون فلا يهتدى إلا من هدى الله ولو لم يهده لم يهتد وأما القدرية فيزعمون أن كل مهتد خلق لنفسه الهدى
فهو إذا مهتد وإن لم يهده الله إذ هدى الله للعبد خلق الهدى له وفي زعمهم أن الله تعالى لم يخلق لأحد من المهتدين الهدى
ولا يتوقف ذلك على خلقه تعالى الله عما يقولون ولما فطن الزمخشري ذلك جرى على عادته في تحريف الهدى من الله تعالى
إلى اللطف الذي يسيبه يخاق العبد الاهتداء لنفسه فأنصف من نفسك وأعرض قول القائل المهتدى من اهتدى بنفسه من
غير أن يهديه الله أي يخلق له الهدى على قوله تعالى حكاية عن قول الموحدين في دار الحق وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا
الله وانظر تباين هذين القولين أعنى قول المعتزلي في الدنيا وقول الموحدين في الآخرة « في مقعد صدق » واختر لنفسك
أي الفريقين تقتدى به وما أراك والحطاب لكل عاقل تعدل بهذا القول المحكي عن أولياء الله في دار السلام منوهاً به
في الكتاب العزيز قول قدرى ضال تذبذب مع هواه وتعصبه في دار الغرور والزوال نسأل الله حسن المآب والمآل
ۖ عاد كلامه (قال وقوله تعالى ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) المراد بسبب أعمالكم لا بالفضل كما
تقول المبطله) قال أحمد يعنى بالمبطله قوما سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل
الله وبرحمته قيل ولأنت يا رسول الله قال ولأنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فقالوا صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهوؤلاءهم أهل السنة قيل لهم فما معنى قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون قالوا الله تفضل
بأن جعل الجنة جزاء العمل فضلاً منه ورحمة لأن ذلك مستحق عليه وواجب للعبادة وجوب الديون التي لا اختيار
في أدائها جمعاً بين الدليلين على وجه يطابق دليل العقل الدال على أن الله تعالى يستحيل أن يجب عليه شيء فانظر أباها
المنصف هل تجد في هذا الكلام من الباطل ما يوجب أن يلقب أصحابه بالمبطله وحاكم نفسك إليهم إذا وضع لك أنهم
برآء في هذا البر فاعرضه على قوم زعموا أنهم يستحقون على الله تعالى حقاً بأعمالهم التي لا ينفع بوجودها ولا يتضرر
بتركها تعالى وتقدس عن ذلك ويطلقون القول بلسان الجراءة أن الجنة ونعيمها أقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى
لا تفضل لهم عليهم فيه بل هو بمثابة دين تقاضاه بعض الناس من مديانه وانظر أي الفريقين المذكورين أحق بلقب المبطله والسلام ۖ

الْأَعْرَافِ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلَّا بِسِيمِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمِ عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ه
وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلَقَّاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ه وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ
رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ ه أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ
اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا يَخُوفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ه وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا

أهل الجنة وأهل النار وقرئ أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الأعمش إن لعنة الله بكسر إن على إرادة القول أو على إجراء أذن مجرى قال ه (فإن قلت) هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا (قلت) حذف ذلك تخفيفاً للدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعد كله مساهم ومانع أهل الجنة لإعذابهم فأطلق لذلك (وبينهما حجاب) يعني بين الجنة والنار وبين الفريقين وهو السور المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور (وعلى الأعراف) وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رجال) من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة (يعرفون كلا) من زمر السعداء والأشقياء (بسيماهم) بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها يلهمهم الله ذلك أو تعرفهم الملائكة ه إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم (وإذا صرقت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاضوا بالله وفضعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم ه ونادوا رجلا من رؤس الكفرة يقولون لهم (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة (ادخلوا الجنة) يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفونهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر على حسبها وأن أحدا لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيردع المسيء عن إساءته ويزيد المحسن في إحسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا وقوله وإذا صرقت أبصارهم فيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعينوا ويوبخوا ه وقرأ الأعمش وإذا فلبت أبصارهم ه وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة ه (فإن قلت) كيف لام هاتين القرامتين قوله (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (قلت) تأويله ادخلوا أو دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ه فإن قلت : ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون (قلت) لا محل له لأنه استئناف كأن سائلا سأل عن حال أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم يياسوا ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال ه ما أغنى عنكم جمعكم المال

عاد كلامه (قال فإن قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا الخ) قال أحمد ولقائل أن يقول ولو ذكر المفعول حسب ذكره في الأول فقيل فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا لكان الفعل مطلقا أيضا باعتبار الموعد به لا لم يذكر فكان يتناول كل موعد من البعث والحساب والعقاب الذي هو أنواع من جملتها التحسر على نعيم أهل الجنة فليس ذلك خاصا بحذف المفعول الواقع على الموعدين فالوجه أن حذفه إيجاز وتخفيف واستغناء عنه بالأول والله أعلم

(قوله كما تقول المبطله) يريد أهل السنة القائلين دخولها بالفضل واقتسامها بالأعمال كما في الحديث

مَنْ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ إِنْ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسُوهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ وَلَقَدْ جِئْتُم بِكِتَابٍ
 فَصَّانِهِ عَلَى عِلْمٍ هَدَىٰ وَرَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ
 قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدِّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ
 وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ

أو كثرتكم واجتماعكم ۝ وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكبرون من الكثرة (أفيضوا
 علينا) فيه دليل على أن الجنة فوق الار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة ويجوز أن
 يراد أو القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله ۝ علفتها تبنا وماء باردا ۝ وإنما يطلبون ذلك مع بأسهم
 من الإجابة اليه حيرة في أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن (حرمهما على الكافرين) منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع
 المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله ۝ حرام على عيني أن تطعم الكرى ۝ (فالיום نساها) نفعل بهم فعل الناسين الذين
 ينسون عييدهم من الخير لا يذكرونهم به (كما نسوا لقاء يومهم هذا) كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطر به بالهم ولم
 يهتموا به (فضلناه على علم) عالين كيف تفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكما قيا غير ذي عوج
 وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالين أنه أهل للتفضيل عليها (وهدي برحمة) حال
 من منصوب فضلناه كما أن على علم حال من مرفوعه (إلا تأويله) لإعاقبة أمره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحته
 ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أي تبين وصح أنهم جاؤا بالحق (نرد) جملة معظوفة على الجملة
 التي قبلها داخله معها في حكم الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقرعه وقعا يصلح للاسم كما تقول
 ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبي إسحق أو نرد
 بالنصب عطفاً على فيشفعوا لنا أو تكرون أو بمنى حتى أن أي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع
 فنعمل بمعنى فنحن نعمل (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) وقرئ يغشى بالتشديد أي يلحق الليل بالنهار أو النهار بالليل
 يحتملها جميعاً والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أي يدرك
 النهار الليل ويطلبه حثيثاً حسن الملازمة لقراءة حميد (بأمره) بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات أي خلقهن جاريات
 بمقتضى حكمته وتدييره وكما يريد أن يصرفها سمي ذلك أمراً على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك ۝ وقرئ والشمس
 والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ۝ ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال (ألا له الخلق والأمر) أي هو الذي
 خلق الأشياء كلها وهو الذي صرفها على حسب إرادته (تضرعاً وخفية) نصب على الحال أي ذوى تضرع وخفية ۝
 وكذلك خوفاً وطمعاً والتضرع تفعل من الضراعة وهو الذل أي نذللاً وتلقاً ۝ وقرئ وخفية وعن الحسن رضي الله عنه

۝ قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعاً وخيفة لأنه لا يحب المعتدين (قال التضرع تفعل من الضراعة وهي الذل الخ) قال أحمد.

(قوله وقرئ وخفية) لعل هذه بالكسر

بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سَقَنَّهُ لِبَلَدٍ مَّيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَالْبَلَدِ الطَّيِّبِ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ

إن الله يعلم القلب النقي والدعاء الخفي إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وإن كان الرجل لا يصل الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدر على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدأ ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد أتى على ذكره يافقا إذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا (إنه لا يجب المعتدين) أي المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء وكروه وبدعة وقيل هو الإسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ قوله تعالى إنه لا يجب المعتدين (إن رحمة الله قريب من المحسنين) كقوله وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا. وإنما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لانه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذلك به فقيل قتلاه وأسراه أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي ۝ قرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه إقلا لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا وإقلا على الحال بمعنى منشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنفق وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشر أجمع بشير وبشرأ بتخفيفه وبشرأ بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره أي باشرته وبشرى (بين يدي رحمة) أمام رحمة وهي الغيث الذي هو من أتم النعم وأجلها وأحسنها أثرا (أقلت) حملت ورفعت واشتقاق الإقلال من القلة لأن الرفع المطبق يرى الذي يرفعه قليلا (سحابا ثقالا) سحابا ثقالا بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كالحمل الوصف على اللفظ لقليل ثقيل (بلد ميت) لاجل بلد ليس فيه حياة وسقيه وقرئ ميت (فأنزلنا به) بالبداء أو بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فأخرجنا به) كذلك) مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات (نخرج الموتى لعلكم تذكرون) فيؤذيكم التذكير إلى أنه لا فرق بين الإخراجين إذ كل واحد منهما إعادة للشيء بعد إنشائه (والبلد الطيب) الأرض العذبة الكريمة التربة (والذي خبث) الأرض السبخة التي لا تنبت ما ينفع به ۝ بإذن ربه : بتيسيره وهو في موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا وإفلا أنه واقع

وحسبك في تعيين الأسرار في الدعاء اقتارانه بالتضرع في الآية فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله في الدعاء وإن دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى فكذلك دعاء لا خفية ولا وقار يصحبه وترى كثيرا من أهل زمانك يعتمدون الصراخ والصياح في الدعاء خصوصا في الجوامع حتى يعظم اللغط ويشتد وتستد المسامع وتسنك وتهتز الداعي بالناس ولا يعلم أنه جمع بين بدعتين رفع الصوت في الدعاء وفي المسجد وربما حصلت للعوام حينئذ رقة لا تحصل مع خفض الصوت ورعاية سمع الوقار وسلك السنة الثابتة بالآثار وما هي إلا رفة شبيهة بالرفة العارضة للنساء والأطفال ليست خارجة عن صميم الفؤاد لأنها لو كانت من أصل لكانت عند اتباع السنة في الدعاء وفي خفض الصوت به أوفر وأوفى وأزكى فما أكثر التباس الباطل بالحق على عقول كثير من الخلق اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه

(قرله هو النقيض والضغيب) هو صوت العقاب وصوت الحمل والضغيب صوت الأرنب

(قوله الأرض العذبة الكريمة التربة) العذبة يفسره ما بعده كما يفيد الصحاخ

نَصَّرُفِ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ
وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَلْبَلَّغْتُكُمْ رَسُولًا مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوْعَجِبْتُمْ

في مقابلة (نكدأ) والنكد الذي لاخريفه ۝ وقرئ يخرج نباته أي يخرج به البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه
والبلد الخبيث لا يخرج نباته إلا نكدأ مخذف المضاف الذي هو النبات وأقيم المضاف اليه الذي هو الراجع إلى البلد مقامه
إلا أنه كان مجروراً بارزاً فانقلب مرفوعاً مستكناً لوقوعه موقع الفاعل أو يقدر ونبات الذي خبث ۝ وقرئ نكدأ
بفتح الكاف على المصدر أي ذا نكد ونكدأ بإسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل من ينجع فيه
الوعظ والتنبية من المكافين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن
سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به كالارض الطيبة أصابها الغيث فأنبت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع
على أثر ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كذلك) مثل ذلك التصريف (نصرف
الآيات) نرددها ونسكرتها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء
أي يصرفها الله (لقد أرسلنا نوحاً) جراب قسم مخدوف (فإن قلت) ما لم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع قد وقل
عنهم نحو قوله : ۝ حلفت لها بالله حلفة فاجر ۝ لنا وما (قلت) إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية لا تساق
إلا توكيداً للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم
قيل أرسل نوح عليه السلام وهو ابن خمسين سنة وكان نجاراً وهو نوح بن ملك بن متوشاخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم
إدريس النبي عليه السلام ۝ وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم إليه غيره والجزء على اللفظ
والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من إله إلا إياه كقوله ما في الدار من أحد إلا زيداً وغير زيد (فإن قلت) فما
موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله (قلت) الأولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي إلى عبادته لأنه
هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله ۝ واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو
الطوفان (الملا) الأشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء (في ضلال) في ذهاب عن طريق الصواب والحق ۝
ومعنى الرؤية رؤية القلب ۝ (فإن قلت) لم قال (ليس بي ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا (قلت) الضلالة أخص من
الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك ألك تمر فقلت مالي
تمر ۝ (فإن قلت) كيف وقع قوله (ولكنني رسول) استدراكاً للانتفاء عن الضلالة (قلت) كونه رسولا من الله مبلغاً
رسالاته ناصحاً في معنى كونه على الصراط المستقيم فصيح لذلك أن يكون استدراكاً للانتفاء عن الضلالة ۝ وقرئ أبلغكم

قوله تعالى « قال الملا من قومه إننا نراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكنني رسول من رب العالمين » (قال إن
قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال الخ) قال أحمد تعليقه كون نفي الضلال بأنها أخص منه غير
مستقيم والله أعلم فإن نفي الأخص أعم من نفي الأعم فلا يستلزمه ضرورة أن الأعم لا يستلزم الأخص بخلاف
العكس ألا تراك إذا قلت هذا ليس بإنسان لم يستلزم ذلك أن لا يكون حيواناً ولو قلت هذا ليس بحيوان لا يستلزم أن لا يكون
إنساناً فنفي الأعم كما ترى أبلغ من نفي الأخص والتحقيق في الجواب أن يقال الضلالة أدنى من الضلال وأقل لآها
لا تطلق إلا على الفعلة الواحدة منه وإنما الضلال فينطلق على القليل والكثير من جنسه ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى
لامن حيث كونه أخص وهو من باب التنبية بالأدنى على الأعلى والله أعلم ۝ قوله تعالى ولكنني رسول من رب

أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۖ فَكَذَّبُوهُ فَأَجْبِنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ۖ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۖ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْيٰسُورِينَ

بالتخفيف (فإن قلت) كيف موقع قوله أبلغكم (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون كلاماً مستأنفاً بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني أن يكون صفة لرسول (فإن قلت) كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظ الغائب (قلت) جاز ذلك لأن الرسول وقع خبراً عن ضمير المخاطب وكان معناه كما قال ۖ أنا الذي سمعت من أمي حيدر ۖ (رسالات ربي) ما أوحى إلي في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والذمائر ويجوز أن يربط رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله من صحف جده إدريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة (وأنصح لكم) يقال نصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إحاطة النصيحة وأنها وقعت خالصة للنصوح له مقصوداً بها جانبه لا غير قريب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعاً ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى ورسوله عليهم السلام (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي من صفات الله وأحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما عليه نوح يوحى إليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحى إلي بها (أو عجبتم) الهمة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أ كذبتم وعجبتم (ان جاءكم) من أن جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسالك وذلك أنهم يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى يعنون لإرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة لينذركم ولتتقوا) ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار (ولعلكم ترحمون) ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم (والذين معه) قيل كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافت وستة من آمن به ۖ (فإن قلت) (في الفلك) هم يتعاق (قلت) هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقرؤا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أي أنجيناكم في السفينة من الطوفان (عمين) عني القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمى والعمى يدل على عمى ثابت والعمى على عمى حادث ونحوه قوله وضائق به صدرك (أخاهم) واحداً منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحداً منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن صالح بن أرغش بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا و (هوداً) عطف بيان له ۖ (فإن قلت) لم حذف العاطف من قوله (قال يا قوم) ولم يقل فقال كما في قصة نوح (قلت) هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فتيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملاء) (فإن قلت) لم وصف الملاء (الذين كفروا) دون

العالمين أبلغكم رسالات ربي الآية (قال إن قلت كيف موقع قوله أبلغكم قلت فيه وجهان الخ) قال أحمد وقد استدرك ابن جنى قوله أبي الطيب ۖ أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ۖ عدولاً عن لفظ الغيبة لو كان إلى أدبه وهذه الآية والرجز العلوي كفيلاً بتحسين ما ارتكبه أبو الطيب (قال فإن قلت لم حذف العاطف من قوله تعالى في قصة هود هذه قال يا قوم ولم يقل فقال قلت لأنه أخرج الكلام جواباً عن سؤال سائل كأنه قيل فما قال هود حينئذ قيل قال يا قوم وكذلك قال الملاء) قال أحمد وحذف العاطف من المقالة ألا ترى قوله في سورة الشعراء حكاية عن تقاؤل موسى عليه السلام وفرعون كيف أسقط ذكر العاطف منه على كثرة الأقوال المعدة فيها والسر في ذلك والله أعلم أن العاطف ينظم الجمل حتى يصيرها كالجمل الواحد فاجتنب لإرادة استقلال كل واحدة منها في معناها والله أعلم

الْكٰذِبِيْنَ ۝ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۝ اَبْلَغُكُمْ رِسٰلَتِ رَبِّيْ وَاَنَا لَكُمْ نٰصِيْحٌ
 اٰمِيْنٌ ۝ اَوْعَجِبْتُمْ اَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوْا اِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنْۢ بَعْدِ قَوْمِ
 نُوحٍ وَّزَادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَسۜطَةً فَاذْكُرُوْا اِلٰهَآءَ اللّٰهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُوْنَ ۝ قَالُوْا اٰجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّٰهَ وَحٰدَهُ وَنَذَرَ
 مَا كَانَ يَعْبُدُ اٰبَاؤُنَا فَاَتٰنَا بِمَا تَعَدُّنَا اِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ۝ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ
 اَتَّجِدُلُوْنِيْ فِى السَّمَآءِ سَمِيْتُمُوْهَا اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ فَاَنْتَظِرُوْا اِلَيَّ مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِيْنَ ۝

الملا من قوم نوح (قلت) كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت
 التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا
 بلفظ الآخرة ويجوز أن يكون وصفاً وارداً للذم لا غير (في سفاهة) في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى
 دين آخر وجعلت السفاهة ظرفاً على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها وفي إجابة الانبياء عليهم السلام
 من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قال لهم مع
 علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعلم لعباده كيف
 يخاطبون السفهاء وكيف يفضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (ناصر أمين) أي عرفت فيما بينكم بالنصح
 والامانة فما حفي أن أتهم أو أنا لكم ناصر فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أ كذب فيه (خلفاء من بعد قوم
 نوح) أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكاً في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم (في الخلق بسطة) فيما خلق من
 أجرامكم ذهاباً في الطول والبدانة قبل كان أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة ذراع (فاذكروا آلاء الله) في استخلافكم
 وبسطة أجرامكم ومساوئها من عطاياها وواحد الآلاء إلا نحولاني وإناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب (فإن قلت)
 إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ماوجه اتصابه (قلت) هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم (أجئتنا
 لنعبد الله وحده) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حياً
 لما نشأوا عليه وألفاً لما صادفوا آباءهم يتدينون به (فإن قلت) ما معنى المجيء في قوله أجئتنا (قلت) فيه أوجه أن يكون
 لهود عليه السلام مكان منزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجراهم قبل المبعث فلما
 أوحى إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم
 قالوا أجئتنا من السماء كما يحيى الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصص كما يقال ذهب يشتري
 ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك (فأتنا بما تعدنا) استعجال
 منهم للعذاب (قد وقع عليكم) أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع
 ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبدالرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء
 يكي فقال له يابني مالك قال لسعني طوير كأنه ملتف في بردى حبرة فضمه إلى صدره وقال له يابني قد قلت الشعر والرجس
 العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (في أسماء سميتوها) في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها
 آله ومعنى الآلهة فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله تعالى مائدعون من دونه من شيء ومعنى سميتوها سميتهم بها من
 سميتهم زبداً وقطع دابرهم استنصالحهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عاد قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان
 وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداد وصمود والهباء فبعث الله إليهم هوداً نبياً وكان من أوسطهم وأفضلهم

(قوله في بردى حبرة فضمه) حبرة كعنبه بردى ما في صحاح

فَاتَّخِذْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ٥ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ

حسباً فكذبوه وازدادوا عتواً وتجبوا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله تعالى الفرج منه عند بيته المحرم مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العمالق أولاد عمليق بن لاوذين سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهازت عاد إلى مكة من أمثالهم سبعين رجلاً منهم قيل بن عنز ومرشد بن سعد الذي كان يكتنم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً عن الحرم فأرلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذوولهم باللهو عمما قدموا له أهمه ذلك وقال قد ملك أخوالي وأصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحى أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للفتنين فقالنا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية ألا يا قبايل ويحك قم فمبهم ٥ لعل الله يسقينا غمماً ما ٥ فيسقى أرض عاد إن عاداً ٥ قد امسوا ما يبذون الكلاما فلما غتا به قالوا إن قومكم يتغوثنون من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرشد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرشدا لا يقدم معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم فأنشا الله تعالى سحاباً ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء يا قبايل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض مطرنا اخترت منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا ٥ (فإن قلت) ما فائدة نفي الإيمان عنهم فى قوله (وما كانوا مؤمنين) مع إثبات الكذيب آيات الله (قلت) هو تعريض بمن آمن منهم كمرشد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين ٥ قرئى وإلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحى أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقله ماؤها من الندى وهو الماء القليل وكانت مسأكنهم الحجر بين الشام والحجاز إلى وادى القرى (قد جاءكم بينة) آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتى ٥ وكأنه قيل ما هذه البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير إليها آية ولكم بيان لمن هى له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصاً وإنما أضيفت إلى اسم الله تعظيماً لها وتفخيماً لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير خل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروى أن عاداً لما أهلكت عمرت ثود بلادها وخلفوهم فى الأرض وكثروا وعمروا أعماراً أطوالاً حتى أن الرجل كان يبنى المسكن المحكم فيندم فى حياته ففتحوا البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش ففتوا على الله وأفسدوا فى الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله تعالى إليهم صالحاً عليه السلام وكانوا قوماً عابوا وصالح من أوسطهم نسباً فدعاهم إلى الله تعالى فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فأنذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال آية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعوا إلهك وتدعوا آلتهنا فإن استجب لك اتبعناك وإن استجب لنا اتبعنا فقال صالح نعم تخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاتبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجبتناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المرائق لأن فعلت ذلك لثؤمن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعاه به فتمحضت الصخرة تمحض التوج بولدها فأنصدمت عن ناقة

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْعَذَابِ ۖ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ
بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ
وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ

عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم تنجحت ولدا مئاثم في العظم فأمن به جند غ
وردهط قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا
فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تنفجج فيختابون ماشاؤا حتى تمتلئ أو انهم
فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الأشعري آتيت أرض ثمود فذرعيت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة
إذا رقع الحز تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا رقع البرد تشتت بطن الوادي فتهرب مواشيهم
إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عزيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيها
وكانا كثيرتي المواشي فعقروها واقسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبا حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا وكان صالح
قال لهم أدر كرا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدرُوا عليه وانفجت الصخرة بعد رغانه فدخلها فقال لهم
صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعده غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصحبكم العذاب
فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر
وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (تأكل في أرض الله) أي الأرض أرض الله والناقة
ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من أنباتكم (ولا تمسوها بسوء) لا تضربوها
ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الأذى إكراما لآية الله ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر
في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا
بأكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي أتدرى من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال
عاقر ناقة صالح أتدرى من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية تأكل في أرض الله
وهو في موضع الحال بمعنى آكلة (وبوأكم) ونزلكم والمبائة المنزل (في الأرض) في أرض الحجر بين الحجاز والشام (من
سهولها قصورا) أي تبنيونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ الحسن وتحتون
بفتح الحاء وتحتون بإشباع الفتحة كقوله ۖ ينباع من ذفرى أسيل حزة ۖ (فإن قلت) علام انتصب (بيوتا) (قلت)
على الحال كما تقول خط هذا الثوب قيصا وابر هذه القصة قلسا وهي من الحال المقدرة لأن الجبل لا يكون بيتا في حال
النحت ولا الثوب ولا القصة قيصا وقلبا في حال الخياطة والبرى وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال
في الشتاء (الذين استضعفوا) الذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم و (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا
(فإن قلت) الضمير في منهم راجع إلى ماذا (قلت) إلى قومه أو إلى الذين استضعفوا (فإن قلت) هل لاختلاف
المرجعين أثر في اختلاف المعنى (قلت) نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن

قوله تعالى ۖ قال الملا الذين استكبروا من قومه الذين استضعفوا لمن آمن منهم ۖ (قال محمود إن قلت الضمير في منهم
راجع إلى ماذا قلت إلى قومه الخ) قال أحمد فقوله لمن على الأول بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة وعلى الثاني

(قوله ثم تنفجج فيختابون) تنفجج أي تفرج ما بين رجلها (قوله وانفجت الصخرة) انفجت أي انفجحت (قوله من
الرهص واللبن والآجر) الرهص هو الصخر الثابت في أسفل الحائط اه من الصجاج

أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مَرَّسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝ قَالَ الَّذِينَ أُسْتُكْبِرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ اتِّتْنَا بِمَنَّا تَعَدْنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَآخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ۝ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ۝ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقْتُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝

استضعف منهم فدلّ أن استضعافهم كان مقصوراً على المؤمنين وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصوراً عليهم ودلّ أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه) شيء قالوه على سبيل الطائر والسخرية كما تقول للجسمنة أتعلمون أن الله فوق العرش (فان قلت) كيف صحّ قولهم (إنا بما أرسل به مؤمنون) جواباً عنه (قلت) سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمراً معلوماً مكشوفاً مسلماً لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به مالا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فتخبركم أنا به، ومؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة (إنا بالذي آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتهم به موضع أرسل به رداً لما جعله المؤمنون معلوماً وأخذوه مسلماً (فعقروا الناقة) أسند العقير إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما فعله إلا واحد منهم (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا عن أمثاله عاتين وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن أمري (اتقنا بما تعدنا) أرادوا من العذاب وإنما جاز الإطلاق لأنه كان معلوماً واستعجابهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين (الرجفة) الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها (في دارهم) في بلادهم أوفى مساكنهم (جاثمين) هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم أي قعود لأحراكهم ولا ينبسون نسبة ومنه الجثمة التي جاء النهى عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمي وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم إلا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذلك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروى أن صالحاً كان بعثه إلى قوم يخالف أمره وروى أنه عليه السلام من بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه عصى من ذهب فابتدروه وبحشوا عنه بأسيا فهم فاستخرجوا العصى (فتولى عنهم) الظاهر أنه كان شاهداً لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعد ما أبصرهم جاثمين تولى معتم متحسراً على ما فاته من إيمانهم يتجزن لهم ويقول (يا قوم لقد) بذلك فيكم وسعى ولم آل جهداً في إبلاغكم والنصيحة لكم ولسكنكم (لا تحبون النصيحة) ويجوز أن يتولى عنهم تولى ذاهب عنهم منكر لإصرارهم

بدل بعض من كل (قال محمود فإن قلت كيف وقع قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جواباً الخ) قال أحد وقولهم إنا به مؤمنون ليس إخباراً عن وجوب الإيمان به بل عن أمثال الواجب والعمل به ونحن قد أمثلنا (عاد كلامه قال محمود ولذلك كان جواب الكفرة إنا بالذي الخ) قال أحد ولو طابقوا بين الكلامين لكان مقتضى المطابقة أن يقولوا إنا بما أرسل به كافرون ولكن أبو ذلك حذراً عما في ظاهره من إثباتهم لرسالته وهم يحدونها وقد يضر مثل ذلك على سبيل التكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون فأنبت إرساله تهكماً وليس هذا موضع التكم فإن الغرض إخبار كل واحد من الفريقين المؤمنين والمكذبين عن حاله فهذا خاص الكافرون قولهم عن إشعار الإيمان بالرسالة احتياطاً للكفر وعلواً في الإصرار

(قوله على سبيل الطائر والسخرية) قوله الطائر تفسيره ما بعده (قوله وبما أرسل به مالا كلام فيه) لعله بما

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۚ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ۚ فَانجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۚ وَأَمْطَرْنَا

حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروى أن عقربهم الافة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعاً فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفاً وخمسة مائة دار وروى أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (فإن قلت) كيف صحّ خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين (قلت) قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه حياً فلم يسمع منه حتى أتى بنفسه في التهلكة يا أخى كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل منى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية (ولوطاً) وأرسلنا لوطاً و (إذ) ظرف لأرسلنا أو واذكر لوطاً وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت (قال لقومه أتأتون الفاحشة) أتفعلون السيئة المنهادية في القبح (ما سبقكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعدي من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة (من أحد من العالمين) من الأولى زائدة لتوكيد اللفظ وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض (فإن قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أو لا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها أو على أنه جواب السؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتها فقال ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به (أنتم لتأتون الرجال) بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للإنكار والتعظيم وقرئ إنكم على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها (شهوة) مفعول له أى للاشتهاء لاحمال لكم عليه إلا يجزى الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعى لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أوحال بمعنى مشتبهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى الساجدة (بل أنتم قوم مسرفون) أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود فى كل شىء فمن ثم أسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا) يعنى ما أجابوه بما يكون جواباً عما كلمهم به لوط عليه السلام من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذى هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤا بشىء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجراً بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم (أنهم أناس يتطهرون) سخريه بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخاراً بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصالحاء إذا وعظهم أبعثوا عنا هذا المتكشف وأريحونا من هذا المتزهد (وأهله) ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين (من الغابرين) من الذين غبروا فى ديارهم أى بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كفرة موالية لاهل سدوم وروى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت ۚ وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروى أن تاجر منهم كان فى الحرم فوقف له الحجر أربعين يوماً حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه ۚ (فإن قلت) أى فرق بين مطرواً ومطر (قلت) يقال مطرتهم السماء وواد بمطور وفى نوابغ الكلم حرى غير بمطور حرى أن يكون غير بمطور

ۚ قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطراً (قال يقال مطرتهم السماء وواد بمطور الخ) قال أحمد مقصود المصنف الرد على من

(قوله أبعثوا عنا هذا المتكشف) المتكشف هو الذى يتباغ بالقوت وبالمرقع من الكشف وهو التغير من الشمس أو الفقر اه (قوله من ذويه أو من المؤمنين) يعنى أقاربه وامراته (قوله حرى غير بمطور حرى أن يكون غير بمطور) حرى الأول بمعنى ناحية وجانب والثانى بمعنى جدير وحقيق ومطور الأول بمعنى مصاب بالمطر والثانى بمعنى مذهب فيه

عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَإِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَافُوفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

ومعنى مطرتهم أصابتهم بالمطر كقولهم غاتتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم لإرسال المطر فأمطر علينا حجارة من السماء وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى (وأمطرنا عليهم مطراً) وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيباً يعنى الحجازة الأثرى إلى قوله فساء مطر المنذرين ۝ كان يقال اشعيب عليه السلام خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بنخس للسكايل والموازن (قد جاءكم بينة من ربكم) معجزة شاهدة بصحة نبوتى أوجبت عليكم الإيمان بي والاختد بما أمركم به والانتها عما أنهاكم عنه فأوفوا ولا تبخسوا (فإن قلت) ما كانت معجزته (قلت) قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءكم بينة من ربكم ولأنه لا يدعى النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلام تصح دعواه وكان متنبأً لأنبياء غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روى من محاربة عصى موسى عليه السلام التين حين دفع إليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها ووقوع عصى آدم عليه السلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب ۝ (فإن قلت) كيف قيل (الكيل والميزان) وهلا قيل المكيل والميزان كما في سورة هود عليه السلام (قلت) أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيل أو سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كما يعادو الميلاد بمعنى المصدر ۝ ويقال بنخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للكبس البنخس وفي أمثالهم تحسنا حقاء وهى باخس وقيل (أشياءهم) لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبيعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئاً إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرميين وروى أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هى زيوف فقطعوا قطعاً ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفاً (بعد إصلاحها) بعد الإصلاح فيها أى لا تفسدوا فيها بعدما أصاح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم وإضافته كإضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكرم في الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف (ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البنخس والإفساد فى الأرض أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى (خير لكم) يعنى فى الإنسانية وحسن الأحذثة وما تطلبونه من التكسب والترجى لأن الناس أرغب فى متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والسوية (إن كنتم مؤمنين) إن كنتم مصدقين لى فى قولى ذلكم خير لكم (ولا تقعدوا بكل صراط) ولا تقعدوا بالشيطان فى قوله لا تقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أى بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله (وتصدون عن سبيل الله) ۝ ومحل تواعدون وما عطف عليه النصب على الحال أى ولا تقعدوا

يقول مطرت السماء فى الخير وأمطرت فى الشر ويتوهم أنها تفرقة وضعية فبين إن أمطرت معناه أرسلت شيئاً على نحو المطر وإن لم يكن ماء حتى لو أرسل الله من السماء أنواعاً من الخيرات والأرزاق مثلاً كالمن والسلوى لجاز أن يقال فيه أمطرت السماء خيرات أى أرسلتها إرسال المطر فليس للشر خصوصية فى هذه الصيغة الرباعية ولكن اتفق أن السماء لم ترسل شيئاً سوى المطر إلا وكان تذاباً فظن الواقع اتفاقاً مقصوداً فى الوضع فبه على تحقيق الأمر فيه وأحسن وأجمل

كذا يؤخذ من الصحاح (قوله التين حين دفع إليه) قوله التين هو ضرب من الحيات والدرع سود الروس يبيض سائر الأبدان اه

المُفْسِدِينَ ۝ وَإِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِأَلَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ
بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ

موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيا عوجا (فإن قلت) صراط الحق واحد وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط (قلت) صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا أحداً يشرع في شيء منها أو عدوه وصدوه ۝ (فإن قلت) إلام يرجع الضمير في (آمن به) (قلت) إلى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذى هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقييح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم أن شعيبا كذاب فلا يفتكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وتبعونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا أى تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تمكيا بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن طريق الحق لا يعوج (واذ كنوا إذ كنتم قليلا) إذ مفعول به غير ظرف أى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم قيل إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز إذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين مومنين أو كنتم أقله أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد (عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما أصاب المؤمنة (فاصبروا) فتربصوا وانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أى بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا إنامعكم متربصون أو هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز أن يكون خطأ للفريقين أى ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف ۝ أى ليكون أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم في الكفر (فإن قلت) كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود

قوله تعالى «قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن في ملتنا» الآيات (قال إن قلت كيف خاطبوا شعيباً بصيغة العود الخ) قال أحدوا الزمخشري بنى هذا الكلام على أن صيغة العود تستدعي رجوع العائد إلى حال كان عليها قبل والتحقيق في الجواب عن السؤال المذكور مع اقتضاء العود لذلك أن هذا الفعل وإن استعمل كذلك إلا أنه كثير ما يراد بمعنى صار وحينئذ يجوز أن يكون أفعالاً ولا يستدعي الرجوع إلى حالة سابقة بل عكس ذلك وهو الانتقال من حال سابقة إلى حالة مؤتلفة مثل صار وكأنهم قالوا والله أعلم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتصيرن كفاراً مثلنا وحينئذ يندفع السؤال أو يسلم استعمال العود بمعنى الرجوع إلى أمر سابق ويحجب عن ذلك بمثل الجواب عن قوله تعالى «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات والإخراج يستدعي دخولا سابقاً فيما وقع الإخراج منه ونحن نعلم أن المؤمن الناشئ في الإيمان لم يدخل قط في ظلمة الكفر ولا كان فيها وكذلك الكافر الأصلي لم يدخل قط في نور الإيمان ولا كان فيه ولكن لما كان الإيمان والكفر من الأفعال الاختيارية التي خلق الله العبد متيسراً لكل واحد منهما متمكناً منه لو أراد فعبث عن تمكن المؤمن من الكفر ثم عدوله عنه إلى الإيمان إخباراً بالإخراج من الظلمات إلى النور توفيقاً من الله له ولطفاً به وبالعكس في حق الكافر وقد مضى نظير هذا النظر عند قوله تعالى «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى» وهو من المجاز المعبر فيه عن السبب بالمسبب وفائدة اختياره في هذه المواضع تحقيق التمكن والاختيار لإقامة حجة الله على عباده والله أعلم ۝ عاد كلامه قوله تعالى

مَنْ قَرَّبْنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مَمَّا قَالُوا كُنَّا مُسْتَعْزِمِينَ ۝ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَتَنَّ أَتْبَعْتُمْ شُعْبًا مِنْكُمْ

في الكفر في قولهم (أو لتعودن في مماتنا) وكيف أجابهم بقوله (إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منهم وما يكون لنا أن نعود فيها) والآنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تفسير فضلاء عن الكبار فضلاء عن الكفر (قلت) لما قالوا النخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا التعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فملوهم عائدين جميعا لإجراء الكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منهم أو ويريد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئا من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب (فإن قلت) فإمعنى قوله وما يكون لنا أن نعود فيها (إلا أن يشاء الله) والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر (قلت) معناه إلا أن يشاء الله خذلانا ومنعنا الألفاظ لعلمه أنها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله (وسع ربنا كل شيء علما) أي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع إلى الكفر بعد الإيمان (على الله توكلنا) في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لزيادة الإيقان ويجوز أن يكون قوله إلا أن يشاء الله حسما لطمعهم في العود لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة ۝ أو لو كنا كارهين الهمة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح لنا (ربنا افتح بيننا والفتاحة الحسكرة أو أظهر أمرنا حتى يفتح ما بيننا وبين قومنا) وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين معه أنهم على الباطل (وأنت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين (فإن قلت) كيف أسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم (قلت) هو إخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أ كذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام لأن المرتد أباح في الاقتراء من الكافر لأن الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم أن الله ندأ ولا ند له والمزند مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني أن يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا (وقال الملأ الذين

۝ وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا (قال إن قلت الله تعالى مقدس عن أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم إلى الكفر الخ) قال أحدوهذا السؤال كما ترى مفرع على القاعدة الفاسدة في اعتقاد وجوب رعاية الصلاح والأصلح وهو غير موجه على قاعدة السنة فظاهر الآية هو المعقول عليه لا يجوز تأويله ولا تبديله وأما استدلال الزمخشري على صحة تأويله بقوله وسع ربنا كل شيء علما فمن احتياالاته في التأويلات الباطلة يفضدها ويتبع الشبه ويلفقهها وموقع قوله وسع ربنا كل شيء علما الاعتراف بالفصور عن علم الماقبة والإطلاع على الأمور الغائبة فإن العود إلى الكفر جائز في قدرة الله أن يقع من العبد ولو وقع فبقدره الله ومشيئته المغيبة عن خلقه فالخذر قائم والخوف لازم والسكن لمن وفقه الله تعالى للعقيدة الصحيحة والإيمان السالم والله الموفق ونظيره قول إبراهيم عليه السلام ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما الماردة الأمر إلى المشيئة وهي مغيبة مجردة عن الله تعالى بالانفراد بعلم الغائبات والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المراد حسم طمعهم الخ) قال أحدوهذا من الطراز الأول فألحقه به وسحقا سحقا

(قوله والله تعالى متعال أن يشاء ردة) أي تنزهه عن أن يشاء الخ على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يريد الشرأما عند أهل السنة فريده كالتخير وكذا قوله محال خارج عن الحكمة فإباعد مبنى على مذهبهم أيضا

إِذَا الْخَاسِرُونَ ه فَآخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ه الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيبًا كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ
 كَذَبُوا شَعِيبًا كَانُوا ه الْخَاسِرِينَ ه فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ
 آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ه وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ه
 ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ه وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن
 كَذَبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ه أَفَأَمَّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنَّ يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَادِمُونَ ه أَوْ أَمِنَ

كفروا من قومه) أى أشرفهم للذين دونهم يثبطونهم عن الإيمان (لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون) لاستبدالكم
 الضلالة بالهدى كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل لخسرون بإتباعه فوائدهم
 البخر والطفيف لأنه ينهكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية (فإن قلت) ما جواب القسم الذى وطأته اللام فى لئن
 اتبعتم شعيباً وجواب الشرط (قلت) قوله إنكم إذا لخاسرون ساد مسد الجوابين (الذين كذبوا شعيباً) مبتدأ خبره
 (كان لم يغنوا فيها) وكذلك (كانوا هم الخاسرون) وفى وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيباً
 هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا فى دارهم لأن الذين اتبعوا شعيباً قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيباً
 هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فإنهم الرابحون وفى هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة فى رد
 مقالة الملأ لأشباعهم وتسفيه لأربهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم ه الأسى شدة الحزن قال
 العجاج ه وانجلبت عيناه من فرط الأسى ه اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزنى على
 قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد لقد أعذرت إليكم فى الإبلاغ والنصيحة
 والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تصدقونى فكيف آسى عليكم يعنى أنه لا بأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء
 بالأسى ه وقرأ يحيى بن وثاب فكيف إيسى بكسر الهمزة (إلا أخذنا أهلها بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء)
 بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعزيمهم عليه (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أودية الكبر
 والعزة (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والصحة والسعة كقوله
 وبلوناهم بالحسنات والسيئات (حتى عفوا) كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر
 إذا كثرت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا للحي وقال الخطيبه ه بمسئد القرى ان عاف نباته ه وقال :

ولكننا نعض السيف منها ه بأسوق عافيات الشحم كوم

(وقالوا قد مس آباؤنا الضراء والسراء) يعنى وأبطلتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد
 مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات إلا أن نأخذهم بالعذاب (فأخذناهم) أخذ
 الأخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم ه اللام فى القرى إشارة إلى القرى التى دل عليها قوله وما أرسلنا فى قرية من نبي كأنه
 قال ولو أن أهل ملك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) المعاصى مكان ارتكابها (لفتحنا عليهم بركات
 من السماء والأرض) لأنناهم بالخير من كل وجه وقتل أراد المطرد والنبات (ولكن كذبوا فأخذناهم) بسوء كسبهم

(قوله وقال الخطيبه بمسئد القرى ان عاف نباته) فى الصحاح استأسد النبات قوى والتف وفيه القرى على فعيل بجرى الماء فى
 الروض والجمع أقرية وقرىبان

أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ؕ أفأمنوا مكر الله فلا يامن مكر الله إلا القوم الخسرون ؕ
أولم يهدل الذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء ؕ أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ؕ

ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس (فإن قلت) مامعنى فتح البركات عليهم (قلت) تيسيرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين ؕ البيات يكون بمعنى البيتونة يقال بات بيانا ومنه قوله تعالى لجأها بأسنا بيانا أو هم قائلون وقد يكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بيانا فيجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين أو يكون بمعنى تبييتنا كأنه قيل أن يبيتهم بأسنا بيانا و (ضحى) نصب على الظرف يقال أتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت ؕ والفاء والواو في أفامن واو أمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار (فإن قلت) ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو (قلت) المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغته وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطف بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغته أبعده ذلك من أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيانا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى ؕ وقرئ أو أمن على العطف بأو (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدى عليهم كأنهم يلعبون ؕ (فإن قلت) فلم رجع فعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله (قلت) هو تكرير لقوله أفامن أهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولا استدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذى يخاف من عدوه السكين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له ما لى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام فقال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بيانا ؕ إذا قرئ أولم يهد بالياء كان أن لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن وهو إننا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورثين وإذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى أولم نبين لهم أنا (لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) كما أصبنا من قبلهم وإنما عدى فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين (فإن قلت) بم تعلق قوله تعالى (ونطبع على قلوبهم) (قلت) فيه أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم (فإن قلت) هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو نشاء وبعطف على أصبناهم (قلت) لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقراراف

قوله تعالى أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم (قال إن قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم الخ) قال أحمد بن حنبل يجوز والله عطفه عليه ولا يلزم أن يكون المخاطبون موصوفين بالطبع ولا يضرهم إن كانوا كفارا أو مقترفين للذنوب فليس الطبع من لوازم اقراراف الذنب ولا بد إذ الطبع هو التمادى على الكفر والإصرار والغلوفى التصميم حتى يكون الموصوف به ما يوسا من قبوله للحق ولا يلزم أن يكون كل كافر بهذه المثابة بل إن الكافر يهدد من تماديه على كفره بأن يطبع الله على قلبه فلا يؤمن أبداً وهو مقتضى العطف على أصبناهم فتكون الآية قد هددهم بأمرين أحدهما الإصابة ببعض ذنوبهم والآخر الطبع على قلوبهم وهذا الثانى أشد من الأول وهو أيضا نوع من الإصابة بالذنوب أو العقوبة عليها ولكنه أنكى أنواع العذاب وأبلغ صنوف العقاب وكثيرا ما يعاقب الله على الذنب بالإيقاع فى ذنب أكبر منه وعلى الكفر بزيادة التصميم عليه والغلوفى كما قال تعالى فزادتهم رجسا إلى رجسهم كما زادت المؤمنين إيمانا إلى إيمانهم وهذا النوع من الثواب والعقاب مناسب لما كان سببها جزاء عليه فتواب الإيمان وإيمان وثواب الكفر وكفر وإيمان الخشعي يحاذر من هذا الوجه دخول الطبع فى مشيئة الله تعالى وذلك عنده محال لأنه قبيح والله عنده متعال وأنى يتم الفرار من الحق وكفى من آية صرحت بوقوع الطبع من الله فضلا عن تعلق المشيئة به

تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من
 قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم
 لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملأه فظلموا بها فانظر كيف كان عقبة
 المفسدين وقال موسى يفرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله
 إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فات بها إن

الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى خلوم عن هذه الصفة وأن الله تعالى لو شاء لاتصفوا بها (تلك القرى
 نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلی شیخا فی أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون القرى صفة لتلك
 ونقص خبرا وأن يكون القرى نقص خبرا بعد خبر (فإن قلت) مامعنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا (قلت) هو
 مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم (فإن قلت) مامعنى
 الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها (قلت) معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها
 أنباء غيرها لم نقصها عليك (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل
 مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أى استمروا على التكذيب من
 لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين لا يرعون ولا تلتين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرار المواعظ عليهم وتتابع
 الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافياً لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا
 لعادوا لما نوا عنه (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير
 للناس على الإطلاق أى وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعنى أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى
 (وإن وجدنا) وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن
 يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضررٍ ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما
 قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك
 وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة
 عليهما (من بعدهم) الضمير المرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو الأمم (فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى
 الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك لظلم عظيم أو ظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن
 بها ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا ببدل الإيمان كان كفرهم بها ظلماً فلذلك قيل فظلموا بها أى كفروا بها واضعين
 الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان . يقال ملوك مصر الفراعنة كما يقال ملوك فارس الأكاسرة فكأنه قال يملك مصر
 وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) فيه أربع قرآت المشهورة
 وحقيق على أن لا أقول وهي قراءة نافع وحقيق أن لا أقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول وهي قراءة أبي

• قوله تعالى « إني رسول من رب العالمين حقيق أن لا أقول على الله إلا الحق » (قال محمود فيه أربع قرآت المشهورة
 وحقيق على أن لا أقول الخ) قال أحد القلب يستعمل في اللغة على وجهين أحدهما قلب الحقيقة إلى المجاز لوجه
 من المبالغة كقوله
 • وتشقى الرماح بالضياطرة الحر •
 وقد صرح السر عن كتمان وابتذلت • وضع المحاجن بالمهريّة الذقن
 وكقوله

كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۝ قَالَ
الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَيُّ تَكْوِينٍ ۝ قَالُوا

وفي المشهورة إشكال ولا تخلو من وجوه أحدها أن تكون مما يقبل من الكلام لامن الإلباس كقوله
۝ وتشقى الرماح بالضياطرة الحجر ۝ ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق على أن لا أقول وهي قراءة نافع والثاني
أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقاً عليه كان هو حقيقاً على قول الحق أي لازماً له والثالث أن يضمن حقيق
معنى حريص كما ضمن هيجنى معنى ذكرنى في بيت الكتاب والرابع وهو الأوجه لإدخال في نكت القرآن أن يعرق موسى
في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لاسيما وقد روى أن عدو الله فرعون قال له لما قال إني رسول من رب العالمين
كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق أي واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثل ناطقاً
به (فأرسل معى بنى إسرائيل) نخلهم حتى يذهبوا معى راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك
أن يوسف عليه السلام لما توفى وانقرضت الأسباب غلب فرعون نساهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان
بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى أربعين عاماً (فإن قلت) كيف قال له (فأت بها) بعد قوله إن
كنت جئت بآية (قلت) معناه إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت
صدقك (ثعبان مبين) ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وروى أنه كان ثعباناً ذكراً أشعر فاغراً فاه بين لحيه ثمانون ذراعاً
وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره
وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون
ألفاً قتل بعضهم بعضاً ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وأنا أو من بك وأرسل معك بنى إسرائيل فأخذه موسى
فعاد عصى ۝ (فإن قلت) بم يتعلق (لناظرين) (قلت) يتعلق ببياضه والمعنى فإذا هي بياض للنظارة ولا تكون بياض
للنظارة إلا إذا كان بياضاً عجبياً خارجاً عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى
أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه قال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرة صرف ونزعها فإذا هي بياضاً نورانياً

فالحقيقة أن الضياطرة تشقى بالرماح والمهريّة تبذل بالمحاجن فعدل عن ذلك تنبيهاً على أن الرماح قد تنقص وتقص
في أجوافهم فعبّر عن ذلك بالشقاء وأن المحاجن كثيراً ما ترفع وتوضع وتستعمل في ضرب المهريّة وربما تمزقت عن
ذلك لجعل ذلك ابتداء لها وقدحام أبو الطيب حول هذا النوع كثيراً في أمثال قوله

والسيف يشقى كما تشقى الضلوع به ۝ وللسيف كما للناس آجال

والمراد بشقاء السيف انقطاعه في أضلاع المضرّوب كما صرح بذلك في قوله

طوال الردينيات يقصفها دمي ۝ ويبض السريجات يقطعها لحي

الوجه الثاني قلب معزى عن هذا المعنى البليغ ولذلك لا يستفصح كقولهم خرق الثوب المسمار وأشباهه وعلى الوجه
الأول الأوضح جاءت الآية على هذه القراءة وهو الوجه الرابع من وجوه الزمخشري وفي طيه من المبالغة ما نهت عليه
وأما الوجه الثاني وهو أن ما لزمك فقد لزمته فقيه نظر من حيث أن الزوم قد يكون من أحد الطرفين دون الآخر ولزوم
موسى عليه السلام لقول الحق من هذا النمط وأما الوجه الثالث فلا يلائم بين القراءتين وقد ذكر لها وجه خامس وهو أن يكون
على بمعنى الباء ونقل رميت على القوس بمعنى رميت بالقوس وهو وجه حسن يلائم والله أعلم ويشهد له قراءة أبي حقيق

(قوله أن يعرق موسى في وصف) لعله يغرق بالمعجمة وفي الصحاح أغرق النازع في القوس أي استوفى مدها

(قوله فاغراً فاه) قوله فاغراً أي فاتحاً

أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ۝ وَجَاءَ السَّحْرَةَ فِرْعَوْنُ
قَالَ إِن لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَن تُلْقِيَ
وَأَمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ۝ قَالَ الْقُوا فَلَمَّا الْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝

غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة (إن هذا ساحر عليم) أي عالم بالسحر ما عرف فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصي حية والآدم أبيض (فإن قلت) قد عزي هذا الكلام إلى فرعون في سرورة الشعراء وأنه قاله للبلاء وعزي مهنا اليهم (قلت) قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم مهنا أو قاله ابتداء فلنفته منه الملائة فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم (أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) وقرئ سحر أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقرلم فسادا تأمر من أمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فسادا تأمر من من كلام فرعون قاله للبلاء لما قالوا له إن هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم كأنه قيل فسادا تأمر من قالوا أرجه وأخاه معنى أرجه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتبر أمرهما وقيل أحبسهما وقرئ أرجه بالهمزة وأرجه من أرجاه وأرجاه ۝ (فإن قلت) هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا (قلت) هو على تقدير سائل سأل ما قالوا إذ جاؤه فأجيب بقوله (قالوا إن لنا لأجرا) أي جعلنا على الغلبة وقرئ إن لنا لأجرا على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتكبير للعظيم كقول العرب إن له لإبلا وإن له لغنا يقصدون الكثرة ۝ (فإن قلت) (وإنكم لمن المقربين) ما الذي عطف عليه (قلت) هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب كأنه قال إيجابا لقولهم إن لنا لأجرا نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين أراد إني لا أقصر بكم على النواب وحده وإن أكم مع النواب ما يهل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب إنما يتنهأ بما يصل اليه ويغيبط به إذا نال معه الكرامة والرفعة وروى أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروى أنه دعا برؤساء السحرة ومعلمهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء فإنه لا طائفة لنا به وروى أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال فرعون لا تغالب موسى إلا بما هو منه يعني السحرة تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات إذا القوا كالمناظرين قبل أن يتخاضوا في الجدال والمتصارعين قبل أن يتأخذوا للصراع وقرلم (وإنما أن نكون نحن الملحقين) فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأ كيد ضميرهم المنصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف الخبر وإتمام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان يصدده من التأيد السامري وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (سحروا أعين الناس) أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما للحقيقة بخلافه كقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى : روى أنهم القوا جبلا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها

بأن لا أقول ۝ قوله تعالى سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (قال معناه أروها بالحيل والشعوذة الخ) قال أحمد معتقد المعتزلة إنكار وجود السحر والشياطين والجن في خبط طويل لهم ومعتقد أهل السنة إقرارها لظواهر على ما هي عليه لأن العقل لا يخيل وجود ذلك وقد ورد السمع بوقوعه فوجب الإقرار بوجوده ولا يمنع عند أهل السنة أن يرقى الساحر في الهواء ويستدق فيتزلج في الكوة الضيقة ولا يمنع أن يفعل الله عند إرشاد الساحر ما يسناثر الاقدار

وَإِذْ هَمَّ بِالنَّارِ فَأَوْقَاهُمُوهَا شُجْرًا غَابِرًا ۖ وَتَلَوْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَحَمَلْنَا إِلَيْهِمُ الْعَارِ ۖ وَوَعَدْنَا لَلَّذِينَ اسْتَفْتَاهُ فِي السَّحَرَةِ سَجْدِينَ ۖ قَالَُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ۖ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذِنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۖ قَالَُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۖ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ ۖ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ

بعضاً (واستهبواهم) وأرهبواهم أرهاها بشديداً كأنهم استدعوا رهبتهم (بسحر عظيم) في باب السحر روى أنهم لو نواحباهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يورهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق (ما يافكون) ما موصولة أو مصدرية بمعنى ما يافكونه أي يقبلونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه أو يافكونهم تسمية للما فوقك بالإفك روى أنها لما نلققت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصي كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقتها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا (فوق الحق) لخصل وثبت ومن بدع التناسير فوق قلوبهم أي فائر فيها من قولهم فاس وقبع (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء مهوتين (والقى السحرة) وخروا سجدوا كأنما ألقاهم ملق لشدة خروهم وقيل لم يتالكوا بما رأوا فكأنهم ألقوا. عن قتادة كانوا أول النهار كفاراً سحرة وفي آخره شهداء برة وعن الحسن تراه ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه يكذبا وكذا وهؤلاء كفار نشؤا في الكفر بذلوا أنفسهم لله (آمنتم به) على الإخبار أي فإتم هذا الفعل الشنيع توبيخاً لهم وتقريعاً وقرئ آمنتهم بحرف الاستفهام ومعناه الإنكار والإستبعاد (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) أن صنعكم هذه الحيلة احتلمتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو أن تخرجوا منها الفبط وتسكنوها بني إسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان وروى أن موسى عليه السلام قال للساحر الأكبر أتؤمن بي إن غلبت قال لا نين بسحر لا يغلبه سحر وإن غلبت لاؤمن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال (فسوف تعلمون) وعيد أجمله ثم فصله بقوله (لاقطعن) وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبناكم (من خلاف) من كل شق طرفاً وقيل إن أول من قطع من خلاف وصلب لفرعون (إنا إلى ربنا منقلبون) فيه أوجه أن يريدوا إنا لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته وإخلاصنا منك ومن لفائك أو نلقب إلى الله يوم الجزاء فيثبنا على شدائد القطع والصلب وإنا جميعاً يعنون أنفسهم وفرعون تنقلب إلى الله فيحكم بيننا أو أنا لا محالة ميتون منقلبون إلى الله فما تقدر أن تفعل بنا إلا ما لا بد لنا منه (وما تنقم منا إلا أن آمنا) وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله أرادوا وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان ومنه قوله ۖ ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ۖ (أفرغ علينا صبراً) هب لنا صبراً واسعاً وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء فراغاً وعن بعض السلف إن أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوباً ثم يقول قد ما زحكت أي

عليه وذلك واقع بقدره الله تعالى عند إرشاد الساحر هذا هو الحق والمعتقد الصدق وإنما أجريت هذا الفصل لأن كلام الزمخشري لا يخلو من رمز إلى إنكاره إلا أن هذا النص القاطع بوقوعه يلجمه عن التصريح بالدفاع وكشف القناع ولا يدعه التصميم على اعتقاد المعتزلة من التنفيس عما في نفسه فيسميه شعوذة وحيلة وبالقطع يعلم أن الشعوذة والحيلة لا تعلم في يد ابن عمر رضي الله عنه حتى يكوعها ولا تؤثر في سيد البشر حتى يخيل إليه أنه يأتي نساءه وهو لا يأتين وقد ورد ذلك وأمثاله مستفيضاً واقفاً فالعمدة أن كل واقع بقدره الله تعالى فلا يمتنع أن يوقع تعالى بقدرته عند إرشاد الساحر

قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرْنَاهُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرِكَ وَيَأْتِيكَ وَآهْلُكَ قَالَ سَنَقْتُلُنَا ابْنَهُمْ وَسَتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ۝ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ

يغمره بالحياه والخجل أوصب علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام (ويذرك) عطف على يفسدوا لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا إلى مآذيه فسادا وإلى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك وهو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الخطيب ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء والنصب بإضمار أن تقديره أ يكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك وآهلك وقرئ ويذرك وآهلك بالرفع عطفا على أنذر موسى بمعنى أنذره وأيدرك بمعنى تطلق له ذلك أو يكون مستأنفا أو حالا على معنى أنذره وهو يذرك وآهلك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا كافرئ وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق وقرأ أنس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب أي يصر فنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك وإلهتك أي عبادتك وروى أنهم قالوا له ذلك لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفس فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقرّبونا إلى الله زاني ولذلك قال أنار بكم الأعلى (سنقتل أبناءهم) يعني سنعيد عليهم ما كنا محنناهم به من قتل الأبناء ليعلموا أناعلى ما كنا عليه من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا وأن غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي أخبر المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيبسطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه وأنه منتظر بعد (قال موسى لقومه استعينوا بالله) قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضرعوا ويسكنهم ويسلمهم ويعدهم العصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بنى إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم (فإن قلت) لم أخلت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التي قبها (قلت) هي جملة مبتدأة مستأنفة وأما قال الملا فمطرفة على ما سبقها من قوله قال الملا من قوم فرعون ۝ وقوله (إن الأرض لله) يجوز أن تكون اللام للعهد وبرد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا الأرض وأن تكون للجنس فيتناول أرض مصر لأنها من جنس الأرض كما قال ضمرة إنما المرء بأصغريه فأراد بالمرء الجنس وغرضه أن يتناوله تناول أوليا (والعاقبة للمتقين) بشاره بأن الخاتمة المحموده للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرأوا العاقبة للمتقين بالنصب أبي وابن مسعود عطفا على الأرض (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل أبناءهم قبل مولد موسى عليه السلام إلى أن استنبي وأعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتنعون فيه من أنواع الخدم والمهن ويمسونه من العذاب (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر (فلينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمره فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخاف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (بالسنين) بسنى القحط والسنة من الأسماء الغالبة كاللداية والنجم وبحو

أعاجيب يضل بها من يشاء ويهدى من يشاء والله الموفق

لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ۝ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا
طَّيَّرُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝

ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا أسأت القوم بمعنى أخطوا وقال ابن عباس رضى الله عنه أما السنون فكانت لباديتهم وأهل
واشيهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم وعن كعب يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمر (لعلهم يذكرون)
فيتنبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولأن الناس في حال الشدة أضرع حدودا والبن أعطافا
وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعائة سنة ولم يركبها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو
جوع أو حى لما ادعى الربوبية (فإذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والرخاء (قالوا لنا هذه) أى هذه مختصة بنا ونحن
مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجبل للفرس (وإن تصيبهم سيئة) من ضيقة وجديب (يطيروا
بموسى ومن معه) يطيروا بهم ويتشبهوا به ويقولوا هذه بشؤمهم ولو لا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفزة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه من عندك (فإن قلت) كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة بإذنا وتعريف الحسنة وإن تصيبهم سيئة بيان وتكبير
السيئة (قلت) لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثيرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا
شيء منها ومنه قول بعضهم قد عدت أيام البلاء فهل عدت أيام الرخاء (طائرهم عند الله) أى سبب خيرهم وشرهم
عند الله وهو حكمه ومشيتته والله هو الذى يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه
كقوله تعالى قبل كل من عند الله ويجوز أن يكون معناه ألا إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عند
الذى يجرى عليهم ما يسوءهم لأجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله سبحانه النار يعرضون عليها الآية
ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن إنما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجروالركب وعند
أبي الحسن هو تكسير (مهما) هى ما المضمنة معنى الجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء فى قولك متى تخرج أخرج

قوله تعالى «ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون إلى قوله يعلمون» قال فيه معنى لعلهم
يذكرون يتنبهون لأن ذلك كان لإصرارهم الخ) قال أحمد ذلك اللام على دعواهم استحقاق الحسنة وأما دعوى اختصاصها بهم حتى
لا يشركهم فيها أحد فدل عليه تقديم الخبر الذى هو لنا وقد علمت طريقة المصنف فى إسناده الحصر من تقديم ما حقه أن يؤخر
كالفعال والخبر ونحوه عاد كلامه (قال فإن قلت كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة الخ) قال أحمد وقد ورد وإن تصيبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وإن تصيبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فلم يراع فرق ما بينهما ولعل بين سياق الآيتين اختلافاً أوجب فى كل واحد
منهما ما ذكر فيه ۝ قوله تعالى وقالوا مهما تأتانا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (قال مهما هى ما المضمنة معنى الجزاء
ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء الخ) قال أحمد والذى عدته أولاً من كلام سيديويه وسنذكره قال سيديويه وسألت
الخليل عن مهما فقال هى ما أدخلت معها ما بلغوا بمنزلتها مع متى إذا قلت متى ما تأتى حدثتك انتهى كلام سيديويه
وكان هذا القائل والله أعلم اغترت بتشبيه الخليل لها متى ما فظن فى معناها وإنما شبه الخليل بالثانية من مهما فى لحاقها زائدة
مؤكدة للأولى بما اللاحقة لمتى عاد كلام سيديويه قال ولو لكانتم استجبوا تكرير لفظ واحد فأبدلوا الهاء من الألف التى
فى الأولى انتهى نقله عن الخليل قال سيديويه ويجوز أن تكون كإذ ضمت إليها ما انتهى كلامه ۝ قال أحمد ومعنى تشبيه
سيديويه لها إذا ما أن الجزاء بجملة الكلمة لا بالجزء الأول منها خاصة وإلا لكان عين مذهب الخليل والذى يحقق ذلك أن
سيديويه قال أول هذا الباب وأما حيث وإذا فلا يجازى بهما حتى يضم إليهما ما فتصير إذ مع ما بمنزلة إنما وكأما وليست
ما فيهما بلغوا ولكن كل واحدة منهما مع ما بمنزلة حرف واحد فانظر قوله وليست ما فيهما بلغوا يعنى ليست زائدة
مؤكدة ولكن لها حظ فى اقتضاء الجزاء حتى لا يفيد إلا اجتماع جزئى الكلمة ويبقى وراء ذلك نظر فى أن سيديويه هل

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ هـ

أينما تكبروا يدر ككم الموت فيما نذهبن بك إلا أن الألف قلبت هاء استئقلا لتكبر المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى ومن الناس من زعم أن مهى الصوت الذى يصوت به الكاف وما للجزء كأنه قيل كف ما تاتابه (من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) (فإن قلت) ما محل مهما (قلت) الرفع بمعنى أيما شيء تاتابه أو النصب بمعنى أيما شيء نحضرنا تاتابه ومن آية تدين لهما والضميران في به وسها راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنك على المعنى لأنه في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة هـ وإن خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يبدله في علم العربية فيضعها غير موضعها وبحسب مهما بمعنى متى ما يقول مهما جتنى أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تاتابه من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثوين يدي الناظر في كتاب سيويه (فإن قلت) كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها (قلت) ماسموها آية لا اعتقادهم أنها آية وإنما سموها اعتباراً للتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهى (الطوفان) ما طاف بهم وغلهم من مطر أو سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلة شديدة لا يرون شمساً ولا قمرًا ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره وقيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون ويوت بنى إسرائيل ويوت القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم فن جلس غرق ولم تدخل بيوت بنى إسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام وعن أبي قلابة الطوفان الجدرى وهو أول عذاب وقع فيهم فبقى في الأرض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فبقت لهم تلك السنة من الكلاء والزرع مالم يعهد بمثله فأقاموا شهراً فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب

أراد أن ماضت إلى مه التي هي الصوت أو إلى ما الجزائية والظاهر من مراده أن انضمامها إلى الصوت لأنها لو كانت منضمة إلى ما الجزائية لكانت مستقلة بإفادة الجزاء قبل انضمام ما إليها ولا تكون مثل إذا وحيث ولا يكون تنظير سيويه مطابقاً وهذا الذى فهمه ابن طاهر وتبعه فيه تلميذه ابن خروف وعز ابن خروف هذا المذهب إلى سيويه ورد قول ابن بشاذ أن هذا المذهب للخليل خاصة وقد تراطأ ابن بشاذ والزخشرى على نفي هذا المذهب عن سيويه وإعزائه إلى غيره وأظهر ما قوى به مذهب الخليل والله أعلم أن هذه الكلمة استعملت في الاستفهام حسب استعمالها في الجزاء وأنشدوا

مهالى الليلة مهاليه هـ أودى بنعلى وسرباليه

أراد ما لي الليلة ولا إشكال ههنا أنها ما الاستفهامية كررت تأكيداً كما يقولون لا لا ونعم نعم ثم استكره تكرار اللفظ بعينه فقلبت ألف الأولى هاء وقد جاء قلب الاستفهامية وإن لم يكن تكرار فهو معه أجدر وإذا وضح أن مهما الواصفة في الاستفهام أصلها ما مكررة كان ذلك أوضح دليل على أن الواقعة في الجزاء كذلك والاستشهاد بالنظر أميز حجج العربية والله أعلم وأما رد الزخشرى على من زعم أنها بمعنى متى ما فرد صحيح والآية أصدق شاهد على رده فإن الضمير المجرور فيها عائد إلى مهما حتماً وقد اتصل به مفسراً له قوله من آية دل على أن الضمير واقع على الآية فلزم وقوع مهما عليها ضرورة اتحاد المرجع في المضمرة ومظهره فذهاب هذا القائل إلى إيقاع مهما على الوقت زاعماً أنها بمعنى متى ما ذهب عن الصواب وعذر الزخشرى واضح في الرد على تسجيله وإغلاظ التكبير عليه وتفريق سهام التشنيع إليه فأقل هذا الفصل ففيه إنارة للسبيل وشفاء للغليل والله الموفق

(قوله أيما شيء نحضرنا) لعله تحضر فقط (قوله وقيل هو الموتان) في الصحاح الموتان بالضم موت يقع في المشية وفيه أيضاً الطاعون الموت الوحى من الوباء وفيه الوحى على فعيل السريع

لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ۝ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِمَّا يَنْتَوِيحُونَ ۝ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝

ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا أسدت القوم بمعنى أفضوا وقال ابن عباس رضى الله عنه أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواسمهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم وعن كعب يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمر (لعلهم يذكرون) فنتبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولأن الناس في حال الشدة أضرع خدودا والين أعطافا وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعائة سنة ولم يركبها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أوحى لما ادعى الربوبية (فإذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والرخاء (قالوا لنا هذه) أى هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس (وإن تصيبهم سيئة) من ضيقة وجدب (يطيروا بموسى ومن معه) يطيروا بهم ويتشاهروا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكافرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك (فإن قلت) كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة إذا وتعرف الحسنة وإن تصيبهم سيئة بيان وتكبير السيئة (قلت) لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثيرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عدت أيام البلاء فهل عدت أيام الرخاء (طائرهم عند الله) أى سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيتته والله هو الذى يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله تعالى قل من عند الله ويجوز أن يكون معناه ألا إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عند الذى يجزى عليهم ما يسوءهم لأجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله فى قوله سبحانه النار يعرضون عليها الآية ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن إنما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجروالركب وعند ابن الحسن هو تكسير (مهما) هى ما المضمنة معنى الجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء فى قولك متى تخرج أخرج

قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون إلى قوله يعلمون (قال فيه معنى لعلهم يذكرون يتنبهون لأن ذلك كان لإصرارهم الخ) قال أحمد دللت اللام على دعواهم استحقاق الحسنة وأما دعوى اختصاصها بهم حتى لا يشركهم فيها أحد فدل عليه تقديم الخبر الذى هو لنا وقد علمت طريقة المصنف فى إسناده الحصر من تقديم ما حقه أن يؤخر كالمفعول والخبر ونحوه عاد كلامه (قال فإن قلت كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة الخ) قال أحمد وقد ورد وإن تصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصيبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فلم يراع فرق ما بينهما ولعل بين سياق الآيتين اختلافاً أو يجب فى كل واحد منهما ما ذكر فيه ۝ قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (قال مهماهى ما المضمنة معنى الجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء الخ) قال أحمد والذى عدته أولاً من كلام سيديويه وسنذكره قال سيديويه وسألت الخليل عن مهما فقال هى ما أدخلت معها ما بلغوا بمنزلة ما مع متى إذا قلت متى ماتأتى حدثتلك انتهى كلام سيديويه وكان هذا القائل والله أعلم اغتربتشبيه الخليل لها بمتى ما فظها فى معناها وإنما شبه الخليل بالثانية من مهما فى لحاقها زائدة مؤكدة للأولى بما اللاحقة لمتى عاد كلام سيديويه قال وليكنهم استقبحوا تكبير لفظ واحد فأبدلوا الهاء من الألف التى فى الأولى انتهى نقله عن الخليل قال سيديويه ويجوز أن تكون كما ضمت إليها ما انتهى كلامه ۝ قال أحمد ومعنى تشبيه سيديويه لها إذا ما أن الجزاء بجملة الكلمة لا بالجزء الأول منها خاصة وإلا لكان عين مذهب الخليل والذى يحقق ذلك أن سيديويه قال أول هذا الباب وأما حيث وإذا فلا يجازى بهما حتى يضم إليهما ما فتصير إذ مع ما بمنزلة إنما وكأنا وليست ما فيهما بلغوا ولكن كل واحدة منهما مع ما بمنزلة حرف واحد فانظر قوله وليست ما فيهما بلغوا يعنى ليست زائدة مؤكدة ولكن لها حظ فى انقضاء الجزاء حتى لا يفيد إلا اجتماع جزئى الكلمة ويبقى وراء ذلك نظر فى أن سيديويه هل

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ه

أينما تكبروا يدرككم الموت فيما نذهبن بك إلا أن الألف قلبت هاء استئقلاً لتكبر المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى ومن الناس من زعم أن مهى الصوت الذى يصوت به الكاف ومالجزاء كأنه قيل كف ما تأتابه (من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) (فإن قلت) ما محل مهما (قلت) الرفع بمعنى أيما شيء تأتابه أو النصب بمعنى أيما شيء تحضرتا تأتابه ومن آية تدين لهما والضميران في به وبها راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنت على المعنى لأنه في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليفة ه وإن خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يبدله في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما يقول مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام وأضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتابه من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثوين يدي الناظر في كتاب سيويه (فإن قلت) كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها (قلت) ماسموها آية لا اعتقادهم أنها آية وإنما سموها اعتباراً لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهى (الطوفان) ما طاف بهم وغلهم من مطر أو سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمساً ولا قمرًا ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره وقيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم فن جلس غرق ولم تدخل بيوت بني إسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام وعن أبي قلابة الطوفان الجدرى وهو أول عذاب وقع فيهم فبقى في الأرض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فبنت لهم تلك السنة من الكلاء والزرع مالم يعهد بمثله فأقاموا شهراً فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب

أراد أن ماضمت إلى مه التي هي الصوت أو إلى ما الجزائية والظاهر من مراده أن انضمامها إلى الصورت لأنها لو كانت منضمة إلى ما الجزائية لكانت مستقلة بإفادة الجزاء قبل انضمام ما إليها ولا تكون مثل إذا وحيث ولا يكون تنظير سيويه مطابقاً وهذا الذى فهمه ابن طاهر وتبعه فيه تلميذه ابن خروف وعز ابن خروف هذا المذهب إلى سيويه ورد قول ابن بشاذ أن هذا المذهب للخليل خاصة وقد تراطأ ابن بشاذ والزخشرى على نفي هذا المذهب عن سيويه وإعزائه إلى غيره وأظهر ما قوى به مذهب الخليل والله أعلم أن هذه الكلمة استعملت في الاستفهام حسب استعمالها في الجزاء وأنشدوا

مهالى الليلة مهماليه ه أودى بنعلى وسرباليه

أراد ماى الليلة ولا إشكال ههنا أنها ما الاستفهامية كررت نأ كيداً كما يقولون لا لا ونعم نعم ثم استكره تكرار اللفظ بعينه فقلبت ألف الأولى هاء وقد جاء قلب الاستفهامية وإن لم يكن تكرار فهو معه أجدر وإذا وضح أن مهما الوافئة في الاستفهام أصلها ماكررة كان ذلك أوضح دليل على أن الوافئة في الجزاء كذلك والاستشهاد بالنظر أميز حجج العربية والله أعلم وأما رد الزخشرى على من زعم أنها بمعنى متى ما فرد صحيح والآية أصدق شاهد على رده فإن الضمير المجرور فيها عائد إلى مهما حتماً وقد اتصل به مفسراً له قوله من آية دل على أن الضمير واقع على الآية فلزم وقوع مهما عليها ضرورة اتحاد المرجع في المضمرة ومظهره فذهاب هذا القائل إلى إيقاع مهما على الوقت زاعماً أنها بمعنى متى ما ذهب عن الصواب وعذر الزخشرى واضح في الرد على تسجيله وإغلاظ التكبير عليه وتفويق سهام التشنيع إليه فإقل هذا الفصل ففيه إنارة للسبيل وشفاء للخليل والله الموفق

(قوله أيما شيء تحضرتا) لعله تحضر فقط (قوله وقيل هو الموتان) في الصحاح الموتان بالضم موت يقع في المشاية وفيه أيضا الطاعون الموت الوحى من الوباء وفيه الوحى على فعيل السريع

ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
 ووعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفني
 في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب انظر إليك قال

للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويغض إليهم ما أحبوا (أغير الله أبعيكم لها)
 أغير المستحق للعبادة أطلب لكم عبوداً وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالعمة التي لم يعطها أحداً
 غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الإنكار والتعجب من طلبهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله
 عبادة غير الله (يسومونكم سوء العذاب) يغيرونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها (فإن قلت) ما نحن يسومونكم
 (قلت) هو استئناف لا محل له ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين أو من آل فرعون و (ذلكم) إشارة إلى الإنجاء
 أو إلى العذاب والبلاء النعمة أو المحنة و قرئ يقتلون بالتخفيف و روى أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل
 وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما ملك فرعون سأل موسى
 ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوماً وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة
 كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله تعالى إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي
 من ريح المسك فأمره الله تعالى أن يزيد عايتها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وقيل أمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً وأن
 يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد أجل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا
 و (ميقات ربه) ما رفته له من الوقت و ضرب به له و (أربعين ليلة) نصب على الحال أي تم بالغأ هذا العدد و (هرون) عطف بيان
 لأخيه و قرئ بالضم على النداء (اخلفني في قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) وكن مصلحاً أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور
 بني إسرائيل و من دعائك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه (لميقاتنا) لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص
 فكأنه قيل واختص بجيئه بميقاتنا كما تقول أنته لعشر خلون من الشهر (وكلمه ربه) من غير واسطة كأنكلم الملك وتكليمه
 أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه محطوطاً في اللوح و روى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من
 كل جهة وعن ابن عباس رضي الله عنه كلمه أربعين يوماً وأربعين ليلة وكتب له الألواح وقيل إنما كلمه في قول الأربعين

قوله تعالى « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » الآية (قال مجرود معناه كلمه من غير واسطة الخ) قال أحمد وهذا
 تصریح منه بخلق الكلام كما هو معتقد المعتزلة والذي يخص به هذه الآية من وجوه الرد عليه أنها سبقت مساق الامتنان
 على موسى باصطفاء الله له وتخصيصه إياه بتكليمه وكذلك قال تعالى بعد آيات منها إني اصطفيتك على الناس برسالاتي
 وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فلو كان تكليم الله له بمعنى خلق الحروف والأصوات في بعض الأجرام
 واستماع موسى لذلك لكان كل أحد يساوي موسى عليه السلام في ذلك بل كان آحاد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام
 أثر هذه المزية وأحق بالخصوصية من موسى عليه السلام لأنهم سمعوا الكلام على الوجه المذكور من أفضل الأجرام
 وأزكاها خلقاً في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مزيتهم أظهر وخصوصيتهم أوفر ونحن نعلم ضرورة من سياق
 هذه الآية تمييز موسى عليه الصلاة والسلام بهذه المزية فلا يحمل لذلك إلا اعتقاده أنه سمع الكلام القديم القائم بذات الله سبحانه
 وتعالى بلا واسطة دليل عليه من حروف ولا غيرها وكما أجزنا من المعقول أن ترى ذات الباري سبحانه وتعالى وإن لم يكن

(قوله وتكليمه أن يخلق الكلام) هذا على مذهب المعتزلة أن كلامه تعالى ألفظ يخلقها الله في بعض الأجرام أما على مذهب
 أهل السنة فإن كلامه تعالى صفة قديمة قائمة بذاته فتكليمه لعبده أن يكشف له عنها كما تقرّر في التوحيد.

لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلِمَا تَجِبَلِي رَبِّهِ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى

(أرني أنظر اليك) ثانياً مفعول. أرني محذوف أي أرني نفسك أنظر اليك (فإن قلت) الرؤية عين النظر فكيف قيل أرني أنظر اليك (قلت) معنى أرني نفسك اجعاني متمكناً من رؤيتك بأن تجل لي فأنظر اليك وأراك (فإن قلت) فكيف قال (لن تراني) ولم يقل لن تنظر إلي لقوله أنظر إليك (قلت) لما قال أرني بمعنى اجعني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقبل أن تراني ولم يقل لن تنظر إلي (فإن قلت) كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعالبه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فحال أن يكون في جهة ومنع المجبرة إحالته في العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طال به وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أنه لئلا نأفعل السفهاء منا إلى قوله تضل به من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالاً (قلت) ما كان طلب الرؤية إلا ليبتك هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً وتبرأ من فعلهم وولاية مهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكروا عليهم وأعلمهم الخطأ ونههم على الحق فلبجوا وتمادوا في الجاهم وقالوا لا بد ولن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني

جسماً فكذلك نجيز أن يسمع كلامه وإن لم يكن حرفاً ولا صوتاً والكلام في هذه العقيدة طويل والشوط بطين وهذه السكتة هي الخاصة بهذه الآية والله الموفق. عاد كلامه (قال وقوله أرني أنظر اليك محذوف المفعول الأول مذكور الثاني والتقدير أرني نفسك أنظر اليك الخ) قال أحمد ما أشد ما اضطرب كلامه في هذه الآية لأن غرضه أن يدحض الحق بالضلالة ويشين بكفه الغزاة هيات قد تبين الصبح لذي عينين فالحق أبلج لا يماز جهريب إلا عند ذرين أما حظ المعقول من إجازة رؤية الله تعالى فوظيفة علم الكلام وأخصر وجه في إجازة ذلك أن الوجود مصحح الرؤية بدليل أن جواز الرؤية حكم يستدعي مصححاً وقد شمل الجواز الجوهر والعرض والجامع بينهما يمكن جعله مصححاً سوى الوجود وإذا كان الوجود هو المصحح فقد صحت رؤيته تعالى لوجوده وأما استبعاد أن يرى ما ليس في جهة فأمر وهمي مثله عرض للمعطلة فعليت بصائرهم حتى أنكروا موجوداً لا في جهة ومن اتبع الأوهام اغتسق مهامه الضلال وهام ولو كانت الرؤية تتوقف على جهة المرئي لكانت المعرفة تتوقف على جهة المعروف ولا خلاف أنه سبحانه يعرف لا في جهة فكذلك يرى لا في جهة فالحق أن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لنفسه لعله يجوز ذلك على الله تعالى والقدرية يجبرهم الطمع ويجرؤهم حتى يروموه وأن يجعلوا موسى عليه السلام كان على معتقد ومهم حينئذ إلا من آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيباً وأما قوله عليه السلام أنه لئلا نأفعل السفهاء منا تبرأ من أفعالهم وأسفيهم وتضليلهم لرأيهم فلا راحة للقدرية في الاستشهاد به على إنكار موسى عليه السلام لجواز الرؤية فإن الذي كان الإهلاك بسببه إما هو عبادة العجور في قول أكثر المفسرين ثم وإن كان السبب طلبهم للرؤية فليس لها غير جائزة على الله ولكن لأن الله تعالى أخبر أنها لا تقع في دار الدنيا والخبر صدق وذلك بعد سؤال موسى للرؤية فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيباً للخبر فن ثم سفهم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ما أخبر الله أنه لا يقع ثم ولو كان سؤالهم الرؤية قبل إخبار الله تعالى بعدم وقوعها فإنما سفهم موسى عليه السلام لا اقتراحهم على الله هذه الآية الخاصة وتوقيفهم الإيمان عليها حيث قالوا لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ألا ترى أن قولهم لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إنما سألوا فيه جائزاً ومع ذلك فزعوا به لا اقتراحهم على الله ما لا يتوقف وجوب الإيمان

(قوله أن الطلبة هي الرؤية) في الصحاح الطلبة بكسر اللام ما طلبته من شيء (قوله ومنع المجبرة إحالته) يعني أهل السنة حيث ذهبوا إلى جواز رؤيته تعالى ومنعوا اشتراط كون المرئي في جهة قال تعالى وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة والجائز قد ينفي في بعض الأوقات ويقع في بعض والحديث كما سيأتي سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ومحل الكلام علم الكلام

ليتقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك (فإن قلت) فهلا قال أرهم ينظروا إليك (قلت) لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعاً إليهم وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجلّ صاحب الجبل أن يجعل الله منظوراً إليه مقابلاً بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين (فإن قلت) ما معنى لن (قلت) تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول لا أفعل غداً فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غداً والمعنى أن فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لأن المنفي منافي لصفاته (فإن قلت) كيف اتصل الاستدراك في قوله (ولكن انظر إلى الجبل) بما قبله (قلت) اتصل به على معنى أن النظر إلى غمال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد

عليه فهذه المباحث الثلاثة توضح لك سوء نظر الزمخشري بعين الهوى وعنايته عن سبيل الهدى والله الموفق به عاد كلامه (قال فإن قلت هلا قال أرهم ينظروا إليك الخ) قال أحمد وهذا الكلام الآخر من الطراز الأول وأقرب شاهد على رده أنه لو كان طلب الرؤية لهم حتى إذا سمعوا منع الله تعالى لها أيقنوا أنها ممنوعة لكان طلبها عبثاً غير مفيد لهذا الغرض لأن هؤلاء لا يخلو أمرهم إما أن يكونوا مؤمنين بموسى أو كفاراً به فإن كانوا مؤمنين به فإخباره إياهم بأن الله تعالى لا يرى ولا يجوز عليه ذلك كاف في حصول المقصود من غير حاجة إلى أن يسأل موسى عليه السلام من الله أن يريه ذاته على علم بأن ذلك محال وإن كانوا كفاراً بموسى عليه السلام فلا يحصل الغرض من ذلك أيضاً لأن الله تعالى إذا منعه مسؤله من الرؤية فإنما يثبت ذلك لهم بقول موسى عن الله تعالى أنه منعه ذلك وهم كفار بموسى عليه السلام فكيف يفيدهم غيره عن الله بامتناع ذلك فهذا أوضح مصداق لأن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لنفسه اعتقاداً لجوازها على الله تعالى فأخبره الله أن ذلك لا يقع في الدنيا وإن كان جائزاً عاد كلامه (قال وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة الخ) قال أحمد ودعواه أن النظر يستلزم الجسمية قد سلف ردها وأما تنزيه موسى عليه السلام بنسبة اعتقاد استحالة الرؤية إليه فهو غنى عنه وأما إقناعه في تفصيله برجحانه عليه السلام في العلم بالله وبصفاته على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين فهو نقص عن منصبه العليّ وأقل العوام المقلدين لأهل السنة راجع عند الله على أصحاب البدع والأهواء وإن ملؤا الأرض نفاقاً وشخناً مصنفاتهم عناداً لأهل السنة وشقاقاً فكيف بكلم الله عليه أفضل الصلاة والسلام عاد كلامه (قال فإن قلت ما معنى لن . قلت تأكيد النفي الذي تعطيه لا الخ) قال أحمد لن كما قال تشارك لافي النفي وتمتاز بمزية تأكيد كيدته وأما استنباط الزمخشري من ذلك منافية الرؤية لحال الباري عز وجل ثم إطلاق الحال على الله تعالى بما يستحز عنه واستشهاده على أن لن تشعر باستحالة المنفي عقلاً مردود كثيراً بكثير من الآي كقوله تعالى قل لن تخرجوا معي أبداً فذلك لا يجعل خروجهم عقلاً ولن يؤمن من قومك إلا من قد آمن . لن تتبعونا . فهذه كلها جائزات عقلاً لولا أن الخبر منع من وقوعها فالرؤية كذلك عاد كلامه (قال ثم حقق تعالى عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد الخ) قال أحمد نسبة جواز الرؤية إلى الله تعالى عند الزمخشري كنسبة الولد إليه وهذا مفرغ على المعتقد السالف بطلانه وليس له في هذا الفصل وظيفة إلا تتبع الشبه لامتناع الرؤية تلفظاً من كل فجّ والحق أن ذلك الجبل إنما كان لأن الله عز وجل أظهر له آية من ملكوت السماء ولا تستقر الدنيا لإظهار شيء من ملكوت السماء وهذا هو المأثور عن السلف في هذه الآية ومعناه

صَعَقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ه قَالَ بِمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي

إليه في قوله وتخرّ الجبال هداً أن دعوا للرجن ولدا (فإن استقر مكانه) كما كان مستقراً ثابتاً ذاهباً في جهاته (فسوف تراني) تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالأرض وهذا كلام مدح بعضه في بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بدیع ألا ترى كيف نخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف نبني الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني (فلما نبجل ربه للجبل) فلما ظهر له اقتداره وتصدي له أمره وإرادته (جعله دكا) أي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكا والدكاه اسم للرابية الناشرة من الأرض كالدكة أو أرضاً دكاه مستوية ومنه قولهم ناقة دكاه متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاه أي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا أي قطعاً دكا جمع دكاه (وخر موسى صعقاً) من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقة ويقال لها الصاعقة من صعقه إذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشياً عليه غشية كالموت وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الخيض أطمعت في رؤية رب العزة (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك) أنزهك بما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها (تبنت إليك) من طلب الرؤية (وأنا أول المؤمنين) بأنك لست بمرتى ولا مدرك بشيء من الحواس (فإن قلت) فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فم تابت (قلت) من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرفج الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كلمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر وكيف سبح

عند أبي الحسن رحمه الله فعل فعلا سماه تجاياً وكان الغضب إقماً لأنهم طلبوا رؤية جسمانية في جهة وإقماً لأنهم كتبوا الخبر بأنه لا يرى في الدنيا وإقماً لأنهم كفروا بالاقتراح أو بالمجموع ه عاد كلامه (قال ومعنى فإن استقر مكانه فإن ثبت كما كان ذاهباً الخ) قال أحمد وهذا من حيل القدرية في إحالة الرؤية يقولون قد علقها الله على شرط محال وهو استقرار الجبل حال دكه والمعلق على المحال محال وهذه حيلة باطلة فإن المعلق عليه استقرار الجبل من حيث هو استقرار وذلك ممكن جائز وتعلق العلم بأنه لا يستقر له لا يرفع إمكان استقراره وتعلق العلم لا يغير المعلوم ولا ينقل حكمه من إمكان إلى امتناع ولا العكس وحينئذ يتوجه دليلاً لأهل السنة فنقول استقرار الجبل ممكن وقد علق عليه وقوع الرؤية والمعلق على الممكن ممكن والمعتزلة يعتقدون أن خلاف المعلوم لا يجوز أن يكون مقدوراً ونحن نقول مقدور ولكن ما علق المشيئة بإيجاده وقولنا أقعد بالآداب وأسعد بالإجلال في الخطاب ه عاد كلامه (قال ومعنى وخر موسى صعقاً : وخر مغشياً عليه غشية كالموت وروى أن الملائكة مرت عليه الخ) قال أحمد وهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عونا وظهوراً على المعتقد الفاسد والوجه التورك بالغلط على ناقلها ونزبه الملائكة عليهم السلام من إهانة موسى كلم الله بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب ه عاد كلامه (قال فإن قلت إن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فم تابت الخ) قال أحمد أما ذلك الجبل فقد سلف الكلام على سره وأما تسديح موسى عليه السلام فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعديم وقوع الرؤية في الدنيا والله تعالى مقدس عن وقوع خلاف معلومه وعن الخلف في خبره الحق وقوله الصدق فلما تبين أن مطلوبه كان خلاف المعلوم سبح الله وقدم عليه وخبره عن الخلف وأما التوبة في حق الأنبياء فلا تستلزم كونها عن ذنب لأن منصبهم الجليل ينبغي أن يكون منزهاً مبرأً من كل

(قوله ولم يخل كلمه من نفيان ذلك) قوله نفيان هو ما يتطير من قطر المطر وقطر الدلو ومن الرمل عند الوطى ومن الصوف عند النفس ونحو ذلك كذا في شرح المعلقات للعلامة الزوزني

وَبِكَلِمَةٍ نَّخُذُ مَا آتَيْنَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا

ربه ما حجوا إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هوام سنة ۝ وجماعة حمر لعمرى موكفه

قد شبهوه بخلقه وتخرفوا ۝ شنع الورى قستروا بالبلكفه

وتفسير آخر وهو أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جليلاً كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك معرفة اضطرار كأنى أنظر إليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كما بصاركم القمر إذا إمتلاً واستوى قال لن تراني أى لن تطيق معرفتى على هذه الطريقة ولن تحمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل فإنى أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجايها واستقر مكانه ولم يتضعض فسرف تثبت لها وتطيقها فلما تجلّى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وختر موسى صعقاً لعظم مارأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيئاً لا يقوم لبطشك وبأسك (اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم (برسالانى) وهى أسفار التوراة (وبكلامى) وبتكليمى إياك (نخذ ما آتيتك) ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم وقيل ختر موسى صعقاً يوم عرفة وأعطى النوراة يوم النحر (فإن قلت) كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونيا (قلت) أجل لكنه كان تابعاً له ورداً ووزيراً والكليم هو موسى عليه السلام والأصيل فى حمل الرسالة ۝ ذكروا فى عدد الألواح وفى جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوته حمرى وقيل أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينهاله فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع وقوله (ومن كل شىء) فى محل النصب مفعول كتبنا و (موعظة) وتفصيلاً بدل منه والمعنى كتبنا له كل شىء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت النوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزأ منه فى سنة لم يقرأها إلا الأربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب فى الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تحلقوا باسمى كاذبين

ما ينحط به ولا شك أن التوقف فى سؤال الرؤية على الإذن كان أكمل وقد ورد سيئات المقربين حسنات الأبرار ۝ عاد كلامه (قال ثم أعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة الخ) قال أحمد رحمه الله وقد انتقل الزمخشري فى هذا الفصل إلى ما سمعه من هجاء أهل السنة ولولا الاستناد بحسان بن ثابت الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاعره والمنافع عنه وروح القدس معه لقلنا لهؤلاء المنقلبين بالعدلية وبالناجين سلاماً ولكن كما نافع حسان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءه فنحن ننافع عن أصحاب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءهم فنقول

وجماعة كفروا برؤية ربهم ۝ حقاً ووعداً ما لن يخلفه ۝ وتلقبو عدلية قلنا أجل

عدلوا بربهم فحسبهم وسفه ۝ وتلقبو الراجين كلالهم ۝ إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفاه

(قوله والقول ما قال بعض العدلية) غفر الله للمصنف ما أوثق به لسانه وقلبه فى ذكر هذه الآيات

لَكُلِّ شَيْءٍ نَّخُذُهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرٌ قَوْمِكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ه سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ه وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبَطَتْ أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ه وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارِ الْمِ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ه وَمَا

فلن من حلف باسمي كاذبا فلا أزيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين (نخذاها) فقلنا له خذها عظاما على كتبنا ويجوز أن يكون بدلا من قوله نخذا ما آتيتك والضمير في خذها للألواح أو لكل شيء لأنه في معنى الأشياء أو للرسالات أو للتوراة ومعنى (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل (ياخذوا بأحسنها) أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فزهم أن يحملوا على أنفسهم في الاخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر الثواب كقوله تعالى «واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم» وقيل ياخذوا بما هو واجب أو ندب لأنه أحسن من المباح ويجوز أن يراد ياخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكتهم الله لفسقهم في مزمك عليها في أسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أورني كذا وأوريته ووجهه أن تكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه وأنزه لاستيئه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون (سأصرف عن آياتي) بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهما كما فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيئة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا بإهلاكم وفيه إنذارا للخاطئين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم (بغير الحق) فيه وجهان أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محتمين لأن التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم (وإن يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها) وقرأ مالك بن دينار وإن يروا بضم الياء ه وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما أسفه من ركب المفاضة فإن رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه وإن رأى معسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه أسفه (ذلك) في محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه (واقاء الآخرة) يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة (من بعده) من بعد فراقه إياهم إلى الطور (فإن قلت) لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري (قلت) فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل إليهم لأن رجلا منهم بشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولأنهم كانوا امرئيين لا يتخذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه والثاني أن يراد واتخذوه إلهاء وعبوده ه وقرئ من حلبيهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كشدى وثدى ومن حلبيهم بالكسر للاتباع كعدلى ومن حلبيهم على التوحيد والحلي اسم لمن يتحسن به من

سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ هـ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضِبَ عَلَيْهِمْ أَشْفَا قَالَ بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني فلا تُشمت بي الأعداء ولا تجعلني

الذهب والفضة (فإن قلت) لم قال من حلبيهم ولم يكن الحلبي لهم إنما كانت عواري في أيديهم (قلت) الإضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري في أيديهم كفي به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى إلى قوله عز وعلا فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل (جسداً) بدناً ذا لحم ودم كسائر الأجساد هـ والخوارصوت البقر قال الحسن إن السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلاله خوار وقرأ على رضى الله عنه جوار بالجم والهمزة من جار إذا صاح وانتصاب جسداً على البدل من عجلا (الم بروا) حين اتخذوه إلهاً أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماته وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق ومناجيه بما ركز في العقول من الأدلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتداء فقال (اتخذوه) أى أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر (وكانوا ظالمين) واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم ولا أول منا كبيرهم (ولما سقط في أيديهم) ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعرض غمما فتصير يده مسقوطة فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط مسند إلى في أيديهم وهو من باب الكناية وقرأ أبو السميغ سقط في أيديهم على تسمية الفاعل أى وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الدم في أيديهم أى في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وإن كان محالاً أن يكون في اليد تشبيهاً لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليدورى بالعين (ورأوا أنهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبيناً كأنهم أبصروه بعيونهم هـ وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وإن لم تغفر لنا وترحمنا هـ الأسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين (خلفتوني) قتمت مقامى وكنتم خلفائى من بعدي وهذا الخطاب إيماناً يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه أولوجوه بني إسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفنى في قومي والمعنى بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أوحيت لم تكفوا من عبد غير الله (فإن قلت) أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم (قلت) الفاعل مضمرة بفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم (فإن قلت) أى معنى لقوله (من بعدي) بعد قوله خلفتموني (قلت) معناه من بعد ما رأيتم منى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من بعدما كنت أحمل بنى إسرائيل على التوحيد وأكفهم عما ظمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه خلف من بعدهم خلف أى من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة هـ يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدي تعديته فيقال عجالت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهدده وما وصاكم به فبئس الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتى فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنيادهم وروى أن السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى أن موسى لن يرجع وأنه قد مات وروى أنهم عدوا عشرين يوماً بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا (وألقى الألواح) وطرحتها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديداً شديداً الغضب وكان هارون أليز منه جانباً ولذلك كان أحب إلى بنى إسرائيل من موسى وروى أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة (وأخذ برأس أخيه) أى بشعر رأسه

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۝ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَعَمِنُوا وَإِنَّا إِنَّا رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَغْفِرَ رَحِيمٌ ۝ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ

(يجزه إليه) بذواته وذلك لشدة ماورد عليه من الأمر الذي استغزه وذهب بفظته وظنا بأخيه أنه فرط في الكف (ابن أم) قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الإضافة وابن أمى بالياء وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل كان أخاه لآيه وأمه فإن صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد وذلك أدعى إلى العطف والرفقة وأبغظ للحق الواجب ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها (إن القوم استضعفوني) يعني أنه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغت طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه (فلا تسمت بي الأعداء) فلا تفعل بي ما هو أمنيته من الاستهانة بي والإساءة إلى وقرئ فلا يسمت بي الأعداء على نهى الأعداء عن الشتمات والمراد أن لا يحل به ما يسمتون به لأجله (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) ولا تجعلني في موجدتك على وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبيا أو ولا تعتقد أني واحد من الظالمين مع برأقي منهم ومن ظلمهم ۝ لما اعتذر إليه أخوه وذكر له شتمات الأعداء (قال رب اغفر لي ولأخي) ليرضى أخاه ويظهر لأهل الشتمات رضاه عنه فلا تتم لهم شتماتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ولأخيه إن عسى فرط في حسن الخلافة وطلب أن لا يفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة (غضب من ربهم وذلة) الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربية مثل مضروب وقيل هو مانال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية (المفتريين) المنكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا الحكم وإله موسى ويجوز أن يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي كلها (ثم تابوا) ثم رجعوا (من بعدها) إلى الله واعتذروا إليه (وآمنوا) وأخلصوا الإيمان (إن ربك من بعدها) من بعد تلك العظائم (لغفور) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم أولا ثم أردفها تعظيم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه أعظم وأجل ولكن لا بد من حفظ الشريعة وهي وجوب التوبة والإنابة وماوراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت إليها حازم (ولما سكت عن موسى الغضب) هذا مثل كان الغضب كأن يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق

۝ قوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها الآية (قال عظم جناية متخذى العجل أولا ثم أردفها بحكم عام الخ) قال أحمد يعرض بوجوب وعيد الفساق وإن مغفرة الذنب بدون التوبة منه من المجال الممتنع وقد تقدم عد ذلك من الأهواء والبدع بل الحق أن المغفرة لما عدا الشرك مو كولة إلى المشيئة غير ممتعة عقلا ثم واقعة نقلا والله الموفق ۝ قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب الآية (قال هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وخذ برأس أخيك الخ) قال أحمد وهو من النمط الذي قدمته من قلب الحقيقة إلى المجاز وكان الأصل ولما سكت موسى عن الغضب ولذلك عده بعض أهل العربية من المقلوب وسلكه في نمط خرق الثوب المسمار والتحقيق

(قوله من حفظ الشريعة وهي وجوب الثواب) مذهب المعتزلة أن الكبيرة لا تغفر إلا بالتوبة ومذهب أهل السنة أنها قد تغفر بمجرد الفضل (قوله وأشعبية باردة) خصلة منسوبة إلى أشعب وهو رجل كان طماعا ويضرب به المثل في الطمع كافي الصحاح

وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ بِرَهْبُونَ ۝ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِّمَّنْ لَمِيقَتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِيسَىٰ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۗ أَنْتَ وَلِيْنَا فَآغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۝ وَآكُتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَرَحْمَتِي

صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شطب البلاغة وإلا فالقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفاً من تلك الروعة وقرئ ولما سكت وأسكت أى أسكته الله أو أخوه باعتذاره إليه وتبصله والمعنى ولما طفق غضبه (أخذ الألواح) التي ألقاها (وفي نسختها) وفيما نسخ منها أى كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (لربهم برهبون) دخلت اللام لتقدم المفعول لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت (واختار موسى قومه) أى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله ۝ منا الذي اختير الرجال سماحة ۝ قبل اختار من اثني عشر سبطاً من كل سبط ستة حتى تماموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فنشاحوا فقال إن لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى أنه لم يصب إلا ستين شيخاً فأوحى الله تعالى إليه أن تختار من الشبان عشرة فاخترهم فأصبحوا شيوخاً وقيل كانوا أبناء ماعدا العشرين ولم يتجاوزوا الأربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبأ فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويظفروا ثيابهم ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه وكان أمره ربه أن يأتيه في سبعين من بنى إسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجداً فسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه أفعلاً ولا تفعل ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا يا موسى إن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب أرني أنظر إليك يريد أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته فأجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ۝ ولما كانت الرجفة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي) وهذا تمن منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكني قبل هذا (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) يعنى أهلكنا جميعاً يعنى نفسه وإياهم لأنه إنما طلب الرؤية زجراً للسفهاء وهم طلبوها سفهاً وجهلاً (إن هي إلا فتنتك) أى محتك وإبتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالاً فاسداً حتى افتتنوا وضلوا (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدى العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك إضلالاً من الله وهدى منه لأن محنته لما كانت سبباً لأن ضلوا واهدوا فكانه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام (أنت ولينا) مولانا القائم بأمرنا (واكتب لنا) وأثبت لنا واقسم (في هذه الدنيا حسنة) عافية وحياة طيبة وتوفيقاً في الطاعة (وفي الآخرة) الجنة (هدنا إليك) تبنا إليك وهداه إليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب وبعضهم : يارا كب الذنب هدهد ۝ واسجد كأنك هدهد

أنه ليس منه وأن هذا القلب أشرف وأفصح لأنه بماله على معنى بليغ وهو أن الغضب كان متسكناً من موسى حتى كان كأنه بصرفه في أوامره وكل ما وقع منه حينئذ فعن الغضب صادر حتى كأنه هو الذي أمره به ومثل هذه النكته الحسنة لا تلقى في خرق الثوب المسمار بل هي موجودة في قوله تعالى حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق على خلاف قراءة نافع وقد تقدم ذلك آنفاً والله الموفق

(قوله لأن محنته لما كانت سبباً) صرف الكلام عن ظاهره لأنه تعالى لا يخلق الشر عنهم أم على مذهب أهل السنة فلا حاجة إلى ذلك

وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَمَا كُتِبَ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْإِغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۝ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
وَعَزَّوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

وقرأ أبو وجرة السعدي هدايا لك بكسر الهاء من هاده يهده إذا حرّكه وأماله ويحتمل أمرين أن يكون مبنياً للفاعل والمفعول
بمعنى حرّ كنا إليك أنفسنا وأملناها أو حرّ كنا إليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة
ويجوز عدت بالإشمام وعدت بإخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة أن يكون هدايا بالضم
فعلنا من هاده يهده (عذابي) من حاله وصفته أني (أصيب به من أشاء) أي من وجب على في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو
عنه مسأغ لكونه مفسدة ۝ وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص
إلا وهو متقلب في نعمتي ۝ وقرأ الحسن من أساء من الإساءة ۝ فسأ كتب هذه الرحمة كتبه خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين
يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها (الذين
يتبعون الرسول) الذي نوحى إليه كتاباً مختصاً به وهو القرآن (النبي) صاحب المعجزات (الذي يجدونه) يجدنعت أولئك الذين
يتبعونه من بني إسرائيل (مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ۝ ويحل لهم الطيبات) ما حرّم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم
وغيرها أو ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلى كسبه من السحت (ويحرّم عليهم الخبائث)
ما استخبت من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبت في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب
الخبثية ۝ الإصر الثقل الذي يصر صاحبه أي يجسه من الحراك لثقله وهو مثل ثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل النفس
في صحة توبتهم ۝ وكذلك الإغلال مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بوت القضاء بالفصاص عمداً كان أو خطأ
من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنم وتحريم العروق في اللحم
وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا قامت نصل لبسو المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما نقب الرجل رقوته
وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ أصرهم على الجمع (وعزروه) ومنعوه حتى لا يقوى
عليه عدوّ وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لأنه منع عن معاودة القبيح الاترى
إلى تسمية الحد والحد هو المنع و (النور) القران (فإن قلت) ما معنى قوله (انزل معه) وإنما انزل مع جبريل (قلت) معناه
أنزل مع نبوته لأن استنباهه كان مصحوباً بالقران مشفوعاً به ويجوز أن يعلق باتبعوا أي واتبعوا القران المنزل مع
اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه (فإن قلت) كيف
انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه (قلت) لما دعاه نفسه ولبنى إسرائيل أجيب بما هو منطوق على توبيخ
بنى إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يده موسى وعرض بذلك
في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به
كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفاً لهم وترغيباً في إخلاص الإيمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق
بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء (إني رسول الله اليكم جميعاً) قيل بعث كل رسول إلى قومه خاصة

إلى ذلك (قوله أي من وجب على في الحكمة) هذا عند المعتزلة وأما أهل السنة فلا يجب على الله تعالى عندهم شيء

(قوله وبين أعقابهم عن رحمة الله) لعله في أو ضمن التفريق معنى الإبعاد فعدى بعن

إِيَّكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَمِنَ الْقَوْمِ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَمَ قَوْمَهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحِجْرَ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَمَ قَوْمَهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحِجْرَ

وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة الانس وكافة الجن وجميعاً نصب على الحال من اليكم ۝ (فإن قلت) (الذي له ملك السموات والأرض) ما محله (قلت) الأحسن أن يكون متصبا بإضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون جراً على الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعاً وقوله (لا إله إلا هو) بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والأرض وكذلك (يحي ويميت) وفي لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة وفي يحي ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره (وكلماته) وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الأفراد وهي القرآن أو أراد جنس ما كلم به وعن مجاهد أراد عيسى ابن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وإنما قيل إن عيسى كلمة الله نخص بهذا الاسم لأنه لم يكن لسبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمني (لعلكم تهتدون) إرادة أن تهتدوا (فإن قلت) هلا قيل فآمنا بالله وبى بعد قوله إني رسول الله اليكم (قلت) عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري إظهاراً للنصفة وتفادياً من العصية لنفسه (ومن قوم موسى أمة) هم المؤمنون الثابتون من بني إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمنتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله تعالى ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم ۝ وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجوزون أو أراد الذين وصفهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم وقيل إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطاً تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ففتح الله لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه سنة ونصفاً حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الأمي فآمنا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل إني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهمل يزيد صلحاءكم عليهم شيئاً من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والإلفاق طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله أهل مدرولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الأرض ومغاربها إلا وقد ألقاه إليهم وملا به مسامعهم وألزمهم به الحجج ۝ هو سائلهم عنه يوم القيامة (وقطعناهم) وصيرناهم قطعاً أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف (اثنتي عشرة أسباطاً) كقولك اثنتي عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً من ولد يعقوب عليه السلام (فإن قلت) ميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه بمجوعاً وهلا قيل اثني عشر سبطاً (قلت) لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً لأن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط

فَانبَجَسْتُمْ مِنْهَ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ
وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَتَوَلَّوْا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَبَدَّلَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ۝ وَسَأَلَهُمْ
عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ

لا بسبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ونظيره ۝ بين رماحى مالك ونهشل ۝ و(أعما) بدل من اثنتى عشرة بمعنى وقطعناهم أعما
لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ماتومه الأخرى لا تكاد تألف ۝ وقرئ
اثنتى عشرة بكسر الشين (فانبجست) فانبجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج ۝ وكيف غربى دالج
تبجسا ۝ (فإن قلت) فهلا قيل فضرب فانبجست (قلت) لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس مسييا على الإيجاء
بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح
به وقوله (كل أناس) نظير قوله اثنتى عشرة أسباطا يريد كل أمة من تلك الأمم اثنتى عشرة والأناس اسم جمع غير تكسير
نحو رخال وتناء وتوأم وأخوات لها ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما أبدلت
في نحو سكارى وغيارى من الفتحة (وظللنا عليهم الغمام) وجعلنا ظليلا عليهم في التيه و(كلوا) على إرادة القول (وما ظلمونا)
وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ۝ ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبالظلمهم اليهم (وإذ قيل لهم) واذكر
إذ قيل لهم ۝ والقرية بيت المقدس (فإن قلت) كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة (قلت) لا بأس باختلاف
العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لأنهم إذا سكنوا
القرية فتسببت سكناهم الأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكنهاها والأكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب
أو آخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله (نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) موعده
بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران
فقيل له سنزيد المحسنين ۝ وكذلك زيادة منهم زيادة بيان ۝ وأرسلنا وأنزلنا و(يظلمون) ويفسقون من واد واحد ۝
وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم ونغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتك على البناء للفعول (وسلهم) وسل اليهود وقرئ
واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقرير بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والإعلام بأن هذا من علومهم التي لا تعلم
إلا بكتاب أو وحى فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير
في قولك أعدوتم في السبت ۝ والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية وعن أبي عمرو بن العلاء ما رأيت
قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعنى رجلين من أهل المدين (حاضرة البحر) قرية منه را كبة لشاطئه (إذ يعدون في السبت)
إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطلاحهم في يوم السبت وقد نوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت
حركتها إلى العين ويعتدون من الإعداد وكانوا يعتدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة

(قوله نحو رخال وتناء وتوأم) قوله رخال هي الإناث من أولاد الضأن والتناء القاطنون بالبلد والتوأم بالمد واحد توأم
وزان كوكب أفاده الصبحاح (قوله نحو سكارى وغيارى) غار الرجل على أهله فهو غيور وجمعه غيوران وجمعه غيارى
وغيارى كذا في الصبحاح

لَأَتَاتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبُؤُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً

والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتا بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله
(يوم سبتهم) معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه قوله (وبوم لا يسبتون) قراءة عمر بن عبد العزيز يوم أسباتهم
وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ على لا يسبتون بضم الباء من أسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للفعول أي لا يهدار
عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا (فإن قلت) إذ يعدون وإذ تأتيهم ما محلها من الإعراب (قلت) أما الأول فمجرد
بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتغال ويجوز
أن يكون منصوباً بكانت أو بحاضرة وأما الثاني فنصوب يعدون ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل هـ والحيثان
السبك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة (شرعا) ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على أبوابهم
كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرأيتك يفعل كذا (كذلك نبؤهم)
أي مثل ذلك البلاء الشديد نبؤهم بسبب فسقهم (وإذ قالت) معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب (أمة منهم)
جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في مواعظهم حتى أسوا من قلوبهم لآخرين كانوا لا يلقون
عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) أي محترمهم ومظهر الأرض منهم (أو معذبهم عذاباً شديداً) تمادهم
في الشر وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة إلى ربكم) أي مواعظنا إبلاء عذر إلى الله ولثلاث نسب
في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط (ولعالمهم يتقون) ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء هـ وقرئ معذرة بالنصب أي
وعظناهم معذرة إلى ربكم واعتذرنا معذرة (فلما نسوا) يعني أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناس لما ينسأه
(أنجيننا الذين ينهون عن السوء وأخذنا) الظالمين الراكبين للمنكر (فإن قلت) الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي الفريقين
هم أم فريق الناجين أم المعذنين (قلت) من فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة
الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضاً صحيحاً لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر
فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العيب ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر
والجلادين المرتين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثاً منك ولم يكن إلا سبياً للتلهي بك وأما الآخرون
فإنما لم يعرضوا عنهم إنما لأن بأسهم لم يستحكم كما استحكم بأس الأولين ولم يخبروهم كما خبرهم أو لفرط حرصهم ووجدتهم
في أمرهم كما وصف الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الأمة هم المواعظون لما
وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال
يأليت شعري ما فعل هؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم
عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت
فرقة وهم الذين أخذوا الحيثان وروى أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم
السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيثان تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضا سماتاً كأنها المخاض
لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لأن تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتم
عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضاً تسوقون الحيثان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم

(قوله على المآصر والجلادين) قوله المآصر هي المحابس من أصره الله حبسه كذا في الصحاح

خَسِيبِينَ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ
وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكُتُبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ
سَيَغْفِرَ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِثْقَالُ الذَّرَّةِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ

الأحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا إلى خشية في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فطلع في تنوره فقال له إني أرى الله سبعتك فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحووا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلثا ثلث نورا وكانوا نحو من اثني عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون إننا لانسأكنكم فقسموا القرية بحدار للمسلمين باب وللمتدين باب ولعنه داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسابها من الإنس والإانس لا يعرفون أنسابهم من القرود فجعل القرود يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويكي فيقول ألم تنهك فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوحى أكلة أكلها أهلها أنقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة هاه واهم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر (بئس) شديد يقال بؤس بؤس بأسا إذا اشتد فهو بئس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما يقال كبد في كبد وبئس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبئس على فعل بكسر الهمزة وفتحها وبئس بوزن ريس على قلب همزة بئس ياء وإدغام الياء فيها وبئس على تخفيف بئس كهين في هين وبئس على فاعل (فلما عتوا عما نورا عنه) فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم (فلما لهم كونوا قردة) عبارة عن مسخهم قردة كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا العذاب البئس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ربك وهو تفعل من الإيدان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله وأجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن) والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليعبثن على اليهود (إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية إلى الجرس إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضر بها عليهم فلأترال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ومعنى ليعبثن عليهم ليساطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد (وقطعناهم في الأرض أمتا) وفرقتناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم (منهم الصالحون) الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة (فإن قلت) ما محل دون ذلك (قلت) الرفع وهو صفة لموصوف منحرف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه ومما نأله إلهة مقام معلوم بمعنى ومما نأله أحد إلهة مقام (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم (لعلهم) ينتهون فينبون (تخاف) من بعد المذكورين (خاف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحرير ولا يعملون بها (ياخذون عرض هذا الأدنى) أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الأدنى تحسيس وتحقير والأدنى إمامن الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإمامن دنو الحال وسقوطها وقتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشافي الأحكام على تحريف الكلام للتسهيل على العامة (ويقولون سيغفر لنا)

وَدَّرَسُوا مَا فِيهِ وَالْدارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ۝ وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ
 بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ

لا يؤخذنا الله بما أخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الآخذ الذي هو مصدر يأخذون
 (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصررون عائدون إلى مثل فعلهم غير ثابتين وغفران
 الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا يغفران له (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا
 عظيما فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة (ودرسوا ما فيه) في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة
 هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا
 لا بما لم نشارك بالله شيئا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهو لاء من هاء، الإمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا
 الآية (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الحسيس (للذين يتقون) الرشا ومحارم الله ۝ وقرئ ورثوا الكتاب
 وألتقولوا بالتاء وادرسوا بمعنى تدارسوا وأفلا تعقلون بالياء والتاء ۝ (فإن قلت) ما موقع قوله ألا يقولوا على الله
 إلا الحق (قلت) هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة
 بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره
 كان أن لا يقولوا مفعول لاله ومعناه أثلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا تقولوا نهبا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على
 الله إلا الحق (فإن قلت) علام عطف قوله ودرسوا ما فيه (قلت) على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم
 ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والذين يمسكون بالكتاب) فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء
 وخبره (إنا لا نضيع أجر المصلحين) والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب
 كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثاني أن يكون مجرورا عطفا
 على الذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضا ۝ وقرئ يمسكون بالتحديد وتنصره قراءة أبي والذين
 مسكوا بالكتاب (فإن قلت) التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت (قلت)
 إظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان ۝ وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والذين
 أستمسكوا بالكتاب (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) قلعتاه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه تنق السقاء إذا نفضه
 ليقتلع الزبدة منه ۝ والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف (وظنوا أنه واقع
 بهم) وعلوا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار
 عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا يقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خز كل رجل منهم
 ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه
 الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنابها العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر
 ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنفض لها رأسه (خذوا ما آتيناكم) على إرادة
 القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب (بقرة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه

(قوله في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة) يعني أهل السنة ومذهبهم تجوز المغفرة بمجرد الفضل لا الطمع فيها مع
 الإصرار على المعصية (قوله وأنفض لها رأسه) أنفض أي حرك كالمعجب أفاده الصحاح

الست برّبکم قالوا بلی شهدنا ان تقولوا یوم القیمة انا کنّا عن هذا غافلین ۝ او تقولوا انما اشرك
 آباؤنا من قبل وکنّا ذریة من بعدهم اقبلکننا بما فعل المبطلون ۝ وكذلك فصل الايت ولعلهم
 یرجعون ۝ واتل علیهم نبأ الذی آتیناه آیاتنا فانسلخ منها فأتبعه الشیطن فکان من الغاوین ۝ ولوشدنا

(واذ کروا ما فیہ) من الارامر والنواهی ولا تنسوه أو اذ کروا ما فیہ من التعریض للنواب العظیم فارغبوا فیہ ویجوز
 ان یراد خذوا ما آتینا کم من الآیة العظیمة بقوة ان کنتم تطیقونه کقولہ ان استطعتم ان تفتدوا من اقطار السموات
 والارض فانفذوا (واذ کروا ما فیہ) من الدلالة علی القدرة الباهرة والینذار (لعلکم تتقون) ما اتم علیہ ۝ وقرا ابن
 مسعود وتذ کروا وقرئوا واذکرا بمعنی وتذ کروا (من ظهورهم) بدل من بنی آدم بدل البعض من الكل ومعنی أخذ
 ذریاتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا وإشهادهم علی انفسهم وقوله (الست برّبکم قالوا بلی شهدنا) من باب
 التمثیل والتخییل ومعنی ذلك انه نصب لهم الأدلة علی ربوبیته ورحمته وشهدت بها عقولهم ویصائرهم الی ربکما فیهم
 وجعلها بمیزة بین الضلالة والهدی فکانه أشهدهم علی انفسهم وقرره وقال لهم الست برّبکم وکانهم قالوا بلی أنت ربنا
 شهدنا علی انفسنا أقررنا بوحدانیتک وباب التمثیل واسع فی کلام الله تعالی ورسوله علیہ السلام وفی کلام العرب
 ونظیره قوله تعالی انما قولنا لشیء اذا أردناه ان نقول له کن فیکون فقال لها وللارض انتیا طوعا أو کرها قالنا اتینا
 طائعتین وقوله ۝ إذ قالت الانساع للطن الحق ۝ قالت له ریح الصبا قرقار ۝ ومعلوم انه لا قول ثم وإنما هو تمثیل
 وتصویر للمعنی (ان تقولوا) مفعول له ای فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة علی صحتها العقول کراهة ان تقولوا
 (یوم القیمة انا کنّا عن هذا غافلین) لم ننبه علیہ (أو) کراهة ان (تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وکنّا ذریة من
 بعدهم) فاقصدینا بهم لان نصب الأدلة علی التوحید وما نبهوا علیہ قائم معهم فلا عذر لهم فی الإعراض عنه والإقبال
 علی التقیید والاقتماد بالآباء کما لا عذر لآبائهم فی الشرك وأدلة التوحید منصوبة لهم (فإن قلت) بنو آدم وذریاتهم من هم
 الله صلی الله علیہ وسلم من أخلافهم المقتمین بآبائهم والدلیل علی أنها فی المشرکین وأولادهم قوله أو تقولوا انما اشرك
 آباؤنا من قبل والدلیل علی أنها فی اليهود الآیات الی عطف علیها هی والی عطف علیها وهی علی نمطها وأسلوبها وذلك
 قوله واسألهم عن القرية واذ قالت أمة منهم لم تعظون واذ تأذن ربک واذتقنا الجبل فرقههم واتل علیهم نبأ الذی آتیناه
 آیاتنا (اقبلکننا بما فعل المبطلون) ای كانوا السبب فی شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فیہ وترکه سنة لنا (وكذلك)
 ومثل ذلك التفصیل البلیغ (فصل الآيات) لهم (ولعلهم یرجعون) وإرادة ان یرجعوا عن شركهم فصلها ۝ وقرئ
 ذریتهم علی التوحید وأن يقولوا بالیاء (واتل علیهم) علی اليهود (نبأ الذی آتیناه آیاتنا فانسلخ منها) هو عالم من علماء
 بنی اسرائیل وقیل من السکنعانیین اسمه بلعم بن باعوراء أوتی علم بعض کتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن کفر بها

۝ قوله تعالی وإذا أخذ ربک من بنی آدم من ظهورهم ذریتهم وأشهدهم علی انفسهم الآیة (قال هذا من باب التمثیل
 والتخییل الخ) قال أحمد إطلاق التمثیل أحسن وقد ورد الشرع به وأما إطلاقه التخییل علی کلام الله تعالی فردود ولم
 یرد به سمع وقد کثر إنکارنا علیہ لهذه اللفظة ثم إن القاعدة مستقرّة علی أن الظاهر مالم یخالف لمعقول یجب إقراره
 علی ما هو علیہ فلذلك أقوه الا کثرون علی ظاهره وحقیقته ولم یجعلوه مثالا وأما کیفیة الإخراج والمخاطبة فانه
 أعلم بذلك ۝ عاد کلامه (قال فإن قلت بنو آدم وذریاتهم من هم الخ) قال أحمد والظاهر أنها شاملة لجملة بنی آدم فتدخل
 اليهود فی عمومها لأن کل واحد من بنی آدم یصدق علیہ الأمران جمیعا أنه ابن آدم وأنه ذریته ولا ینخرج من هذا إلا
 آدم علیہ السلام وإنما لم یذكر لظهوره ولا یخلو الکلام عن النوع المسمی فی فن البلاغة باللف اختصاراً وإيجازاً

لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ
ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۚ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ۚ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا يُلْتَمَسُ لَهُ الْخُصْرُونَ ۚ وَلَقَدْ
ذَرَأْنَا لَهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ

ونبذها وراء ظهره (فأتبعه الشيطان) فلجمته الشيطان وأدركه وصار قريباً له أو فأتبعه خطواته وقرئ فأتبعه بمعنى
فتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين روى أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى
وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل (ولو شئنا لرفعناه بها) لعظمتنا ورفعناه إلى منازل
الآبرار من العلماء بتلك الآيات (ولكنه أخلد إلى الأرض) مال إلى الدنيا ورجب فيها وقيل مال إلى السفالة (فإن
قلت) كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعاق بفعله الذي يستحق به الرفع (قلت) المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم
ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له
ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي
هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه
ولكننا لم نشأ (فمثله كمثل الكلب) فصفته التي هي مثل في الحسة والضعفة كصفة الكلب في أحسن أحواله وأذلها
وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن
سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعاً وكان حق
الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فخططنا ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب
موضع خططنا أبغح لأن تمثيله بالكلب في أحسن أحواله وأذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه
الكلب منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه أو لم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال
كالكلب إن طردته فسعى لهث وإن تركته على حاله لهث (فإن قلت) ما محل الجملة الشرطية (قلت) النصب على الحال
كأنه قيل كمثل الكلب ذليلاً دائماً الذلة لاهثاً في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع
على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد ما فرؤا نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به
(فاقصص) قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم (لعلمهم يتفكرون) فيحذرون مثل عاقبته إذ ساروا نحو سيرته وزاغوا
شبه زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقاناً بك وتزداد الحجة لزوماً لهم (ساء مثلاً القوم) أي مثل
القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم (وأنفسهم كانوا يظلمون) إما أن يكون معطوفاً على
كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون كلاماً منتظماً عن
الصلة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدوا
إلى غيرها (فهو المهتدى) حمل على اللمظ و (فأولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى (كثير من الجن والإنس) هم المطبوع
على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم و جعلهم في أنهم لا يلقون أذعنانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بأعينهم إلى

(قوله دوام اللهث به) في الصحاح لهث الكلب إذا خرج لسانه من النعب أو العطش وقوله تعالى إن تحمل عليه يلهث
أو تتركه يلهث لأنك إذا حملت على الكلب نبح وولى هارباً وإن تتركه شد عليك ونبح فيتعب نفسه في الحالتين

لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝ وَنَلَّهِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا
وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَعَمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهُودًا بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۝

ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإعراقهم في الكفر وشدة شكائهم فيه وأنه لا يأتى منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلبهم في الموجبات وتمسكهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد بلغنى أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرة النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار (أولئك كالأنعام) في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر (بل هم أضل) من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر (أولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار (ولله الأسماء الحسنى) التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك (فادعوه بها) فسموه بتلك الأسماء (وذروا الذين يلحدون في أسمائهم) واركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نحى أو أن يابوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى) ويجوز أن يراد الله الأوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان واتقاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشبهة

قوله تعالى والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائهم سيجزون ما كانوا يعملون (قال معنى الحسنى التي هي أحسن الأسماء الخ) قال أحمد أى بما يجوز عليه وإن لم يرد إطلاقه شرعا كالشريف والعارف ونحو ذلك عاد كلامه (قال كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم الخ) قال أحمد وفي هذا التأويل بعد لأن ترك الدعاء ببعض الأسماء لا يطلق عليه إلحاد في العرف وإنما يطلق على فعل لا على ترك ولكن يتميز عن الوجه السالف بأنه أضاف الأسماء الملحد فيها إلى ذاته وهذا أدل على الرحمن منه على مثل أبيض الوجه ونحوه فإن هذا ليس من أسمائه إلا أن يقال أضافه إليه تنزيلا على زعمهم عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد والله الأوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير الخ) قال أحمد لا يدع جشوا العقائد الفاسدة في غير موضع يسعها فإن يكن المراد الأوصاف الحسنى منها وصف الله بعموم القدرة والنفرد بالخلق حتى لا يشرك معه عبادة في خلق أفعالهم ويعظم الله تعالى بأنه لا يسأل عما يفعل وأن كل قضائه عدل وأنه لا يجب عليه رعاية ما يتوهمه الخلق مصلحة بعقولهم وأن وعده الصدق وقوله الحق وقد وعد رؤيته فوجب وقوعها إلى غير ذلك من أوصافه

فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من إخراج اللسان (قوله وجعلهم لإعراقهم في الكفر) قوله لإعراقهم يقال أعرق الشجر والنبات بالعين المهملة إذا امتدت عروقه في الأرض وأغرق النازع في القوس بالمعجمة أى استوفى مداها اه من الصحاح (قوله اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر) في الصحاح الدلوك ما يدلك به من طيب وغيره (قوله والمراد وصف حال اليهود) إنما فسر بذلك لأنه تعالى يجب عليه الأصلح للعبد عند المعتزلة وخلق جهنم ليس أصلح له وعند أهل السنة لا يجب عليه شيء (قوله وذروا الذين يلحدون) يريد أهل السنة القائلين كل كائن فهو مراد ومخلوق له تعالى ولو شراً وتجاوز رؤيته خلافا للمعتزلة في كل ذلك كما تقر في محله

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۗ وَأَمْلِي لَهُمْ إِن كِيدِي مَتِينٌ ۗ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا
مَا بِصَاحِبِهِمْ مَنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۗ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۗ مَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ

القبايح وتخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة
واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ۗ لمسا قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً فأخبر أن كثيراً من الثقلين عاملون بأعمال
أهل النار أتبعه قوله (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق) وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد
أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم إن من أمتي قوم ما على الحق حتى ينزل
عيسى عليه السلام وعن السكبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين ۗ الاستدراج استفعال
من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى :

فلو كنت في جب ثمانين قامة ۗ ورقيت أسباب السماء بسلم ليستدرجك القول حتى تهزه ۗ وتعلم أني عنكم غير مفهم
ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئاً بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في أربعض ومعنى
(سنستدرجهم) سنستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله
نعمة عليهم مع انهما كهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطراً وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف
النعم ظانين أن مواترة النعم أثره من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتباعد فهو استدراج الله تعالى لنعوذ بالله منه
(وأمل لهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين (إن كيدي متين) سماه كيداً لأنه شبيه بالكيد من حيث أنه
في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان (ما بصاحبهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من الجنة) من جنون وكانوا يقولون شاعر
مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم نغذاً نغذاً يحذرهم بأمر الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا
لمجنون بات يهوت إلى الصباح (أولم ينظروا) نظرا استدلال (في ملكوت السموات والأرض) فيما ندلان عليه من عظم الملك
والملكوت العظيم (وما خلق الله من شيء) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط
بها الوصف (وأن عسى) أن مخففة من الثقيلة والأصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن
والحديث عسى (أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلمهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة
الآجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الآجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن (فإن قلت) بم يتعاق
قوله (فبأي حديث بعده يؤمنون) (قلت) بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فإلهم لا يبادرون
إلى الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا ۗ قرئ ويذرهم
بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفاً على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضل الله لا يهده أحد

الجميلة وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيجحدونها ثم يزعمون أنه لا يشمل قدرته المخلوقات بل هي مقسومة بينه وبين عباده ويوجبون
عليه رعاية ما يتوهمونه مصلحة ويحجرون واسعاً من مغفرته وعفوه وكرمه على الخطائين من موحيه إلى غير ذلك من الإلحاد
المعروف بالطائفة المتلقين عدلية المزكين لأنفسهم وهو أعلم بمن اتقى ۗ عاد كلامه (قال وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم الخ)

(قوله حتى تهزه وتعلم أني عنكم) أي تكبره وفي الصحاح هز فلان الكأس والحرب كرها (قوله بات يهوت إلى الصباح)
قوله يهوت أي يصيح (قوله قبل مغافصة الآجل) مغافصة الآجل أي أخذه إياهم على حين غفلة اه من الصحاح

لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا
لَوْ قَرَّبَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا

ويذرههم (يسألونك) قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً فأنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم أن الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش ۝ والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أيّ فعلان منه لأن معناه أيّ وقت وأيّ فعل من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل متسانداً إليه قاله ابن جنى وأبي أن يكون من أين لأنه زمان وأين مكان وقرأ السليمان بن بكسر الهمزة (مرساها) إرساؤها أو وقت إرسائها أي إثباتها وإقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسي الجبل وأرسي السفينة والمرسي الأنجر الذي ترسي به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والأرض والمعنى متى يرسيها الله (إنما علمها) أي علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحداً من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت ذلك (لا يجليها لوقتها إلا هو) أي لا تزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها (ثقلت في السموات والأرض) أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة وبوده أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدتها وأهوالها أو لأن كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها (إلا بغتة) إلا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن الساعة تهيج بالناس والرجل يضلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (كأنك حفي عنها) كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسئلة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورضن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه إحقاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله وأحفي في المسئلة إذا الحف وحفي بفلان وتحفي به بالغ في البر به وعن مجاهد استخفيت عنها السؤال

قال أحمد وهذا تفسير حسن ملائم والله أعلم ۝ قوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (قال معناه كأنك بليغ في السؤال عنها الخ) قال أحمد وفي هذا النوع من التكرير نكتة لا تأتي إلا في هذا الكتاب العزيز وهو أجل من أن يشارك فيها وذلك أن المعهود في أمثال هذا التكرير أن الكلام إذا بني على مقصد وأعرض في أثناءه عارض فأريد الرجوع لتتميم المقصد الأول وقد بعد عهده طرى بذكر المقصد الأول لتصل نهايته ببدائه وقد تقدم لذلك في الكتاب العزيز أمثال وسيأتي وهذا منها فإنه لما ابتداء الكلام بقوله يسألونك عن الساعة أيان مرساها ثم اعترض ذكر الجواب المضمن في قوله قل إنما علمها عند ربّي إلى قوله بغتة أريد تتميم سؤالهم عنها بوجه من الإنكار عليهم وهو المضمن في قوله كأنك حفي عنها وهو شديد التعلق بالسؤال وقد بعد عهده فطرى ذكره نظرية عامة ولا تراها أبداً بطرى إلا بنوع من الإجمال كالندكرة للأول مستغنى عن تفصيله بما تقدم فمن ثم قيل يسألونك ولم يذكر المسؤل عنه وهو الساعة اكتفاء بما تقدم فلما كثر السؤال لهذه الفائدة كثر الجواب

(قوله قرأ السليمان بكسر الهمزة) في الضحاح أيان سؤال عن زمان وإيان بكسر الهمزة لغة سليم وبه قرأ السليمان بن يعقوب (قوله في وقتها بغتة لا يجليها) لعله وقيل لا يجليها بل لعله أو لا يجليها (قوله والرجل يضلح حوضه) في البخاري يلبط حوضه وروى يلو طأى يصلحه اه (قوله استحكم علمه فيه ورضن) رضن أي ثبت وتمكن اه (قوله إذا الحف) الحف الخ وعنف اه

عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت
أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ۝ إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ۝ هو الذي خلقكم
من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فررت به فلما أثقلت

حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حتى بها أي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق يستلونك أي يستلونك عنها
كأنك حتى أي عالم بها وقيل إن قريشاً قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يستلونك عنها كأنك حتى
تتخفى بهم فتختصم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي عليها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في إخبارك
به لكنك مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحى إليك وقيل كأنك حتى بالسؤال عنها تحبه وتؤثره
يعني أنك تكره السؤال عنها لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحد من خلقه (فإن قلت) لم كرر يستلونك
وإنما علمها عند الله (قلت) للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حتى عنها وعلى هذا تكرير العلماء الخذاق في
كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمه الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
أنه العالم بها وأنه المختص بالعلم بها (قل لا أملك لنفسي) هو إظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب
أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كما المالك والعبيد (الإما شاء) ربي ومالكي من النفع لي
والدفع عني (ولو كنت أعلم الغيب) لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع
واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسي شيء منها ولم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى في الحروب ورايحا وخاسرا في
التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير (إن أنا إلا) عبد أرسلت نذيراً وبشيراً وما من شأنى أنى أعلم الغيب
(لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعاً لأن النذارة والبشارة إنما تنفعان فيهم أو يتعلق بالبشير
وحده ويكرن المتعلق بالنذير محذوفاً أي إلا النذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون (من نفس واحدة) وهي نفس آدم
عليه السلام (وجعل منها زوجها) وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم
من أنفسكم أزواجاً (ليسكن إليها) ليطمئن إليها ويميل ولا يفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كانت بعضا
منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما أنت
في قوله واحدة منها زوجها ذهاباً إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها
فتكان التذكير أحسن طباقاً للمعنى ۝ والتغشى كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان (حملت حملاً خفيفاً) خف

أيضاً بحملاً فقال قل إنما علمها عند الله ويلاحظ هذا في تانيص الكلام بعد بسطه ومن أدق ما وقعت عليه العرب
في هذا النقط من التكرير لأجل بعد العهد تطرية للذكر قوله عجل لنا هذا وألحقنا بهذا ال ۝ الشحم إنما قد ملناه بجل
أي فقط فذكر الألف واللام تخاتمة للأول من الرجزين ثم لما استفتح الرجز الثاني استبعد العهد بالأولى فطرى
ذكرها وأبقى الأولى في مكانها ومن ثم استدل ابن جني على أن ما كان من الرجز على ثلاثة أجزاء فهو بيت كامل وليس
ينصف كما ذهب إليه أبو الحسن قال ولو كان بيتاً واحداً لم يكن عهداً أولى متباعدة فلم يكن محتاجاً إلى تكريرها الأثرى
أن عييداً لما جاء بقصيدة طويلة الآيات وجعل آخر المصراع الأول لم بعدها أول المصراع الثاني لأنها بيت
واحد فلم ير عهداً بعيداً وذلك قوله

يا خليلي أربعا واستخبراً ال ۝ نزل الدراس من أهل الحلال

مثل سحق البرد عني بعدك ال ۝ قطر مغتاء وتأويب الشمال

ثم استرسل فيها كذلك بضعة عشر بيتاً فانظر هذه النكتة كيف بالغت العرب في رعايتها حتى عدت القريب بعيداً
والمتقاصر مديداً فتأملها فإنها تحفة إنما تفق عند الخذاق الأعيان في صناعتى العربية والبيان والله المستعان

دَعُوا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَاهُمَا صَلَاحًا لَنُكُونُنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا
آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا

عليها ولم تلق منه ما ياتي بعض الحبالى من حمام من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقله وقد تسمع بعضهم تقول في ولدها ما كان أخفه على كبدى حين حملته (فرت به) فضبت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعنى النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس رضى الله عنه فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فماتت به من المرية كقوله أفتأرونه وأفتأمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل فارتابت به (فلما أثقلت) حان وقت نقل حملها كقوله أقربت وقرئى أثقلت على البناء للفعول أى أثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذى هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا) لئن وهبت لنا (صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير فى آتيتنا و(لنكونن) لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فلما آتاها) ما طلباه من الولد الصالح السوى (جعلنا له شركاء) أى جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك (فما آتاها) أى آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريثان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاها الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصى الأثرى إلى قوله فى قصة أم معبد فبا لقصى مازوى الله عنكم ۝ به من نثار لا يبارى وسود

ويراد هو الذى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاها ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلنا له شركاء فيما آتاها حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار وجعل الضمير فى يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه ۝ وقرئى شركا أى ذوى شرك وهم الشركاء أو أحدهما الله شركا فى الولد ۝ أجريت الأصنام مجرى أولى العلم فى قوله (وهم يخلقون) بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة والمعنى أى يشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لأن الله عز وجل

۝ قوله تعالى ۝ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ۝ إلى قوله تعالى ۝ فتعالى الله عما يشركون ۝ قال الضمير فى آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما الخ) قال أحمد وأسلم من هذين التفسيرين وأقرب والله أعلم أن يكون المراد جنسى الذكر والآتى لا يقصد فيه إلى معين وكان المعنى والله أعلم خلقكم جنسا واحدا وجعل أزواجكم منكم أيضا لتسكنوا اليهن فلما تغشى الجنس الذى هو الذر الجنس الآخر الذى هو الآتى جرى من هذين الجنسين كيت وكيت وإنما نسب هذه المقالة إلى الجنس وإن كان فيهم الموحدون لأن المشركين منهم أنذامات لسوف أخرج حيا ۝ وقتل الإنسان ما كفره إن الإنسان أفي خسر ۝ كما أنه كذلك على التفسير الاقول أضاف الشرك إلى أولاد آدم وحواء وهو واقع من بعضهم وعلى التفسير الثانى أضافه إلى قصى وعقبه والمراد البعض فهذا السؤال وارد على التأويلات الثلاثة وجوابه واحد ويسلم هذا الثالث من حذف المضاف المضطر إليه فى التأويل الاقول وعمما ينصرف إلى التأويل الثانى من استبعاد تخصيص قصى بهذا الأمر المشترك فى الجنس وهو جعل زوجته منه وكون المراد بذلك أن يسكن إليها لأن ذلك عام فى الجنس والله أعلم

(قوله من غير إخداج ولا إزلاق) قوله إخداج أى نقصان ولا إزلاق أى إسقاط انتهى (قوله كقولك أقربت) أقربت أى قرب ولادها (قوله قد صلح بدنه وبرئ) لعله وبرئ من الآفات (قوله بعبد مناة) قوله عبد مناة فى النسبى عبد مناف

وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۝ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُواكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ ۝
 إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَلَمْ يَأْرَاجِلْ
 يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا
 شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظَرُونَ ۝ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۝ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۝ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ
 إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ

خالقهم أولاً يقدر على اختلاق شيء لأنه جماد وهم يخلقون لأن عبدتهم يختلفونهم فهم أعجز من عبدتهم (ولا يستطيعون لهم) لعبدتهم (نصراً ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعترها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم (وإن تدعوهم) وإن تدعوا هذه الأصنام (إلى الهدى) أي إلى ما هو هدى ورشاداً وإلى أن يهدوكم والمعنى وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويندل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين (سواء عليكم أدعوتهم) أم صمتتم عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم (فإن قلت) هلا قيل أم صمتتم ولم وضعت الجملة الإسمية موضع الفعلية (قلت) لأنهم كانوا إذا حزم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله وإذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل إن دعوتهم لم تفرق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم (إن الذين تدعون من دون الله) أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله (عباداً مثلكم) وقوله عباداً مثلكم استهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فإن ثبت ذلك فهم عباداً مثلكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عباداً مثلكم فقال (ألم أرجل يمشون بها) وقيل عباداً مثلكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبیر «إن الذين تدعون من دون الله عباداً مثلكم» بتخفيف إن ونصب عباداً أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم في عبادتي (ثم كيدون) جميعاً أنتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) فإني لا أبالي بكم ولا يقول هذا إلا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال لهم إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون (إن ولي الله) أي ناصرى عليكم الله (الذي نزل الكتاب) الذي أوحى إلى كتابه وأعزنى برسالاته (وهو يتولى الصالحين) ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأتبياته ولا يخذلهم (ينظرون إليك) يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدفته إلى الشيء ينظر إليه (وهم لا يبصرون) وهم لا يدركون المرئي (العفو) ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا يتفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وقال

خذى العفو منى تستدينى مودتى ۝ ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعاً أو كرهاً ۝ والعرف المعروف والجبل من الأفعال (وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافى السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لأدرى حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن

نَزَّغَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝
وَإِخْوَانِهِمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَشَائِرُهُمْ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَنِبَتْهَا قُلُوبُنَا لَأَنبَغَ مَا يُوحَىٰ
إِلَىٰ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن
مِنَ الْغَافِلِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۝

ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها (وإما ينزغك من الشيطان نزغ) وإما ينخسك منه نخس بأن يحمك بوسوسته على خلاف ما أمرت به (فاستعذ بالله) ولا تطعه النزغ والنسخ الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يعزيمهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جدته وروى أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فبزل وإما ينزغك من الشيطان نزغ ويجوز أن يراد بزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أنى بكر رضى الله عنه إن لى شيطانا يعتربنى (طيف من الشيطان) لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفاً قال أنى لم بك الخيال يطيف ۝ أو هو تخفيف طيف فيعمل من طاف بطيف كمين أو من طاف بطوف كمين وقرئ طائف وهو يحتمل الأمرين أيضاً وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان والمسام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم ۝ وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم فى الغى أى يكونون مدداً لهم فيه ويعضدونهم ۝ وقرئ يمدونهم من الإمداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم (ثم لا يقصرون) ثم لا يمكثون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله وإخوانهم يمدونهم كقوله ۝ قوم إذا الخيل جالوا فى كوائها - فى أن الخبر جار على غير ما هو له ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين فيكون الخبر جارياً على ما هو له والأول أوجه لأن إخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا (فإن قلت) لم جمع الضمير فى إخوانهم والشيطان مفرد (قلت) المراد به الجنس كقوله أولياؤهم الطاغوت ۝ اجتنى الشيء بمعنى جباه لنفسه أى جمعه كقولك اجتمعته أوجى إليه فاجتبه أى أخذه كقولك جليت إليه العروس فاجتلاها ومعنى (لولا اجتبيتها) هلا اجتمعته افتعالاً من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون إن هذا إلا إفاك مفترى أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة (قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربي) ولست بمفعل الآيات أو لست بمفترخ لها (هذا بصائر) هذا القرآن بصائر (من ربكم) أى حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن فى صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون فى الصلاة فنزلت ثم صار سنة فى غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا فى مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه وإذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تتجاوزوه (واذكر ربك فى نفسك) هو عام فى الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعاً وخيفة) متضرعاً وخائفاً (ودون الجهر) ومتكلماً كلاماً دون الجهر لأن الإخفاء أدخل فى الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكير (بالغدو والآصال) لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهى الغدوات وقرئ والإيصال من أصل إذا دخل فى الأصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون

(قوله ويجوز أن يراد بزغ الشيطان) لعله يجوز (قوله كأقصر وأعتم) قوله أقصر أى دخل فى القصر أى العشى

سورة الأنفال مدنية

إلا من آية ۳۰ إلى غاية آية ۳۶ فمكية وآياتها ۷۵ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

عن ذكر الله ويلهون عنه (إن الذين عند ربك) هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عندنوا الزلفة والقرب من رحمة الله تعالى وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته (وله يسجدون) ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة

(سورة الأنفال مدنية وهي ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ النفل الغنيمة لأنها من فضل الله تعالى وعطائه قال لبيد ۝ إن تقوى ربنا خير نفل ۝ والفل ما ينقله الغازي أي يعطاه زائداً على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب من قتل قتيلاً فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربه ولا يخرس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي رحمه الله في أحد قوله لا يلزم ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولما الحكم في قسمتها ألهاجرين أم الأنصار أم لهم جميعاً فقيل له قل لهم هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينقله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا رداً لكم وفتة تتحازون إليها إن أنزمتهم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن أبي وقاص قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجتت به إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقلت إن الله قد شني صدرى من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبني ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبى فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد أنزلت سورة الأنفال فقال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يامعشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين ۝ وقرأ ابن محيصة يسألونك عنذ قال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال (فإن قلت) ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله (قل الأنفال لله والرسول) (قلت) معناه أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضاً إلى رأى أحد والمراد أن الذي اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسى المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسمهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب

وأعتم دخل في العتمة أي وقت العشاء أفاده الصحاح (قوله فقتلت به سعيد بن العاص) قوله سعيد الخ في حواشي البيضاوى أنه العاص بن سعيد انتهى (قوله اطرحه في القبض) القبض كسب المال المقبوض اه

وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ

والبصافي (فاتقوا الله) في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله (وأصلحوا ذات بينكم) وتأسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض (فإن قلت) ما حقيقة قوله ذات بينكم (قلت) أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الأحوال ملازمة للبين قبل لها ذات البين كقولهم أسقني ذا إنائك يريدون ما في الإناء من الشراب وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله (إن كنتم مؤمنين) إن كنتم كاملي الإيمان واللام في قوله (إنما المؤمنون) إشارة إليهم أي إنما الكاملون الإيمان من صفتهم كبت وكيت والدليل عليه قوله أولئك هم المؤمنون حقا (وجلت قلوبهم) فزعت وعن أم الدرداء الوجع في القلب كاحتراق السعفة أما تجده تشعيرة قال بلي قالت فادع الله فإن الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتبها من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لأن ذلك ذكر رحمة ورافته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أويهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت (زادتهم إيمانا) ازدادوا بها يقينا وطمانينة نفس لأن تظاهر الأدلة أقوى للدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبي هريرة رضي الله عنه الإيمان سبع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمالة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إن للإيمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان (وعلى ربهم يتوكلون) ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا ينجشون ولا يرجون إلا الله ۝ جمع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (حقا) صفة للمصدر المحذوف أي أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الإيمان إيمانان فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله إنما المؤمنون فوالله لا أدرى أمنهم أنا أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثنى في الإيمان وكان أبو حنيفة رضي الله عنه ممن لا يستثنى فيه وحكى عنه أنه قال لقتادة لم تستثنى في إيمانك قال اتبعا لإبراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلي (درجات) شرف وكرامة وعلو منزلة (ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل

(القول في سورة الأنفال)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون (قال في

(قوله كاحتراق السعفة) أي غصن النخلة كما في الصحاح (قوله نحو وبق في وبق الخ) وبق أي هلك وفرقت خافتاه

وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ؕ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ؕ

التعظيم وهذا معنى الثواب (كما أخرجك ربك) فيه وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهة ما رأيت من تفصيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الأنفال لله والرسول أي الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون و (من بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجرة ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه (بالحق) أي إخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا يحيد عنه (وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو ابن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تاقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبدالمطلب رؤيا فبالت لآخيها إني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجير من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر لاقى العير ولا في النفير فليل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى تنحر الجزور ونشرب الخمر ونقيم القينات والمعازف بيدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وإن محمدا لم يصب العير وإنما قد أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ما كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله وعدكم إجدى الطائفتين إتما العير وإتما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فإننا معك حيث لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فإما عدنا عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال

كما وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف الخ قال أحمد وكان جدي أبو العباس أحمد الفقيه الوزير رحمه الله يذكر في معنى الآية وجهها أوجه من هذين وهو أن المراد تشبيه اختصاصه عليه السلام بالأنفال وتفويض أمرها إلى حكمه من حيث الإثابة والجزاء بإخراجه من بيته مطيعا لله تعالى سامعا لأمره راضيا بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك في الطاعة فشبه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية فكما بلغت طاعته الغاية في نوع الطاعات فكذلك بلغت إثابة الله الغاية في جنس المثوبات وجماع هذا المعنى هو المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام الأجر على قدر النصب ولك على هذا المعنى أن تجعل الكاف مرفوعة ومنصوبة على حسب التقدير والله الموفق

(قوله وإنا قد أعضضناه) في الصحاح أعضضته الشيء فعضه وفي الحديث فأعضوه بين أيه ويقال أعضضته سبني أي ضربته به وأعض القوم أكلت إبلهم العضم وهو بالضم علف الأمصار وبالسكر الشوك الصغير (قوله إلى عدن أبين) في الصحاح : أبين اسم رجل نسب إليه عدن فقيل عدن أبين

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّ لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۖ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۚ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ

أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانتصار لأنهم قالوا له حين يابعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت الينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما تمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانتصار لا ترى عليهم نصرته إلا على عدوهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا نصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعبير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ۚ والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى العير لإيثارهم عليه تلقى العير (بعد ما تبين) بعد إعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون ۚ وجداهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعبير وهلاقت لنا لنستعد وتأهب وذلك لكراهتهم القتال ۚ ثم شبه حالهم في فرط فرعهم ورعبهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الضغار إلى الموت المتيقن وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروى أنه ما كان فيهم إلا فارسان (إذ) منصوب بإضمار اذكر . و (أنها لكم) بدل من إحدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير و (غير ذات الشوكة) العير لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح أي تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لاحدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى (أن يحق الحق) أن يثبت ويعلية (بكلماته) آياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطردهم في قلب بدره والدابر الآخرفاعل من دبر إذا دبر ومنه دابة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفاسف الأمور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم والله عز وجل يريد معالي الأمور وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب

قوله تعالى ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (قال يعني أنكم تريدون العاجلة وسفاسف الأمور الخ) قال أحمد والتحقيق في التمييز بين الكلامين أن الأول ذكرت الإرادة فيه مطلقا غير مقيدة بالواقعة الخاصة كأنه قيل وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومن شأن الله تعالى إرادة تحقيق الحق وتحقيق الكفر على الإطلاق وإرادته أن يحق الحق ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة فيبين الكلامين عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وفي ذلك ما لا يخفى من المبالغة في تأكيد المعنى بذكره على وجهين إطلاق وتقييد والله أعلم

(قوله يتخوف أن لا تكون الانتصار) لعله أن تكون أو لعله الانتصار ترى وبالجمل فاحدا الحرفين يعني عن الآخر (قوله بحال من يعتل إلى القتل) أي يجذب جذبا عنيفا أفاده الصحاح (قوله شوك القنا لشباها) شباة كل شيء حد طرفه والجمع شبا وشبوات كذا في الصحاح فشباها جمع مضاف لضمير القنا (قوله في أبدانكم وأحوالكم) لعله وأموالكم

فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ

كثرتهم بقلبتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها ۝ وقرئ بكلمته على التوحيد (فإن قلت) بم يتعلق قوله (ليحق الحق) (قلت) بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله إلهها وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه (فإن قلت) أليس هذا تكريراً (قلت) لأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض ويجب أن يقدر المحذوف متأخراً حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع (فإن قلت) بم يتعلق (إذ تستغيثون) (قلت) هو بدل من إذ يمدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله ويقولون أي ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضي الله عنه فلقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك من أشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك (أنى بمدكم) أصله باني مدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن أبي عمرو أنه قرأ إني بمدكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول (فإن قلت) هل قاتلت الملائكة يوم بدر (قلت) اختلف فيه فقيل نزل جبريل في يوم بدر في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض وقد أرخو أذنانها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقابل يوم الأحزاب ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصاً قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لأنهم وروى أن رجلاً من المسلمين بينما هو يشد في أثر رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوجه فنظر إلى المشرك قد خر مستلقياً وشق وجهه فحدث الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن أبي داود المازني تبعت رجلاً من المشركين لا ضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيني وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلافك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة ۝ وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته إياه إذا أبعته ويقال أردفته كقولك اتبعته إذا سبقت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضاً أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين ۝ وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أي مترادفين أو متبعين من أردفه فأدغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنات فزكت الراء بالكسر على الأصل أو على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بألف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران (فإن قلت) فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المراد بالردف الملائكة ملائكة آخرين والمراد بالالف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم ۝ (فإن قلت) إلام يرجع الضمير في (وما جعله) (قلت) إلى قوله أنى بمدكم لأن المعنى فاستجاب لكم

(قوله فإن كان بمعنى متبعين) يقرأ هذا بالتسكين ولم يذكر مقابله وهو ما كان بمعنى متبعين بالتشديد

إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ

بإمدادكم (فإن قلت) فقيمن قرأ بالكسر (قلت) إلى قوله أني مدكم لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه مدكم (الإبشري) الإبشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل يعني أنكم استغتم وتضرعتم لفلتكم وذلتم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطاً على قلوبكم (وما النصر إلا من عند الله) يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من نصره الله (إذ يغشاكم) بدل ثان من إذ يدعكم أو منصوب بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو بإضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل و (أمنة) مفعول له (فإن قلت) أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلن والعلّة واحداً (قلت) بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تعسون انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم والمعنى إذ تعسون أمنة بمعنى أماناً أي لامنكم و (منه) صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله عز وجل (فإن قلت) فعلى غير هذه القراءة (قلت) يجوز أن تكون الأمنة بمعنى الإيمان أي ينصركم إيماناً من الله أو على يغشيكم النعاس فتعسون أماناً (فإن قلت) هل يجوز أن ينتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لامنه على أن إسناد الأمان إلى النعاس إسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أمانكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت الخوف أن لا يقدم على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل (قلت) لا بعد فصاحة القرآن عن احتمال له وله فيه نظائر وقد ألم به من قال

يهاب النوم أن يغشى عيوننا ه تهابك فهو نفاش شروذ

وقرئ أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حي حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان (وينزل) قرئ بالتخفيف والثقل ه وقرأ الشعبي ما ليظهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بماجره فكأنه قال ما للظهور و (رجز الشيطان) وسوسته إليهم ونحوه إياهم من العطش وقيل الجنابة لأنها من تخيله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن إبليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء ونزل المسلمون في كتيب أفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتمل أكثرهم فقال لهم أتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق

ه قوله تعالى إذ يغشاكم النعاس أمنة منه (قال وقرئ إذ يغشيكم بالتخفيف والتشديد الخ) قال أحمد ومثل هذا النظر يجري عند قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً لأن فاعل الإراءة هو الله عز وجل وفاعل الخوف والطمع هم وقد انتصباً مفعولاً لها فالجواب أنه لما كان الله تعالى إذ أراهم البرق رأوه كانوا فاعلين في المعنى وكان المعنى وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفاً وطمعاً فهذا مثل آية الانفال فإن المفعول في المعنى فاعل وسيأتي مزيد بحث في هذه النكتة وقد جرى القلم بتعجيلها ههنا وذلك أن لقائل أن يقول فاعل يغشى النعاس إياهم هو الله تعالى وهو فاعل الأمانة أيضاً وخالفها وحينئذ يتحد فاعل الفعل والعلّة فيرتفع السؤال ويزول الإشكال على قواعد السنة التي تقتضي نسبة أفعال الخالق إلى الله تعالى على أنه خالقها ومبدعها ولمورد السؤال أن يقول المعتبر أن يكون فاعل الفعل متصفاً بالعلّة كما هو متصف بالفعل والبارئ عز وجل وإن كان خالق الأمانة للعبد وكان بها أماناً فالعبد هو الفاعل اللغوي وإن كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة وعقيدة وحينئذ يفتر السؤال إلى الجواب السالف والله الموفق ه عاد كلامه (قال فإن قلت فعلى غير هذه القراءة قلت كذلك الخ) قال أحمد وجه حسن بشرط الأدب في إسقاط لفظة التخييل وقد تقدم مثله أمثالها

مَعَكُمْ فَنَبِّئُوهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَإِنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۚ يَسَاءُ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْاَدْبَارَ ۚ

وَأَنْتُمْ تَصَلُّونَ عَلَىٰ غَيْرِ وَضُوءٍ وَعَلَىٰ الْجَنَابَةِ وَقَدْ عَطَشْتُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ عَلَىٰ حَقِّ مَا غَلِبَكُمْ هُوَ لَاءَ عَلَى الْمَاءِ وَمَا يَنْتَظِرُونَ بِكُمْ إِلَّا أَنْ يَجْهَدَكُمْ الْعَطَشُ فِإِذَا قَطَعَ الْعَطَشُ أَعْنَاقَكُمْ مَشَوْا إِلَيْكُمْ فَقَتَلُوا مِنْ أَحْبَابِ وَأَسْقَاوَا بِقِيَّتِكُمْ إِلَىٰ مَكَّةَ فَخَزَنُوا حَزَنًا شَدِيدًا وَأَشْفَقُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ الْمَطَرُ فَطَرُوا لِيَلَاخَتِي جَرَى الْوَادِي وَاتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ الْحِيَاضَ عَلَىٰ عُدُوَّةِ الْوَادِي وَسَقَاوَا الرِّكَابَ وَاعْتَسَلُوا وَتَوَضَّؤَا وَتَلْبَدُوا الرَّمْلَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ حَتَّىٰ ثَبَتَتْ عَلَيْهِ الْأَقْدَامُ وَزَالَتْ وَسُوسَةُ الشَّيْطَانِ وَطَابَتِ النَّفُوسُ وَالضَّمِيرُ فِي بِهِ لِلْمَاءِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلرَّبِطِ لِأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا تَمَكَّنَ فِيهِ الصَّبْرُ وَالْجِرَامَةُ ثَبَتَتْ الْقَدَمُ فِي مَوَاطِنِ الْقِتَالِ (إِذْ يُوْحَىٰ) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا ثَالِثًا مِنْ إِذْ يَعْدَمُ وَأَنْ يَنْتَسِبَ بِثَبَتِ (أَنْي مَعَكُمْ) مَفْعُولٌ يُوْحَىٰ وَقُرِئَ إِنِّي بِالْكَسْرِ عَلَىٰ إِرَادَةِ الْقَوْلِ أَوْ عَلَىٰ إِجْرَاءِ يُوْحَىٰ بِجَرَى يَقُولُ كَقَوْلِهِ أَنِّي مَدَّمُكُمْ وَالْمَعْنَىٰ أَنِّي مَعِينُكُمْ عَلَى التَّثْبِيتِ فَثَبَّتُوهُمْ وَقَوْلُهُ (سَأَلْتِي ۚ فَأَضْرِبُوا) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ إِنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا وَلَا مَعُونَةَ أَعْظَمَ مِنْ إِقَامَةِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْكُفْرَةِ وَلَا تَثْبِيتِ أَبْلَغَ مِنْ ضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمَا غَايَةَ النَّصْرَةِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ تَفْسِيرٍ وَأَنْ يَرَادَ بِالتَّثْبِيتِ أَنْ يَخْطَرُوا بِيَاهُمْ مَا تَقْوَىٰ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَتَصَحَّ عَزَائِمُهُمْ وَنِيَاتُهُمْ فِي الْقِتَالِ وَأَنْ يَظْهَرُوا مَا يَتَّقُونَ بِهِ أَنَّهُمْ مَدْمُونٌ بِالْمَلَأْسِكَةِ وَقِيلَ كَانَ الْمَلِكُ يَتَشَبَّهُ بِالرَّجُلِ الَّذِي يَعْرِفُونَ وَجْهَهُ فَيَأْتِي فَيَقُولُ إِنِّي سَمِعْتُ الْمُشْرِكِينَ يَقُولُونَ وَاللَّهِ لَأَنْ حَمَلُوا عَلَيْنَا لَنُنْكَشِفَنَّ وَيَمْشِي بَيْنَ الصَّفِيْنِ فَيَقُولُ أَبْشُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ لِأَنَّكُمْ تَعْبُدُونَهُ وَهُوَ لَا يَعْْبُدُونَهُ ۚ وَقُرِئَ الرُّعْبَ بِالتَّثْبِيتِ (فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) أَرَادَ أَعْلَى الْأَعْنَاقِ الَّتِي هِيَ الْمَذَاجُ لِأَنَّهَا مَفَاصِلُ فَكَانَ إِيقَاعُ الضَّرْبِ فِيهَا حِزًّا وَتَطْيِيرًا لِلرُّؤْسِ وَقِيلَ أَرَادَ الرُّؤْسَ لِأَنَّهَا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ يَعْنِي ضَرْبَ الْهَامِ قَالَ

ۚ وَأَضْرِبَ هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ ۚ وَغَشِيَتَهُ وَهُوَ فِي جَأْوَاءٍ بِاسْمَةِ ۚ عَضْبًا أَصَابَ سِوَاءَ الرَّأْسِ فَانْفَلَقَا ۚ وَالْبَنَانُ الْأَصَابِعُ يَرِيدُ الْأَطْرَافَ وَالْمَعْنَىٰ فَأَضْرِبُوا الْمُقَاتِلَ وَالشُّوْبَىٰ لِأَنَّ الضَّرْبَ إِذَا وَقَعَ عَلَىٰ مَقْتَلٍ أَوْ غَيْرِ مَقْتَلٍ فَأَمْرُهُمْ بِأَنْ يَجْمَعُوا عَلَيْهِمُ النَّوْعَيْنِ مَعًا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ سَأَلْتِي إِلَى قَوْلِهِ كُلُّ بَنَانٍ عَقِيبُ قَوْلِهِ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا تَلْقَيْنَا لِلْمَلَأْسِكَةِ مَا يَثْبُتُونَهُمْ بِهِ كَأَنَّهُ قَالَ قَوْلُوا لِمَ قَوْلِي سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ أَوْ كَأَنَّهُمْ قَالُوا كَيْفَ ثَبَّتْنَاهُمْ فَقِيلَ قَوْلُوا لِمَ قَوْلِي سَأَلْتِي فَالضَّارِبُونَ عَلَىٰ هَذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ (ذَلِكَ) إِشَارَةٌ إِلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الضَّرْبِ وَالْقَتْلِ وَالْعِقَابِ الْعَاجِلِ وَمَحَلُّ الرِّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَ (بِأَنَّهُمْ) خَبْرُهُ أَيْ ذَلِكَ الْعِقَابُ وَقَعَ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ مَشَاقِقِهِمْ وَالْمَشَاقِقَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الشَّقِّ لِأَنَّ كِلَا الْمُتَعَادِيَيْنِ فِي شَقِّ خِلَافِ شَقِّ صَاحِبِهِ وَسَمَّيْتُ فِي الْمَنَامِ عَنِ اسْتِشْقَاقِ الْمَعَادَاةِ فَقُلْتُ لِأَنَّ هَذَا فِي عُدُوَّةٍ وَذَلِكَ فِي عُدُوَّةٍ كَمَا قِيلَ الْمُخَاصِمَةُ وَالْمَشَاقِقَةُ لِأَنَّ هَذَا فِي خِصْمٍ أَيْ فِي جَانِبِ وَذَلِكَ فِي خِصْمٍ وَهَذَا فِي شَقِّ وَذَلِكَ فِي شَقِّ وَالْكَافِ فِي ذَلِكَ لِخُطَابِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ لِخُطَابِ كُلِّ وَاحِدٍ فِي (ذَلِكَ) لِلْكَفْرَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الِاتِّفَاتِ وَمَحَلُّ ذَلِكَ الرِّفْعِ عَلَى ذَلِكَ الْعِقَابِ أَوْ الْعِقَابِ ذَلِكَ (فَذُوقُوهُ) وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا عَلَىٰ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ كَقَوْلِكَ زَيْدًا فَأَضْرِبْهُ (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ) عَطْفٌ عَلَى ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ أَوْ نَصْبٌ عَلَىٰ أَنَّ الْوَاوَ بِمَعْنَىٰ مَعَ وَالْمَعْنَىٰ ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ الْعَاجِلَ مَعَ الْأَجْلِ الَّذِي لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ فَرَضَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَإِنَّ لِلْكَافِرِينَ بِالْكَسْرِ (زَحَفًا) حَالٌ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالزَّحْفُ الْجَيْشُ الدَّمُ الَّذِي يَرَى كَثْرَتَهُ كَأَنَّهُ يَزْحَفُ أَيْ يَدْبُ دَيْبًا مِنْ زَحْفِ الصَّبِيِّ إِذَا دَبَّ عَلَىٰ إِسْتِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا سَمِيَ بِالْمَصْدَرِ وَالْجَمْعُ زَحُوفٌ وَالْمَعْنَىٰ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ لِلْقِتَالِ وَهُمْ كَثِيرٌ جَمٌّ وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ فَلَا تَفْرُوا فَضْلًا أَنْ تَدَانُوهُمْ فِي الْعَدَدِ

(قوله والزحف الجيش الدم) قوله الدم هو العدد الكثير والدمية السواد كذا في الصحاح

وَمَنْ يُوَلِّمْهُم يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئس
 المصير . فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء
 حسنا إن الله سميع عليم . ذلكم وإن الله موهن كيد الكافرين . إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن

أو تساووه أو حال من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان
 سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثني عشر ألفاً وتقدمة نهى لهم عن الفرار يومئذ
 وفي قوله ومن يولم يومئذ أمانة عليه (إلا متحرفاً لقتال) هو الكثر بعد الفرّ يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه
 وهو باب من خدع الحرب ومكايدها (أو متحيزاً) أو منحازاً (إلى فئة) إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي
 هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وأنا فيهم ففتروا فلما رجعوا إلى المدينة استحبوا فدخلوا البيوت
 فقلت يا رسول الله نحن الفزارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فتكم وأنهم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه
 فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضي الله عنه أنا فتكك وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الفرار من
 الزحف من أكبر الكبائر (فإن قلت) بم انتصب لإمتحرفاً (قلت) على الحال وإلا لغو أو على الاستثناء من المولين
 أي ومن يولم إلا رجلاً منهم متحرفاً أو متحيزاً . وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لأنه
 من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز . لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وأقبلوا على النفاخر فكان القائل يقول
 قلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها ونخرها يكذبون
 رسلك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأناه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان
 لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل
 بعينه فانهزموا ورددهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقبل لهم (فلم تقتلوهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن
 افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم (ولكن الله قتلهم) لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر
 والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع (وما رميت) أنت يا محمد (إذ رميت ولكن الله رمى) يعني أن الرمية
 التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لورميتها لم تبلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث
 أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأن أثرها
 الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول عليه الصلاة
 والسلام أصلاً وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده (وليبيلى المؤمنين) وليعطيهم (بلاء
 حسنا) عطاء جميلاً قال زهير . فأبلاهما خير البلاء الذي يبلوه والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله
 إلا لذلك (إن الله سميع) لدعائهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الغرض ذلكم (وأن

قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، (قال محمود ولما جاءت قريش قال
 عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت الخ) قال أحمد رحمه الله أوضح مصداق في التمييز بين الحقيقة والمجاز الأثر كقول
 للبيد ليس بحمار ويصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجاوز إنه حمار فإذا ثبت لك أن من يميزات المجاز
 صدق سلبه بخلاف الحقيقة فافهم أن هذه الآية تكفج وجوه القدرية بالرّد وذلك أن الله تعالى أثبت الفعل للخلق
 ونفاه عنهم ولا يحتمل لذلك إلا أن ثبوته لهم مجاز والفاعل والخالق حقيقة هو الله تعالى فأثبتته لهم مجازاً ونفاه عنهم

(قوله اثنا عشر ألفاً وتقدمة نهى لهم) لعله عطف على المعنى أي إشعاراً وتقدمة نهى (قوله بل أنتم العكارون) قوله
 العكارون من عكر إذا عطف وكرز أفاده الصحاح

تَنسَمُوا فَهُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ وَإِن تَعُدُّوا نَعْدَ وَأَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۝
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتُّمَّ تَسْمَعُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا
وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّاسْمَعَهُمْ
وَلَوْ اسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

الله موهن) معطوف على ذلكم يعني أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التووين والإعمال (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل النهك وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للاماني إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا وروى أنهم قالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وروى أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينما كان أهدى وأقطع للرحم فأخذه اليوم أي فأهلكه وقيل إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين (وإن تنتموا) خطاب للكافرين يعني وإن تنتموا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو خير لكم) وأسلم (وإن تعودوا) لمحاربتة (نعد) لنصرته عليكم (وأن الله) قرئ بالفتح على ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه أوجه وبعضها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل (ولاتولوا) قرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامها والضمير في (عنه) لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة أي ولاتولوا عن هذا الأمر وامثاله وأنتم تسمعونه أو ولاتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاتخالقوه (وأنتم تسمعون) أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أي ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتهم عن طاعة الرسول في بعض الآور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلاً تصديقاً وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (إن شر الدواب) أي إن شر من يدب على وجه الأرض أو إن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها (ولو علم الله) في هؤلاء الصم البكم (خيراً) أي انتفاعاً باللفظ (لا سمعهم) للفظ بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال (ولو أسمعهم لتولوا) عنه يعني ولولطف بهم لما نفع فيهم اللطف لذلك

حقيقة وإياك أن تعرج على تعكيس الرخشري في تأويل الآية فإنه نظر أعوج وباطل محتاج والحق أبلج والله الموفق بكرمه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (قال يعني ولو علم الله أن اللطف ينفع في هؤلاء الخ) قال أحمد رحمه الله إطلاق القول بأن الله تعالى يلطف بالعبد فلا ينفذ لطفه مردود فإن اللطف هو إسداء الجميل والإلطف به واسمه اللطيف من ذلك فإذا أسدى الجميل إلى العبد بأن أسمعته إسماعاً لطيفاً به فذلك الغاية المرجوة ومعنى اللطف به على هذا أن يخلق في قلبه قبول الحق وحسن الإصغاء إليه والاهتمام به ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال والرأي الفاسد في خاق الأفعال لأن مقتضاها أن العبد هو الذي يخاق لنفسه قبول الحق والهداية وحسن الاستماع والإصغاء وإن الله تعالى لا يشارك العبد في خاق ذلك بل الذي ينسب إلى الله تعالى إرادة الهداية من جميع الخلق ولا يلزم حصول مراده على العموم تعالى الله عما يقولون ثم ولو تنزل متنزل على هذه القاعدة لما استقام تأويل

(قوله وأكرم الفئتين) لعله الفريقين

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ ۗ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لِّأُنصِبِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً

منعهم الطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبدالدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لانسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب (إذا دعاكم) وحد الضمير كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالذعوة البحث والتحريض وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب أبي ابن كعب فاداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحى إلى استجيبوا لله والرسول قال لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني أن دعاه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للصلى فله أن يقطع صلاته (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت وبعضهم لا تعجب من الجهول حلتة ۗ فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لورفضوها لعلبهم وقتلهم كقولهم ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) يعنى أنه يميتة فتقوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكّن من إخراج القلب ومعالجة أدوائه وعمله ورده سليما كما يريد الله فاعتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله (واعلموا أنكم إليه تحشرون) فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة وقيل معناه إن الله قديمك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نيته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خرفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فأماما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه أنه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه ۗ وقرئ المرء بتشديد الراء ووجهه أنه قد حذف الهمزة وأتى حركتها على الراء كالحب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مرتت بعمر (فتنة) ذنبا قيل هو إقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله (لأنصيبين) لا يخلو من أن يكون جوابا للأمر أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فإذا كان جوابا فالمعنى إن أصابكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء

المرحشري أيضا فإن حاصله ولو علم الله فيهم خيرا للطف بهم ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف فيلزم عدم انتفاعهم باللطف على تقدير علم الله الخير فيهم وهذا غير مستقيم لما يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم لله تعالى وذلك محال عقلا فلا يرتفع الإشكال إلا بتقدير الإسماع الواقع جوابا أو لاخلاف الإسماع الواقع شرطا ثانيا كيلا يتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور وأقرب وجه في اختلاف الإسماعين أن يراد بالأول ولو علم الله فيهم خيرا لا سمعهم إسماعا يخلق لهم به الهداية والقبول ولو أسعهم لأعلى أنه يخلق لهم الاهتداء بل إسماعا مجردا من ذلك لتولوا وهم معرضون فهذا هو الوجه في تأويل الآية والله الموفق ۗ قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه (قال معناه أنه يميتة فتقوته الفرصة التي هو واجدها الخ) قال أحمد رحمه الله نعم هذا عقد أهل السنة الذي استعار لهم لقب المجبرة وهو العقد الحق المؤسس على التقوى وتفويض المخلوقات كلها إلى الواحد الخالق خالق الخلق فإن كان ذلك ظلما فأنا بريء من الطائفة المتسمية بالعبدية إصراراً على هذا الرأي الباطل والمعتقد الماحل والله الموفق

(قوله ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة) يعنى أهل السنة والمسئلة هنا من فروع مسألة خلق أفعال العباد الاختيارية فعند المعتزلة أن المرید الخالق لها هو العبد ولذا صح تكليفه لظهور اختياره وعند أهل السنة أن المرید الخالق لها هو الله تعالى وإنما صح تكليف العبد لما له فيها من الكسب وهو اختيار بعضها على بعض بشهادة الوجدان خلافا

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَثَاوَنُوكُمُ وَأَيْدِيكُمْ بَنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَاتَّمَّ تَعْلَمُونَ ۝ وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُم مَّا آوَلَدَكُم فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ

في إسرائيل نها عن المنكر تعذيراً فعمهم الله بالعذاب وإذا كانت نهيًا بعد أمر فكانه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبين ونظيره قوله :

حتى إذا جن الظلام واختلط ۝ جاؤا بمدق هل رأيت الذئب قط

أي بمدق مقول فيه هذا القول لأنه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود لتصيين على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتلوا يوم الجمل وروى أن الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما إذ أقبل على رضى الله عنه فضحك إليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني أحبه كحبي لوالدي أو أشد حبا قال فكيف أنت إذا سرت إليه تقائله (فإن قلت) كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر (قلت) لأن فيه معنى النهي إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحك ولا تصيين ولا يحطمنكم (فإن قلت) فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم (قلت) التبعض على الوجه الأول والتبيين على الثاني لأن المعنى لا تصيينكم خاصة على ظلمكم لأن الظلم أقبح منكم من سائر الناس (إذ أنتم) نصبه على أنه مفعول به مذكور لا ظرف أي إذ كروا وقت كونكم أقللة أذلة مستضعفين (في الأرض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لأن الناس كانوا جميعا لهم أعداء منافين مضادين (فأراكم) إلى المدينة (وأيدكم بنصره) بظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) إرادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحى من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا وأعراهم جلدأ وأبينهم ضللا يؤكلون ولا يأكلون فكان الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجمعهم ملوكا ۝ معنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء التمام ومنه تخونه إذا تنقصه ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فليل خجان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لأنه إذا انقطع به فكانه لم يقف له ومنه قوله تعالى وتخونوا أماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوابه و (أماناتكم) فيما بينكم بأن لا تحفظوها (وأتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله وقيل وأتم تعلمون أنكم تخونون يعنى أن الخيانة توجد منكم عن اعتماد لا عن سهو وقيل وأتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بنى النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وإريحا من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لأن عياله رماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا له ماترى هل نزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله

للجبرية القائلين بالجبر المحض ومحل التوحيد (قوله نها عن المنكر التعذير) تعذيراً في الأمر التقصير فيه اه صحاح (قوله لأنه سمار فيه لون الورقة) قوله سمار هو بالفتح لبن رقيق وتسمير اللبن ترقيقه بالماء والورقة بياض يضرب إلى سواد وإلى خضرة اه صحاح (قوله أقبح منكم من سائر الناس) لعله منه من سائر الناس (قوله خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب) قوله الكرب جبل يشد في رأس الدلو والمشتار مجتني العسل والسبب الجبل اه صحاح

أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ۝ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا

ورسوله فنزلت فشدت نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرا باحتي أموت أو يتوب الله عليّ
فمكث سبعة أيام حتى خزم مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فخل نفسك فقال لا والله لا أخلها حتى يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فخله بيده فقال إن من تمام توبتي أن أهجردار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي
فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل أماناتكم ما ائتمنكم الله
عليه من فرائضه وحدوده (فإن قلت) وتخنونوا جزم هو أم نصب (قلت) يحتمل أن يكون جزم ما دخلا في حكم النهي وأن يكون
نصبا بإضمار أن كقولهم وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخنونوا أماناتكم على التوحيد جعل الأموال والأولاد فتنه لأنهم نسب
الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب أو محنة من الله ليلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده والله عنده أجر عظيم فعليكم أن توطوا
بطلبه وبما تودى إليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى توطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال
والبنون الآية وقيل هي من جملة ما نزل في أبي لباة وما فرط منه لأجل ماله وولده (فرقانا) نصرا لأنه يفرق بين الحق والباطل
وبين الكفر بإذلال حربه والاسلام بإعزاز أهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان أوبيا ناو ظهوراً يشهر أمركم وبيت صيتكم
وآثاركم في أقطار الأرض من قولهم بيت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا
للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة لما فتح الله عليه ذكره مكر
قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عز وجل في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة
والمعنى واذكر إذ يَمْكُرُونَ بِكَ وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار
الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت
باجتماعكم فأزدت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيت أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه
وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرا به منها وتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأي يأتيكم من يقا تلتم
من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيت أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحم فقال إبليس بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقا تلتم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما
وتعطوه سيفاً صارفاً فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا
طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ لعنه الله صدق هذا النبي هو أجودكم رأيا ففرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين
على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن الله له في الهجرة
فأمر علياً رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردي فإنه لن يخلص إليك أمر تكبره وياتوا مترصدين فلما
أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا علياً فبهتوا ونخيب الله عز وجل سعيهم واقتصوا أثره فأبطل الله مكرهم (ليثبوك)
ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى أثبتوه لاجراك به ولا يراح وقلان مثبت
وجعا وقرئ ليثبوك بالتشديد وقرأ النخعي ليثبوك من البيات وعن ابن عباس ليثبوك وهو دليل لمن فسره بالإيثاق
(ويمكرون) ويخفون المكاييد له (ويمكرون الله) ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة (والله خير الماكرين) أي مكره أنفذ
من مكر غيره وأبلغ تأثيراً أولانه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب (لو نشاء لقلنا مثل هذا)

(قوله وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره) أي خافوا أن يعظم أمره انا صحاح

إِلَّا أَسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِيبَهُمُ اللَّهُ
وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۝ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝

نفاجة منهم و صلف تحت الراجعة فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين
أن يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب
البيان خاصة وأن يماتهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظم ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وثمانالكهم على أن يغمروه وقيل قائله النضر بن الحرث المقتول صبراً حين سمع اقتصاص
الله أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأسفنديار فزعم
أن هذا مثل ذلك وأنه من جملة تلك الأساطير وهو القائل (إن كان هذا هو الحق) وهذا أسلوب من الجحرد بليغ يعنى
إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نبي كونه حقاً وإذا
اتقى كونه حقاً لم يستوجب منكره عذاباً فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك إن كان
الباطل حقاً فأمطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الأعمش هو الحق
بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الأولى فصل ۝ ويقال أمطرت السماء كقولك أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك
هنت وهنتك وقد كثرت الأمطار في معنى العذاب ۝ (فإن قلت) ما فائدة قوله (من السماء) والأمطار لا تكون إلا منها (قلت)
كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول
صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا (بعذاب أليم) أى بنوع آخر من جنس العذاب الأليم يعنى أن أمطار السجيل
بعض العذاب الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معاوية أنه قال لرجل من سبيل: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم
امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له ۝ اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين
أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوماً عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم
وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله وما لهم ألا يعذبهم الله وإنما يصح
هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم أن لا يعذبهم (وهم
يستغفرون) في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولسكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه
وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المستضعفين وما لهم أن لا يعذبهم الله وأى شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعنى لاحظاً لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة ۝
وكيف لا يعذبون وحالم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخديبية وإخراجهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولادة البيت والحرم فنصدت من نشاء وتدخل من
نشاء (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع إشرافهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولادة أمره وأربابه (إن أولياؤه إلا

(قوله نفاجة منهم و صلف) قوله نفاجة أى تكبر و الصلف مجاوزة الحق كثيراً والراجعة السحابة وهذا مثل يضرب
للرجل يتوعد ثم لا يقوم به والمدح المعلى أحد سهام الميسر يخرج للغالب اه صحاح (قوله على أن يغمروه وقيل قائله)
يقال للرجل غمره القوم إذا علوه شرفاً كذا في الصحاح (قوله أنجمت وأسبلت ومطرت) قوله أنجمت أى انكشفت
نجومها وأسبلت أمطرت وهنت وهنتك تتابع مطرها اه صحاح

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى
جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنِّي يَتَّبِعُهُمُ الْغَيْظُ إِنَّ عَذَابَ سَلْفٍ لَإِن يَئُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ

المتقون) من المسلمين ليس كل مسلم أيضاً من يصلح لأن يلي أمره إنما يستأهل ولايته من كان برأ تقياً فكيف بالكفرة
عبدة الأصنام (وايكن أكثرهم لا يعلمون) كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالأكثر الجميع
كإيراد بالقلة العدم ۝ المكاء فعال بوزن الثغاء والرقاء من مكأ يمكوا إذا اصفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه
وأصله الصفة نحو الوضوء والقراء وقرئ مكأ بالقصر ونظيرهما البكى والبكاء ۝ والتصديقة التصفيق ففعله من الصدى
أو من صد يصد إذا قومك منه يصدون ۝ وقرأ الأعمش ۝ وما كان صلواتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه (فإن
قلت) ما وجه هذا الكلام (قلت) هو نحو من قوله

وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه ۝ أدام سوداً أو محدرجة سمرا

والمعنى أنه وضع القيود والسياط ووضع العطاء ووضعوا المكاء والتصديقة موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون
بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صلواته يخلطون عليه (فذوقوا) عذاب القتل والأسريوم بدر بسبب كفرهم وأفعالهم التي لا يقدم عليها
إلا الكفرة ۝ قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كان له تجارة
في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعائنا ندرك منه ثارنا بما أصيب منا بيدرو قيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم
أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالاً (ليصدوا
عن سبيل الله) أي كان غرضهم في الإنفاق الصدع عن اتباع محمد وهو سبيل الله وإن لم يكن عندهم كذلك (ثم تكون عليهم حسرة)
أي تكون عاقبة إنفاقها ندماً وحسرة فكان ذاتها تصير ندماً وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الأمر وإن كانت الحرب
بينهم وبين المؤمنين سجالاً قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لأغبين أنا ورسلي (والذين كفروا) والكافرون منهم
(إلى جهنم يحشرون) لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من) الفريق
(الطيب) من المؤمنين ۝ فيجعل الفريق (الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعاً) عبارة عن الجمع والضم حتى يترابكوا
كقوله تعالى ۝ كادوا يبيحون عليه ليداء، يعني لفرط ازدحامهم (أولئك) إشارة إلى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث
الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان
في نصرته فيركه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة
بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الأول يحشرون وأولئك إشارة إلى الذين كفروا ۝ وقرئ ليميز على التخفيف (قل الذين
كفروا) من أبي سفيان وأصحابه أي قل لأجلهم هذا القول وهو (إن يئسوا) ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل إن تنهوا يغفر لكم

(قوله بوزن الثغاء والرقاء من مكأ) الثغاء صوت الغنم والرقاء صوت الإبل والمكأ بالتحديد طائر وجمعه مكأ كقوله
اه صحاح (قوله أو من صد يصد إذا قومك منه) في الصحاح صد يصد ويصد صديداً أي ضج
(قوله أو محدرجة سمرا) المحدرج الأملس كذا في الصحاح (قوله فيرجعون طلقاء كتب الله) في الصحاح الطليق
الأسير الذي أطلق عنه أساره وخلي سبيله

الْأُولَىٰ ۖ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۚ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ

وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه خاطبوا به غيرهم لأجلهم ليسمعوه أي إن ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الإسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وإن يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنة الأولين) منهم الذين حاق بهم مكربهم يوم بدر أو فقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا وقيل معناه أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الإسلام يجب ما قبله وقالوا الحرب إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط وأما الذي لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسروا إن يعودوا وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسروا إن يعودوا بالارتداد ۚ وقرئ يغفر لهم على أن الضمير لله عز وجل (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده (فإن انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فإن الله بما يعملون بصير) يثيبهم على توبتهم وإسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة إلى دينه والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء (وإن تولوا) ولم ينتهوا (فإن الله ولاكم) أي ناصركم ومعيدكم فتقوا بولايته ونصرته (أما غنمتم) ما موصولة و (من شيء) بيانه قيل من شيء حتى الحيط والمحيط (فإن لله) مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن الله خمسة وروى الجعفي عن أبي عمرو فإن الله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فله خمسة والمشهورة أكد وأثبت الإيجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه من حيث أنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه من النص على واحد وقرئ خمسة بالسكون (فإن قلت) كيف قسمة الخمس (قلت) عند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرياه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا تنكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم رأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإيماننا وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام وإنما بنو هاشم وبني المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه وثلاثة أسهم لليتامي والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بمرته وكذلك سهم ذوي القربى وإنما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنيائهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وأما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة أسهم سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصرف إلى ما كان بصرفه إليه من مصالح المسلمين كعمدة الغزاة من السلاح والكرراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقراءهم يقسم بينهم المذكر مثل حظ الأثني عشر والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن أنس رحمه الله الأمر فيه مقوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمة بين هؤلاء وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم (فإن قلت) ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف الرسول وغيره عليه (قلت) يحتمل أن يكون معنى لله والرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله

قوله تعالى وواعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة والرسول ولذوي القربى الآية (قال إن قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه الخ) قال أحمد لأن مالكا رضي الله عنه لا يرى ذكر الوجوه المذكورة لبيان أنه لا يصرف

(قوله من السلاح والكرراع) الكراع هو اسم جمع للخيل اه صحاح

وَلَدَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ
الَّتِي اجْتَمَعَنِ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ وَالرَّكْبِ اسْفَلَ مِنْكُمْ

ورسوله أحق أن يرضوه وأن يزايد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجهه من وجوه القرب وأن يرا دبقوله فإن الله خمسة
أن من حق الخمس أن يكون متقرباً به إليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلاً لها على غيرها كقوله تعالى وجبريل
وميكال فعلى الاحتمال الأول مذهب الإمامين وعلى الثاني ما قال أبو العالية أنه يقسم على ستة أسهم سهم لله تعالى يصرف
إلى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجدها للكعبة
وهو سهم الله تعالى ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل إن سهم الله تعالى لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس
وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان على ستة أسهم لله وللرسول مهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجزى أبو بكر
رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى أن أبا بكر رضى الله عنه منع بنى
هاشم الخمس وقال إن مالكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيهم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل
غنى لا يعطى من الصدقة شيئاً ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضى الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبنى منه قصوراً ولأن
ركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضى الله عنه أنه قيل له إن الله تعالى قال واليتامى والمساكين
فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن رضى الله عنه في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لولى الأمر من بعده وعن
الكلبي رضى الله عنه أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف
من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة (فإن قلت) بم تعلق قوله (إن كنتم آمنتم بالله) (قلت) بمحذوف يدل عليه
واعلموا المعنى إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطعامكم واقتنعوا بالآخماس
الأربعة وليس المراد بالعلم المجرد والسكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله تعالى لأن العلم المجرد يستوى فيه المؤمن
والكافر (وما أنزلنا) معطوف على بالله أى إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل (على عبدنا) وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت
يضمين (يوم الفرقان) يوم بدر و(الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة
والفتح يومئذ (والله على كل شيء قدير) يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم
(إذ) بدل من يوم الفرقان ۖ والعدوة شط الوادى بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لأن
بينها وبين الكسرة حاجزاً غير حصين كما فى الصبية ۖ والدنيا والقصوى تأنث الأذى والأقصى (فإن قلت) كلناهما فعلى
من بنات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو (قلت) القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكأنفود
فى مجيئه على الأصل وقد جاء الفصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجي استصاب وأغليت
مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلى المدينة والقصوى مما يلى مكة (والركب أسفل منكم) يعنى الركب الأربعين الذين كانوا

فيما سواها وليس لأن يملكها ولا على التحديد حتى لا يجوز الاقتصار على بعض الوجوه دون بعض بل الأمر عنده
موكول إلى نظر الإمام فيصرف الخمس فى مصالح المسلمين ومن جعلها قرابته عليه الصلاة والسلام ولا تحديد عنده فى ذلك
البتة وهذا الأويل الثالث ينطبق على مذهبه وبيان ذلك أن المراد حينئذ بذكر الله تعالى بيان أن الخمس يصرف فى وجوه
التقربات لله تعالى غير مقيد ثم تحميم الوجوه المذكورة بعد ليس تحديداً ولكن تنبيهاً على فضلها والتخصيص لقصد التفصيل
بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الأول بل هو قار على حاله كما أن العموم ثابت للملائكة وإن خص جبريل وميكال بعده والله تعالى أعلم

(قوله يصرف إلى رتاج الكعبة) فى الصحاح الرتج بالتحريك الباب العظيم وكذلك الرتاج ومنه رتاج الكعبة
(قوله وأغليت مع أغالت) أغليت أى أرضعت وهى موطوءة أفاده الصحاح

سورة الأنفال
 وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ الْمَيْعِدِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيُحْيِي
 مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَتَتَنَزَّعْتُمْ

يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الطرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه
 خبر للبند (فإن قلت) ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم (قلت) الفائدة فيه
 الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكة وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين
 والنياث أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله سبحانه ودليلاً على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله
 وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدو القصى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضاً لا بأس بها ولا ماء
 بالعدو الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشی فيها إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة
 عدوهم فكانت الحماية دونها تضاعف حمتهم وتشجذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم
 وأموالهم ليعتصموا بالذئب عن الحریم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون
 أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط همومهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم
 ويبدلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما در سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضى أمراً كان مفعولاً من إعزاز
 دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج
 وشخص بقریش مرعوبين بما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لآهوالهم حتى نفروا ليمعوا عيرهم وسبب الأسباب
 حتى أناخ هؤلاء بالعدو الدنيا وهؤلاء بالعدو القصى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان
 ما كان (ولو تواعدتم) أتم وأهل مكة وتواضعتم بدينكم على ما وعدتكم في القتال لخالف به ضمكم بعضاً فبطم قلتكم
 وكثرتهم عن الوفاء بالموعد ويطمئنون من تهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي
 في ما وقعه الله وسبب له (ليقضى) متعلق بمحذوف أى ليقضى أمراً كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر
 ذلك وقوله (ليهلك) بدل منه واستعير الهلاك والحياذل للكفر والإسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لانه
 مخالفة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضاً عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذى يجب الدخول فيه
 والنسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات العر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه مغالطاً لها
 وقرئ ليهلك بفتح اللام وحى بإظهار التضعيف (لسميع عالم) يعلم كيف يدبر أموركم ويسوى مصالحكم أو لسميع
 علم بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه (إذ يريكم الله) نصبه بإضمار إذ كرأوه وبدل ثان من يوم الفرقان
 أو متعلق بقوله لسميع عالم أى يعلم المصالح إذ يريكم الله فى عينك (فى منامك) فى رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراه إياهم فى رؤياه
 قليلاً فأخبر بذلك أصحابه فكان تهيئة لهم وتشجيعاً على عدوهم وعن الحسن فى منامك فى عينك لانهما كان النوم كما قيل للأقطيعة
 المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم عليه بكلام العرب وفصاحته
 (لفشلتم) لجبتهم وهبتم الإقدام (ولتنزعتم) فى الرأى وتفرقت فيما تصنعون كلتكم وترجعتم بين الثبات والفرار

ه قوله تعالى إذ أنتم بالعدو الدنيا وهم بالعدو القصى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلتم فى الميعاد (قال إن
 قلت ما فائدة ذكر مركز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم الخ) قال أحمد وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشري

(قوله والنياث أمرهم) قوله والنياث أى اختلاط اه صحاح (قوله وهى خبار تسوخ فيها) خبار أى رخوة ذات جحزة
 اه صحاح (قوله وشخص بقریش) يقال للرجل إذا ورد عليه أمراً قلعه شخص به اه صحاح
 (قوله كما قيل للأقطيعة المنامة) قوله للأقطيعة هى دثار تحمل اه صحاح

فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ التَّقِيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلَلِكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئْتَةً فَانْبِئُوا وَإِذْ كُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا

(ولكن الله سلم) أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (إنه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجلب والصبر والجزع (وإذ يريكمهم) الضميران مفعولان يعني وإذ يبصركم إياهم و (قليلًا) نصب على الحال وإنما قللهم في أعينهم تصديقاً لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعابنوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللنا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أترام سبعين قال أترام مائة فأسرنا رجلاً منهم فقللناه كم كنتم قال ألفاً (ويقللكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور (فإن قلت) الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم (قلت) قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجتروا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجؤهم الكثرة فيهم تهاووا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثلهم رأى العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قتلهم أولاً وكثرتهم آخرًا (فإن قلت) بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً (قلت) بأن يستر الله عنهم بعضه بسائر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ذلك واحد فقال مالي لا أرى هذين الديكين أربعة (إذا لقيتم فئة) إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب (فانبتوا) لقتالهم ولا تفروا (واذ كروا الله كثيراً) في مواطن الحرب مستظهريين بذكره مستنصرين به داعين له عدوكم اللهم اخذهم اللهم أقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) لعلكم تظفرون بمرادكم من النصر والثبوت وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفترعن ذكره به أشغل ما يكون قلباً وأكثر ما يكون لها وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين عليه السلام في أيام صفين وفي مشاهدته مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبلغات المواظظ والنصائح دليلاً على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم الأمر (ولا تنازعوا) قرئ بتشديد التاء (فنفشلوا) منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي وتدل على التقديرين قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالناء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم ۝ والريح الدولة شبت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله يا صاحبي ألا لاحي بالوادي ۝ إلا عبيد قعود بين أذواد

وتنقيه عن أسرار الكتاب العزيز ۝ قوله تعالى وإذ يريكمهم وإذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم (قال إن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً الخ) قال أحمد وفي هذا دليل بين على أن الله تعالى هو الذي يخلق الإدراك في الحاسة غير موقوف على سبب من مقابلة أو قرب أو ارتفاع حجب أو غير ذلك إذ لو كانت هذه الأسباب موجبة للرؤية عقلاً لما أمكن أن يستر عنهم البعض وقادروا البعض والسبب الموجب مشترك فعلى هذا يجوز أن يخلق الله الإدراك مع اجتماعها فلا ربط إذ بين الرؤية ونفيها في مقدرة الله تعالى وهي رادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى بناء على اعتبار هذه الأسباب في حصول الإدراك عقلاً وأنها تستلزم الجسمية إذ المقابلة والقرب وارتفاع الحجب إنما تأتي في جسم فهذه الآية حسبه في إبطال زعمهم ولكنهم يرون عليها وهم عنها معرضون والله الموفق

(قوله وتفل شوكتهم) أي تنكسر أفاده الصحاح

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَإِذْ زَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ
فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفَتَاتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ۝ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هُوَ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝

انتظران قليلا ريث غفلتهم ۝ أم تعدوان فإن الريج للعادي

وقيل لم يكن نصر قط إلا بريج يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبأ وأهلكت عاد بالدبور ۝ حذرهم بالنهي
عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم
(كالذين خرجوا من ديارهم) هم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن يرجعوا
فقد سلمت غيركم فأبى أبو جهل وقال حتى تقدم بداراً نشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من
العرب فذلك بطرهم ورتاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوايح مكان
القيان ففهم أن يكونوا مثلهم بطرين طرفين مرأين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والسكابة والحزن من خشية
الله عز وجل مخلصين أعمالهم لله ۝ (و) اذكر (إذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم ۝
فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرا منهم أي بطل كيدهم حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك
على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على السير ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة من الحرب
فكاد ذلك يثنيم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرفهم في جند من
الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في
يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث إلى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر
الحرث وانطلق وانهمزوا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقه فبلغ ذلك سراقه فقال والله تماشعت بمسيركم حتى
بلغتني هزيمتكم فلما أسلدوا علموا أنه الشيطان وفي الحديث وما رؤى إبليس يوماً أصغر ولا أدهر ولا أغظ من يوم
عرفة لما يرى من نزول الرحمة إلا مارؤى يوم بدر (فإن قلت) هلا قيل لا غالباً لكم كما يقال لا ضارياً زيدا عندنا (قلت)
لو كان لكم مفعولاً لغالب بمعنى لا غالباً إياكم لكان الأمر كما قلت لكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم (إذ يقول المنافقون)
بالمدينة (والذين في قلوبهم مرض) يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام
في الإسلام وعن الحسن هم المشركون (غز هؤلاء دينهم) يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقون به وينصرون
من أجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ثم قال جواباً لهم (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز) غالب
يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما

(قوله وتعزف علينا القيان) تلعب بالملاهي وتعزف القينة الأمة مغنية أو غير مغنية واجمع القيان والقيان الحدادوا لجمع
القيون وكل عبد هو عند العرب قين وقان الشيء يقينه قينا إذا أصلحه وزينه أفاده الصحاح (قوله وأن يكونوا من أهل
التقوى) لعله وأن لا يكونوا أو لعله بأن يكونوا (قوله ولا أدهر) الإحمر والطرد والإبعاد اه صحاح

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ ۝ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِتَأْيِتِ
اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى
يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِتَأْيِتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ ۝ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝
الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝ فَإِنَّمَا تَتَّقِ الَّذِينَ فِي الْحَرْبِ فَشَرُّ بِهِمْ مِنْ

ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال و (إذ) نصب على الظرف و قرئ يتوفى بالياء والتاء و (الملائكة) رفعها بالفعل
(ويضربون) حال منهم ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر و
وعن مجاهد وأدبارهم أستاذهم ولكن الله كريم يكنى وإنما خصوهما بالضرب لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد
وبلغنى عن أهل الصين أن عقوبة الزانى عندهم أن يصبر ثم يعطى الرجل القوى البطش شيئاً عمل من حديد كهيئة الطبق
فيه رزاة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوة فيجمد في مكانه وقيل يضربون ما قبل منهم وما أدبر (وذوقوا)
معطوف على يضربون على إرادة القول أى ويقولون ذوقوا (عذاب الحريق) أى مقدمة عذاب النار أو وذوقوا عذاب
الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهب النار أو ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا
وجواب لو محذوف أى لرأيت أمراً فظيماً منكراً (ذلك بما قدمت أيديكم) يحتمل أن يكون من كلام الله ومن كلام
الملائكة وذلك رفع بالابتداء وما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أى ذلك العذاب بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن
الله (ليس بظلام للعبيد) لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد أو لأن العذاب
من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلماً بل بلغ الظلم متفاقه ۝ الكاف في محل الرفع أى دأب هؤلاء
مثل دأب آل فرعون ودأبهم عاداتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى دوماً عليه وواظبوا و (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون
(وذلك) إشارة إلى ما حل بهم يعنى ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته أن يغير نعمته
عند قوم (حتى يغيروا) بهم من الحال (فإن قلت) فما كان من تغير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم
ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة (قلت) كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة
إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه
وتحزبوا عليه ساعين في إرافة دمه غير واحالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب
(وأن الله سميع) لما يقول ككذبوا الرسول (عليم) بما يفعلون (كذب آل فرعون) تكرير للتأكيد وفي قوله (بآيات
ربهم) زيادة دلالة على كفران النعم ووجود الخلق ۝ وفي ذكر الإغراق بيان للاخذ بالذنوب (وكل كانوا ظالمين)
وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصى (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أى أصروا
على الكفر والجرافيه فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة عاهدتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يماثلوا عليه
فنكثوا بأن أعانوا مشركى مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدتهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق
كعب بن الأشرف إلى مكة مخالفاً لهم (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا
وجعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود (وهم لا يتقون)

قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد (قال وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد الخ) قال أحمد وبهذه النكتة يجاب
عن قول القائل نفى الأدنى أبلغ من نفى الأعلى فلم عدل عن الأبلغ والمراد تنزيه الله تعالى وهو جدير بالمبالغة فهذان

خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْعُونَ ۝ وَإِنَّا نَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانذِرْ لَهُمْ عَذَابَ اللَّهِ إِنَّا نَحِبُّ الْخَائِنِينَ ۝
وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّمَا يُعِجِزُونَ ۝ وَأَعَدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ

لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار (فإما تنقذهم في الحرب) فيما تصادقهم وتظفرون بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكابة فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتباراً بهم واتعاضاً بحالهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذراً مذر ومنه الشذر المطلق من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حنيفة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من وراءهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الراء وأوقعه فيه لأن الراء جهة المشردين فإذا جعل الراء ظرفاً للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين (لعلهم يدعون) لعل المشردين من وراءهم يتعظون (وإما نخافون من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثاً بأمارات تلوح لك (فانذيرهم) فاطرح إليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نية العهد وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بيننا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تنجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (إن الله لا يحب الخائنين) فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانذيرهم ثابراً على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة على أنها حال من التابذ والمنبوذ إليهم معاً (سبقوا) أفلتوا وفاتوا من أن يظفرون بهم (إنهم لا يعجزون) إنهم لا يفوتون ولا يحدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الأعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وفتحتها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوماً وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الأقاويل كلها متمحولة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري أنها زلت فيمن أفلت من قل المشركين (من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عتبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً ومات عتبة عن سبعين قوساً في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع رباط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله (ومن رباط الخيل) تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين رحمه الله أنه سئل عن أوصى بذلك ماله في الحصون فقال يشتري به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقبل له إنما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر : إن الحصون الخيل لا مدر الفرى ۝ (ترهبون) قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ ابن عباس

الجوابان عتيقان في هذا السؤال ۝ قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (قال القوة الرمي روى عتبة بن عامر أنها الرمي الخ) قال أحمد والمطابق للرمي أن يكون الرباط على بابه مصدراً والله أعلم وهو نسبي ونعم الوكيل

(قوله وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذراً مذر) شذر مذر بفتحات أي في كل وجهة اه صحاح

بِهٖ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ
 إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ ۝ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَإِنْ يَرِيدُوا
 أَنْ يَخُدُّوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آيَدُكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَالْفَبِّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسِبَكَ اللَّهُ وَمَنْ آتَبَكَ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ
 وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝ الثَّنِ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ

ومجاهد رضى الله عنهما تخرون والضمير في (به) راجع إلى ما استطعتم (عدو الله وعدوكم) هم أهل مكة (وآخرين من
 دونهم) هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدى هم أهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث إن الشيطان لا يقرب
 صاحب فرس ولا داراً فيها فرس عتيق وروى أن صهيل الخيل يرهب الجن ۝ جنح له وإليه إذا مال ۝ والسلم تؤت
 تأنيت نقيضها وهي الحرب قال السلم تأخذ منها مراضيت به ۝ والحرب يكفيك من أنفسها جرع
 وقرئ بفتح السين وكسرهما وعن ابن عباس رضى الله عنه أن الآية منسوخة بقوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله»
 وعن مجاهد بقوله فقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام
 وأهله من حرب أو سلم وليس بحتم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً ۝ وقرأ الأشهب العقيلي فاجنح بضم النون
 (وتوكل على الله) ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد
 قرينة (فإن حسبك الله) فإن حسبك الله قال جرير إني وجدت من المكارم حسبكم ۝ أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
 (وألف بين قلوبهم) التأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لأن العرب لما
 فيهم من الحية والعصية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان
 ثم اتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وأنشؤا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم
 الله من ألفتهم وجمع من كلبتهم وأحدث بينهم من التحاب والتواد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من
 الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما أراد وتبيلهم الأوس
 والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أملاك سادتهم ورؤسائهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى
 وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته
 أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصاراً وعادوا أعماماً
 وما ذاك إلا بلطيف صنعه وبلغ قدرته (ومن آتبعك) الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر
 لأن عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال ۝ حسبك والضحاك غضب مهند ۝ والمعنى كفاك وكفى تباغك من
 المؤمنين الله ناصراً أو يكون في محل الرفع أى كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال
 وعن ابن عباس رضى الله عنه نزلت في إسلام عمر رضى الله عنه وعن سعيد بن جبيرة أنه أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً
 وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت ۝ التحريض المبالغة في الخث على الأمر من الحرض وهو أن ينهك المرض ويتبالغ فيه حتى يشق على
 الموت أو أن تسميه حرضاً وتقول له ما أراك إلا حرضاً في هذا الأمر ومرضاه ليهيجه ويحرك منه ويقال حركه وحرضه وحرصه
 وحرشه وحر به بمعنى ۝ وقرئ حرض بالصاد غير المعجمة حكاها الأخفش من الحرض ۝ وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من
 المؤمنين إن صبروا وغلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأيدته ثم قال (بأنهم قوم لا يفقهون) أى بسبب أن الكفار قوم

أَنْ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ
مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَبْخُنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ فَكُلُّوا

جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه
خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والإظهار من الله تعالى وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا
ويثبت الواحد منهم للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكباً فاقى أبا جهل
في ثلثمائة راكب قيل ثم نقل عليهم ذلك وضجرا منه وذلك بعد مدة طويلة ففسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثني
وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف ۝ وقرئ ضعفاً بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر
والفقر وضعفاً جمع ضعيف ۝ وقرئ الفعل المسند إلى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في
البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك (فإن قلت) لم كثر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة
لا كثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده (قلت) للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لأن الحال
قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين ۝
وقرئ للنبي على التعريف وأسارى ويبخن بالتشديد ومعنى الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم أئخته الجراحات
إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة وأئخته المرض إذا أثقله من الإثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر
ويضعفه بإشاعة القتل في أهله ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والفهر ثم الأسر بعد ذلك ذلك ومعنى (ما كان) ما صح
له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فيما منأ بعد وإما فداء وروى أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أتى بسبعين أسيراً فيهم العباس عمه وعقيل بن أبي طالب فاستشار أبا بكر رضي الله عنه فيهم فقال قومك وأهلك
استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم
واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكن عالياً من عقيل وحمزه من العباس ومكنى من
فلان لنسب له فاضرب أعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله
ليشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني
فإنك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ثم قال لأصحابه أتم اليوم عالة
فلا يفتان أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق وروى أنه قال لهم إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم وأستشهد منكم
بعدهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن
محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والأوقية أربعون درهما وستة دنانير وروى أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية
فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت
وإن لم أجد بكاء تبأ كبت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة منه وروى أنه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما لقوله
كان الإثخان في القتل أحب إليّ (عرض الدنيا) حطامها سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث يريد الفداء (والله يريد
الآخرة) يعنى ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل ۝ وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد
الآخرة بجز الآخرة على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على حاله كقوله

أكل امرئ تحسبين امرأه ۝ ونار توقد بالليل نارا

مَا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَسْأَلُهَا النَّبِيُّ قُلُوبَ مَنْ فِي آيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى
 إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَإِنْ يُرِيدُوا
 خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
 بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا

ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها (والله عزيز) يغلب أوليائه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلاً وأسراً ويطلق لهم الفداء ولكنه (حكيم) يؤخر ذلك إلى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح وهو أنه لا يعاقب أحداً بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سبباً في إسلامهم وتوبتهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام وأهيب لمن وراهم وأقل لشوكتهم وقيل كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها وقيل إن أهل بدر مغفور لهم وقيل أنه لا يعذب قوماً إلا بعد تأكيد الحججة وتقديم النهي ولم يتقدم نهى عن ذلك (فكلموا بما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم (واتقوا الله) فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه (فإن قلت) ما معنى الفاء (قلت) التسيب والسبب محذوف معناه قد أجمت لكم الغنائم فكلموا بما غنمتم ۝ وحلالاً نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلاً حلالاً وقوله (إن الله غفور رحيم) معناه أنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم (في أيديكم) في ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم ۝ وقرئ من الأسرى (في قلوبكم خيراً) خلوص إيمان وصحة نية (يؤتكم خيراً مما أخذ منكم) من الفداء إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الأعمش يثيبكم خيراً وعن العباس رضي الله عنه أنه قال كنت مسلماً لكنهم استكروني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكن ما نذكركه حقاً فإله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس أهد ابني أخيك عقيل ابن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت فقال له فإين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس رضي الله عنه فأبدلني الله خيراً من ذلك لي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي وزوى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفاً فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة بما أخذ منكم على البناء للفاعل (وإن يريدوا خيانتك) نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم (فقد خانوا الله من قبل) في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) كما رأيت يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء ۝ الذين هاجروا أي فارقوا أوطانهم وقومهم حباً لله ورسوله هم المهاجرون ۝ والذين آوؤهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار (بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالطهارة والنصرة دون ذوى القربات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ۝ وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر

مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ
 وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
 حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَالْوَا
 لِرَاحِمَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

﴿سورة التوبة مدنية﴾

إِلَّا الْآيَاتِينَ الْآخِرَتَيْنِ فَكَيْتَانِ وَأَيَّاتُهَا ١٤٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الْمَائِدَةِ

بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ

أى من توليهم فى الميراث ووجه الكسر أن تولى بعضهم بعضاً شبه بالعمل والصناعة كأنه يتولى صاحبه يزاول أمراً
 ويأمر عملاً (فعلكم النصر) فواجب عليكم أن تصروهم على المشركين (الإعلى قوم) منهم (بينكم وبينهم) عهد فإنه لا يجوز
 لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره إثبات
 الموالاته بينهم كقوله تعالى فى المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهى المسلمين عن موالاته الذين كفروا
 وموارثتهم وإيجاب مباحثتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً ثم قال (إلا تفعلوه)
 أى إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضاً حتى فى التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة
 القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كقرابة تحصل فتنه فى الأرض ومفسدة عظيمة لأن
 المسلمين ما لم يصيروا بدأ واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً ۝ وقرئ كثير بالثاء (أولئك هم المؤمنون
 حقاً) لأنهم صدقوا بإيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال
 لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى الأمر
 بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون
 ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضيلاً منه وترغيباً (وأولو الأرحام) أولو
 القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (فى كتاب الله) تعالى فى حكمه وقسمته وقيل فى اللوح
 وقيل فى القرآن وهو آية الموارث وقد استدل به أصحاب أبى حنيفة رحمه الله على توريث ذوى الأرحام . عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبرائة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه برئ من النفاق وأعطى عشر حسنات
 بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته فى الدنيا

﴿سورة التوبة مدنية وهى مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية﴾

لها عدة أسماء براءة التوبة الممشقة المبعثرة المشردة الخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكحة المدممة سورة العذاب

(قوله والشهادة لهم مع الموعد الكريم) لعله والشهادة لهم بالإيمان

لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تفشيش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلمهم وتشردبهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة رضى الله عنه أنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ما تركت أحداً إلا نالت منه (فإن قلت) هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور (قلت) سألت عن ذلك ابن عباس عثمان رضى الله عنهما فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكاننا ندعيان الفريضة وعن أبي بن كعب إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر اليهود وفي براءة نبذ اليهود وسئل ابن عيينة رضى الله عنه فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام لست مؤمناً قيل فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال إنما ذلك ابتداء يدعوهم ولم يندب إليهم إلا التراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعى إلى الله عز وجل فأجاب ودعى إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف و مترس ولا بأس هذا أمان كله وقيل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاها نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المائون وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة (من) لا ابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة وأصله من الله ورسوله (إلى الذين عاهدتم) كما يقال كتاب من فلان إلى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار و قرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرة والمعنى أن الله ورسوله قد برئنا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم (فإن قلت) لم عقلت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين (قلت) قد أذن الله في معاهدة المشركين أو لا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ إليهم فخطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئنا مما عاهدتم به المشركين و روى أنهم عاهدوا

هـ (القول في سورة براءة) هـ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين الآية (قال معناه إن الله ورسوله قد برئنا من العهد الذي عاهدتم به المشركين الخ) قال أحمد ووراء ما ذكره سر آخر هو المرعى والله أعلم وذلك أن نسبة العهد إلى الله ورسوله في مقام نسب إليه النبذ من المشركين لا يحسن شرعاً إلا ترى إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمرأ السرايا حيث يقول لهم وإذا نزلت بحصن فطلبوا النزول على حكم الله فأنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أصادفت حكم الله فيهم أولاً وإن طلبوا ذمة الله فأنزلهم عن ذمتك فلأن تخمّر ذمتك خير من أن تخمّر ذمة الله فانظر إلى أمره عليه الصلاة والسلام بتوفير ذمة الله مخافة أن تخمّر وإن كالم يحصل بعد ذلك الأمر المتوقع فتوفير عهد الله وقد تحقق من المشركين النكث وقد تبرأ من الله ورسوله بأن لا ينسب العهد المنبوذ إلى الله أخرى وأجدر فلذلك نسب العهد إلى المسلمين دون البراءة منه والله أعلم

(سورة التوبة)

(قوله أسرار المنافقين تبحث عنها) لعله أي تبحث (قوله شبيهة بقصتها) هذا الضمير للأنفال بدليل التشبيه وإن لم يجر لها ذكر هنا وعبرة الخازن ولم يبين لنا أين نضعها وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت التوبة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها الخ (قوله فأجاب ودعى إلى الجزية) لعله أودعى (قوله ولا تخف و مترس) مترس بفتح الميم والناء وسكون الراء فارسي معناه أمان (قوله تعدان السابعة من الطول) الطول بكسر ففتح بمعنى الطويلة أفاده الصحاح وعبارة غيره الطوال

غَيْرِ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ ۝ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ

المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكسوا لإناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمر وأن يسبحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاءوا لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم في قوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب ابن أسيد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم أتبعه علياً رضي الله عنه راكب العضيبة ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال لا يؤدي عنى إلا رجل مني فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروى أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجلاً منك فأرسل علياً فرجع أبو بكر رضي الله عنهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلى ينادى بالآي فلما كان قبل النبوية يخطب أبو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضي الله عنه يوم النحر عند جرة العقبة فقال يا أيها الناس إن رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد رضي الله عنه ثلاث عشرة آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيف وقيل إنما أمر أن لا يبلغ عنه إلا رجل منه لأن العرب عاداتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر رضي الله عنه لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فأنسخت عنهم بتولية ذلك علياً رضي الله عنه (فإن قلت) الأشهر الأربعة ماهي (قلت) عن الزهري رضي الله عنه أن براءة نزلت في شوال فهي أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرماً لأنهم أومنوا فيها وخرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسب الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة (فإن قلت) ما وجه إطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الأشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن ذلك (قلت) قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها (غير معجزى الله) لا تفوتونه وإن أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب (وأذان) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال إنه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والأذان بمعنى الأيدان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء (فإن قلت) أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية (قلت) تلك إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت (فإن قلت) لم علقتم البراءة بالذين عاهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس (قلت) لأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نسك من المعاهدين ومن لم ينسك (يوم الحج الأكبر) يوم عرفة وقيل يوم النحر لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه أن رجلاً أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الأكبر قال يومك هذا في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو جعل الوقوف بعرفة هو الحج الأكبر لأنه معظم واجباته لأنه إذا فات فوات الحج وكذلك إن أريد به يوم النحر لأن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الأكبر وعن الحسن رضي الله عنه سمي يوم الحج الأكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لأعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن

بَرِيٍّ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ اللَّهِ ۖ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظْهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لِيهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۖ فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

كافر ۖ حذف الباء التي هي صلة الأذان تخفيفاً وقرئ إن الله بالكسر لأن الأذان في معنى القول (ورسوله) عطف على المنوي في برىء أو على محن إن المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفاً على اسم إن أو لأن الواو بمعنى مع أي برىء معه منهم وبالجرح على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمر ك ويحكى أن إعرابياً سمع رجلاً يقرأها فقال إن كان الله برئاً من رسوله فأنا منه برىء فلبه الرجل إلى عمر فحكى الإعرابي قرأته فعندها أمر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية (فإن تبتم) من الكفر والغدر (فهو خير لكم وإن توليتم) عن التوبة أو تبتم على التولي والإعراض عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير سابقين الله تعالى ولا فاتنين أخذه وعقابه ۖ (فإن قلت) مم استثنى قوله (إلا الذين عاهدتم) (قلت) وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الأرض لأن الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتوا إليهم وعاهدتم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتوا إليهم وعاهدتم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفاء كالغادر ۖ إن الله يحب المتقين يعني أن قضية التقوى أن لا يسوى بين القبيلتين فاتقوا الله في ذلك (لم ينقضوا شيئاً) لم يقتلوا منكم أحداً ولم يضرّوكم قط (ولم يظاهروا) ولم يعاونوا (عليكم) عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عبيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لاهم أنى ناشداً محمداً ۖ خالف أبينا وأبيك الأتلا ۖ إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ذمامك المؤكدا ۖ هم يبتونا بالحطيم هجماً ۖ وقلوبنا ركاماً وسجداً

فقال عليه الصلاة والسلام لانصرت إن لم أنصركم ۖ وقرئ لم ينقضواكم بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم ومعنى (فأتوا إليهم) فأذره إليهم تماماً كاملاً قال ابن عباس رضي الله عنه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتهم إليهم عهدهم ۖ انسلك الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء و (الأشهر الحرم) التي أيسح فيها للناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوا عهدكم وظاهروا عليكم) (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاختيد

ۖ قوله تعالى «إلا الذين عاهدتم» (قال محمود إن قلت مم هذا الاستثناء قلت وجهه أن يكون مستثنى الخ) قال أحمد ويجوز أن يكون قوله فسيحوا خطاباً من الله تعالى للمشركين غير مضمرة قبله القول ويكون الاستثناء على هذا من قوله إلى الذين عاهدتم كأنه قيل براءة من الله ورسوله إلى المماهدين لا السابقين على العهد فأتوا إليهم أي المسلمون عهدهم ويكون فيه خروج من خطاب المسلمين في قوله إلى الذين عاهدتم إلى خطاب المشركين في قوله فسيحوا ثم الالتفات من التكلم إلى الغيبة بقوله واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله وأصله واعلموا أنكم غير معجزى وأنى وفي هذا الالتفات بعد الالتفات الأول افتتان في أساليب البلاغة وتفخيم للشأن وتعظيم الأمر ثم يتلو هذا الالتفات العود إلى خطاب المسلمين بقوله إلا الذين عاهدتم ثم لم ينقضوا فأتوا وكل هذا من حسنات الفصاحة وإنما بعث الرخيشري على تقدير القول قبل فسيحوا مراعاة أن يطابق قوله فأتوا إذ المخاطب على هذا التقدير المسلمون أولاً وثانياً ولا يكون فيه شيء من الالتفاتات

(قوله خزاعة عيبة رسول الله) عيبة كذا في نسخ وكتب عليه أي خزانة سره وفي أخرى في غيبته وهو كذلك

عَنْ وَرَّحِيمٍ ۝ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلغَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وِلَايَةَ

الأسير (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (كل مرصد) كل ممز ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لا تعدن لهم صراطك المستقيم (اخلوا سيولهم) فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله ۝ خل السيل لمن بيني النار به ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنه دعهم وإتيان المسجد الحرام (إن الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلب من الكفر والغدر (أحد) مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر تقديره وإن استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لعهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع مائدعو إليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر (ثم أبلغه) بعد ذلك داره التي يأمن فيها إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن رضي الله عنه هي محكمة إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبيرة جاء رجل من المشركين إلى علي رضي الله عنه فقال إن أراد الرجل منا أن يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله أو يأنبه لحاجة قتل قال لأن الله تعالى يقول وإن أحد من المشركين استجارك الآية وعن السدي والضحاك رضي الله عنهما هي منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين (ذلك) أي ذلك الأمر يعني الأمر بالإجارة في قوله فأجره (ب) سبب (أنهم) قوم جهلة (لا يعلمون) ما الإسلام وما حقيقة مائدعو إليه فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا الحق (كيف) استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أضداد وغرة صدورهم يعني محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ۝ ثم استدرك ذلك بقوله (إلا الذين عاهدتم) أي ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) على العهد (فاستقيموا لهم) على مثله (إن الله يحب المتقين) يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين (كيف) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوماً كما قال :

المبنية على التأويل الذي ذكرناه وكلا الوجهين ممتاز بنوع من البلاغة وطرف من الفصاحة والله أعلم ۝ قوله تعالى ۝ واقعدوا لهم كل مرصد ۝ (قال محمود في المرصد المجاز والمر الخ) قال أحد ويكون انتصابه دون جزه من الاتساع لأن المرصد ظرف مختص والأصل قصور الفعل عن نصبه ويكون مثل قوله في الاتساع ۝ كما غسل الطريق الثعلب ۝ ويحتمل والله أعلم أن يكون مرصد مصدر لأن صيغة اسم الزمان والمكان والمصدر من فعله واحدة فعلى هذا يكون منصوباً نصباً أصلياً لأن اقعدوا في معنى ارصدوا كأنه قيل وارصدوهم كل مرصد إلا أن الظرفية يقويها قوله حيث وجدتموهم فيقتضيها قصد المطابقة بين ظرفي المكان والله أعلم

۝ قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلى الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا وِلَايَةَ (قال كيف تكرار لاستبعاد ثبات الخ) قال أحد

في أبي العود (قوله وتبين ما بعثت له فأمنه) لعله ويتبين عطفاً على يسمع (قوله وهم أضداد وغرة صدورهم) قوله وغرة أي ملتبة من الغيظ

يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَابَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۝ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ
 سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ۝ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
 الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفَصُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ
 عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ۝ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا

وخبيرتماني إنما الموت بالقري ۝ فكيف وهاتا هضبة وقلب

يريد فكيف مات أى كيف يكون لهم عهد (و) حالهم أنهم (إن يظهر وأعليكم) بعد ما سبق لهم من تأكيدي الإيمان والمواثيق
 لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم (لا يرقبوا فيكم إلا) لا يراعوا حلفاً وقيل قرابة وأشد لحسان رضى الله عنه
 لعمر ك إن إلك من قريش ۝ كأل السقب من رأل النعال

وقيل إلالها وقرئ إبالا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرئيل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن
 والوجه أن اشتقاق الال بمعنى الحلف لأنهم إذا تماشجوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الال وهو الجوار وله
 اليل أى أنين يرفع به صوته ودعت إليها إذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق إل وسميت به القرابة لأن القرابة عقدت بين
 الرجلين ما لا يعقده الميثاق (يرضونكم) كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقتررا لاستبعاد الثبات منهم
 على العهد ۝ وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الأضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل (وأكثرهم فاسقون) متمردون
 خلعه لا مروءة تزعمهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عن الكذب والنكث
 والتعفف عما يثلم العرض ويجزأ حدوته السوء (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن والإسلام (ثمناً قليلاً) وهو اتباع
 الأهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم وقيل هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم
 (هم المعتدون) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فإن تابوا) عن الكفر ونقض العهد (فإخوانكم فى الدين) فهم إخوانكم على
 حذف المبتدأ كقوله تعالى ۝ فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم ۝ (ونفصل الآيات) ونبيها وهذا اعتراض كأنه قيل وإن من تأمل
 نفصليها فهو العالم بعثاً وتحريضاً على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وطعنوا فى دينكم) وثلبوه
 وعابوه (فقاتلوا أمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أمة الكفر موضع ضميرهم إشعاراً بأنهم إذا نكثوا فى حال الشرك تمردوا وطغيانا
 وطرحاً لعادات الكرام الأوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا إخواناً للمسلمين فى الدين ثم رجعوا
 فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بابه وأعليه من الإيمان والوفاء بالعهود ورددوا بطعنون فى دين الله ويقولون ليس دين محمد بشىء
 فهم أمة الكفر وذروا الرياسة والتقدر فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا إذا طعن الذى فى دين الإسلام طعننا ظاهر أجاز قتله لأن العهد
 معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة (إنهم لا إيمان لهم) جمع بين وقري لا إيمان لهم أى لا إسلام لهم
 أو لا يعطون الأمان بعد الردة والنكث ولا سبيل إليه (فإن قلت) كيف أثبت لهم الإيمان فى قوله وإن نكثوا أيمانهم ثم نقاها عنهم
 (قلت) أراد أيمانهم التى أظهروها ثم قال لا إيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على

السرى فى تكرار كيف والله أعلم أنه لما ذكره أولاً لاستبعاد ثبات عهدهم عند الله ولم يذكر إذ ذاك سبب البعد للغاية باستثناء
 الباقي على العهد وطال الكلام أعيدت كيف نظرية للذكر وليأخذ بعض الكلام بحجزة بعض فلم يقصد مجرد التكرار

(قوله كأل السقب من رأل النعام) السقب الذكر من ولد الناقة والرأل ولد النعام كذا فى الصحاح (قوله ودعت إليها إذا ولولت)
 فى الصحاح وأما قول الكعبى يمدح رجلاً ۝ وأنت ما أنت فى غرباء مظلمة ۝ إذا دعت إليها الكاعب الفضل ۝ فيجوز
 أن يريد الال ثم تى كأنه يريد صوتاً بعد صوت اه (قوله لا مروءة تزعمهم) تزعمهم أى تكفهم اه صحاح

۱۰۰
۱۰۱
۱۰۲
۱۰۳
۱۰۴
۱۰۵
۱۰۶
۱۰۷
۱۰۸
۱۰۹
۱۱۰
۱۱۱
۱۱۲
۱۱۳
۱۱۴
۱۱۵
۱۱۶
۱۱۷
۱۱۸
۱۱۹
۱۲۰
۱۲۱
۱۲۲
۱۲۳
۱۲۴
۱۲۵
۱۲۶
۱۲۷
۱۲۸
۱۲۹
۱۳۰
۱۳۱
۱۳۲
۱۳۳
۱۳۴
۱۳۵
۱۳۶
۱۳۷
۱۳۸
۱۳۹
۱۴۰
۱۴۱
۱۴۲
۱۴۳
۱۴۴
۱۴۵
۱۴۶
۱۴۷
۱۴۸
۱۴۹
۱۵۰
۱۵۱
۱۵۲
۱۵۳
۱۵۴
۱۵۵
۱۵۶
۱۵۷
۱۵۸
۱۵۹
۱۶۰
۱۶۱
۱۶۲
۱۶۳
۱۶۴
۱۶۵
۱۶۶
۱۶۷
۱۶۸
۱۶۹
۱۷۰
۱۷۱
۱۷۲
۱۷۳
۱۷۴
۱۷۵
۱۷۶
۱۷۷
۱۷۸
۱۷۹
۱۸۰
۱۸۱
۱۸۲
۱۸۳
۱۸۴
۱۸۵
۱۸۶
۱۸۷
۱۸۸
۱۸۹
۱۹۰
۱۹۱
۱۹۲
۱۹۳
۱۹۴
۱۹۵
۱۹۶
۱۹۷
۱۹۸
۱۹۹
۲۰۰
۲۰۱
۲۰۲
۲۰۳
۲۰۴
۲۰۵
۲۰۶
۲۰۷
۲۰۸
۲۰۹
۲۱۰
۲۱۱
۲۱۲
۲۱۳
۲۱۴
۲۱۵
۲۱۶
۲۱۷
۲۱۸
۲۱۹
۲۲۰
۲۲۱
۲۲۲
۲۲۳
۲۲۴
۲۲۵
۲۲۶
۲۲۷
۲۲۸
۲۲۹
۲۳۰
۲۳۱
۲۳۲
۲۳۳
۲۳۴
۲۳۵
۲۳۶
۲۳۷
۲۳۸
۲۳۹
۲۴۰
۲۴۱
۲۴۲
۲۴۳
۲۴۴
۲۴۵
۲۴۶
۲۴۷
۲۴۸
۲۴۹
۲۵۰
۲۵۱
۲۵۲
۲۵۳
۲۵۴
۲۵۵
۲۵۶
۲۵۷
۲۵۸
۲۵۹
۲۶۰
۲۶۱
۲۶۲
۲۶۳
۲۶۴
۲۶۵
۲۶۶
۲۶۷
۲۶۸
۲۶۹
۲۷۰
۲۷۱
۲۷۲
۲۷۳
۲۷۴
۲۷۵
۲۷۶
۲۷۷
۲۷۸
۲۷۹
۲۸۰
۲۸۱
۲۸۲
۲۸۳
۲۸۴
۲۸۵
۲۸۶
۲۸۷
۲۸۸
۲۸۹
۲۹۰
۲۹۱
۲۹۲
۲۹۳
۲۹۴
۲۹۵
۲۹۶
۲۹۷
۲۹۸
۲۹۹
۳۰۰
۳۰۱
۳۰۲
۳۰۳
۳۰۴
۳۰۵
۳۰۶
۳۰۷
۳۰۸
۳۰۹
۳۱۰
۳۱۱
۳۱۲
۳۱۳
۳۱۴
۳۱۵
۳۱۶
۳۱۷
۳۱۸
۳۱۹
۳۲۰
۳۲۱
۳۲۲
۳۲۳
۳۲۴
۳۲۵
۳۲۶
۳۲۷
۳۲۸
۳۲۹
۳۳۰
۳۳۱
۳۳۲
۳۳۳
۳۳۴
۳۳۵
۳۳۶
۳۳۷
۳۳۸
۳۳۹
۳۴۰
۳۴۱
۳۴۲
۳۴۳
۳۴۴
۳۴۵
۳۴۶
۳۴۷
۳۴۸
۳۴۹
۳۵۰
۳۵۱
۳۵۲
۳۵۳
۳۵۴
۳۵۵
۳۵۶
۳۵۷
۳۵۸
۳۵۹
۳۶۰
۳۶۱
۳۶۲
۳۶۳
۳۶۴
۳۶۵
۳۶۶
۳۶۷
۳۶۸
۳۶۹
۳۷۰
۳۷۱
۳۷۲
۳۷۳
۳۷۴
۳۷۵
۳۷۶
۳۷۷
۳۷۸
۳۷۹
۳۸۰
۳۸۱
۳۸۲
۳۸۳
۳۸۴
۳۸۵
۳۸۶
۳۸۷
۳۸۸
۳۸۹
۳۹۰
۳۹۱
۳۹۲
۳۹۳
۳۹۴
۳۹۵
۳۹۶
۳۹۷
۳۹۸
۳۹۹
۴۰۰
۴۰۱
۴۰۲
۴۰۳
۴۰۴
۴۰۵
۴۰۶
۴۰۷
۴۰۸
۴۰۹
۴۱۰
۴۱۱
۴۱۲
۴۱۳
۴۱۴
۴۱۵
۴۱۶
۴۱۷
۴۱۸
۴۱۹
۴۲۰
۴۲۱
۴۲۲
۴۲۳
۴۲۴
۴۲۵
۴۲۶
۴۲۷
۴۲۸
۴۲۹
۴۳۰
۴۳۱
۴۳۲
۴۳۳
۴۳۴
۴۳۵
۴۳۶
۴۳۷
۴۳۸
۴۳۹
۴۴۰
۴۴۱
۴۴۲
۴۴۳
۴۴۴
۴۴۵
۴۴۶
۴۴۷
۴۴۸
۴۴۹
۴۵۰
۴۵۱
۴۵۲
۴۵۳
۴۵۴
۴۵۵
۴۵۶
۴۵۷
۴۵۸
۴۵۹
۴۶۰
۴۶۱
۴۶۲
۴۶۳
۴۶۴
۴۶۵
۴۶۶
۴۶۷
۴۶۸
۴۶۹
۴۷۰
۴۷۱
۴۷۲
۴۷۳
۴۷۴
۴۷۵
۴۷۶
۴۷۷
۴۷۸
۴۷۹
۴۸۰
۴۸۱
۴۸۲
۴۸۳
۴۸۴
۴۸۵
۴۸۶
۴۸۷
۴۸۸
۴۸۹
۴۹۰
۴۹۱
۴۹۲
۴۹۳
۴۹۴
۴۹۵
۴۹۶
۴۹۷
۴۹۸
۴۹۹
۵۰۰
۵۰۱
۵۰۲
۵۰۳
۵۰۴
۵۰۵
۵۰۶
۵۰۷
۵۰۸
۵۰۹
۵۱۰
۵۱۱
۵۱۲
۵۱۳
۵۱۴
۵۱۵
۵۱۶
۵۱۷
۵۱۸
۵۱۹
۵۲۰
۵۲۱
۵۲۲
۵۲۳
۵۲۴
۵۲۵
۵۲۶
۵۲۷
۵۲۸
۵۲۹
۵۳۰
۵۳۱
۵۳۲
۵۳۳
۵۳۴
۵۳۵
۵۳۶
۵۳۷
۵۳۸
۵۳۹
۵۴۰
۵۴۱
۵۴۲
۵۴۳
۵۴۴
۵۴۵
۵۴۶
۵۴۷
۵۴۸
۵۴۹
۵۵۰
۵۵۱
۵۵۲
۵۵۳
۵۵۴
۵۵۵
۵۵۶
۵۵۷
۵۵۸
۵۵۹
۵۶۰
۵۶۱
۵۶۲
۵۶۳
۵۶۴
۵۶۵
۵۶۶
۵۶۷
۵۶۸
۵۶۹
۵۷۰
۵۷۱
۵۷۲
۵۷۳
۵۷۴
۵۷۵
۵۷۶
۵۷۷
۵۷۸
۵۷۹
۵۸۰
۵۸۱
۵۸۲
۵۸۳
۵۸۴
۵۸۵
۵۸۶
۵۸۷
۵۸۸
۵۸۹
۵۹۰
۵۹۱
۵۹۲
۵۹۳
۵۹۴
۵۹۵
۵۹۶
۵۹۷
۵۹۸
۵۹۹
۶۰۰
۶۰۱
۶۰۲
۶۰۳
۶۰۴
۶۰۵
۶۰۶
۶۰۷
۶۰۸
۶۰۹
۶۱۰
۶۱۱
۶۱۲
۶۱۳
۶۱۴
۶۱۵
۶۱۶
۶۱۷
۶۱۸
۶۱۹
۶۲۰
۶۲۱
۶۲۲
۶۲۳
۶۲۴
۶۲۵
۶۲۶
۶۲۷
۶۲۸
۶۲۹
۶۳۰
۶۳۱
۶۳۲
۶۳۳
۶۳۴
۶۳۵
۶۳۶
۶۳۷
۶۳۸
۶۳۹
۶۴۰
۶۴۱
۶۴۲
۶۴۳
۶۴۴
۶۴۵
۶۴۶
۶۴۷
۶۴۸
۶۴۹
۶۵۰
۶۵۱
۶۵۲
۶۵۳
۶۵۴
۶۵۵
۶۵۶
۶۵۷
۶۵۸
۶۵۹
۶۶۰
۶۶۱
۶۶۲
۶۶۳
۶۶۴
۶۶۵
۶۶۶
۶۶۷
۶۶۸
۶۶۹
۶۷۰
۶۷۱
۶۷۲
۶۷۳
۶۷۴
۶۷۵
۶۷۶
۶۷۷
۶۷۸
۶۷۹
۶۸۰
۶۸۱
۶۸۲
۶۸۳
۶۸۴
۶۸۵
۶۸۶
۶۸۷
۶۸۸
۶۸۹
۶۹۰
۶۹۱
۶۹۲
۶۹۳
۶۹۴
۶۹۵
۶۹۶
۶۹۷
۶۹۸
۶۹۹
۷۰۰
۷۰۱
۷۰۲
۷۰۳
۷۰۴
۷۰۵
۷۰۶
۷۰۷
۷۰۸
۷۰۹
۷۱۰
۷۱۱
۷۱۲
۷۱۳
۷۱۴
۷۱۵
۷۱۶
۷۱۷
۷۱۸
۷۱۹
۷۲۰
۷۲۱
۷۲۲
۷۲۳
۷۲۴
۷۲۵
۷۲۶
۷۲۷
۷۲۸
۷۲۹
۷۳۰
۷۳۱
۷۳۲
۷۳۳
۷۳۴
۷۳۵
۷۳۶
۷۳۷
۷۳۸
۷۳۹
۷۴۰
۷۴۱
۷۴۲
۷۴۳
۷۴۴
۷۴۵
۷۴۶
۷۴۷
۷۴۸
۷۴۹
۷۵۰
۷۵۱
۷۵۲
۷۵۳
۷۵۴
۷۵۵
۷۵۶
۷۵۷
۷۵۸
۷۵۹
۷۶۰
۷۶۱
۷۶۲
۷۶۳
۷۶۴
۷۶۵
۷۶۶
۷۶۷
۷۶۸
۷۶۹
۷۷۰
۷۷۱
۷۷۲
۷۷۳
۷۷۴
۷۷۵
۷۷۶
۷۷۷
۷۷۸
۷۷۹
۷۸۰
۷۸۱
۷۸۲
۷۸۳
۷۸۴
۷۸۵
۷۸۶
۷۸۷
۷۸۸
۷۸۹
۷۹۰
۷۹۱
۷۹۲
۷۹۳
۷۹۴
۷۹۵
۷۹۶
۷۹۷
۷۹۸
۷۹۹
۸۰۰
۸۰۱
۸۰۲
۸۰۳
۸۰۴
۸۰۵
۸۰۶
۸۰۷
۸۰۸
۸۰۹
۸۱۰
۸۱۱
۸۱۲
۸۱۳
۸۱۴
۸۱۵
۸۱۶
۸۱۷
۸۱۸
۸۱۹
۸۲۰
۸۲۱
۸۲۲
۸۲۳
۸۲۴
۸۲۵
۸۲۶
۸۲۷
۸۲۸
۸۲۹
۸۳۰
۸۳۱
۸۳۲
۸۳۳
۸۳۴
۸۳۵
۸۳۶
۸۳۷
۸۳۸
۸۳۹
۸۴۰
۸۴۱
۸۴۲
۸۴۳
۸۴۴
۸۴۵
۸۴۶
۸۴۷
۸۴۸
۸۴۹
۸۵۰
۸۵۱
۸۵۲
۸۵۳
۸۵۴
۸۵۵
۸۵۶
۸۵۷
۸۵۸
۸۵۹
۸۶۰
۸۶۱
۸۶۲
۸۶۳
۸۶۴
۸۶۵
۸۶۶
۸۶۷
۸۶۸
۸۶۹
۸۷۰
۸۷۱
۸۷۲
۸۷۳
۸۷۴
۸۷۵
۸۷۶
۸۷۷
۸۷۸
۸۷۹
۸۸۰
۸۸۱
۸۸۲
۸۸۳
۸۸۴
۸۸۵
۸۸۶
۸۸۷
۸۸۸
۸۸۹
۸۹۰
۸۹۱
۸۹۲
۸۹۳
۸۹۴
۸۹۵
۸۹۶
۸۹۷
۸۹۸
۸۹۹
۹۰۰
۹۰۱
۹۰۲
۹۰۳
۹۰۴
۹۰۵
۹۰۶
۹۰۷
۹۰۸
۹۰۹
۹۱۰
۹۱۱
۹۱۲
۹۱۳
۹۱۴
۹۱۵
۹۱۶
۹۱۷
۹۱۸
۹۱۹
۹۲۰
۹۲۱
۹۲۲
۹۲۳
۹۲۴
۹۲۵
۹۲۶
۹۲۷
۹۲۸
۹۲۹
۹۳۰
۹۳۱
۹۳۲
۹۳۳
۹۳۴
۹۳۵
۹۳۶
۹۳۷
۹۳۸
۹۳۹
۹۴۰
۹۴۱
۹۴۲
۹۴۳
۹۴۴
۹۴۵
۹۴۶
۹۴۷
۹۴۸
۹۴۹
۹۵۰
۹۵۱
۹۵۲
۹۵۳
۹۵۴
۹۵۵
۹۵۶
۹۵۷
۹۵۸
۹۵۹
۹۶۰
۹۶۱
۹۶۲
۹۶۳
۹۶۴
۹۶۵
۹۶۶
۹۶۷
۹۶۸
۹۶۹
۹۷۰
۹۷۱
۹۷۲
۹۷۳
۹۷۴
۹۷۵
۹۷۶
۹۷۷
۹۷۸
۹۷۹
۹۸۰
۹۸۱
۹۸۲
۹۸۳
۹۸۴
۹۸۵
۹۸۶
۹۸۷
۹۸۸
۹۸۹
۹۹۰
۹۹۱
۹۹۲
۹۹۳
۹۹۴
۹۹۵
۹۹۶
۹۹۷
۹۹۸
۹۹۹
۱۰۰۰

ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال معناه أنهم لا يوفون بها بدليل أنه وصفها بالنكث (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظام أن تكون المقاتلة سببا في اتهامهم عمائم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد (فإن قلت) كيف لفظ أئمة (قلت) همزة بعدها همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون قراءة ومن صرح بها فهو لاجن محرف (الأتقاتلون) دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريراً بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة (نكثوا أي ما نكثوا) التي حلفوها في المعاهدة (وهي ما يخرج الرسول) من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة حتى أذن الله تعالى له في الهجرة فخرج بنفسه (وهي بدوكم أول مرة) أي وهم الذين كانت منهم البداية بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولاً بالكتاب المنير وتحذيرهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ أظلم فاستمعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخنهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب تحقيق بأن لا تترك مصادمته وأن يوجب من فرط فيها (أتخشونهم) تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها (فإن الله أحق أن تخشوه) فقاتلوا أعداءه (إن كنتم مؤمنين) يعني أن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون أحداً إلا الله وما يخشون الله على ترك القتال جزد لهم الأمر به فقال (قاتلوه) ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصح نياتهم أنه يغضبهم بأيديهم قبلاً ويخزيهم أسراً ويوليهم النصر والغلبة عليهم (ويشف صدور) طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنه هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلدوا فلقوا من أهلها أذى شديداً فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون إليه فقال أبشروا فإن الفرج قريب (ويذهب غيظ) قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلاً على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضاً فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى (والله عليم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة (أم منقطعة) ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخالص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضوان الله عليهم (ولما) معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين

بل هذا السر الذي انطوى عليه وقد تقدمت له أمثال والله الموفق

(قوله بين مخرج الهمزة والياء) لعله مخرج الهمزة والياء (قوله ويشف صدور طائفة) هذا لفظ التلاوة والآنسب ويشفي عطفاً على يغضبهم بأيديهم لأنه من جملة الوعد (قوله ويذهب غيظ قلوبكم) التلاوة غيظ قلوبهم ولعل بعض الناسخين فهم أنه من البشرى فغيره بلفظ الخطاب والمنتجع، غيظ قلوبهم لما لقوا ثم قوله ويذهب بالرفع عطف على يغضبهم بأيديهم لأنه من جملة الوعد كما يشير إليه

يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ مَا كَانَ لِلشُّرَكِيِّ أَنْ يُعْمِرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ إِنَّمَا

المخلصين وقوله (ولم يتخذوا) معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني (ما كان للشركيين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا ومسجد الله) يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبله المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنبها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو أكد لأن طريقته طريقة الكناية كالأول قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفي لقراءته القرآن من تصريحك بذلك و(شاهدين) حال من الواو في يعمرها والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عرابة ويقولون لا تطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطاً سجدوا لها وقيل هو قولهم ليك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك فطلق على ابن أبي طالب رضي الله عنه بوجع العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعه الرحم وأغاظ في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسنا فقال أو لكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجراً إنا نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فزلت (حبطت أعمالهم) التي هي العمارة والحجاية والسقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم (إنما يعمر مساجد الله) وقرئ بالتوحيد أي إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتاداً بها والعمارة تناول رم ما استمر منها وقمها وتنظيفها وتزويرها بالمصاييح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبين له المساجد من أحاديث الدنيا فضلاً عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاً ذكروا الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس الله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتك في أرضي المساجد وإن زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام إذا رأيت الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وخملة العرش تستغفر له مادام في ذلك المسجد ضوءه ۝ (فإن قلت) هلا ذكر الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) لما علم وشهر أن الإيمان بالله تعالى قريبته الإيمان بالرسول عليه السلام لاشتغال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله تعالى الإيمان بالرسول عليه السلام وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلاة

قوله تعالى ما كان للشركيين أن يعمروا مسجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أو تلك حبطت أعمالهم الآية (قال إذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الخ) قال أحمد كلام صحيح إلا قوله إن الكبيرة تهدم الأعمال فإنه تفرع على قاعدة المعتزلة والحق خلافها ۝

(قوله فيقعدون فيها حلقاً) فيقعدون في نسخة فيعدون وفي أخرى فيغدون وليحذر

يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ أَجْعَلْتُم مَّسَاقِيَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّ اسْتَحْبَبْتُمْ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْتُمْ ۚ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝

وإيتاء الزكاة (فإن قلت) كيف قيل (ولم يخش إلا الله) والمؤمن يخشى المخاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها (قلت) هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم (فمسي أولئك أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطباعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتدواهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون وناثلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى ۝ السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره (أجعلتم) أهل (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدى وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين أعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسرى بينهم ۝ وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروى أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمارة المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل إن علياً رضى الله عنه قال للعباس ياعم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألسنت في أفضل من الهجرة أسقى حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراى إلا تارك سقاية فقال عليه السلام أقيموا على سقايةكم فإن لكم فيها خير أعم (أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة عندهم (وأولئك هم الفائزون) لأنتم والمختصون بالفوز دونكم ۝ قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقل ۝ وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعترف وعن ابن عباس رضى الله عنه هي في المهاجرين خاصة ۝ كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع مواليتهم فقالوا يارسول الله إن نحن اعتزنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهب تجاراتنا وملكنا أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فمضى الله تعالى عن

قوله تعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله تعالى فمسي أولئك أن يكونوا من المهتدين (قال في هذه الآية تبعيد للمشركين الخ) قال أحمدوا أكثرهم يقول إن عسى من الله واجبة بناء منهم على أن يستعماها غير مصرفة للمخاطبين والحق فيما قال الزمخشري ولكن الخطاب بمصر وف إليهم أى خال هؤلاء المؤمنين حال مرجوة والعاقبة عند الله معلومة والله عاقبة الأمور

(قوله لأطباعهم من الانتفاع) لعله في كعبارة النسفي (قوله وأبي وجزة السعدى) في الصحاح أنه شاعر ومحدث

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا

موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعام الإيمان حتى يحب في الله ويغض في الله حتى يحب في الله أبعد
الناس ويغض في الله أقرب الناس إليه ۝ وقرئ عشيرتكم وعشيرانكم وقرأ الحسن وعشائركم (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره)
وعيد: عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن هي عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى
على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب جبل اليقين فلي نصف أروع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده
من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمسكن
وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوى الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفه أطول ويغريه
الشیطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره ۝ موطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال
وكم موطن لولاي طحت كما هوى ۝ بأجرامه من قلة النبي منهوى

وامتناعه من الصرف. لأنه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعت بدر وقرظلة والنضير
والحديبية وخيبر وفتح مكة ۝ (فإن قلت) كيف عطف الزمان على المكان وهو (يوم حنين) على المواطن (قلت) معناه
وموطن يوم حنين أو في أيام موطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كقتل الحسين على أن الواجب
أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمراً لهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله (إذ أعجبتمكم) بدل من يوم حنين
فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيراً في جميعها فبقي أن
يكون ناصبه فعلاً خاصاً به إلا إذ نصبت إذا بإضمار اذكر وحنين واديين مكة والطائف كانت فيه الواقعة بين المسلمين
وهم اثنا عشر ألفاً الذين حضروا فتح مكة منضمين إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن
ضامتهم من إمداد سائر العرب فكانوا الجمة الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن تغلب اليوم من قلة فسأت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقيل أبو بكر رضي الله عنه
وذلك قوله إذ أعجبتمكم كثرتكم فاقتلوا قتالاً شديداً وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر
لا كثرة الجنود فاهزموا حتى باغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلل ليس
معه إلا عمه العباس رضي الله عنه أخذاً بلجام دابته وأبوسفیان بن الحرث بن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهى

قوله تعالى « لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً » (قال محمود
مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها الخ) قال أحمد لا مانع والله أعلم من عطف الطرفين المكاني والزمانى أحدهما على الآخر
كمعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد إذ يجوز أن تقول ضرب زيد عمراً في المسجد ويوم الجمعة كما تقول
ضربت زيداً وعمراً ولا يحتاج إلى إضمار فعل جديد غير الأول هذا مع أنه لا بد من تغاير الفعلين الواقعيين بالمفعولين
في الحقيقة فإنك إذا قلت أضرب زيداً اليوم وعمراً غداً لم يشك في أن الضربين متغايران بتغاير الطرفين ومع ذلك القول

(قوله من قلة النبي منهوى) ويروى قلة وكلاهما بمعنى أعلى الجبل والنبي أرفع موضع في الجبل كما في الصحاح
(قوله لم تعجبهم في جميع تلك المواطن) إنما يلزم كون كثرتهم أعجبهم في جميعها مع أنه خلاف الواقع لو جعل إذ
أعجبتمكم بدلاً من المواطن أيضاً فتدبر

وَصَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلِيَتْكُمْ مَدْيَنَ ۖ ثُمَّ أُنزِلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَأُنزِلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۖ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ

شجاعته ورباطة جأشه صلى الله عليه وسلم وماهى لإيمان آيات النبوّة وقال يارب اتنى بما وعدتني وقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان صدينا صبيح بالناس فنأدى الأنصار نخذاً نخذاً ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنفاً واحداً وهم يقولون ليك ليك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ كفاً من تراب فرماه به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهمزموا قال العباس لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته (بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجاز والمجزور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أى ملتبساً بها لم أحلها تعنى مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعاً تستلجونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها صاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتهم (سكينة) رحمة التي سكنوا بها وآمنوا (وعلى المؤمنين) الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الحرب (وأنزل جنوداً) يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفاً (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري (ثم يتوب الله) أى يسلم بعد ذلك ناس منهم وروى أن ناساً منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن عندى ماترون إن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن هؤلاء جاؤا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان بيده شيء وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه قالوا أرضينا وسلمنا فقال إني لأدرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أن قدرضوا ۖ النجس مصدر يقال نجس نجساً وقدرضوا ومعناه ذوون نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملبسة لهم أو جعلوا كأنهم للنجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضى الله عنه أعيانهم نجسه كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركاً توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل إنما المشركون نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كب

واحد في الصناعة فعلى هذا يجوز في الآية والله أعلم بقاء كل واحد من الطرفين على حاله غير مؤثر إلى الآخر على أن المخشري أوجب تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الأول وإن كانا عنده جميعاً زمانين لعله أن كثرتهم لم تكن ثابتة في جميع المواطن يريد ولو ذهب إلى اتحاد الناصب للزم ذلك وهذا غير لازم الأتراك لو قلت أضرب زيداً حين يقوم وحين يقعد لكان الناصب للظرفين واحداً وهما متغايران وإنما يمتنع عمل الفعل الواحد في ظرفي زمان مختلفين عند عدم

(قوله ورباطة جأشه) الجأش رواع القلب عند الفزع ورباط الجأش من يربط نفسه عن الفرار لشجاعته ويقال هم عنق إليك أى ماثلون إليك كذا في الصحاح (قوله بمعنى مع رحبها وحقيقته) لعله بمعنى مع أى مع رحبها وفي الصحاح الرحب بالضم السعة

عَامَهُمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ غِزْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ

في كبد (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية (بعد عامهم هذا) بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول علي كرم الله وجهه حين نادى ببراءة الألابحج بعد عامنا هذا مشرك ولا ينعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي ينعون من المسجد الحرام خاصة وعندما لك ينعون منه من غيره من المساجد وعن عطاء رضى الله عنه أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين أن يقربوه راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن ينعوا من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك (وإن خفتم عيلة) أى فقر أسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدرارا فأغزرها خيرا وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا إلى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعز عليهم مما خافوا العيلة لقواته وعن ابن عباس رضى الله عنه أتى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية أو حلال عائلة ومعنى قوله (إن شاء) الله إن أوجبت الحكمة إغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم (إن الله عليم) بأحوالكم (حكيم) لا يعطى ولا يسمع إلا عن حكمة وصواب (من الذين أتوا الكتاب) يبان الذين مع ما في حيزه ، نفي عنهم الإيمان بالله لأن اليهود مشنية والنصارى مثلثة وإيمانهم باليوم الآخر لأنهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن أبي روق لا يعملون بما في التوراة والإنجيل وأن يدينوا دين الحق وأن يعتقدوا دين الإسلام الذى هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذ دينه ومعتقده ۝ سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أى يقضوه أو لأنهم يجزون بها من من عليهم بالإعفاء عن القتل (عن يد) إما أن يراد بالمعطى أو الآخذ فعناه على إرادة يد المعطى حتى يعطوها عن يد أى عن يد مؤاتية غير ممتعة لأن من أبى وامتنع لم يعط

العطف المتوسط بينهما والله أعلم قوله تعالى «إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» (قال هذا النهى راجع إلى نهى المسلمين من تمكينهم منه) قال أحمد وقد يستدل به من يقول إن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وخصوصا بالمناهى فإن ظاهر الآية توجه النهى إلى المشركين إلا أنه بعيد لأن المعلوم من المشركين أنهم لا ينزجرون بهذا النهى والمقصود تطهير المسجد الحرام بإبعادهم عنه فلا يحصل هذا المقصود إلا بنهى المسلمين عن تمكينهم من قربانه ويرشد إلى أن المخاطب في الحقيقة المسلمين تصدير الكلام بخطابهم في قوله يا أيها الذين آمنوا وتضمنته نضا بخطابهم بقوله وإن خفتم عيلة وكثيرا ما يتوجه النهى على من المراد خلافة وعلى ما المراد خلافة إذا كانت ثم ملازمه كقوله لا أرينك هنا ولا تموتن إلا وأتم مسلمون والله أعلم ۝ قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد (قال إما أن يراد به المعطى أو الآخذ الخ) قال أحمد فيكون كاليدي في قوله عليه السلام لا تتبعوا الذهب إلى قوله إلا يدا بيد ۝ عاد كلامه (قال وإن أريد به الآخذ فعناه حتى يعطوها الخ) قال أحمد وهذا الوجه أملا بالفائدة والله أعلم

(قوله وأكثر مزيهم وأسلم) المير إطعام الطعام ويقال بلد باليمن وجرش موضع منه أيضا أفاده الصحاح (قوله أى عن يد مؤاتية غير ممتعة) فى الصحاح آيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته وطلوعته والعامه تقول وآيته

أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْرَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِمْ اللَّهُ أَنْ يُؤْفِكَوْنَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا أعطى بيده إذا انقاد وأصبح الأتري إلى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدا غير نسيئة لامبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطى إلى يد الآخذ وأما على إرادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن إنعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم (وهم صاغرون) أي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتي بها بنفسه ماشياً غير راكب ويسلها وهو قائم والمتسلم جالس وأن يتلثل تلتلة ويؤخذ بتليبه ويقال له أذا الجزية وإن كان يؤديها ويرزخ في قفاه وتسقط بالإسلام عند أبي حنيفة ولا يسقط به خراج الأرض واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحرني إلا على مشركي العرب وحدثهم روى الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة إذا قتلتموها دانت لكم بها العرب وأدت اليكم العجم الجزية وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند أبي حنيفة في أول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهماً ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن الكثير ضعف الضعف ثمانية وأربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيراً كان أو غنياً كان له كسب أو لم يكن (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربياً وأما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ أحد الله أو لأن الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتحمل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضي الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان ابن أوفى وشاش بن قيس ومالك ابن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحامها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له إلى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملأها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفاً فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا لأنه ابنه والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تكذيبهم على التكذيب (فإن قلت) كل قول يقال بالضم فمعنى قوله (ذلك قولهم بأفراهمهم) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالضم ومعناه مؤثر في القلب ومالا معنى له مقول بالضم لا غير، والثاني أن يراد بالقول المذهب كقولهم قول أبي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفراهمهم لا بقلوبهم لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد (بضاهون) لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانتقل مرفوعاً والمعنى أن الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني أنه كفر قديم غير مستحدث أو يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله تعالى الله عنه وقيل الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم وقرئ بضاهون بالهمز من قولهم امرأة ضهاً على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقى (قاتلهم الله) أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجباً من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبو أشنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم (أنى يؤفكون)

(قوله وأصبح) أي سهل بعد صعوبة اه صحاح (قوله وأن يتلثل تلتلة) أي يززع ويزلزل وقوله يزخ أي يدفع كما في الصحاح (قوله أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة) هذا لا يناسب قوله على فعيل فلعله أو همزة الخ

وَرَهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمِمَّا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝ يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلْنَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدِّقُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ

كيف يصرفون عن الحق ۝ اتخذهم أرباباً أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي ونحوها ما حرم الله ونحوها ما حله كما تطاع الأرباب في أوامرهم ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عباده بل كانوا يعبدون الجن يابست لا تعبد الشيطان وعن عدى ابن جاتم رضي الله عنه انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فذلك عبادتهم وعن فضيل رضي الله عنه ما أبالي أطيعت مخلوقاً في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة وأما المسيح فحين جعلوه ابناً لله فقد أهملوه للعبادة ألا ترى إلى قوله قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً) أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص في الإنجيل والمسيح عليه السلام أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة (سبحانه) تنزيهه عن الإشراف به واستبعاد له ويجوز أن يكون الضمير في وما أمروا للذين أرباباً أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباباً ليعبدوا الله ويوحده فكيف يصح أن يكونوا أرباباً وهم مأمورون مستعبدون مثاهم ۝ مثل حالهم في طلبهم أن يباطلوا بقوة محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الإشراف والإضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه (ليظهر الرسول عليه السلام) (على الدين كله) على أهل الأديان كلهم أريظهم دين الحق على كل دين (فإن قلت) كيف جاز أي الله إلا كذا ولا يقال كرهت وأبغضت إلا زيدا (قلت) قد أجرى أبي مجرى لم يرد ألا ترى كيف قول يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره ۝ معنى أكل الأموال على وجهين إيمان يستعار الأكل الأخرى إلى قولهم أخذ الطعام وتناوله وإما على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب الأكل ومنه قوله :

إن لنا أحمره عجافاً ۝ يأكلن كل ليلة إكافاً

يريد علفاً يشتري بتمن إكاف ومعنى أكلهم بالباطل أنهم كانوا يأخذون الرشاق في الأحكام والتخفيف والمساحة في الشرائع (والذين يكتنون) يجوز أن يكون إشارة إلى الكثيرين من الأحرار والرهبان اللدالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البراطيل وكنز الأموال والرضن بها عن الإنفاق في سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكائنون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرآشين من اليهود والنصارى تغليظاً ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطى منهم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هي ثابتة وإنما عني بترك الإنفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان باطناً وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهراً وعن عمر رضي الله عنه أن رجلاً سأله عن أرض له باعها فقال أحرز مالك الذي أخذت أحفر له تحت فراش امرأتك قال أليس بكنز قال ما أدى زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر رضي الله عنه كل ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما لم يؤد زكاته فهو الذي ذكر الله تعالى وإن كان على ظهر الأرض (فإن قلت) فما تصنع بما روى سالم بن الجعد رضي الله عنه أنها المازلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبأ المذهب تبأ للضة قالها ثلاثاً فقالوا له أي مال تتخذ قال لسا باذا كرأ قلبا خاشعاً وزوجه لعين أحدكم على دينه وبقوله عليه الصلاة

۝ قوله تعالى ويأبى الله إلا أن يتم نوره (قال إن قلت كيف جاز أي الله إلا كذا ولا يقال كرهت الخ) قال أحمد ولا يقال على هذا إن الإباء عدم الإرادة فكما صح الإيجاب بعد نفي الإرادة فينبغي أن يصح بعد ما هو في معناها مطلقاً لأننا نقول لوجود حرف

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظهورهم هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ ۝ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ فَلَا تَطْلُبُوا

والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد في منزله دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفى آخر فوجد في منزله ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله عادل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدى عنه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وعبيد الله رضى الله عنهم يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وماعاهم أحد من أعرض عن القنية لأن الإعراض اختيار للفضل والإدخال في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وماروى عن علي رضى الله عنه أربعة آلاف فادونها نفقة فإزاد فهو كنز كلام في الأفضل (فإن قلت) لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيآن (قلت) ذهابا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ لأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودرهم فهو كقوله وإن طائفان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به إلى الكنوز وقيل إلى الأموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله فإنى وقاربها لغريب ۝ وقيل كذلك (فإن قلت) لم خصا بالذكر من بين سائر الأموال (قلت) لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء ولا يكثرهما إلا من فضلا عن حاجته ومن كثر عنده حتى يكثرهما لم يعد سائر أجناس المال فكان ذكر كثرهما دليلا على ما سواهما (فإن قلت) ما معنى قوله (يحمى عليها) وهلا قيل تحمى من قولك حمى الميسم وأحميته ولا تقول أحميت على الحديد (قلت) معناه أن النار تحمى عليها أى توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى (فإن قلت) فإذا كان الإحساء للدار فلم ذكر الفعل (قلت) لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذف النار قيل يحمى عليها لا تنقل الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالناء ۝ وقرأ أبو حنيفة فيكوى بالياء (فإن قلت) لم خصت هذه الأعضاء (قلت) لأنهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله إلا الأغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحبون بالإكرام ويجلون ويحشمون ومن أكل طيبات يتضاعف منها وينفقون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطر عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور وقيل لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكونون على الجهات الأربع مقاديمهم وآخيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم) على إرادة القول وقوله (لأنفسكم) أى كنزتموه لذئف به نفوسكم وتلذذ وتحصل لها الأغراض التى حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وتتعذب هو توبيخ لهم (فذوقوا ما كنزتم) تكثر (تكنزون) وقرئ تكنزون بضم النون أى وبال المال الذى كنزتم تكنزونه أو وبال كونكم كافرين (فى كتاب الله) فيما أثبتته وأوجه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل فى اللوح (أربعة حرم) ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام فى خطبته فى حجة الوداع

النبى أثر فى تصحيح بحىء حرف الإيجاب بعد فلا يلزم ذلك والله أعلم ۝ قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم (قال إن قلت هلا قيل تحمى كما يقال حمى الميسم وأحميته الخ) قال أحمد وفى هذا الفصل دقائق إعراب يشوب حسنها إغراب والله الموفق

(قوله ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى) لعله والذهب كذلك

فِيهِنَّ أَنْفُسُكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا النَّسِيءُ
 زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ
 اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سِوَاهُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا

الآن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات
 ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان . والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد
 الحج في ذي الحجة وبطل النسى الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر رضى
 الله عنه قبلها في ذي القعدة (ذلك الدين القيم) يعنى أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل
 وكانت العرب قد تمسكت به ورائة منهما وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لولق الرجل قاتل
 أبيه أو أخيه لم يهجه وسما رجبا الأصم ومنصل السنة حتى أحدثت النسى فغيروا (فلا تظلموا فيهن) في الحرم (أنفسكم)
 أى لا تجعلوا حرامها حلالاً وعن عطاء تالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا أو ما نسخت
 وعن عطاء الخراسانى رضى الله عنه أحلت القتال في الأشهر الحرم برامة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأموا فيهن
 بيانا لعظم حرمةهن كما عظم أشهر الحج بقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفك ولا فسوق الآية وإن كان ذلك محرماً
 في سائر الشهور (كافة) حال من الفاعل أو المفعول (مع المتقين) ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لأهلها
 والنسى تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام
 وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم
 بالتحريم فكانوا يحرمون من شق شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أى
 ليوافقوا العدة التى هى الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد
 الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر
 شهراً يعنى من غير زيادة زادوها . والضمير في يحلون ويحرمونه للنسى أى إذا أحلوا شهراً من الأشهر الحرم عاماً
 رجعوا يحرمونه في العام القابل يروى أنه حدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محايج إلى الغارة وكان جنادة بن عوف
 الكنانى مطاعاً في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته إن آهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم
 يقوم في القابل فيقول إن آهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه . جعل النسى زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث
 معصية ازداد كفراً فزادتهم رجساً إلى رجسهم كما أن المؤمن إذا أحدث الطاعة ازداد إيماناً فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون
 وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل . وقرأ الزهري ليواطئوا
 بالتشديد . والنسى مصدر نساء إذا أخره يقال نساء نساء ونساء ونسأ كقولك مسه مساً ومساساً ومسيساً وقرئ
 بن جميعاً وقرئ النسى بوزن الندى والنسى بوزن النهى وهما تخفيف النسى والنس . (فإن قلت) ما معنى قوله (فيحلوا
 ما حرم الله) (قلت) معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص
 للأشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة (والله لا يهدي) أى لا يظف بهم بل يخذلهم

(قوله في إذا وحرف الاستفهام مانعة) لعله وحروف أو أحرف الاستفهام بمعنى همزة الاستفهام فلذا قال ما زدة (قوله
 أن يعمل فيه قلت ما دل عليه) لعله أن يعمل فيه إذا قلتم

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ۚ
إِلَّا تَتَفَرَّوْا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ
فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ

وَقَرِيٌّ زَيْنٌ لَمْ يَكُنْ يَتَّقِي سِوَهُمْ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (اتأقلمتم) تأقلمتم وبه قرأ الأعمش أي تباطأتم وتقاستم
وضمن معنى الميل والإخلاق فدعى بالي والمعنى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعه ونحو أخذ إلى
الأرض وانبع هواه وقيل ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وقرئ اتأقلمتم على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ
(فإن قلت) فما العامل في إذا وحرف الاستفهام مانعة أن يعمل فيه (قلت) ما دل عليه قوله اتأقلمتم أو ما في مالكم من
معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال إذا قلت مالك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة
عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقبط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل
ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (من
الآخرة) أي بدل الآخرة كقوله لجمعنا منكم ملائكة (في الآخرة) في جنب الآخرة (إلا تنفروا) سخط عظيم على المتأقلمين
حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع
وأنه غنى عنهم في نصرته دينه لا يقدر تناقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه
من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن
عن التخصيص (فإن قلت) كيف يكون قوله فقد (نصره الله) جوابا للشرط (قلت) فيه وجهان أحدهما إلا تنفروا
فسينصر من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في
المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له النصره وجعله منصوراً في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده
وأسند الإخراج إلى التدفار كما أسنده إليهم في قوله من قرينتك التي أخرجتك لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له
في الخروج فكانهم أخرجوه (ثاني اثنين) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
الصديق رضي الله عنه يروى أن جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر وانتصابه على
الحال وقرئ ثانی اثنين بالسكون و (إذها) بدل من إذ أخرجه والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمن مكة على
مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (إذيقول) بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظلك باثنين الله ثالثها وقيل لما
دخل الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفتنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر حجة أبي بكر رضي
الله عنه فقد كفر لإنكار كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة (سكينة) ما ألقى في قلبه من الأمانة التي سكن عندها وعلم
أنهم لا يصلون إليه والجنود والملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر (وكلمة

قوله إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (قال في هذه الآية
سخط عظيم على المتأقلمين حيث أوعدهم عذابا أليما الخ) قال أحمد ويقرب إعادة الضمير إلى الرسول أن الضمير في قوله
إلا تنفروا عقيب ذلك عائد إليه اتفاقا والله أعلم

حَكِيمٌ ۝ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا
مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِينَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا

الله) دعوته إلى الإسلام وقرئ كلمة الله بالنصب والرفع أوجه (هي) فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو
وأنها المختصة به دون سائر الكلم (خفافا وثقالا) خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلّة عيالكم
وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أوركبانا ومشاء أو شيا بيا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا
ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى
حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت
شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال
يا بن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا إلا أنه من يحبه الله يبتله . وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت
إحدى عينيه فقيل له إنك عليل صاحب ضرر فقال استنفرنا الله الخفيف والثقل فإن لم يمكنني الحرب كثرت السواد
وحفظت المتاع (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) لإيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة ۝
العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان مادعرا إليه غنما قريبا
سهل المنال (وسفرا قاصدا) وسطا مقاربا (الشقة) المسافة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعت عليهم الشقة بكسر
العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعدهم يذفونه ۝ ولا بعد إلا ما توارى الصفائح

(بالله) متعلق بسيفلون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيفلون يعني المتخلفين عند رجوعك
من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله (لو استطعنا لخرجنا معكم) أو سيفلون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا
ست مسد جوابي القسم ولوجيما والإخبار بما سوف يكون بعد القول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة
المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها
لها بواو الجمع في قوله فتعنوا المرت (يهلكون أنفسهم) إما أن يكون بدلا من سيفلون أو حالا بمعنى مهلكين
والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بجهلهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله
لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نعملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على
لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيفلون بالله لو استطعوا لخرجوا لكان سديدا يتمال حلف بالله ليهان
ولا فغان فالغيبة على حكم الإخبار والتكلم على الحكاية (عفا الله عنك) كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه
أخطأت وبئس ما فعلت و(لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك

قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم (قال هذا كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها الخ) قال أحمد رحمه الله ليس له
أن يفسر هذه الآية بهذا التفسير وهو بين أحد أمرين إما أن لا يكون هو المراد وإما أن يكون هو المراد ولكن قد أجل
الله نبيه الكريم عن مخاطبته بصريح العتب وخصوصا في حق المصطفى عليه الصلاة والسلام فالزحشرى على كلا التقديرين
ذاهل عما يجب من حقه عليه الصلاة والسلام ولقد أحسن من قال في هذه الآية إن من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه

(قوله ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت) خاطب الله رسوله خطاب الرقة والرافة وفسره المصنف بخطاب الغلظة والقسوة
وشتان ما بينهما

وَتَعْلَمُ الْكٰذِبِيْنَ ۝ لَا يَسْتٰذِنُكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ اَنْ يَّجَاهِدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ وَاَللّٰهُ عَلِيْمٌ
بِالْمُتَّقِيْنَ ۝ اِنَّمَا يَسْتٰذِنُكَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَاَرْتَابَتْ قُلُوْبُهُمْ فَهُمْ فِيْ رَيْبٍ يَّتَرَدَّدُوْنَ ۝
وَلَوْ اَرَادُوْا الْخُرُوْجَ لَآعَدُوْا لَهُ عِدَّةً وَّلٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ اَنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيْلَ اَقْعُدُوْا مَعَ الْقٰسِعِيْنَ ۝ لَوْ اَخْرَجُوْا

واعتلوا لك بعلمهم وهلا استأنيت بالإذن (حتى يتبين لك) من صدق في عذره من كذب فيه وقيل شيآن فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله تعالى لا يستأذنك) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخاص من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن النبي أبدا ولنجاهدن أبدا معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى (أن يجاهدوا) في أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب (إنما يستأذنك) يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (يترددون) عبارة عن التحوير لأن التردد يبدن التحير كما أن الثبات والاستقرار يبدن المستبصر قرئ عده بمعنى عذته فعل بالعدة مافعل بالعدة من قال ۝ وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا ۝ من حذف تاء التأنيت وتعويض المضاف إليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير إضافة وعده بإضافة ۝ (فإن قلت) كيف موقع حرف الاستدراك (قلت) لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطياً معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو وقيل (ولكن كره الله انبعاثهم) كأنه قيل ما خرجوا ولكن ثبطوا عن الخروج لكرهه انبعاثهم كما تقول ما أحسن إلى زيد ولكن أساء إلى (ثبطهم) فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث (وقيل اقمدا) جعل إلقاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمراً بالقيود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لا نفسهم وقيل هو إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود (فإن قلت) كيف جاز أن يوقع الله تعالى في نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح (قلت) خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسناً ومصلحة (فإن قلت) فلم خطأ رسول الله

بالعفو قبل العتب ولو قال له ابتداء لم أذنت لهم لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام فثل هذا الأدب يجب احتذاؤه في حق سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ۝ عاد كلامه (قال) وقوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله إلى قوله إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله الآية قال معناه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا الخ (قال أحمد) وهذا الأدب يجب أن يقتنى مطلقاً فلا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه في أن يسدي إليه معروفاً ولا بالمضيف أن يستأذن ضيفه في أن يقدم إليه طعاماً فإن الاستئذان في أمثال هذه المواطن أمانة التكلف والنكره وصلوات الله على خليفه وسلامه لقد بلغ من كرمه وأدبه مع ضيوفه أنه كان لا يتعاطى شيئاً من أسباب التهيؤ للضيافة برأى منهم فلذلك مدحه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الخلة الجميلة والآداب الجليلة فقال تعالى «فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين» أي ذهب على خفاء منهم كيلا يشعروا به والمهم بأمريضه برأى منه ربما يعد كالمستأذن له في الضيافة فهذا من الآداب التي ينبغي أن يتمسك بها ذوو المروءة وأولوا الفتوة وأشد من الاستئذان في الخروج للجهاد ونصرة الدين والتناقل عن المبادرة إليه بعد الحض عليه والمناداة وأسوأ أحوال المتناقل وقد دعى الناس إلى الغزاة أن يكون متمسكا بشعبة من الفاق فعوذ بالله من التعرض لسخطه ۝ قوله تعالى «ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقمدا مع القاعدين» (قال محمود إن قلت كيف جاز أن يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج للغزو الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه مبنى على قاعدتين فاسدتين إيجاب مراعاة المصالح على الله تعالى والتحسين والتقيح وقد تكرر بطلان ذلك فاحذره واعلم أن معتقد السنة أن الله تعالى ألقى كراهة الخروج في قلوبهم لأنه أراد شقاوتهم وانضاف إلى ذلك إرادة راحة المخلصين من مرافقتهم إذ الأمر ليس شرطاً في نفوذ المشيئة والله الموفق ۝

فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خَلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٥
 أَقْدَابُ الْفِتْنَةِ مِنْ قَبْلِ وَقَلْبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ٥ وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَقُولُ أَئِذْنِي وَلَا تَفْتِنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمُ مَحِيظَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٥ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ

صلى الله عليه وسلم في الإذن لهم فيما هو مصلحة (قلت) لأن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر في هذه
 المصلحة ولا علمها إلا بعد القول بإعلام الله تعالى ولكن لأنهم استأذنوه في ذلك واعتدروا إليه فكان عليه أن يتفحص
 عن كنه معاذيرهم ولا يتجاوز في قبولها فن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الإذن لهم
 مع تخطيط الله إياهم مصلحة أخرى فيأذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك أنهم إذا ثبّطهم الله فلم يبعثوا وكان قعودهم بغير إذن
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف
 أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ٥ (فإن قلت) ما معنى قوله (مع القاعدين) (قلت) هو ذم
 لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف
 وبينه قوله تعالى درضوا بأن يكرنوا مع الخوالف ٥ (الإخبار) ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لأن الاستثناء
 المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيراً إلا خبالاً والمستثنى منه في هذا الكلام غير
 مذكور وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلاً لأن الخبال بعض أعم العام كأنه قيل
 ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً والخبال الفساد والشر ٥ (ولا وضعوا خلالكم) ولسعوا بينكم بالضرير والنمائم وإفساد ذات البين
 يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعت أنا والمعنى ولا وضع ركائبهم بينكم والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع
 من الماشي وقرأ ابن الزبير رضي الله عنه ولا رقصوا من رقصت الناقة رقصاً إذا أسرع وأرقت قال ٥ والرافعات إلى منى
 فالغيب ٥ وقرئ ولا وفضوا (فإن قلت) كيف خط في المصحف ولا وضعوا بزيادة ألف (قلت) كانت الفتحة تكتب ألفاً
 قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفاً
 وفتحها ألفاً أخرى ونحوه ولا أذبحه (ببغونكم الفتنة) يحاولون أن يفتنوك بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في
 معزائمكم (وفيكم سماعون لهم) أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم أو فيكم قوم يسمعون المنافقين ويطيعونهم
 (لقد ابتغوا الفتنة) أي العنت ونصب الغوائل والسعي في أشيت شالك وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله ابن أبي
 يوم أحد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج رضي الله عنه وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثانية ليلة العقبة
 وهم اثنا عشر رجلاً ليفتكوا به (من قبل) من قبل غزوة تبوك (وقلبوا لك الأمور) ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا
 الآراء في إبطال أمرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف (حتى جاء الحق) وهو تأييدك وانصررك (وظهر أمر الله) وغلب دينه
 وعلا شرعه (أذن لي) في القعود (ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي فإني إن تخلفت بغير إذنك

عاد كلامه (قال محمود فإن قلت فما معنى قوله مع القاعدين الخ) قال أحمد وهذا من تنبيهاته الحسنة وزيد بسطاً فتقول
 لو قيل أقدروا مقتصراً عليه لم يفد سوى أمرهم بالقعود وكذلك كونوا مع القاعدين ولا تحصل هذه الفائدة مع إلحاقهم
 بهؤلاء الأصناف الموصوفين عند الناس بالتخلف والتقاعد الموسومين بهذه السمة إلا من عبارة الآية وامن الله
 فرعون لقد بالغ في توعده موسى عليه السلام بقوله لأجعلنك من المسجونين ولم يقل لأجعلنك مسجوناً لمثل هذه التكلفة
 من المبالغة

(قوله بالضرير) أي بالإغراء (قوله فالغيب) هو المنع وهو جليل هناك كذا في الصحاح

تُصِبْكَ مَصِيْبَةً يَقْرُلُوْا قَدْ اَخَذْنَا اَمْرًا مِنْ قَبْلِ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُوْنَ ۝ قُلْ لَنْ يُصِيْبِنَا اِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ
لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ ۝ قُلْ هَلْ تَرَبُّوْنَ بِنَا اِلَّا اِلْحَادِي الْحُسَيْنِيْنَ وَنَحْنُ تَرَبُّصٌ بِكُمْ
اَنْ يُصِيْبَكُمْ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ اَوْ بِاَيْدِيْنَا فَرَبُّوْا اِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُوْنَ ۝ قُلْ اَنْفَقُوْا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا
لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ اِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِيْنَ ۝ وَمَا مَنَعَهُمْ اَنْ يَقْبَلُوْا مِنْهُمْ نَفَقَتَهُمْ اِلَّا اَنْهُمْ كَفَرُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ

أثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فإني إذا خرجت معك هلك مالي و عيالي وقيل قال الجدي بن قيس قد علمت الانصار اني
مستهر بالنساء فلا تلقني بينات الاصفري يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فاتركني وقرئي ولا تلقني من أفته (الإيا في الفتنة
سقطوا) أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة الخفاف وفي مصحف أبي رضي الله عنه سقط لأن من موجد اللفظ
بجمع المعنى (المحيط بالكافرين) يعني أنها تحيط بهم يوم القيامة أو هي محيطة بهم الآن لأن أسباب الإحاطة معهم فكانهم
في وسطها (إن تصبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤمهم وإن تصبك مصيبة) نكبة وشدة في بعضها نحو
ما جرى في يوم أحد يفرحوا بمحالمهم في الانحراف عنك و (يقولوا قد أخذنا أمرنا) أي أمرنا الذي نحن متمسكون به من
الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع ۝ وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم
(وهم فرحون) مسرورون وقيل تولوا أعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ قرأ ابن مسعود رضي الله عنه قل
هل يصيبنا وقرأ طلحة رضي الله عنه هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه أن يكون يفعل لا يفعل لأنه من بنات الواو كقولهم
الصواب وصاب السهم يصوب وهو صابوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الأتري إلى قولهم صوب رأيه إلا أن
يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله أسهمى الصائبات والصيد واللام في قوله (إلا ما كتب الله لنا)
مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل إن يصيبنا إلا ما اختصنا الله بآياته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة الأتري إلى قوله
(هو مولانا) أي الذي يتولانا وتتولاه ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (وعلى الله فليتوكل
المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليفلحوا ما هو حقهم (الإيا إحدى الحسينيين) (إيا من العواقب اللتين
كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة) (ونحن ترابص بكم) إحدى السواتين من العواقب إما (أن
يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر
(فتربصوا) بنا ما ذكرنا من عواقبنا (إننا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم فلا بد أن ياتي كلنا ما يتربصه لا يتجارزه (أنفقوا)
يعنى في سبيل الله ووجوه البر (طوعاً أو كرها) نصب على الحال أي طائعين أو مكرهين (فإن قلت) كيف أمرهم بالانفاق
ثم قال (إن يتقبل منكم) (قلت) هو أمر في معنى الخبر كقوله تبارك وتعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا
ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعاً أو كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أولاً تستغفر لهم وقوله
۝ أسئني بنا أو أحسنى لاملومة ۝ أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت اليها أم أحسنت
(فإن قلت) متى يجوز نحو هذا (قلت) إذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيداً وغفر له (فإن قلت)
لم فعل ذلك (قلت) لنكته فيه وهي أن كثيراً كأنه يقول لعزة امتحنى لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالإساءة

(قوله إنى مستهر بالنساء) مستهر أي مولع لا أبالي بما يقال في شأنى انتهى (قوله يصوب ومصابوب) فى الصحاح
أجمعت العرب على همز المصائب وأصله الواو كأنهم شبهوا الأصل بالزائد ويجمع أيضاً على مصابوب وهو الأصل
(قوله صاب السهم يصيب ومن قوله) لعله ومنه أو لعله ومنها وفى الصحاح صاب السهم القرطاس يصيبه صيباً لغة فى أصابه
(قوله إحدى السواتين من العواقب) لعله السواتين

وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۚ فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا
 يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۚ وَيَخْلُقُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ
 وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ۚ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۚ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ

والإحسان وانظري هل يتفاوت حال ملك مسيئة كنت أو محسنة وفي معناه قول القائل

أخوك الذي إن قت بالسيف عامدا ۚ لتضربه لم يستغشك في الود

وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أولا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار
 وبركة (فإن قلت) ما الغرض في نفي التقبل أهر ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبله منهم وردة عليهم ما يبذلون
 منه أم هو كونه غير مقبول عند الله تعالى ذاهبا هباء لا ثواب له (قلت) يحتمل الأمرين جميعاً وقوله طوعا أو كرها معناه
 طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو ملزمين وسمى الإلزام إكراهاً لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شافاً عليهم
 كالإكراه أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه
 أو مكرهين من جهتهم وروى أنها نزلت في الجذبة قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي
 أعينك به فأتى كنى (إنكم) تليل لرد إنفاقهم ۚ والمراد بالفسق التمرد والعنوة (أنهم) فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه ۚ وقرئ
 أن تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقاتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله
 عز وجل (كسالى) بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في جمع سكران وغيران وكسلهم لأنهم لا يرجون
 بصلاتهم ثواباً ولا يخشون بتركهم عقاباً فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى وإنا لكبيرة إلا على الخاشعين وقرأت في بعض الأخبار
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للثؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب إلى هذه الآية فإن الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي
 أن يسند المؤمن إلى نفسه (فإن قلت) الكراهية خلاف الطوعية وقد جعلها الله تعالى طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بأنهم
 لا ينفقون إلا وهم كارهون (قلت) المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم
 وما طوعهم ذلك إلا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة واختياره الإعجاب بالشئ أن يسر به سرور راض به متعجب من حسنة
 والمعنى فلا تستحسن ولا تفتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله تعالى ولا تمدن عينيك فإن الله تعالى إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب
 بأن عرضه للتغم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم
 أنواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم (فإن قلت) إن صح تعليق التعذيب بإرادة الله تعالى فما بال
 زهوق أنفسهم (وهم كارهون) (قلت) المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى إنما على لهم ليزدادوا إنما كأنه قيل ويريد أن يديم
 عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كارهون ملتزمون بالتمتع عن النظر للعاقبة (لمنكم) لمن جملة المسلمين (يفرقون) يخافون القتل وما يفعل
 بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية (ملجأ) مكاناً ياجتئون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات)
 أو غيراها وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار إذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشئ وأغرته أنها بمعنى أمكنة يغيرون فيها
 أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومفاز (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وينحجرون
 وهو مفتعل من الدخول ۚ وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من أدخل مكاناً يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبو بن كعب رضي الله عنه
 متدخلا وقرئ لو ألوا إليه لا تنجوا إليه (بجمعون) يسرعون إسراعاً لا يردهم شئ من الفرس الجوح وهو الذي إذا حمل
 لم يردده اللجام وقرأ أنس رضي الله عنه يجمزون فسئل فقال يجمعون ويجمزون ويشتدون واحد (يلزمك) يعيبك في قسمة.

(قوله فإن قلت إن صح تعليق) مبنى على أنه تعالى لا يريد الشر وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة أنه يريد كالحير

(قوله ويجمزون ويشتدون) فيقال جمز بالجم يجمز بالكسر أسرع وجمز بالحام يجمز بضمها اشتداه صحاح فتدبر

فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْتَخْطُونَ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ۖ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنْ
اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۖ وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذْنٌ قُلٍّ أذْنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ يُؤْمِنُ

الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال صلوات الله عليه وسلامه وبلك إن لم اعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال الأتروني إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبالك أما كان موسى راعياً أما كان داود راعياً فلما ذهب قال عليه الصلاة والسلام احذروا هذا وأصحابه فإنهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلمزك ويلمزك الثقيل والبنام على المفاعلة مبالغته في اللزوم ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا الدين وما فيه صلاح أهله لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه وإذا للمفاجأة أى وإن لم يعطوا منها فاجؤا للسخط جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفا ما فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرتنا الله غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم (إنا إلى الله) في أن يغنمنا ويحولنا فضله لراغبون (إنما الصدقات للفقراء) قصر لجنس الصدقات على الأصناف المحدودة وأنها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك إنما الخلافة لقرش تريد لا تتعداهم ولا تكبر لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها وعليه مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أنهم قالوا في أى صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه لو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين لغيرتهم بها كان أحب إلى وعند الشافعي رضى الله عنه لا بد من صرفها إلى الأصناف الثمانية وعن عكرمة رضى الله عنه أنها تفرق في الأصناف الثمانية وعن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية (والعاملين عليها) السعاة الذين يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم) أشرف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئاً منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الأسارى وقيل تباع الرقاب فتعتق (والغارمين) الذين ركبهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحملات فتدينوا فيها وغرموا (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة والحجاج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غنى حيث ماله (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة (فإن قلت) لم عدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة (قلت) الإيدان بأنهم أرسخ في استحقاق الصدق عليهم عن سبق ذكره لأن

قوله تعالى إنما الصدقات للفقراء الآية إلى آخرها (قال هذا قصر لجنس الصدقات على الأصناف المحدودة وأنها مختصة بها الخ) قال أحد وهو مذهب مالك رضى الله عنه والقول بوجوب صرفها إلى جميع الأصناف حتى لا يجوز ترك صنف واحد منها أخذاً من إشعار اللام بالتعليك كاذم إليه الشافعي لا يسعده السياق فإن الآية مصدرية بكلمة الحصر الدالة على أن غيرهم لا يستحق فيها نصيباً فهذا هو الغرض الذي سيقمت له فلا اقتضاء فيها لمساواة والله أعلم عاد كلامه (قال فإن قلت لم عدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة الخ) قال أحد وثم سر آخر هو أظهر وأقرب وذلك

في اللوعاء فنبه على أنهم أحقوا بأن توضع فيهم الصدقات ويحملوا مظنة لها ومصعباً وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ وجمع الغازي الفقير أو المقتطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين المقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لذين على الرقاب والغارمين (فإن قلت) فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم (قلت) دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسباً لأطباعهم وإشعاراً باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فالهم ومالها وما سلطهم على التكلم فيها ولما قام بها صلوات الله عليه وسلامه الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جعلته أذن سامعة ونظيره قولهم للريثة عينه وإيذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذنه وأذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقوله وليس بأذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجزء عطفاً عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين الخالص من المهاجرين والأنصار وهو رحمة لمن آمن منكم أي أظهر الإيمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الإبقاء عليكم فهو أذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وإن كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفظنته وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة وقيل إن جماعة منهم ذموا صلوات الله عليه وسلامه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فإنما هو أذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فأذن ونحن نأتيه ونعذر إليه فيسمع عذر أيضاً فيرضى فقيل هو أذن خير لكم وقرئ أذن خير لكم على أن أذن خير مبتدأ محذوف وخير كذلك

أن الأصناف الأربعة الأوائل ملاك لما عساه يدفع اليهم وإنما يأخذونه ملكاً فكان دخول اللام لا ثقتهم وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل ولا يصرف اليهم ولكن في مصالح تتعلق بهم فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم وإنما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به وكذلك العاملون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذمتهم لآلهم وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجاً في سبيل الله وإنما أفرد بالذكر تنبيهاً على خصوصيته مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً وعطفه على المجرور باللام يمكن ولكنه على القريب منه أقرب والله أعلم وكان جدي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير استنبط من تغاير الحرفين المذكورين رجهاً في الاستدلال لما لك على أن الغرض بيان المصرف واللام لذلك لام الملك فيقول متعلق الجار الواقع خبراً عن الصدقات محذوف فيتعين تقديره فيما أن يكون التقدير إنما الصدقات مصروفة للفقراء كقول مالك أو مملوكة للفقراء كقول الشافعي لكن الأول متعين لأنه تقدير يكتفي به في الحرفين جميعاً يصح تعاقب اللام به وفي معانيصح أن تقول هذا الشيء مصروف في كذا وكذا بخلاف تقديره مملوكة فإنه إنما يلتزم مع اللام وعند الانتهاء إلى في يحتاج إلى تقدير مصروفة ليلتزم بها تقديره من اللام عام التعاقب شامل الصحة متعين والله الموفق قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (قال الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع سمي الرجل بالجارحة التي هي آلة السماع الخ) قال أحمد لا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه لأنه في الأول إطعام لهم بالموافقة ثم كثر على طمعهم بالحسم وأعقبهم في تنقصه باليأس منه ويضاهي هذا من مستعملات الفقهاء القول بالموجب لأن في أوله إطعاماً للخصم بالتسليم ثم بتنا للطمع على قرب ولا شيء أقطع من الإطعام ثم اليأس يتلوه ويعقبه والله الموفق

(قوله ونظيره قولهم للريثة الظليعة في الصحاح الريثة الظليعة)

لِّلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُم لِيَرْضَوْكُمْ
وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخُزْيُ الْعَظِيمُ ۝ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا
إِنَّ اللَّهَ مَخْرُجٌ مَا تَحْذَرُونَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ
تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعُفَ عَن طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا

أى هو أذن هو خير لكم يعنى إن كان كما تقولون فهو خير لكم لأنه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرأنا فاع
بتخفيف الذال (فإن قلت) لم عدى فعل الإيمان بالباء إلى الله تعالى وإلى المؤمنين باللام (قلت) لأنه قصد التصديق
بالله الذى هو نقيض الكفر به فعدى بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقهم لكونهم
صادقين عنده فعدى باللام ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنبأه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى
إلا ذرية من قومه أتؤمن لك واتبعك الأردلون آمنتم له قبل أن آذن لكم (فإن قلت) ما وجه قراءة ابن أبى عمير ورحمة
بالنصب (قلت) هى غلة معلما محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لأن قوله أذن خير لكم يدل عليه (لكم
ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعذرون إليهم
ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فتبيل لهم إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتهم الله ورسوله
بالطاعة والوفاق (وإنما) وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فكأنما فى حكم
مرضى واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشى وجبر منى أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (المحذوف مفاعلة
من الحد كالمشاقة من الشق) (فإن له) على حذف الخبر أى فحق أن له (بار جهنم) وقيل معناه فله وأن تكرير لأن فى
قوله أنه تأكيدا ويجوز أن يكون فإن له معطوفا على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد
الله ورسوله يهلك فإن له نار جهنم وقرئ ألم تعلموا بالياء (كما) أى استهزؤن بالإسلام وأعله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله
بالوحى فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أنى قدمت فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فىنا شئ
يفضحنا (والضمير فى عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفى قلوبهم للمنافقين وضح ذلك لأن المعنى يقود إليه ويجوز أن تكون
الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت فى معنهم فهى نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما فى قلوبهم كأنها تقول لهم فى قلوبكم
كيت وكيت يعنى أنها تذيب أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الأمر بالحذر
أى ليعذر المنافقون (فإن قلت) الحذر واقع على إنزال السورة فى قوله (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة) فما معنى
قوله (مخرج ما تحذرون) (قلت) معناه محصل مبرز إنزال السورة أو أن الله مظهر ما كنتم تحذرونه أى تحذرون
إظهاره من نفاقكم. بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسرون بين يديه
فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيات هيات فأطلع الله نبيه عليه السلام على
ذلك فقال احبسوا على الركب فأنام فقال قنم كذا وكذا فقالوا يابى الله لا والله ما كنا فى شئ من أمرك
ولامن أمر أصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقتصر بعضنا على بعض السفر (أبالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزؤن) لم يعبا باستهزؤنهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزؤنهم وبأنه موجود منهم حتى

(قوله على سوء دخلتكم) أى مذمتكم وفى الصحاح أن دخلة الرجل بالضم باطن أمره اه ولعلها غلبت فى المذمة

(قوله ما أنبأه عن الباء ونحوه) أى ما أبعد

مجرمين ۝ المنفقون والمنفقت بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون
أيديهم نسوا الله فسيهم إن المنفقين هم الفاسقون ۝ وعد الله المنافقين والمنفقات والكفار نار جهنم
خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ۝ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر
أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي
خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ۝ ألم يأتهم نبي الذين من

وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به بلي حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء
وثبوته (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور رسركم (قد كفرتم) قد ظهر كفركم باستهزائكم
(بعد إيمانكم) بعد إظهاركم الإيمان (إن نعت عن طائفة منكم) بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق (نعتب
طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه أو إن نعت عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يستهزؤا فلم نعتبهم في العاجل نعتب في العاجل طائفة بأهم كانوا مجرمين مؤذنين لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مستهزئين ۝ وقرأ مجاهد إن نعت عن طائفة على البناء للفعول مع التأنيث والوجه التذكير لأن المسند إليه الظرف
كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة فأنت لذلك وهو غريب
والجيد قراءة العامة إن يعف عن طائفة بالتذكير وتعتب طائفة بالتأنيث ۝ وقرئ إن يعف عن طائفة يعذب طائفة
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (بعضهم من بعض) أريد به نبي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم
ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين (يأمرون
بالمعصية) بالكفر والمعاصي (وينهون عن المعروف) عن الإيمان والطاعات (ويقبضون أيديهم) شحا بالمبار والصدقات
والإنفاق في سبيل الله (نسوا الله) أغفلوا ذكره (فسيهم) فتركهم من رحمته وفضله (هم الفاسقون) هم الكاملون في
الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجراً أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي
وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم وإذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يقول كسبت لأن المنافقين
وضفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظلك بالفسق (خالدين فيها) مقدرين الخلود (هي حسبهم) دلالة على عظم عذابها وأنه
لا شيء أبغ منه وأنه بحيث لا يزداد عليه نعوذ بالله من سخطة وعذابه (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين
ملحقين بالشياطين الملائكة كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين (ولهم عذاب مقيم) ولهم نوع من العذاب
سوى الصلبي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد لهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفك وزعته وهو ما يقاسونه
من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفاً من المسلمين وما يحذرونه أبداً من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على
أسرارهم ۝ الكاف محلها رفع على أتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم وهو أنكم
استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر ۝ كالיום مطلوباً ولا طالباً ۝ بإضمار لم أر وقوله (كانوا أشد
منكم قوة) تفسير لتشيبيهم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم ۝ والخلاق النصيب وهو ما خاق الإنسان أي قدر من خير كما قيل له
قسم لأنه قسم ونصيب لأنه نصب أى أثبت ۝ والخوض الدخول في الباطل واللغو (كالذي خاضوا) كالفرج الذي خاضوا
وكان الخوض الذي خاضوه (فإن قلت) أى فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن

(وألحقهم بالملائكة) مبنى على مذهب المعتزلة من تفضيل الملك على البشر

قِيلَ لَهُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ فِيهِمْ جَهَنَّمَ وَبئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَخَافُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا الْكُفْرَ وَكَفَرُوا بَعْدَ

عنه كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخصتم كالذي خاضوا (قلت) فأنذته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهايمهم بشهواتهم العنانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وإن يخس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضى به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالمهم كما تريد أن تنبه بعض الظالم على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كأن يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخصتم كالذي خاضوا فمطوف على ما قبله مستند إليه مستغن باستناده إليه عن تلك التقدمة (حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) تقيض قوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين (وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وقيل قربات قوم لوط وهود وصالح وانتفا كهن انقلاب أحوالهم عن الخير إلى الشر (فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجرز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلوا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه (بعضهم أولياء بعض) في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض (سيرحهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوم تأتي أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف يؤتيمهم أجورهم (عزيز) غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق (ومساكن طيبة) عن الحسن قصوراً من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد ۝ وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى أبو الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافانه (ورضوان من الله أكبر) وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما يراه من النعم وإنما تنهأ له برضاه كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت وسمعت بعض أولى الهمة البعيدة والنفس المزة من مشايخنا يقول لا تطمع عيني ولا تنازع نفسي إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى رضاه عني وأن أحشر في رمرة المهديين المرضيين عنده (ذلك) إشارة إلى ما وعد الله أو إلى الرضوان أي هو (الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزاً وروى أن الله عز وجل يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيتكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أدخل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبداً (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغظ عليهم) في الجهادين جميعاً ولا تحابهم ۝ قوله تعالى «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» (قال معناه جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة الخ)

(قوله والنفس المزة) أي القوية الشديدة العقل من المزة بالكسر وهي القوة وشدة العقل كما في الصحاح

اسْلَمِهِمْ وَهُمْ اِيَّاكُمْ يَنْتَلُوْنَ وَمَا نَقَمُوْا اِلَّا اَنْ اَغْنَاهُمْ اللهُ وَرَسُوْلَهُ مِنْ فَضْلِهِ فَاِنْ يَتُوبُوْا اِلَيْكَ خَيْرًا لِّهُمْ
وَاِنْ يَتُوْلُوْا يَعْذِبْنَهُمُ اللهُ عَذَابًا اَلِيْمًا فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْاَرْضِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَنْصِيْرُهُمْ مِنْ
عِندِ اللهِ لَنْ نَّعْتَدَنَّا مِنْ فَضْلِهِ لِنُصَدِّقَنَّ وَلِنَكُوْنَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ۝ فَلَمَّا عَاتَبَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوْا بِهٖ وَتَوَلَّوْا

وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن مسعود إن لم يستطع بيده فلسانه فإن لم يستطع فليتكفهر في وجهه فإن لم يستطع فبقلمه يريد الكراهة والبغضاء والتبرأ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم، منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الخير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله إن محمداً لصادق وأنت شر من الجار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر خلف بالله ما قال فرجع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت (بحافون بالله ما قالوا) فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قبلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد إسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام (وهو ما ينالوا) وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك تواق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها بسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقة السلاح فالتفت فإذا قوم مثلثون فقال إليكم إليكم بأعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرتبه على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (إلا أن أغناهم الله) وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضحك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس، وولي فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفاً فاستغنى (فإن يتوبوا) هي الآية التي تاب عندها الجلاس (في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار، روى أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدى شكر دخير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق إن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنما فتمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد قال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بعلبة فسألا الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال أرجع حتى أرى رأي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء به إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء به إلى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وذلك في زمان عثمان رضي الله عنه وقرئ لصدقن ولنكونن بالنون الحفيفة فيهما (من الصالحين) قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الحج

قال أحمد والحمد لله الذي أنطقه بالحجة لنا في إغلاظ عليه أحياناً والله الموفق

(قوله فليتكفهر في وجهه) في الصحاح الكفهر الرجل إذا عبس (قوله تصديق الكاذب وتكذيب الصادق) اعلمه تصديق الصادق وتكذيب الكاذب ويمكن أنه جعل نفسه كاذباً والجلاس صادقاً لأنه مقتضى ظاهر الحلف

رَهُمْ مَعْرُضُونَ ۚ فَأَعْقِبَهُمْ نَفَقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۚ
 أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سُرَّهُمْ وَيَجُودُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۚ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي
 الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ اسْتَغْفِرَ لَهُمْ

(فأعقبهم) عن الحسن وقتادة رضى الله عنهما أن الضمير للبخل يعنى فأورثهم البخل (نفاقاً) متمكناً (في قلوبهم) لأنه كان سبباً
 فيه وداعياً إليه والظاهر أن الضمير لله عز وجل والمعنى نخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها إلى أن
 يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد تلك النفاق ۚ
 وقرئ يكذبون بالتشديد وألم تعلموا بالناء عن علي رضي الله عنه (سرتهم ونجواهم) ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف
 ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدير منها (الذين يلزمون) محله النصب
 أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون في محل الجزاء لا من الضمير في سرتهم ونجواهم وقرئ يلزمون بالضم (المطووعين) المتطوعين
 المتبرعين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل
 بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة ليعالي فقال له رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضرا منته عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً وتصدق
 عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري رضى الله عنه بصاع من تمر فقال بت ليلني أجر بالجرير على صاعين
 فتركت صاعاً ليعالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشره على الصدقات فليزهم المنافقون وقالوا ما أعطى
 عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
 فنزلت (الإجهدهم) لإطاعتهم قرئ بالفتح والضم (سخر الله منهم) كقول الله يستهزئ بهم في أنه خبر غير دعاء الأتري إلى قوله
 (ولهم عذاب أليم) سأل عبدالله بن عبدالله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلاً صالحاً أن يستغفر لآبيه في مرضه
 فقيل ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قدر خص لي فسأزيد على السبعين فنزلت - واه عليهم استغفرت لهم
 أم لم تستغفر لهم وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وإن فيه معنى
 الشرط وذكروا النكتة في الجيء به على لفظ الأمر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب عليه السلام
 لا يصبحن العاص وابن العاصي ۚ سبعين ألفاً عاقدي النواصي
 (فإن قلت) كيف خفي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام

ۚ قوله تعالى «استغفر لهم أولاً تستغفر لهم» الخ (قال قد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر الخ) قال أحمد وما يدعيه الزمخشري في
 هذا وأمثاله من محذوف هو المقصود بالأمر وهذا واقع موقعه كقول كثير عزة ۚ أسئني بنا أو أحسنى لاملومة ۚ
 كأنه يقول لها امتحنى محلك عندي وقوة محبتى لك وعاملينى بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالى معك مسيئة
 أو محسنة وكذلك معنى الآية استغفر لهم أولاً تستغفر لهم وانظر هل يغفر لهم في حالتي الاستغفار وتركة وهل يتفاوت الحالان
 أولاً قال أحمد وقد ورد بصيغة الخبر في الآية الأخرى في قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر
 الله لهم عاد كلامه (قال فإن قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح من نطق بالضاد الخ) قال أحمد
 وقد أنكر القاضى رضى الله عنه حديث الاستغفار ولم يصححه وتعالى قوم في قبوله حتى أنهم اتخذوه عمدة في مفهوم المخالفة
 وبنوه على أنه عليه السلام فهم من تحديد نفي الغفران بالسبعين ثبوت الغفران بالزائد عليه وذلك سبب إنكار القاضى عليهم

(قوله والمعنى نخذلهم حتى نافقوا) فسر به بذلك على مذهب المعتزلة من أنه تعالى لا يخفق الشر

(قوله بالجرير) هو جبل البعير ويروى أجر بالجرير الماء كذبها من أجر

أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَسْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ۝ وَلَا تَصَلَّ

وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسايزيد على السبعين (قلت) لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال إظهاراً لغاية رحمة ورافته على من بعث إليه كقول إبراهيم عليه السلام ومن عصاني فإنك غفور رحيم وفي إظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لآفته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض (المخلفون) الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المناققين فأذن لهم وخلفهم في المدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) خلفه يقال أقام خلاف الحى بمعنى بعدهم طعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة أبي حنيفة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أى قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله تعالى وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المناققين وكيف لا يكرهونه وما فهم ما فى المؤمنين من باعث الإيمان وداعى الإيقان (قل نار جهنم أشد حرا) استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوق بسبب ذلك التصون فى مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم مسرة أحقاب تلتفت بعدها ۝ مسامة يوم أريها شبه الصاب ۝ فكيف بأن تاتى مسرة ساعة ۝ وراه تقضيها مسامة أحقاب ۝ معناه فسيضحكون قليلا ويكون كثيراً (جزاء) إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يكون فى النار عمر الدنيا لا يرفأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ۝ وإنما قال (إلى طائفة منهم) لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على الخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المناققين منهم (فاستأذنوك للخروج) يعنى إلى غزوة بعد غزوة تبوك و(أول مرة) هى الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم تخلفهم الذى علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين (مع الخالفين) قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على تصرف الخالفين (فإن قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات) قلت) أكثر اللغتين هندا أكبر النساء وهى أكبرهن ثم إن قولك هى كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هى أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ما قيل ۝ روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبدالله بن أبى بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لى لالتؤنبنى وسأله أن يكفنه فى شعاره الذى يلى جلده ويصلى عليه فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبدالله بن عبدالله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عابه قال له عمر أتصلى على

(قوله يوم أريها شبه الصاب) فى الصحاح الأرى العسل والصاب عصارة شجر مر (قوله لالتؤنبنى) أى تعفنى باللوم

عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ۝ وَلَا تُعْجِبْكَ
 أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ
 أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَسْكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ۝ رَضُوا
 بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا
 بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَاءِكُمْ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَاءِكُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلي عليه فغذبه جبريل (فإن قلت) كيف جازت له تكريمة المنافق وتكفينه في قيصه
 (قلت) كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ
 أسيرا بيد لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية إنا لا نأذن لمحمد
 ولكننا نأذن لك فقال لا إن لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له
 ذلك وإجابة له إلى مسئلته إياه فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دراعى المروءة ويعمل بعادات
 الكرام وإكراما لابنه الرجل الصالح فقد روى أنه قال له أسألك أن تكفنه في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره
 لا يثبت به الأعداء وعلما بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون
 إلباسه إياه لطفًا لغيره فقد روى أنه قيل له لم وجهت إليه بقميصك وهو كافر فقال إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا وإني
 أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والنعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على
 من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه (فإن قلت)
 فكيف جازت الصلاة عليه (قلت) لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم لماسي
 ذلك من المصلحة وعن ابن عباس رضي الله عنه ما أدري ماهذه الصلاة إلا أني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا يجادع (مات) صفة لأحد وإنما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود
 لأنه كائن موجود لا محالة (إهم كفروا) تعليل للنهي وقد أعيد قوله (ولا تعجبك) لأن تجدد النزول له شأن في تقرير
 ما نزل له وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينسأه ولا يسهر عنه وأن يعتقد أن العمل به بهم يفتقر
 إلى فضل عناية به لاسيما إذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلص
 إليه وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه ۝ يجوز أن يراد السورة بتجاهها وأن يراد بعضها في قوله
 (وإذا أنزلت سورة) كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد
 (أن آمنوا) هي أن المفسرة (أولوا الطول) ذوو الفضل والسعة من طال عاياه طولا (مع القاعدین) مع الذين لهم علة وعذر في
 التخلف (فهم لا يفقهون) ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك (لكن الرسول) أي إن تخلف هؤلاء فقد
 نهد إلى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقدا كقوله فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فإن استكبروا فالذين عند ربك
 (الخيرات) تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (المعذرون) من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى

(قوله وكان رجلا طويلا ۝ كساه) في الصحاح الطوال بالضم الطويل (قوله إنا لا نأذن لمحمد) أي في دخوله مكة
 (قوله فقد نهد إلى الفوز) قوله نهد أي نهض كما في الصحاح

الانهر خلدن فيها ذلك الفوز العظيم ه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ه ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ه ولا على الذين
إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ه
إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم
لا يعلمون ه يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن تؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى

ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين
ويجوز في العربية كسر العين لا لتقاء الساكنين وضم الإتياع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله
يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم وقرئ المعتذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشديه قيل هم أسد وغطافان
قالوا إن لنا عيالا وإن بنا جهدا فاذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت
أعراب طي على أهلنا ومواسينا فقال صلى الله عليه وسلم سيخينى الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم
الله تعالى وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعتذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح
لأن التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وأزكى وأصدق وقيل أريد المعتذرون بالصحة وبه
فسر المعتذرون والمعتذرون على قراءة ابن عباس رضى الله عنه الذين لم يفرطوا في العذر (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله)
هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان وقرأ أبو كذبوا
بالتشديد (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب (عذاب اليم) في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار (الضعفاء) الهرمى
والزمنى ه والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة ه والنصح لله ورسوله الإيمان بهما وطاعتها
في السر والعلان وتوليهاما والحب والبغض فيما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه (على المحسنين) على المعتذرين الناصحين
ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعائب عليهم (قلت لا أجد) حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة كما
قيل في قوله أوجاؤكم حصرت صدورهم أى إذا ما أتوك قائلاً لا أجد (تولوا) ولقد حصر الله المعتذرين في التخلف الذين
ليس لهم في أبدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون أبوه موسى
الاشعري وأصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الأنصار (تفيض من الدمع) كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعا
لأن العين جعلت كأن كهادمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز (الأيجدوا)
لثلا يجدوا ومحل نصب على أنه مفعول له وناصبه المفعول له الذى هو حزنا ه (فإن قلت) (رضوا) ما موقعه (قلت) هو استئناف
كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة والوضعة والانتظام في جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم) يعنى
أن السبب في استأذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى إياهم (فإن قلت) فهل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد
استبصاراً مثله كأنه قيل إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقل ما لهم تولوا باكين فقل قلت لا أجد ما أحملكم عليه إلا أنه وسط
بين الشرط والجزاء كالأعراض (قلت) نعم ويحسن (لن تؤمن لكم) علة للنهى عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن
يصدق فيما يعتذر به فإذا علم أنه مكذب وجب عليه الإخلال وقوله (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم

(قوله وجب عليه الإخلال) الإخلال أى الترك يقال أخل الرجل بمر كزه إذا تركه

اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولَهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ سَيُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ إِذَا
 أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَجَّهْتُمْ بِهِمْ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ
 يَخَلِّفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۚ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا
 وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۚ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ
 مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۚ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ

لأن الله عز وجل إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وأحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم (وسيرى الله عملكم) أتنبئون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون) إليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلائية فيجازيكم على حسب ذلك (لترضوا عنهم) فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم (فأعرضوا عنهم) فأعطوهم طلبتهم (إنهم رجس) لتليل لترك معاتبهم يعني أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم إنما يعاتب الأديم ذو البشارة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليظهره التوبيخ بالحل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم (وما واهم جهنم) يعني وكفتم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكفوا عتابهم (لترضوا عنهم) أي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم (فإن رضوا عنهم) فإن رضاكم وحمدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل إنما قيل ذلك لثلاثتهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبدالله بن أبي محلف أن لا يتخلف عنه أبدا (الأعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضرة لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشتمهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة (وأجدرا أن لا يعلموا) وأحق بجهل حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إن الجفاء والقسوة في الفدادين (والله عليم) يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم مخطئهم ومصيبهم من عقابه وثوابه (مغرم) غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لأنه لا ينفق إلا لثقة من المسلمين ورياء لالوجه الله عز وجل وابتغاء الثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه ليتخلص من إعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) دعاء معترض دعى عليهم بنحو مادعوا به كقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرى السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم الدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لأن من دارت عليه ذنم لها (والله سميع) لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرون وقيل هم أعراب أسد وغطقان وتميم (قربات) مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات

قوله تعالى ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء (قال دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه الخ) قال أحمد وفي آية برامة مزيد على مناسبة الدعاء لحال المدعو عليهم ولقولهم وذلك أن الذي نسب إليهم

(قوله والقسوة في الفدادين) الفدادين هم الذين تعلموا أصواتهم في حروثهم ومواسمهم ورجل فداد شديد الفديد وهو

الصوت أفاده الصحاح

إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ۝ وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ خَذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ

على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى (منعذبهم مرتين) قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس رضى الله عنه أنهم اختلفوا في هاتين المراتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فإنك منافق اخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الأول والثاني عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم (إلى عذاب عظيم) إلى عذاب النار (اعترفوا بذنوبهم) أى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديع بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أو ثقوا أنفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته صلى الله عليه وسلم كلما قدم من سفر فرأهم مرتقين فسأل عنهم فذكر له أنهم قسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أمر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التى خلقتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت خذ من أموالهم (عملا صالحا) خروجا إلى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبى التوبة والإثم (فإن قلت) قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به (قلت) كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس فى قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم بعث الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم (فإن قلت) كيف قيل (أن يتوب عليهم) وما ذكرت توبتهم (قلت) إذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم (تطهرهم) صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من أظهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر ولم يقرأ وتزكئهم إلا بإثبات الباء والتاء فى تطهرهم للخطاب أو نغية المؤنث والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة فى المال (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها وعن الشافعى رحمه الله أحب أن يقول الوالى عند أخذ الصدقة آجرك الله فيما

لتقرير خفاء حالهم عنه عليه الصلاة والسلام لمسلم من الخبرة فى النفاق والضراوة به والله أعلم ۝ قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم (قال إن قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به الخ) قال أحمد والنحويق فى هذا أنك إذا قلت خلطت الماء باللبن فالمرح به فى هذا الكلام أن الماء المخلوط واللبن مخلط به والمدلول عليه لزوما لا تصريحا كون الماء مخلوطا به واللبن مخلوطا وإذا قلت خلطت الماء واللبن فالمرح به جعل كل واحد منهما مخلوطا وأما ما خلط به كل واحد منهما فغير مصرح به بل من اللازم أن كل واحد منهما مخلوط به ويحتمل أن يكون قرينه أو غيره فقول الزمخشري إن قولك خلطت الماء واللبن يفيد ما يفيد مع الباء وزيادة ليس كذلك فالظاهر فى الآية والله أعلم أن العدول عن الباء إنما كان لتضمين الخلط معنى العمل كأنه قيل عملوا عملا صالحا وآخر سيئا ثم انضاف إلى العمل معنى الخلط فغير عنهما معابه والله أعلم

(قوله فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم) ظاهره أن القائل هو ابن عباس (قوله يدعو المصدق لصاحب الصدقة) المصدق اسم

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝
وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ۝ وَعَآخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا

أعطيت وجعله طهوراً وبارك لك فيما أبقيت ۝ وقرئ إن صلاتك على التوحيد (سكن لهم) يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم (والله سميع) يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعائهم (عليم) بما في ضمائرهم والغم من الندم لما فرط منهم ۝ وقرئ (ألم يعلموا) بالياء والتاء وفيه وجهان أحدهما أن يراد المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (إن الله هو يقبل التوبة) إذا صححت ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويردها فأقصده بها ووجهها إليه (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا) فإن عملكم لا يخفى خيراً كان أو شراً على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني أن يراد غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة فقد روى أنهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فمالهم فنزلت (فإن قلت) فما معنى قوله ويأخذ الصدقات (قلت) هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود رضي الله عنه إن الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله (فسيرى الله) وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة ۝ قرئ مرجون ومرجؤون من أرجيته وأرجائه إذا أخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم (إما يعذبهم) إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا (وإما يتوب عليهم) إن تابوا وهم ثلاثة كتب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شدة أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحداً لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله تعالى وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والله عليم حكيم) وفي قراءة عبد الله غفور رحيم وإما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وأرجوهم الرحمة ۝ في مصاحف أهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغيرواو لأنها قصة على حياها وفي سائرهما بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روى أن نبي عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبي مسجدنا ونرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوانهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هو ازن خرج هاربا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر وآت بجنود ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة فبنوا مسجداً بجنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعونا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم إني على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سأله إتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووجشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تاتي فيها الخيف

فاعل الذي يأخذ الصدقات أفاده الصحاح (قوله وقرئ إن صلاتك على التوحيد) بدل قراءة صلواتك على الجمع (قوله وأما للعباد أي خافوا عليهم) عبارة النسفي وإما للشك وهو راجع إلى العباد (قوله وأحرقوه ففعل وأمر أن يتخذ) عبارة النسفي ففعلوا

مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا
إِلَّا الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ
تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ۝ أَفَمَنْ أُسِّسَ بِنِيْسِنِهِ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بِنِيْسِنِهِ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝

والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين (ضاراراً) مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة (وكفراً) وتقوية للنفاق
(وتفريقاً بين المؤمنين) لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم
(وإرصاداً) واعداداً (ل) أجل (من حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباحة أورياه وسمة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق
بمسجد الضرار وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بنى عامر فقيل له مسجد بنى فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لأحب
أن أصلى فيه فإنه بنى على ضرار وكل مسجد بنى على ضرار أو رياء أو سمعة فإن أصله ينتهى إلى المسجد الذى بنى ضراراً
وعن عطاء لما فتح الله تعالى الأمصار على يد عمر رضى الله عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة
مسجدين يضار أحدهما صاحبه (فإن قلت) والذين اتخذوا ما محله من الإعراب (قلت) محله النصب على الاختصاص
كقولهم والمقيم الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقولهم والسارق والسارقة ۝
(فإن قلت) بم يتصل قوله (من قبل) (قلت) باتخذوا أى اتخذوا مسجداً من قبل أن ينافى هؤلاء بالتحلف (إن أردنا)
ما أردنا يبناه هذا المسجد (إلا) الحصلة (الحسنى) أو الإرادة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (لمسجد أسس
على التقوى) قيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقاء وهى يوم الاثنين والثلاثاء
والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لأن المرازمة بين مسجد قباء أوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وعن أبى سعيد الخدرى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ حصباء
فضرب بها الأرض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة (من أول يوم) من أول يوم من أيام وجوده (فيه رجال يحبون
أن يتطهروا) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا
الأنصار جلوس فقال المؤمنون أتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال صلى
الله عليه وسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال تشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال صلى
الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله تتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم تتبع الأحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه
وسلم رجال يحبون أن يتطهروا. وقرئ أن يطهروا بالإدغام وقيل هو عام فى التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون
الليل على الجنابة ويتبعون الماء بأثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا
بالحنى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم (فإن قلت) ما معنى المحبتين (قلت) محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون
عليه حرص المحب للشئ المشتهى له على إثاره ومحبة الله تعالى إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمجربيه
۝ قرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه جمع أساس على الإضافة وأساس بنيانه بالفتح
والكسر جمع أس وأساس بنيانه على أفعال جمع أس أيضاً وأس بنيانه والمعنى أفن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية
بحكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من) أسسه هل قاعدة هى أضعف القواعد وأرغاهما وأقلها

(قوله فى مسجد قباء فيغتص) أى يمتلىء اه (قوله فمن أسس بنيان دينه) هذا كما فى الحديث بنى الإسلام على خمس

لَا يَزَالُ بَيْنَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل (شفا جرف هار) في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازاً عما ينافي التقوى (فإن قلت) فمعنى قوله (فأنهار به في نار جهنم) (قلت) لما جعل الجرف الهائر مجازاً عن الباطل قيل فأنهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجاء بهفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فأنهار به وذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء ونجره السيول فيبقى واهياً والهار الهائر وهو المنصدع الذي أشنى على النهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخاف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصات وألفه ليست بألف فاعل إنما هي عينه وأصله هور وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره ۝ وقرئ جرف بسكرين الراء (فإن قلت) فأوجه ما روى سيدي به عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتوين (قلت) قد جعل الألف الإلحاق للتأنيث كتنرى فيمن تون ألحقها بجعفر وفي مصحف أبي فأنهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى الدخان يخرج منه وروى أن مجمع بن حارثة كان إمامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته أن يأذن لمجمع فيؤتمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بإمام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أني لأعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاماً قارئاً للقرآن وكانوا شيوخاً لا يقرؤون من القرآن شيئاً فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بقومه ۝ ريبة شكا في الدين ونفاقاً وكان القوم منافقين وإنما حلقهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضراراً وكفراً فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميماً على النفاق ومقتاً للإسلام فمعنى قوله (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزال وهم عن قلوبهم ولا يضمحل أثره (إلا أن تقطع قلوبهم) قطعا وتفترق أجزاءه فينثذسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعاً فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصوير الحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ يتقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول أي إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن وفي قراءة عبدالله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفریطهم ۝ مثل الله إنابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشروي وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفتين جميعاً وعن الحسن أنفسها وخلقها وأموالها ورزقها وروى أن الأنصار حين بايعوه على العقبة قال عبدالله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً واشترط لنفسي أن تمنعوني عما تمنعون منه أنفسكم قال فإذا فعلنا ذلك فإنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقبل ولا نستقبل ومزى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مريح لا نقيه ولا نستقبله نخرج إلى الغزو فاستشهد (يقاتلون) فيه معنى الأمر كقوله تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ۝ وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس (وعدا) مصدر مؤكد أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للجاهدين في سبيله وعد ثابت

(قوله فيجز أن يكون ذكر التقطيع) على قراءة تقطع بالتشديد مبنيًا للمفعول (قوله في سبيله بالشروي) كالجدوى في الصحاح والوشاح هي المثل والظان أنها هنا اسم للاشتراء

وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۝ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا كَلِمَ اللَّهِ يَتَّقُونَ

قد أثبتته (في التوراة والإنجيل) كما أثبتته في القرآن ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغى الذي لا يجوز عليه القبيح قط ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن منه وأبلغ (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنون المذكورين ويدل عليه قراءة عبدالله وأبى رضى الله عنهما التائبين بالياء إلى والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جزأ صفة للمؤمنين وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أى التائبون العابدون من أهل الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكافر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا من النفاق و (العابدون) الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العادة وحرصوا عليها و (السائحون) الصائمون شهوا بذوى السياحة في الأرض في امتناعهم من شهراتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه ۝ قيل قال صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب أنت أعظم الناس على حقا وأحسنهم عندي بدأ فقل كلمة تجب لك بها شفاعة فأبى فقال لا زال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أى أبويه أحدث به عهداً فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالأبواء ثم قام مستعبراً فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمى فأذن لي وأستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فنزلت وهذا أصح لأن موت أبى طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر منازل بالمدينة وقيل استغفر لأبيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوى قرابتنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه (ما كان للنبي) ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لأنهم ماتوا على الشرك ۝ قرأ طلحة وما استغفر إبراهيم لأبيه وعنه وما استغفر إبراهيم على حكاية الحال الماضية (إلا عن موعدة وعدها إياه) أى وعدها إبراهيم أباه وهو قوله لا استغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الرواية وعدها أباه (فإن قلت) كيف خفى على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده (قلت) يجوز أن يظن أنه مادام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحى لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر الأتري إلى قوله عليه السلام لعمه لا استغفرن لك ما لم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن على رضى الله عنه رأيت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر إبراهيم (فإن قلت) فما معنى قوله (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) (قلت) معناه فلما تبين له من جهة الوحى أنه إن يؤمن وأنه يموت كافراً وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ۝ أبواه فعال من أوه كالأول وهو الذى يكثرت التأوه ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته وحله كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لا رجعتك ۝ يعنى ما أسر الله باتقائه واجتنابه

(قوله مع شكاسته عليه وقوله لا رجعتك) شكاسته أى صعوبته وفي الصحاح رجل شكس بالتسكين أى صعب الخلق

سورة التوبة
 إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
 وَلَا نَصِيرٍ ۝ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ
 قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ يَرْتَدُّونَ رِجْمًا ۝ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
 الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ

كلاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محذور لا يؤخذ به عباده الذين هدام للاسلام ولا يسميهم ضللا
 ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلوهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا
 سبيل عليهم كالأبواخذون بشرب الخمر ولا يبيع الصاع بالضعفين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذه
 بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يعقل عنها وهي أن المهدي للإسلام إذا
 أقدم على بعض مخطورات الله داخل في حكم الإضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل
 كالصدق في الخبر ورد الودعة فغير موقوف على التوقيف (تاب الله على النبي) كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
 وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وهو بعث للؤمنين على التوبة وأنه مامن مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار
 حتى النبي والمهاجرين والأنصار وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وأن صفة التوابين الأوابين صفة الأنبياء كما وصفهم
 بالصلحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من إذنه المنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (في ساعة
 العسرة) في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم ۝ غداة طفت علماء بكر بن وائل ۝
 وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ۝ عشية قارعنا جذام وحميرا
 إذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى ۝ يجدهم جمع كف غير ملائى ولا صغرا

والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العسرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودا التمر
 المدود والشعير المسوس والأهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن أقسم القمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها
 الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الأبل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجذب والفحط
 والضيقة الشديدة (كاد يزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج
 معه وفي كاد ضمير الشأن وشبهه سيويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبدالله من بعد ما زاعت
 قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبي لبابة وأمثلة (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد ويجوز أن يكون الضمير للفريق
 تاب عليهم لكيد ودهمهم (الثلاثة) كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى (خلفوا) خلفوا عن الغزوة
 وقيل عن أبي لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أي خلفوا الغازين بالمدينة أفسدوا من الخالفة
 وخلفو الفم وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه خلفوا وقرأ الأعمش وعلى الثلاثة المخلفين (بما رجبت) برحبها أي

قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد إذهابهم حتى يبين لهم ما يتقون (قال فأما ما يدرك حظره بالعقل الخ) قال
 أحمد هذا تفریع على قاعدة التحسين والتقيح وأن العقل حاكم والشرع كاشف لما غمض عليه تابع لمقتضاه وهذه القاعدة
 قد سبق بطلانها في غير ما موضع والله الموفق

(قوله فأما ما يعلم بالعقل كالصدق) مبنى على مذهب المعتزلة أن الحكم قد يعلم بالعقل وعند أهل السنة لاحكم قبل الشرع
 (قوله والأهالة الزنخة وبلغت بهم) الأهالة الزنخة أي الدهن المتن وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره اه من
 الصحاح (قوله أفسدوا من الخالفة وخلفو الفم) الخالفة الذي لاخير فيه وخلفو الفم تغيره اه من الصحاح

اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ

مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه قلقاً وجزعاً مما هم فيه (وضاقت عليهم أنفسهم) أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها خرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا) وعلوا (أن لا ملجأ من) سخط (الله إلا) إلى استغفاره (ثم تاب عليهم ليتوبوا) ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كتره بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إلا فرطت منهم خطيئة علما منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روى أن ناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني أنه كان لا جدم حائط كان خيراً من مائة ألف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال يا أهلاه ما بطأني ولا خلفني إلا الضن بك لا جرم والله لا كابدن المفاوز حتى ألحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر إلا نفسه لأهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني إلا حب الحياة لك والله لا كابدن الشدائد حتى ألحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن أبي ذر الغفاري أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومز كالريح قد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه فقرح به رسول الله ﷺ واستغفر له ومنهم من بقى لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعباً فليل له ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفه فقال معاذ الله ما أعلم إلا فضلا وإسلاماً ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتسكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقرهين فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بندا من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك نخررت ساجداً وكنت كما وصفتني ربي وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمين فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق أنه مثل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه (مع الصادقين) وقري من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا أو الذين صدقوا في إيمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة أي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أي كونوا مع المهاجرين والأنصار وواقفهم وانتظموهم في جملتهم وصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيبه ثم لا ينجزه أقرؤا إن شئتم

(قوله في الضح والريح) الضح الشمس وبزهاه السراب يرفعه اه من الصحاح (قوله من ذروة سلع) سلع هو جبل بالمدينة اه من الصحاح

وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ
ظُلْمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخَصَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ
لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا
إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ
فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضرام وأن يكابدوا معه الأهوال بزغبة ونشاط واغتراب وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكثر لها أصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون أخف شيء عليهم وأهونه فضلا عن أن يربثوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبها يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا منى بليغ مع تقييح الأمرهم وتويع لهم عليه وتيسيح لمتابعتهم بألفة وحمية (ذلك) إشارة إلى ما دل عليه قوله ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب مشايعته كأنه قيل ذلك الوجوب (!) سبب (أنهم لا يصيبهم) شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدرسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم ولا يتصرفون في أرضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدوهم نيلا) ولا يبرزونهم شيئا يقتل أو أسرا وغنيمة أو هزيمة أو غير ذلك (إلا كتب لهم به عمل صالح) واستوجبوا الثواب ونيل الزاقي عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة لا الوطء بالأقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطأها الله بوج والموطئ إقامصدر كالمورد وإقامكان فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم ووطؤه والنيل أيضا يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا وأن يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه إذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وهذه الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك لنا الجيش في الغنيمة لأن وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابن عامر وقد قدم بعد تقضى الحرب وأمد أبو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجرين أبي أمية وزياد ابن أبي ليلى بعكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة نفس فاحقوا بعدما فتحوا فأسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانين وقرأ عبيد بن عمير ظمأ بالمد يقال ظمى ظمأ وظمأ (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو تمره ولو علاقة سوط (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أي أرضا في ذهابهم ومجيبهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودى وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض يقولون لا تصل في وادي غيرك (إلا كتب لهم) ذلك من الإنفاق وقطع الوادي ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى عمل صالح وقوله (ليجزئهم) متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء اللام لنا كيد النبي ومعناه أن نغير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا يمكن وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤد إلى مفسدة لوجب لوجوب النفقة على الكافة ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (فلولا نفر) فحين لم يمكن نغير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر (من كل فرقة طائفة) أي

قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (قال معناه أن نغير الكافة لطلب العلم غير ممكن الخ) قال أحمد قوله وما كان المؤمنون

(قوله وجب على سائر الأنفس أن تتهافت) تتهافت أي تتساقط ويربثوا يرتفعوا اه من الصحاح (قوله بوج)

قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَسُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ
فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة يكفونهم النفير (ليتفقوا في الدين) ليتكفروا الفقهاء فيه ويتجشموا المشاق في أخذها
وتحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتجيه
الفقهاء من الأغراض الحسيسة ويؤمنونه من المقاصد الركيكة من التصدرو والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم
ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضاً وفشوداء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق أحدهم إذا لم يحصره مدرسة لآخر أو شرمذنة
جثوا بين يديه وتهاككه على أن يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما بعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علواً في الأرض
ولا فساداً (لعلهم يحذرون) إرادة أن يحذروا الله فيعملوا عملاً صالحاً ووجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان إذا بعث بعثاً بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير
وانقطعوا جميعاً عن استماع الوحي والتفقه في الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى
لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجة أعظم أثراً من الجلال بالسيف وقوله ليتفقوا الضمير فيه للفرق
الباقية بعد الطواف النافرة من بينهم وولينذروا قومهم وولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا
في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه (يلونكم) يقربون منكم والقتال واجب
مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أو جنب ونظيره وأنذر عشيرتك الأقربين وقد حارب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم
لأنهم كانوا يسكنون الشام وأقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا
من وليهم ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم ۝
وقرى غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدّة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تنهوا وهو
يجمع الجرأة أو الصبر على القتال وشدّة العداوة والعنف في القتل والأسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله (مع
المتقين) ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه (فمنهم من يقول) فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض (أيكم زادت هذه)
السورة (إيماناً) إنكاراً واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم بالحاصل بالوحي والعمل به وأيكم
مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير أيكم بالفتح على إضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه إيماناً (فزادتهم
إيماناً) لأنها أزيد لليقين والثبات وأثاب للصدر أو فزادتهم عملاً فإن زيادة العمل في الإيمان لأن الإيمان يقع

لينفروا كافة على التفسير الأول أمر لانتهى وعلى الثاني خبر والمراد به النهي لأنه في الأول راجع إلى تنفير أهل البوادي
إلى المدينة للتفقه وهذا لو أمكن الجميع فعلة لكان جائزاً أو واجباً وإن لم يمكن وجب على بعضهم القيام عن باقيهم على
طريق وجوب الكفاية وأما في الثاني فلأن المؤمنين نفروا من المدينة للجهاد أجمعين وكان ذلك ممكناً بل واقفاً فهو عن
إطراح التفقه بالكلية وأمروا به أمر كفاية والله أعلم ۝ قال أحمد ولا أجد في تأخرى عن حضور الغزاة عذراً إلا صرف
الهمة لتحذير هذا المصنف فإني تفقحت في أصل الدين وقواعد العقائد مؤيداً بآيات الكتاب العزيز مع ما شتمت عليه من
صيانة خوزتها من مكابد أهل البدع والأهواء وأنا مع ذلك أرجو من الله حسن التوجه بلغنا الله الخير ووفقنا لما يرضيه وجعل
أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

وجّ بلد بالطائف اه من الصحاح (قوله وانقلاب حماليق أحدهم) الجماليق هي ما يستوده الكحل من باطن الجفن وقيل
ماغطته الأجنان من بياض المقلة اه من الصحاح

مَرَضَ فَرَذَتَهُمْ رَجَسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۚ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۚ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۚ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ

على الاعتقاد والعمل (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) كفر أ مضموما إلى كفرهم لأنهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا زاد كفرهم واستحکم وتضاعف عقابهم ۚ قرئ أ ولا يرون بالياء والتاء (يفتنون) يتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في أمرهم أو يتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون أمره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون (نظر بعضهم إلى بعض) تغامزوا بالعيون إنكارا للوحي وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لتصرف فيما لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فتخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لو اذا يقولون هل يراكم من أحد وقبل معناه وإذا ما أنزلت سورة في عيب المناقين (صرف الله قلوبهم) دعاه عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربى قرشى مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله (عزيز عليه ما عنتم) أى شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب (حريص عليكم) حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والاستعداد بدين الحق الذى جاء به (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) ۚ وقرئ من أنفسكم أى من أشرفكم وأفضلكم وقيل هى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضى الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله رؤف رحيم (فإن تولوا) فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصروك فاستعن وفوض اليه فهو كافيك معرفتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم ۚ وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضى الله عنه العرش لا يقدر أحد قدره وعن أبى بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم . عن رسول الله ﷺ ما نزل على القرآن إلا آية وآية وحرفا حرا فاما خلاصة سورة براءة وقل هو الله أحد فإنها أنزلنا على وفعمها سبعون ألف صف من الملائكة

ۚ قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (قال القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم الخ) قال أحمد يتعين القتال على أحد فريقين أقام نزل بهم عتق وفيهم قوة عليه ثم على من قرب منهم حتى يكتبوا وأما من عينهم الإمام لذلك وإن بعدت بهم الدار وإذا أوجب الله على هذه الأمة القتال وأزعاج العدو من دياره وإخراجه من قراره فوجوبه وقد نزل العدو بدار الإسلام أجدر ۚ قوله تعالى وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم (قال ما تغامزوا بالعيون إنكارا للوحي الخ) قال أحمد يحتمل الدعاء كإفسره ويحتمل الإخبار بأن الله صرف قلوبهم أى منهم من تاقى الحق بالقبول ولكن الرخصرى يفتر من جعله خبر الآن صرف القلوب عن الحق لا يجوز على الله تعالى عنده بناء على قاعدة الصلاح والأصلح ولا يزال يؤول الظاهر إذا اقتضى ذلك كما مر له فى قوله ختم الله على قلوبهم فلما احتملت هذه الآية الدعاء والخبر على حد سواء تعير عنده جعلها دعاء ثم فى هذا الدعاء مناسبة للفعل الصادر عنهم وهو الانصراف كقوله وقالت اليه ويدا الله مغولة غلت أيديهم وكقوله ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء

(قوله فهو كافيك معرفتهم) المرة الإثم كذا فى الصحاح

سورة يونس مكية

إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فمدنية وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ أَنْتَ الْكَاتِبُ الْحَكِيمُ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ
أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ وَبَشِّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّكُمْ
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مَنْ بَعَدَ

﴿سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الر) تعديد للحروف على طريق التحدى و (تلك آيات الكتاب) إشارة إلى ماتضمنته
السورة من الآيات والكتاب السورة و (الحكيم) ذوالحكمة لأشتماله عليهم ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه قال الاعشى
وغريبة تأتي الملوك حكيمة ۝ قد قلتها ليقال من ذا قالها

الهمزة لإنكار التعجب والتعجب منه و (إن أوحينا) اسم كان وعجبا خبرها وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة
وإن أوحينا خبرا وهو معرفة كقوله ۝ يكون مزاجها عسل وماء ۝ والأجود أن تكون كان تامة وإن أوحينا بدلا من
عجب (فإن قلت) فما معنى اللام في قوله أكان للناس عجباً وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجباً (قلت) معناه
أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علماءهم بوجهون نحوه استهزامهم وإنكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى
والذى تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظماهم فقد كانوا يقولون العجب
أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وأن يذكركم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من
هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرأ مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الأرض
ملائكة يمشون مطمئن لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وإرسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضا لأن الله تعالى إنما
يختار من استحق الاختيار لمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الأسباب في
شيء وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زانف والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون
عجبا إنما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء (أن أنذر الناس) أن هي المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول
ويجوز أن تكون الخففة من الثقلة وأصله أنه أنذر الناس على معنى أن الشأن قولنا أنذر الناس و (أن لهم) الباء معه
مخزوف (قدم صدق عند ربهم) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة (فإن قلت) لم سميت السابقة قدما (قلت) لما كان السعي
والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يد لأنها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها فقيل
لفلان قدم في الخير وإضافته إلى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق (إن هذا)
إن هذا الكتاب وما جاء به محمد (لسحر) ومن قرأ لساحر فهذا إشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم
واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحراً وفي قراءة أبي ما هذا إلا سحر (يدبر) يقضى ويقدر على حسب مقتضى

﴿القول في سورة يونس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قوله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (قال أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة الخ)
قال أحد ولم يرد في سابقة السوء تسميتها قدما إما لأن المجاز لا يطرد وإما أن يكون مطردا ولكن غلب العرف على قصرها كما يغلب في

(قوله من أفناء رجالهم) في الصحاح يقال هو من أفناء الناس إذا لم يعلم من هو

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُمْ فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۚ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۗ
هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً ۖ وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ
إِلَّا بِالْحَقِّ يَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا

الحكمة ويفعل ما يفعل المتجرى للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها لتلا يلقاه ما يكره آخراً و (الامر) أمر الخالق كله وأمر ملكوت السموات والأرض والعرش (فإن قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والأرض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاتواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره وكذلك قوله (ما من شفيح إلا من بعد إذنه) دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و (ذلكم) إشارة إلى المعلوم بذلك العظمة أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق منكم العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع (أفلاتنكرون) فإن أدنى التفكر والنظر بنهكم على الخطأ فيما أتم عليه (إليه مرجعكم جميعاً) أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقاءه (وعداً لله) مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم و (حقاً) مصدر مؤكد لقوله وعدا لله (إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدؤ الخلق بمعنى لأنه أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعدا لله أي وعد الله وعداً بدأ الخلق ثم إعادته والمعنى إعادة الخلق بعددته و قرئ وعدا لله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعاً بما نصب حقاً أي حق حقاً بدأ الخلق كقوله أحقاً عباد الله أن لست جائياً و لا ذاهباً إلا على رقيب

و قرئ حق أنه يبدؤ الخلق كقوله حق أن زيدا منطلق (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى والمعنى ليجزىهم بقسطه ويوفىهم أجورهم أو بقسطهم وبما أفسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحاً لأن الشرك ظلم قال الله تعالى « إن الشرك لظلم عظيم » والعصاة ظلام أنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون و الياء في (ضياء) منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها و قرئ ضياء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء أقوى من النور (وقدره) وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره (منازل) أو قدره ذامنازل كقوله تعالى « والقمر قدرناه منازل » (والحساب) وحساب الأوقات من الشهور والأيام والليالي (ذلك) إشارة إلى المذكور أي ما خلقه إلا ملتبساً بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً و قرئ يفصل بالياء و خص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر (لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطر ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة بالذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لا يأملون حسن لقاءنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون سوء لقاءنا الذي يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله تعالى أرضيتم بالحياة

الحقيقة والله أعلم

(قوله ذلك العظيم) لعلة ذلكم

غَفُلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَنكسِبُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم
بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۝ وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ
أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَسْرَآءَهُمْ لَسَعَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَبَدَّلَ اللَّهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْرًا ۝

الدنيا من الآخرة (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزدج عنها فبنوا شديداً وأتملوا بعيداً (يهديهم ربهم بإيمانهم) يستدغم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى إلى الثواب ولذلك جعل (تجري من تحتهم الأنهار) بياناً له وتفسيراً لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها ويجوز أن يريد يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ومنه الحديث إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار (فإن قلت) فلقد دلت هذه الآية على أن الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو إيمان مقيد وهو الإيمان المقرون بالعمل الصالح والإيمان الذي لم يقرب بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور (قلت) الأمر كذلك الأثرى كيف أوقع الصلة بجموعاً فيها بين الإيمان والعمل كأنه قال إن الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ثم قال بإيمانهم أى بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح وهو بين واضح لاشبهه فيه (دعواهم) دعاؤهم لأن اللهم نداء الله ومعناه اللهم إنا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة وأعتزلكم وماتدعون من دون الله على معنى أن لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة إنما يلهمون به تلوذاً بلا كلفة كقوله تعالى «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية» (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح (أن) يقولوا (الحمد لله رب العالمين) ومعنى وتحييتهم فيها سلام أن بعضهم يحيى بعضاً بالسلام وقيل هي تحية الملائكة إياهم إضافة للمصدر إلى المفعول وقيل تحية الله لهم وأن هي الختفة من الثقبلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله «أن هالك كل من يحفى وينتعل» وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد أصله (ولو يعجل الله للناس الشر) تعجيله لهم الخير فوضع (استعجالهم بالخير) موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبهم حتى كان

قوله تعالى «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم» (قال محمود معناه يستدغم بسبب إيمانهم للاستقامة الخ) قال أحمد هو يقرر بذلك زعمه في أن شرط دخول الجنة العمل الصالح وأن من لم يعمل مخلد في النار كالكافر وأنى له ذلك وقد جعل الله سبب الهداية إلى الجنة مطلق الإيمان فقال يهديهم ربهم بإيمانهم وقول الزمخشري أن المراد إظافة العمل لا ينهض عن حيز الدعوى فإن الله لم يعلل بغير الإيمان وإن جرى لغيره ذكر أو لا فلا يلزم إجراؤه ثانياً ولا يخرج إليه وشبهته أن الإيمان المجهول سبباً مضاف إلى ضمير الصالحين فيلزم أخذ الصلاح قيداً في التسبب وهو ممنوع فإن الضمير إنما يعود على الذوات لا باعتبار الصفات وقد تقدمت لهذه المباحة أمثال وأشكال والله الموفق ۝ قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية (قال محمود فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير الخ) قال أحمد وهذا أيضاً من تنبيهات الزمخشري الحسنة التي تقوم على دقة نظره شاهدة وبينه ولا يكاد وضع المصدر مؤكداً أو مقارناً لغير فعله في الكتاب العزيز يخلو من مثل هذه الفائدة الجلية والنحاة غايتهم أن يقولوا في قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتاً أنه أجرى المصدر على الفعل مقدرأ عدم الزيادة أو هذا المصدر لفعل دل عليه المذكور تقديره نبت نباتاً ولا يزيدون على ذلك وإذا رجع الفطن قريحته وناجى فكرته هل قرن المصدر في كتاب الله بغير فعله لفائدة أو لا تسور بلطف النظر على مثل هذه القوائد العلية مراتبها فالفائدة والله أعلم في اقتران قوله نباتاً بقوله أنبتكم التنبية على تحتم نفوذ القدرة في المقدور وسرعة إتمامه

لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانٌ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝ وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْسُوا قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجّلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجّيهم إليه (لغرض إليهم أجلهم) لا ميتوا وأهلكوا وقرئ لغرض إليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبدالله لغرضنا إليهم أجلهم ۝ (فإن قلت) فكيف اتصل به قوله (فذر الذين لا يرجون لقاءنا) وما معناه (قلت) قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى إليهم أجلهم فنذرهم (في طغيانهم) أي فتمهلهم ونفّض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاماً للحجة عليهم (لجنبه) في موضع الحال بدليل عطف الحاليين عليه أي دعانا مضطجماً (أو قاعداً أو قائماً) (فإن قلت) فما فائدة ذكر هذه الأحوال (قلت) معناه أن الضرور لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالته كلها كان منبطحاً عاجز الهض متخاذل النوء أو كان قاعداً لا يقدر على القيام أو كان قائماً لا يطيق المشي والمضطرب إلى أن يخف كل الحقة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتامها ويجوز أن يراد أن من الضرورين من هو أشد حالاً وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن المدعاء واستدفاع البلاء لأن الإنسان للجنس (مر) أي مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا نخفف وحذف ضمير الشأن قال ۝ كأن ثدياه حقان ۝ (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) زين الشيطان بوسوسته أو الله بخذلانه وتخلفته (ما كانوا يعملون) من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات (لما) ظرف لإهلكنا والواو في (وجاءتهم) للحال أي ظلّموا بالكذب وقد جاءتهم رسالهم بالحجيج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله (وما كانوا يؤمنوا) يجوز أن يكون عطفاً على ظلّموا وأن يكون اعتراضاً واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقاً تا كيداً لنفي إيمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وأن الإيمان مستبعد منهم والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة في إهلاكهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك (نجزي) كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ﷺ وقرئ يجرى بالياء (ثم جعلناكم) الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكنا (لننظر) أن تعملون خيراً أم شراً فعاملناكم على حسب عملكم و (كيف) في محل نصب تعملون لا ينظر لأن معنى الاستفهام فيه يجب أن يتقدم عليه عامله (فإن قلت) كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة (قلت) هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشئ موجوداً شبه بنظر الناظر وعيان المعاني في تحقّقه ۝ غاظهم ما في القرآن

حكماً حتى كان إنبات الله لهم نفس نباتهم أي إذا وجد من الله الإنبات وجد لهم النبات حتماً فكان أحد الأمرين عين الآخر فقرن به والله أعلم ۝ قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون (قال فيه إن قلت كيف جاز النظر على الله تعالى الخ) قال أحمد وكنت أحسب أن الزمخشري يقتصر على إنكار رؤية العبد لله تعالى فضم

(قوله متخاذل النوء) في الصحاح ناهينون نواً إذا نهض بجهد ومشقة (قوله عاجز الهض) نهض نهضاً ونهوضاً قام (قوله والمسحة) في الصحاح وعلى فلان مسحة من جمال

لَقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَدْبُرَهُ مِنْ تَلَقَّائِي نَفْسِي إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنِّي
أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا

من ذم عبادة الأوثان والوعيد المشركين فقالوا (أنت بقرآن) آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك تتبعك (أوبدله) بأن
تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها . فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة
الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور
عليه للإنسان (ما يكون لي) ما ينبغي لي وما يحل كقوله تعالى ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق (أن أبدله من تلقاء
نفسى) من قبل نفسى وقرئ بفتح التاء من غير أن يأمرني بذلك ربى (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) لا آتى ولا أدر شيئاً
من نحو ذلك إلا متبعاً لوحى الله وأوامره إن نسخت آية تبعت النسخ وإن بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس
إلى تبديل ولا نسخ (إنى أخاف إن عصيت ربي) بالتبديل والنسخ من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) (فإن قلت)
أما ظهر وتبين لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا أنت بقرآن غير هذا (قلت) بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون
بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذباً فينسبونه إلى الرسول ويزعمونه قادراً عليه
وعلى مثله مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصاحتها وبلغائها إذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز (فإن قلت) لعلمهم
أرادوا أنت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحى كما أتيت بالقرآن من جهته وأراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي
وما يمكننى أن أبدله (قلت) يرده قوله إنى أخاف إن عصيت ربي (فإن قلت) فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم
في هذا الاقتراح (قلت) الكيد والمكر أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنت قادر على مثله فأبدل
مكانه آخر. وأما اقتراح التبديل والتغيير فللاطمع واختيار الحال وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجوا منه
أولا يهلكه فيسخره منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحاً لاقتراءه على الله (لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعنى أن
تلوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمراً عجيباً خارجاً عن العادات وهو أن يخرج رجل أعمى لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد
العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتاباً فصيحاً ينهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم
مشحوناً بعلوم من علوم الأصول والفروع وأخبار مما كان وما يكون ناطقاً بالغيوب التى لا يعلمها إلا الله وقد بلغ بين
ظهرا نبيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسرارهم وما سمعتم منه حرفاً من ذلك ولا عرفه به أحد
من أقرب الناس منه وأصدقهم به (ولا أدراكم به) ولا أعلمكم به على لسانى وقرأ الحسن ولا أدراكم به على لغة من يقول
أعطائه وأرضائه فى معنى أعطيته وأرضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا أنذرتكم به ورواه الفراء ولا أدراكم به بالهمز
وفيه وجهان أحدهما أن قلب الألف همزة كما قيل لبأت بالحج ورنأت الميت وحلأت السويق وذلك لأن الألف والهمزة
من واد واحد الأثرى أن الألف إذا مستها الحركة انقلبت همزة والثانى أن يكون من درأته إذا دفعته وأدراته إذا
جعلته دارئاً والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماً تدرؤتنى بالجدال وتكذبوننى وعن ابن كثير ولا أدراكم به بلام الابتداء
لأثبات الإدراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولا أعلمكم به على لسان غيرى ولكنه يمن على من يشاء من عباده
فخصنى بهذه الكرامة ورآنى لها أهلاً دون سائر الناس (فقد لبثت فيكم عمراً) وقرئ عمراً بالسكون يعنى فقد أقيمت

إلى ذلك إنكار رؤية الله والجمع بين هذين النزغتين عقيدة طائفة من القدرية يقولون إن الله لا يرى ولا يرى تعالى الله
عما يقول الظالمون علواً كبيراً وتقدم إبطال دعواهم أن النظر يستلزم المقابلة والجسمية فلا نعبده والله الموفق

(قوله بفتح التاء من غير) لعله أى من غير (قوله ظهرا نبيكم) فى الصحاح ظهرا نبيهم بفتح التون (قوله وحلأت)

أى جعلته حلوا

مَنْ قَبْلَهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ ۚ وَيَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هـ وَوَلَاءُ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي
 السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا
 كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ
 لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۚ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي

فما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فنتهموني
 باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلوا أنه ليس إلا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم انت بقرآن غير
 هذا من إضافة الافتراء اليه (من افتري على الله كذبا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في قولهم إنه ذو شريك
 وذو ولد وأن يكون تقاديا بما أضافوه اليه من الافتراء (ملا يضرهم ولا ينفعهم) الأوثان التي هي جماد لا تقدر على
 نفع ولا ضرر وقيل إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون ماثيا على الطاعة معاقبا
 على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل وأسافا ونائلة (و) كانوا (يقولون هؤلاء
 شفعاؤنا عند الله) وعن النضر بن الحرث إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى (أتنبئون الله بما لا يعلم)
 أتخبرونه بكونهم شفعاؤه وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله وإذالم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات
 لم يكن شيئا لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبراً ليس له مخبر عنه (فإن قلت) كيف أنبؤا الله بذلك (قلت) هو تكلم بهم
 وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبؤا به باطل غير منظور تحت الصحة فكانهم يخبرونه
 بشيء لا يتعلق به عليه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ (أتنبئون بالتخفيف وقوله (في السموات والافى الأرض)
 تأكيد لفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم (تشركون) قرئ بالتاء والياء وما موصولة أو مصدرية أى عن الشركاء
 الذين يشركونهم به أو عن إشرافهم (وما كان الناس إلا أمة واحدة) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا
 بينهم وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هايل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (ولولا كلمة
 سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلا فيما اختلفوا فيه ولما لم يفرق من المبطل وسبق
 كلمته بالتأخير لحكمة أوجب أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقالوا (لولا أنزل عليه آية
 من ربه) أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتقدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي
 لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك
 من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه
 وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهما كهم في الغنى (فقل إنما الغيب لله) أى هو المختص بعلم الغيب المستأثر به
 لا علم لي ولا لأحد به يعنى أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر غيب لا يعلمه إلا هو (فانتظروا) نزول ما اقترحوه
 (إني معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجودكم الآيات ۚ سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى
 كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه
 وإذا الأولى للشرط والآخرة جوابها وهى لل مفاجأة والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية المذكورة المطوية الخلق ومعنى
 (مستهم) خالطهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم ۚ (فإن قلت) ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله (أسرع مكر) (قلت)
 بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمتهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وساروا إليه قبل أن

آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا مَكْرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِين بِيَهُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ إِنَّهُنَّ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِتْمَانًا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ

يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسعفون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام (إن رسالنا يكتبون) لإعلام بأن ما تظنون به خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم ۝ وقرئ يمحرون بالتاء والياء وقيل كرههم قولهم سقيننا بنوء كذا وعن أبي هريرة إن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا ۝ قرأ زيد بن ثابت بنشركم ومثله قوله فانتشروا في الأرض ثم إذا أتتم بشر تنتشرون (فإن قلت) كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسير في البحر والتسير في البحر إنما هو بالكون في الفلك (قلت) لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء ۝ (فإن قلت) ما جواب إذا (قلت) جاءتها ۝ (فإن قلت) فدعوا (قلت) بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به (فإن قلت) ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة (قلت) المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الإنكار والتقييح (فإن قلت) ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب (قلت) قبلهما زائدتان كافي الخارجى والأخرى ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذى لا تجرى الفلك إلا فيه والضمير في (جرين) للهالك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخى فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلك أيضاً لأن الفلكي يدل عليه (جاءتها) جاءت الريح الطيبة أى تلقتها وقيل الضمير للهالك من كل مكان من جميع أمكنة الموج (أحيط بهم) أى أهلكوا جعل إحاطة العدو بالحى مثلاً في الهلاك (مخلصين له الدين) من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه (إن أنجيتنا) على إرادة القول أولان دعوا من جملة القول (يبغون في الأرض) يفسدون فيها ويعبثون مترافين في ذلك بمعنى فيه من قولك بغى الجرح إذا ترمى إلى الفساد (فإن قلت) فما معنى قوله (بغير الحق) والبغى لا يكون بحق

۝ قوله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ریح عاصف الآية (قال إن قلت كيف جعل الكون فى الفلك غاية الخ) قال أحمد وهذه أيضاً من نكته التى لا يكتبته حسنها وقدمرلى قبل الوقوف عليها مثل هذا النظر بعينه فى توأمتها وذلك عند قوله تعالى «وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم» وقد استدلل الزمخشري بها لآبى حنيفة فى أن الصغير يتلى قبل البلوغ أن يسلم إليه قدر من المال يتمتع فيه خلافاً لما لك فإنه لا يرى الابتلاء قبل البلوغ. قال الزمخشري ووجه الاستدلال أن الله تعالى جعل البلوغ غاية الابتلاء فيأزم وقوع الابتلاء قبله ضرورة كونه مغيباً واعتضت هذا الاستدلال فيما سلف بأن المجهول غاية هو حمله ما فى حيز حتى من البلوغ مقروناً بإيناس الرشد وهذا المجموع هو الذى يلزم وقوعه بعد الابتلاء ولا يلزم من ذلك

(قوله والظن للهلاك) عبارة النسب بالهلاك (قوله كالأسد فى فعل) أى كاجاء فعل بالضم فى فعل بفتحين كأسد فى أسد جاز مجيء فعل بالضم فى فعل بالضم كفلك فى فلك وذلك لأن فعلاً بفتحين وفعل بالضم أخوان لأنهما يشتركان فى الشيء الواحد كالعرب والعرب والعجم والعجم والرهب والرهب فما جاز فى أحدهما لا يمنع فى الآخر وقد جاز فعل بالضم فى فعل بالفتح فليجوز فعل بالضم فى فعل بالضم لأنهما أخوات كذا فى الصحاح فتأمل

فَنذِبَتْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا
أَتَتْهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَاللَّهُ

(قلت) بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقطع أشجارهم كإفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة ۝ قرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب (فإن قلت) ما الفرق بين القراءتين (قلت) إذا رفعت كان المتاع خبراً للبتدأ الذى هو بغيركم وعلى أنفسكم صلته كقوله بغيري عليهم ومعناه إنما بغيركم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعنى بغيري على بعض منفعة الحياة الدنيا لابقاء لها وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه إنما بغيركم وبال على أنفسكم ومتاع الحياة الدنيا فى موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ما كرا ولا تبع ولا تعن باغياً ولا تنكث ولا تعن ناكثاً وكان ينلوهما . وعنه عليه الصلاة والسلام أسرع الخيروأباً صلة الرحم وأعجل الشر عقاباً البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجزهما الله تعالى فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنه لوبغى جبل على جبل لك الباغى وكان الماءون يتمثل بهذين البيتين فى أخيه

يا صاحب البغى إن البغى مصرعة ۝ فاربغ بغير فعال المرء عبده ۝ فلوبغى جبل يوم على جبل ۝ لاندك منه أعاليه وأسفله
وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيركم على أنفسكم ۝ هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التفت وتكاثف وزين الأرض بخضرتها ورفيفه (فاختلط به) فاشتبك بسية حتى خالط بعضه بعضاً (أخذت الأرض زخرفها وازينت) كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالأصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت على أفعلت من غير إعلال الفعل كأغيات أى صارت ذات زينة وازيانت بوزن اياضت (قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون ثمرتها رافعون لغلتها (أناها أمرنا) وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أن منهم واستيقانهم أنه قد سلم (فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيداً) شبيهاً بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أى لم ينبت على حذف المضاف فى هذه المواضع لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذى هو الزرع وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم تغن بالأمس من قول الأعشى

طويل انشواء طويل التغنى ۝ والامس مثل فى الوقت انقريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفاً (دار السلام) الجنة أضافها إلى اسمه تعظيماً لها وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيل سلاماً

أن يقع كل واحد من مفرديه بعد الابتلاء بل من الممكن أن يقع أحدهما قبل والآخر بعد فلا يحصل المجموع إلا بعد الابتلاء ويوضح ذلك هذه الآية فإنه تعالى جعل غاية تسييرهم فى الهلك كونهم فيها مضافاً إلى ما ذكر معه ونحن نعلم أن كونهم فى الفلك وذلك أحد ما جعل غاية متقدم على التسيير وإن كان المجموع واقعاً كوقوع الحادثة بجملة ما بعد الكون فى الفلك والله أعلم وإنما بسطت القول ههنا لفوائده ثم فجدد بما مضى عهداً

(قوله بخضرتة ورفيفه) أى بريقه وتلاؤه وشجر رفيف إذا تددت أوراقه كذا فى الصحاح
(قوله أى لم ينبت) لعله لم ينبت وفى الصحاح غنى بالمكان أى أقام وغنى أى عاش (قوله طويل النوام) لعله النوام

يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي بِنِ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ
وَجْوهَهُمْ قُتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا
وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

سلاما (ويهدى) ويوفق (من يشاء) وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون (الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله تعالى «ويزيدهم من فضله» وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرة من أولوة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنه الحسنى الحسنة والزيادة عشر أمثالها وعن الحسن رضي الله عنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وعن مجاهد رضي الله عنه الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يأهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم منه (ولا يرهق وجوههم) لا يغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثره وان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذا كرا بما ينقذهم منه برحمته الأتري إلى قوله تعالى ترهقها قتره وترهقهم ذلة (فإن قلت) ما وجه قوله (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) وكيف يتلاءم (قلت) لا يخلو إتما أن يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وإتما أن يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزداد عليها وهذا الوجه من الأول لأن في الأول عطف على عاملين وإن كان الألفش يميزه وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دن بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ برهقهم ذلة بالياء (من الله من عاصم) أي لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون المؤمن (مظلمًا) حال من الليل ومن قرأ قطعاً بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له وتعضده قراءة أبي بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم (فإن قلت) إذا جعلت مظلمًا حالاً من الليل فما العامل فيه (قلت) لا يخلو إتما أن يكون أغشيت من قبل إن من الليل صفة لقوله قطعاً فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة وإتما أن يكون معنى الفعل في من الليل

قوله تعالى «الذين أحسنوا الحسنى وزيادة» (ذكر) في الزيادة تفاسير كثيرة ثم قال وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى الخ (قار) أحد نسبة تفسير الزيادة برؤية الله تعالى إلى زعم أهل السنة الملقين عنده بالمشبهة والمجبرة مرور على ديدنه المعروف في التكذيب بما لم يحط به علما وهذا التفسير مستفيض منقول عن جملة الصحابة والحديث المروي فيه مدون في الصحاح متفق على صحته وقد جعل أهل السنة جاؤا به من عند أنفسهم ومن قبل قال المصرون على الكفر لسيد البشر وصاحب السنة أمت بقرآن غير هذا أو بدله حملا على أنه جاء به من عنده لأهل السنة إذا أسوة بصاحبها ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فابتلاء الحق بالباطل قديم والله الموفق وإن في قوله تعالى على أثر ذلك «ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة» مصداقا للصحة هذا التفسير فإن فيه تنبيه على إكرام وجوههم بالنظر إلى وجه الله تعالى فقدير بهم أن لا يرهق وجوههم قتر البعد ولا ذلة الحجاب عكس المحرومين المحجوبين فإن وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد نال الله الكفاية فأولئك يغشى وجوههم أنوار المشاهدة وهؤلاء يغشى وجوههم كقطع الليل المظلم منهم شقي وسعيد

(قوله وزعمت المشبهة والمجبرة) يريد أهل السنة القائلين بجزاز رؤيته تعالى ووقوعها في الآخرة خلاف المعتزلة في ذلك (قوله بحديث مرقوع) مرقوع بالقاف أي مفترى كذائف وهو في مقابلة المرفوع بالعاء أي المضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم

خَلِدُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَسْكَانُكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا بِهِنَّ وَقَالَ
شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَعْبُدُونَ ۝ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفَلِينَ ۝
هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ
يَدْبُرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى

(مكانكم) الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم و(أنتم) أكذب الضمير في مكانكم لسدده منسدة قوله الزموا (وشركاؤكم)
عطف عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا
أقربهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا أوفياء عدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف ۝ وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم
كقوله تعالى ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلا بينهم كقولك صاعر خذته وصعره وكاملته
وكلمته (ما كنتم إيانا تعبدون) إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا الله أندادا فأطعنموهم (إن كنا)
هي الخففة من الثقبلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبده من دون الله من أولى العقل
وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك ۝ كان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم (هنالك) في ذلك
المقام وفي ذلك الموقف أوفى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتدوق (ما أسلفت) من
العمل فتعرف كيف هو أقيس أم حسن أنافع أم ضار أم مقبول أم مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتبه
حاله ومنه قوله تعالى «يوم تبلى السرائر» وعن عاصم تبلوا كل نفس بالنون ونصب كل أي تختبرها باختبارها أسلفت
من العمل فتعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسنا فهي سعيدة وإن كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها كما فعل الخابر كقوله
تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملا ويجوز أن يراد نصب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ تلو أي
تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر (مولاهم
الحق) ربهم الصادق ربوبيتهم لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي
لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا إلى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك
الحمد لله أهل الحمد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا
يخلفون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء والأرض) أي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم
على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته (من يملك السمع والأبصار) من يستطيع خلقهما وتسويتها على
الحد الذي سويها عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميها ويحصنها من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان
يؤذيها أدنى شيء بكلامه وحفظه (ومن يدبر الأمر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (أفلا تتقون)
أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال (ذالكم) إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله (ربكم
الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق إلا الضلال) يعني أن الحق والضلال لا واسطة

قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض (قال معناه أي من يرزقكم منهما جميعا الخ) قال أحد وهذه الآية كاخفة

(قوله وقطعنا أقربهم والوصل) مفردة قرن بالتحريك وهو جبل يقرن به البعيران كما في الصحاح ومفرد الوصل
وصلة أي اتصال وذريعة كما في الصحاح أيضا

تُصْرَفُونَ ۝ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُ اللَّهَ بِإِذْنِ اللَّهِ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ تُوَفَّى كَوْنَهُ ۝ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ قُلْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَأَرِيَبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ

بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال (فأني تصرفون) عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك وعن السعادة إلى الشقاء (كذلك) مثل ذلك الحق (حققت كلمت ربك) أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حققت كلمت ربك (على الذين فسقوا) أي تمردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه و(أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كائن أو أراد الكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون لتعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون (فإن قلت) كيف قيل لهم (هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم غير معترفين بالإعادة (قلت) قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابراً راداً للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمراً مسلماً معترفاً بصحته عند العقلاء وقال لبيد صلى الله عليه وسلم (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنه لا يدعهم لجأهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم ۝ يقال هداه للحق وإلى الحق لجمع بين اللغتين ۝ ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشتري ومنه قوله (أمن لا يهتدي) وقرئ لا يهتدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها ۝ وقرئ إلا أن يهتدي من هداه وهذا للبالغة ومنه قولهم تهتدي ومعناه أن الله وحده هو الذي يهتدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصها لهم وبما لطف بهم ووقفهم وألهمهم وأخطر بيالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أزداداً لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهتدي إلى الحق مثل هداية الله ۝ ثم قال أمن يهتدي إلى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا يهتدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهتدي غيره إلا أن يهتدي الله وقيل معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه (إلا أن يهتدي) إلا أن ينقل أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أزداد الله (وما يتبع أكثرهم) في إقرارهم بالله (الإظنا) لأنه قول غير مستدل إلى برهان عندهم (إن الظن) في معرفة الله (لا يغني من الحق) وهو العلم (شيئاً) وقيل وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام أنها آلهة وأنها شفعاء عند الله إلا الظن والمراد بالأكثر الجميع (إن الله عليم) ويعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء ۝ وقرئ تفعلون بالتاء (وما كان هذا القرآن) افتراء (من دون الله) ولكن كان (تصديق الذي بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتاب المنزلة لأنه معجز

الوجوه القدريّة الزاعمين أن الأرزاق منقسمة فمنها ما رزقه الله للعبد وهو الحلال ومنها ما رزقه العبد لنفسه وهو الحرام

(قوله أمن لا يهتدي) من قولهم هدى بنفسه أمن لا يهتدي كبري وقوله بفتح الهاء الخ بقية القراءة بكسرها مع التشديد وقد أشار إليها بقوله أو كسرت والقراءة كبري لحزة وعلى وبالفتح مع التشديد للسكى والشامى وبالكسر معه لعاصم والأصل يهتدي وهي قراءة عبد الله أفاده النسق

العلمين ۞ أم يقولون اقترب به قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ۞
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فأنظر كيف كان عقبة
الظالمين ۞ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين ۞ وإن كذبوك فقل لي عملي

دونها فهو عبارة عليها وشاهد لصحتها كقوله تعالى هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان أن يفترى وما صح وما استقام وكان محالاً أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفترى (وتفصيل الكتاب) وتبين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم ۞ (فإن قلت) بم اتصل قوله (لاريب فيه من رب العالمين) (قلت) هو داخل في حيز الاستدراك وأنه قال ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتقياً عنه الريب كائناً من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منه لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل أم يكون لاريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أم يقولون اقتراه) بل يقولون اختلقه على أن الهمزة تقرير لإلزام الحججة عليهم أو إنكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان (قل) إن كان الأمر كما تزعمون (فاتوا) أتم على وجه الاقتراء (بسورة مثله) فأنتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله أى شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الإضافة أى بسورة كتاب مثله (وادعوا) من دون الله (من استطعتم) من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله يعنى أن الله وحده هو القادر على أن يأتى بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه (إن كنتم صادقين) أنه اقتراه (بل كذبوا) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجؤه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية إذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وإن كانت أضوا من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكراها في أول وهلة واشماز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة أو فساد لأنه لم يشعر قلبه إلا بصحة مذهبه وفساد ما عدها من المذاهب ۞ (فإن قلت) ما معنى التوقع في قوله (ولما ياتهم تأويله) (قلت) معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كثر عليهم التحدى ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغياً وحسداً (كذلك) أى مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى قبل النظر في معجزات الأنبياء وقبل تدبرها من غير إحصاف من أنفسهم ولكن نلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز أن يكون معنى ولما ياتهم تأويله ولم ياتهم بعد تأويل ما فيه من الأخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الأخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل أن يخبروا أخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (ومنهم من يؤمن به) يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ۞

وهذه الآية ناعية عليهم هذا الشرك الخفى لو سمعوا أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ۞ قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله (قال معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل الخ) قال أحمد وكان التكذيب قبل الإحاطة بعلمه بما يؤمهم عذراً ما للمكذب فجاءت كلمة لما مشعرة بأنهم قد أحاطوا بعلمه حتى تنحسم أعدارهم ويتحقق شقاؤهم والله أعلم

(قوله ورازوا قواهم) أى جربوها وخبروها أفاده الصحاح

وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُوا وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الْأَصْمَ
وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ۝ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
الْأَنَاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ الْأَنَاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانُوا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ
بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝ وَإِنَّمَا نُزِينُكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تُتَوَفَّنَا
فَالْيَتِيمَ مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ

ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أي ومهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين)
بالمعاندين أو المصرين (وإن كذبوك) وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم فبرأ منهم وخلصهم فقد أعذرت
كقوله تعالى فإن عصوك فقل إني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف (ومنهم من يستمعون إليك) معناه ومنهم ناس
يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة
الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ۝ ثم قال أنطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم
عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه درى الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعاً
فقد تم الأمر ۝ وأنحسب أنك تقدر على هداية العمى ولو انضم إلى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى
الذي له في قلبه بصيرة قد يحس ويتظن وأما العمى مع الحق فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا
كالصم والعمى الذين لا بصائر لهم ولا عقول وقوله (أفأنت ۝ أفأنت) دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا
الله عز وجل بالقرس والإلجاء كما لا يقدر على رد الأصم والأعمى المسلوب العقل حديدى السمع والبصر راجحى العقل
إلا هو وحده (إن الله لا يظلم الناس شيئاً) أي لا ينقصهم شيئاً مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال الكتب ۝ ولكنهم
يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين يعنى أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق
بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظللوا أنفسهم باقتراف ما كان سيافيه (الإساعة من النهار)
يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور ليهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا
إلا قليلاً وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم (فإن قلت) كأنهم لم يلبسوا ويتعارفون
كيف موقعهما (قلت) أما الأولى فحال من هم أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبس إلا ساعة وأما الثانية فإما أن تتعلق بالظرف
وإما أن تكون مبنية لقوله كأن لم يلبسوا إلا ساعة لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكراً (قد خسر) على
إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله تعالى على خسرتهم والمضى أنهم وضعوا في تجارتهم
وبيعهم الإيمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم
(فإلينا مرجعهم) جواب توفيتك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل وإمان نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو توفيتك
قبل أن نرينك فنحن نرينك في الآخرة ۝ (فإن قلت) الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فسامعنى ثم (قلت) ذكرت الشهادة
والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن أبي عمير ثم بالفتح أي هنالك
ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم
(ولكل أمة رسول) يعث اليهم لينبئهم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق (فإذا جاءهم) هم (رسولهم) بالبيئات فكذبوه

(قوله وإن تموا على تكذيبك) أي مضوا عليه ولم يرجعوا عنه أفاده الصحاح (قوله ويتظن) أي يعمل ظنه أفاده الصحاح
(قوله وضعوا في تجارتهم) في الصحاح وضع الرجل في تجارته وأوضع على ما لم يسم فاعله وضعاً فيهما أي خسر

لَا يَظْلُمُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ قُلْ إِرَاعِيكُمْ عَذَابَهُ يَوْمًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ۝ أَتُمْ إِذَا مَآوِعَ آمَنْتُمْ بِهِ ءَأَلْتُمْنِ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ

ولم يتبعوه (قضى بينهم) أى بين النبي ومكذبيه (بالفسط) بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا أول لكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق (متى هذا الوعد) استعجالا وادعوا من العذاب استبعادا له (لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو غنى (إلا ما شاء الله) استثناء منقطع (أى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب (لكل أمة أجل) يعنى أن عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان (إذا جاء) ذلك الوقت أنجز وعدم لاحالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم (بيانا) نصب على الظرف بمعنى وقت بيات (فإن قلت) هلا قيل ليلا أو نهارا (قلت) لأنه أريد إن أتاكم عذابه وقت بيات فينتكم وأتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبئت العدو المباغت والبيات بمعنى التبيت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله (نهارا) معناه في وقت أتم فيه مشغولون بطلب المعاش والسكسب ونحوه بيانا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في (منه) للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه من المذاق موجب للنفاس فأى شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أى شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب أن تكون من لليان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى (فإن قلت) بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط (قلت) تعلق بأرايتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه (فإن قلت) فهلا قيل ماذا تستعجلون منه (قلت) أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجماع لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فرعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمنى ثم تعلق الجملة بأرايتم وأن يكون (أتم) إذا ما وقع أتمت به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى إن أتاكم عذابه آمتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله أفأمن أهل القرى أو أمن أهل القرى (الآن) على إرادة القول أى قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمتم به (وقد كنتم به تستعجلون) يعنى وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ الآن بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمرة قبل الآن (ويستنبئونك) ويستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش ألحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه

• قوله تعالى قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بيانا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون (قال إن قلت هلا قيل ماذا تستعجلون منه الخ) قال أحمد وفي هذا النوع البليغ نكتان إحداهما وضع الظاهر مكان المضمرة والأخرى ذكر الظاهر بصيغة زائدة مناسبة للمصدر وكلاهما مستقل بوجه من البلاغة والمبالغة والله أعلم

(قوله أى شيء هول شديد) لعله أى شيء أتى هولا شديدا

إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لِحَقِّ مِمَّا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَآفِى الْأَرْضِ لَاقْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
الْندَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ الْآ إِنَّ لَهِ مَآفِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآ إِنَّ
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا
هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَأَلَّهُ أَذُنٌ

باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهر الحق لا الباطل أو هو الذى سميتوه الحق والضمير للعذاب الموعود و(أى) بمعنى نعم فى القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون فى التصديق أى يوصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ظلمت) صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة (مافى الأرض) أى مافى الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها (لاقتدت به) لجعلته فدية لها يقال فداء فاقدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداءه (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعابوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطبقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة فى القلوب كما ترى المقدم للصلب يشغنه مادهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينس بكلمة ويبقى جامدا مهوتا وقيل أسر رؤسائهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإمامن قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وبأخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره وليس هناك تجلد (وقضى بينهم) أى بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ۝ ثم أتبع ذلك ذكر الإعلام بأن له الملك كله وأنه المتيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يعتبر به المغترون (قد جاءكم موعظة) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبية على التوحيد (و) هو (شفاء) أى دواء (لمافى) صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق (ورحمة) لمن آمن به منكم ۝ أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالناء وهو الأصل والقياس وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه لتأخذوا مضاجعكم قائلها فى بعض الغزوات وفى قراءة أبى فافرحوا (وهو) راجع إلى ذلك ۝ وقرئ مما يجمعون بالياء والناء وعن أبى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا « قل بفضل الله وبرحمته » فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعده عليه (أرأيتم) أخبروني و(ما أنزل الله) مافى موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم فى معنى أخبروني (فجعلتم منه حراما وحلالا) أى أنزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقتلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (آله أذن لكم) متعلق بأرأيتم وقل تكرر للتوكيد والمعنى أخبروني آله أذن لكم فى التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تتكذبون على الله فى

(قوله لا ينس بكلمة) أى لا يتكلم أفاده الصحاح (قوله لتأخذوا مضاجعكم) لعل الرواية مصادفكم

لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ إِلَّا إِنْ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝

نسبة ذلك إليه ۝ ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أفترتون على الله تقريراً للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجراً يليغاً عن التجوز فيما يسئل عنه من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أتهم أمره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على لفظ الماضي لأنه كأن فكأر قد كان (إن الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه وما تكون في شأن ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في (منه) للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه أولئك بل كأنه قيل وما تلو من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل وما (تعملون) أتم جمعاً (من عمل) أي عمل كان (إلا كنا عليكم شهوداً) شاهدين رقباء نحصى عليكم (إذ تفيضون فيه) من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه (وما يعزب) قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاماً برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ مثقال ذرة فتحاً في موضع الجزأ لامتناع الصرف إشكالا لأن قولك لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل ۝ (فإن قلت) لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ «عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض» (قلت) حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لام ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم الذئبة (أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فهو توليهم إياه (لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فهو توليهم إياه وعن سعيد بن جبیر أن رسول الله ﷺ سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكركم الله برؤيتهم يعني السموات والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الإخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور ولأنهم لعل من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ الآية . الذين آمنوا نصب أو رفع على المدح أو على الوصف الأولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشري والبشري في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهب النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن

وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا
يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَايْت لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ
الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنْ

وعن أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن
وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا
بالجنة، وأما البشرى في الآخرة فتأتي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء
الصحائف بأيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات (لا تبديل لكلمات الله) لا تغير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده
كقوله تعالى ما يبدل القول لدى و (ذلك) إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين وكلنا الجلوتين اعتراض (ولا يحزنك)
وقرى ولا يحزنك من أحزنه (قولهم) تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبيرهلاك وإبطال أمرك وسائر ما يشكمون
به في شأنك (إن العزة لله) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالي لأحزن فقيل إن العزة لله جميعا أي إن الغلبة والقهر في ملكة الله
جميعاً لا يملك أحد شيئاً منها لاهم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرهم عليهم كتب الله لأغابنا أنا ورسلي إنا لننصر رسلاً وقرأ أبو حنيفة
أن العزة لله بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلاً من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو يخبر به لا ما أنكر من
القراءة به (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (من في السموات ومن
في الأرض) يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وإنما خصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي ملكته فهم عيب
كهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم الربوبية ولا أن يكون شريكاً له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن
لا يكون له نداً وشريكاً وليدل على أن من اتخذ غيره رباً من ملك أو إنسي فضلاً عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أدى
إليه التقايد وترك النظر ومعنى وما يتبعون شركاء أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله
في الربوبية محال (إن يتبعون إلا) ظنهم أنها شركاء (وإنهم إلا يخرضون) يحزرون ويقدررون أن تكون شركاء تقديراً
باطلاً ويجوز أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب يبدعون وعلى الأول
يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن تكون ما موصولة
معطوفة على من كأنه قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم وقرأ على بن أبي طالب رضي
الله عنه تدعون بالباء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أي وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة
والنبيين يعني أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أوائك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة
والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها أن يوحده بالعبادة بأنه جعل لهم الليل
مظلماً ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضياً يبصرون فيه مطلب أرزاقهم ومكاسبهم
(لقوم يسمعون) سماع معتبر مذكر (سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحقاء (هو الغني) علة لفي الولد
لأن ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفياً عنه كان الولد عنه منتفياً (له ما في السموات
وما في الأرض) فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولداً (إن عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول
والباء حقها أن تتعلق بقوله إن عندكم على أن يجعل القول مكاناً للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل إن عندكم
فيما تقولون سلطاناً (أتقولون على الله ما لا تعلمون) لما نفي عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان

الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي
بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ
وَلَا تَنْظُرُونَ ۝ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝

عنه لقائله فذاك جهل وليس يعلم (يفترون على الله الكذب) بإضافة الولد اليه (متاع في الدنيا) أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبه النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده (كبر عليكم) عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وإنا لكبيرة إلا على الخاشعين ويقال تعاظمه الأمر (مقامي) مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم مددا طويلا ألف سنة إلا خمسين عاما أو مقامي وتذكيري لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) من أجمع الأمر وأزمعه إذا نواه وعزم عليه قال هل أغدون يوما وأمرى بجمع والواو بمعنى مع يعني فأجمعوا أمركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول أضرب زيداً وعمرو وقرئ فأجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول أو لأن الواو بمعنى مع وفي قراءة أبي فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم (فإن قلت) كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء (قلت) على وجه النهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون (فإن قلت) ما معنى الأمرين أمرهم الذي يجمعونه وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة (قلت) أما الأمر الأول فالقصد إلى إهلاكه يعني فأجمعوا ما تريدون من إهلاكه واحتشدوا فيه وابدلوا وسعكم في كيدى وإنما قال ذلك إظهارا لقلته مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته إياه وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا وأما الثاني ففيه وجهان أحدهما أن يراد مصاحبتهن له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسبب غصة وحالككم عليكم غمة أي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني أن يراد به ما أريد بالأمر الأول والغمة السترة من غمه إذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله أي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم إلى إهلاكه مستورا عليكم ولكن مكشورا مشهورا تجاهروني به (ثم اقضوا إلي) ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدوا إلي قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكه كما يقضى الرجل غريمه (ولا تنظرون) ولا تهملوني وقرئ ثم اقضوا إلي بالفاء بمعنى ثم انتهوا إلى بشركم وقيل هو من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء أي أبحروا به إلى وأبرزوه لي (فإن توليتم) فإن أعرضتم عن تذكري ونصيحتي (فما سألتكم من أجر) فما كان عندي ما ينفركم عنى وتهملوني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظمتكم (إن أجرى إلا على الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا (وأمرت أن أكون من المسلمين) الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريدون ذلك مقتضى الإسلام والذي كل مسلم مأور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحتهم فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وإنما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير

(قوله أوقيامي ومكثي) لعله أو مقامي بالضم (قوله أو مقامي وتذكيري) لعل هذا أوقيامي
(قوله مستورا عليكم) لعله أراد ملتبسا فلذا قال عليكم كما أشار إليه النسفي

فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّكَ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنذِرِينَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ
كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مَجْرِمِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ قَالَ مُوسَىٰ
أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
وَتَكُونَ لَنَا كَبِيرًا ۝ فِي الْأَرْضِ وَمَا خُنَّ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ۝

(فكذبوه) فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك عند مشاركة الهلاك بالطوفان (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهاالكين بالغرق (كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (من بعده) من بعد نوح (رسلا إلى قومهم) يعني هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعياً (جاءهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما كان إيمانهم إلا امتعاً كالحال أشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه (بما كذبوا به من قبل) يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فارتفع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع المحكم نطبع (على قلوب المعتدين) والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به (من بعدهم) من بعد الرسل (بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها وتعظيمها عن قبلها (وكانوا قوماً مجرمين) كفاراً ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردّها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهرون (قالوا) لحبهم الشهوات (إن هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمزها وباطلا (فإن قلت) هم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا (قلت) فيه أوجه أن يكون معنى قوله (أتقولون للحق) أتعينونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تدعوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول المذكور في قوله سمعنا فتي يذكرهم ثم قال (أسحر هذا) فأنكر ما قالوه في عيبه والظعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم إن هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم إن هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلاح الساحرون حكاية لسكلامهم كأنهم قالوا اجتمعنا بالسحر اطلبان به الفلاح (ولا يفلاح الساحرون) كما قال موسى للسحرة ما جئتم به أسحر إن الله سيطلبه (لنلفتنا) لتصرفنا واللفت والقتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والافتال (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنون عبادة الأصنام (وتكون لنا الكبرياء) أى الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعباً في قوله ملكه ملك رافة ليس فيه ۝ جبروت منه ولا كبرياء

قوله تعالى قالوا إن هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلاح الساحرون (قال إن قلت هم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر الخ) قال أحمد وفي الفرق بين الوجهين غموض وإيضاحه أن القول على الوجه الأول وقع كناية عن العيب فلا يتقاضى مفعولاً وفي الثاني على أنه يطلب مفعولاً والله أعلم ۝ قوله تعالى

(قوله فتموا على تكذيبه) أى استمروا أفاده الصحاح

فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوَا مَا أَنْتُمْ مَلْقُونَ ۖ فَلَمَّا الْقَوَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۖ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۖ فَمَّا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ لِمَنْ

يتقى ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وإنما إن ملكا أرض مصر تجبر أو تكبراً كما قال القبطى لموسى عليه السلام إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض (وما نحن لك بماؤمنين) أى مضدّين لك كما فيما جئت به ۖ وقرئ يطع ويكون لك بالياء (ماجئتم به) ما موصولة واقعة مبتدأ و (السحر) خبر أى الذى جئتم به وهو السحر لا الذى سماه فرعون وقرمه سحر آمن آيات الله وقرئ السحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أى أى شىء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبى ماأنتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به (إن الله سيبتله) سيمحقه ويظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة (لا يصلاح عمل المفسدين) لا يثبت ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار (ويحق الله الحق) ويثبت (بكلماته) بأوامره وقضايه وقرئ بكلمته بأمره ومشيته (فما آمن لموسى) فى أول أمره (إلا ذرية من قومه) إلا طائفة من ذرارى بنى إسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته (فإن قلت)

« قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبتله » (قال ما موصولة مبتدأ والسحر خبر أى الذى جئتم به الخ) قال أحمد وليس المراد فى القراءة الأولى الإخبار بأن ما جاؤا به سحر خاصة ولكن مع تنزيه ما جاء به عن كونه سحراً وإنما استفاد ذلك بما فى هذا النظم الخصوص من إفادة الحصر ولو مرت بخاطر الإمام أبى المعالى فى مسألة تحريم التكبير لم يعدل عن الاستشهاد بها على إفادة هذا النظم الحصر فإننا نعلم أن موسى عليه السلام حيث أطلقه فإنما أراد إضافة السحر إلى ما جاؤا به محصوراً فيه حتى لا يتعدى إلى الحق الذى جاء به هو منه شىء وأما القراءة الثانية ففيها والله أعلم إرشاد إلى أن قول موسى عليه السلام أولاً أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا حكاية لقولهم ويكون أسحر هذا هو الذى قالوه ولا يناقض ذلك حكاية الله عنهم أنهم قالوا إن هذا لسحر مبين وذلك إما لأنهم قالوا الأمرين جميعاً بدؤوا بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق والاستهزاء بكونه حقاً والابتهزاء بالحق إنكار له بل قد يكون الاستفهام فى بعض المواطن أبت من الإخبار ألا ترى أنهم يقولون فى قوله أنت أم سالم أبلغ فى البت من قوله مخبراً أنت أم سالم ثم ثنوا بصيغة الخبر الخاصة ببت الإنكار ودعوى أنه سحر فقالوا إن هذا لسحر مبين فحكى الله تعالى عنهم هذا القول الثانى ووجههم موسى على قولهم الأول ومعنى العبارتين ومآلهما واجدو إما أن لا يكونوا قالوا سوى أسحر هذا على سبيل الإنكار حسماً تقدم فحكاها الله تعالى عنهم بما له لأنه يعلم أن مرادهم من الاستفهام الإنكار وبت القول أنه سحر وحكى موسى عليه السلام قولهم بلفظه ولم يؤده بعبارة أخرى وحكاية القصص المتلوة فى الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لا يحمل لها سوى أنها معان منقولة إلى اللغة العربية فيترجم عنها بالألفاظ المترادفة المتساوية المعانى وحاصل هذا البحث أن قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا إنما حكى فيه قولهم ويرشد إلى ذلك أنه كافهم عند ما أتوا بالسحر بمثل مقالهم مستفهماً فقال ما جئتم به أسحر على قراءة الاستفهام قرصاً بوفاء على السواء والذى يحقق لك أن الاستفهام والإخبار فى مثل هذا المعنى مؤداهما واحد أن الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام ما جئتم به السحر على الوجهين الخبر والاستفهام على ما اقتضته القراءتان وهو قول واحد دل على أن مؤدى الأمرين واحد ضرورة صدق الخبر وإنما حمل الزمخشري على تأويل القول بالتعريب أو إضمار مفعول تقولون استشكل وقوع الاستفهام محكياً بالقول والمحكى أولاً عنهم الخبر وقد أوضحنا أنه لا تناقض ولا تنافي بين الأمرين فشد بهذا الفصل عرى التمسك فإنه من دقائق النكت والله الموفق وقوله تعالى

المُسْرِفِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ۝ فَقَالُوا عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يَبُوتَا وَأَجْعَلُوا يُبُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ

إلام يرجع الضمير في قوله (وملئهم) (قلت) إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذوا أصحاب يأتمرون له ويجوز أن يرجع إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشرف بنى إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويبدل عليه قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم (ولأن فرعون لعال في الأرض) لغالب فيها قاهر (ولأنه إن المسرفين) في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية (إن كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعلية توكلوا) فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون ۝ ثم شرط في التوكل الإسلام وهو أن يسلبوا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لاحظ للشیطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام إن ضربك زيد فاضربه إن كانت بك قوة (فقالوا على الله توكلنا) إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لاجرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص (لا تجعلنا فتنة) موضع فتنتهم أي عذاب يعذبونا ويفتونا عن ديننا أو فتنتهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا ۝ تبوأ المكان اتخذهم مباءة كقولك توطئه إذا اتخذته وطناً والمعنى اجعلنا بمصر بيوتاً من بيوت مباءة لقومكم وأمرهم بالعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم) تلك (قبلة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهر وأعليهم فيؤذوهم ويفتوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة (فإن قلت) كيف نوع الخطاب فبي أولاً ثم جمع ثم وحد آخر (قلت) خطوب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوأ لقومهما بيوتاً ويختاراهما للعبادة وذلك بما يفوض إلى الأنبياء ثم سبق الخطاب عامهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيماً لها والمبشر بها ۝ الزينة ما يزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (فإن قلت) ما معنى قوله (ربنا ليضلوا عن سبيلك) (قلت) هو دعاء بلفظ الأمر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبياناته عرضاً مكرراً

وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وماله زينة وأمواالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك (قال قلت هو دعاء بلفظ الأمر الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الحق الذي هو أدق من ديب النمل يكاد الاطلاع عليه أن يكون كشفاً ووجه ذلك أنه علم أن الظاهر بل والباطن أن اللام للتعليل وأن الفعل منصوب بها ومعنى ذلك إخبار موسى عليه السلام بأن الله إنما أمدهم بالزينة والأموال وما يتبعهما من النعم استدراجاً ليزدادوا إثماً وضلالة كما أخبر تعالى عن أمثالهم بقوله إنما نمل لهم ليزدادوا إثماً وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل والرتخشي بنى على القاعدة الفاسدة في استحالة ذلك سلى الله تعالى لاعتقاده أن من الجور أن يملى لهم في الضلالة ويعاقبهم عليها فهو متبتل لما يرد من الآيات بعمل الحيلة في تأويلها وردّها إلى معتقده وجعلها تبعاله كما تقدم له تأويل قوله ليزدادوا إثماً وكأين من آية غراء رام أن يسترغرتها

(قوله بمصر بيوتاً من بيوته) لعل الضمير لمصر (قوله ويفتوهم) لعله ويفتوهم

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۚ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَجُوزَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ
الْفَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۚ ءَأَلْتُمْنِي وَقَدْ عَصَيْتُ

وردد عليهم النصائح والمواظظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرا وعلى الإنذار إلا استكبارا وعن النصيحة إلا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا النفي والضلال وأن إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لخالم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله إبليس وأخزي الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالتهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضللا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقوله الأب المشفق لولده الشاطر إذا ما لم يقبل منه حسرة على ما فاتته من قبول نصيحته وحردا عليه لأن يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء الذي هو اشد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سدا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي أنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى إن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته (فاستقيما) فائتبا على ما أتتا عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجية فقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف عام إلا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين يعلمون) أي لا تتبعنا طريق الجهلة بعبادة الله في تعليقه الأمور بالمصالح ولا تعجلا فإن العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لروح عليه السلام إن أعظك أن تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرهما لالتقاء الساكنين تشبيها بنون الثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرأ الحسن وجوزنا من أجاز المكان وجوزه وجاوزه وليس من جوز من الذي في بيت الأعشى وإذا يجوزها جبال قبيلة

لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بني إسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتنق (فاتبعهم) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الإيمان وأنه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف (آلآن) أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين أجمه الغرق

ويطفي نورها بأمثال هذه التأويلات الرديئة لفظا وعقدا ويأبى الله إلا أن يتم نوره ثم لا يسعه إلا أن يحمل موسى عليه السلام على أمثال هذه المعتقدات ولقد برأه الله وكان عند الله وجيها قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (قال معناه أتؤمن الساعة في وقت اضطرارك حين أدركك الغرق الخ) قال أحمد ولقد أنكر منكرا وغضب الله

(قوله وعن النصيحة) لعله وعلى (قوله يتسكعون) في الصحاح التسكع التماذي في الباطل (قوله وليكونوا ضللا) هذا على قراءة ليضلوا بفتح الياء والقراءة المشهورة ليضلوا بضمها وعبارة النسفي ليضلوا الناس عن طاعتك كوفي اه (قوله وحردا عليه) في الصحاح الحرد بالتحريك الغضب (وقرأ الحسن وعدوا) في الصحاح عدا عدوا وعدوا

قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ
آيَاتِنَا لَغَفُلُونَ ۝ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبَآئِلَ صَدُوقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمْ

يعنى حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدمسه في
فيه والملغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات
الباهتين لله وملائكته وفي جهالتان احدهما ان الايمان يصح بالقلب كما يمان الاخرس فقال البحر لا يمنع والآخرى
ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر (من المفسدين) من المضالين المضلين
عن الايمان كقوله الذين كفروا وصتوا عز سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروى ان جبريل عليه
السلام اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكاتب فرعون
فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماء ان يغرق في البحر فلما أجمه الغرق ناوله جبريل
خطه فعرفه (تنجيك) بالتشديد والتخفيف نبعدك عما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ
تنجيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء إلى الساحل كأنه
ثور (بيدك) في موضع الحال أى في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو بيدك كما ملاسويالم ينقص منه شئ ولم يتغير
أوعر يانا لست إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معد يكرب

أعاذل شكيتى بدنى وسبى ۝ وكل مقاص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بأبدانك وهو على وجهين إما أن يكون مثل قولهم هوى بأجرامه
يعنى بيدك كله واقيا بأجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهراً بينها (لمن خلقت آية) لمن ورائك من الناس علامة
وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأناً من أن يغرق . وروى أنهم قالوا امامات فرعون ولا يموت أبداً وقيل
أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطر حه كان على يمز من بنو إسرائيل حتى قيل لمن
خلقت وقيل لمن خلقت لمن يأتي بعدك من القرون ۝ ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهاتته وإن ما كان يدعيه
من الربوبية باطل محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره إلى ماترون لعصيانه ربه عز وجل فما الظن
بغيره أو لتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترأوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله ۝ وقرئ لمن
خلقت بالالف أى لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتميزك من بين
المغرقين اثلا يشته على الناس أمرك ولثلا يقولوا لادعائك العظمة إن مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر
عليها غيره وابعلموا أن ذلك تعمد منه لإمطة الشبهة في أمرك (مبوا صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (فما
اختلفوا) في دينهم وما تشعبوا فيه شعباً إلا من بعد ما قرؤوا النوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة
وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بنو إسرائيل وهم أهل الكتاب
اختلفهم في صفته ونعته وأنه هو أم ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب

ولملائكته كما يجب لهم والله الموفق

وعداء اه وقدمر في قوله تعالى فيسبوا الله عدوا (قوله من حال البحر فدمسه) أى طينه الأسود أفاده الصحاح وفي
الحديث قال جبريل يا محمد فلورأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدمسه في فيه كذا في الخازن
(قوله الباهتين لله) في الصحاح بهته إذا قال عليه ما لم يفعله

الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ
الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُونَ مِنَ الْخُسْرَيْنِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝
وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (فإن قلت) كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) مع قوله في الكفرة وإنهم لنى شك منه مريب (قلت) فرق عظيم بين قوله وإنهم لنى شك منه مريب بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فإن كنت في شك بمعنى الفرض والتخييل كأنه قيل فإن وقع لك شك مثلاً وخيل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً (فاسئل الذين يقرؤون الكتاب) والمعنى أن الله عز وجل قدّم ذكر نبي إسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأنّ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ريباً بالغ في ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضا تقديراً وسبيل من خالجه شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإمطائها إتماماً بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلتها وإتماماً بقادحة العلماء المنهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وقتلها علماء بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلة لهم فضلاً عن غيرك فالغرض وصف الأخبار بالسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال (لقد جاءك الحق من ربك) أي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للريبة (فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) أي فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء الريبة عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التيسير والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لأشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس رضى الله عنه لا والله ما شك طرفة عين ولا سألت أحداً منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب أمته ومعناه فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً وقيل الخطاب للسامع بمن يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن وقيل إن للنبي أي فما كنت في شك فاسأل يعني لا تأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقيناً كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى وقرئ فاسئل الذين يقرؤون الكتاب (حققت عليهم كلمة ربك) ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك (فلولا كانت) فهلا كانت (قرية) واحدة من القرى التي أهلكتناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بنخسته لم يضعها إيمانها) بأن يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ أبي وعبد الله فهلا كانت (إلا قوم يونس) استثناء من القرى لأن المراد أهلها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلاً والجملة في معنى النبي

قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك (قال إن قلت كيف قال له عليه السلام فإن كنت في شك مع قوله في الكفرة وإنهم لنى شك منه مريب الخ) قال أحمد ولو قال هذا المفسر إن نبي الشك عنه عليه الصلاة والسلام توطئة لأمره بالسؤال لتقوم حجته على المسؤولين لا يستفيد بسؤالهم علماء يزيد تعيين الإبرله بقوله له قل لمن نافي السموات والأرض قل لله فأمر بالسؤال والجواب جميعاً لكان أقوم وأسلم

(قوله لا كتابة مقدر ومراد) مبنى على مذهب المعتزلة أن الله لا يريد الشر وذهب أهل السنة إلى أنه تعالى يريد كل ما كان خيراً

لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتِ وَالنَّذْرَ عَنِ

كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روى عن الجرمي والكسائي روى أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آتينا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غما أسودها ثلاثا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم قلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فخن بعضها على بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فماترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي يحي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل أفعالنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (ولو شاء ربك) مشيئة القسر والإلجام (لآمن من في الأرض كلهم) على وجه الإحاطة والشمول (جميعا) مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه ألا ترى إلى قوله (أفأنت تكره الناس) يعني إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت وإبلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه وإنما الشأن في المكروه من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر (وما كان لنفس) يعني من النفوس التي علم أنها تؤمن (إلا بإذن الله) أي بتسميئه وهو منح اللطاف (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) قابل الإذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم إيمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون وسمى الخذلان جسا وهو العذاب لأنه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون (ماذا في السموات

والله أعلمه قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا (قال المراد مشيئة القسر والإلجام) قال أحد وهذا من دسه الاعتزال مخلصا وخلط الباطل بالحق مدلسا ولمساءلم أن الآية تقتضي عدم مشيئة الله تعالى لإيمان الخلق بصيغة الكلية وأنه إنما شاء ذلك من آمن لا من كفر إذ مقتضى لولا امتناع وكان ذلك راد لمعتقده الفاسد إذ يزعمون أن الله تعالى شاء الإيمان من جميع أهل الأرض فلم يؤمن إلا بعضهم أخذ بحرف مشيئة الإيمان إلى مشيئة القسر والإلجام ليم له أن المشيئة المرادة في الآية لم تقع إلا أنا نوافقه على أن الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب اختيارهم بل أمرهم بالإيمان وخلق لهم اختيارا له وقصدا وهذا كما ترى لا يعد في التأويل بل هو أجدر بالتعطيل فوجب رده وإقرار الظاهر على حاله فعوذ بالله من زبغ الشيطان وإضلاله والله الموفق

كان أوشرا (قوله وعجوا أربعين ليلة) أي رفعوا أصواتهم أفاده الصحاح (قوله وعلت الأصوات والعجيج) هو رفع الصوت أفاده الصحاح (قوله مشيئة القسر) هذا مذهب المعتزلة وذلك أنهم أوجبوا على الله الصلاح والأصلح وإيمان الكل أصح لكن الآية تخالف مذهبهم فقالوا إنه تعالى أراد إيمان الكل إرادة تخيير للعباد فلم يلزم وقوع المراد ولو أراد إرادة إجبار لوقع وأهل السنة لم يوجبوا على الله شيئا ولزوم وقوع المراد لا ينافي تخيير العباد لما لهم من الكسب في أفعالهم الاختيارية وإن كان فاعلمها في الحقيقة هو الله كما تقرر في التوحيد (قوله وهو الخذلان) تأويل الرجس بالخذلان

قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۝
 ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي
 فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝
 وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ
 فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ

والأرض) من آيات والعبر (وما تعنى الآيات والنذر) والرسل المندرون أو الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع
 إيمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يعنى بالياء وما نافية أو استفهامية (أيام الذين خلوا من قبلهم) وقائع الله تعالى فيهم
 كما يقال أيام العرب لوقائعها (ثم تنجى رسلنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم
 كأه قيل نهلك الأمم ثم تنجى رسلنا على حكاية الأحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم ۝ كذلك تنجى المؤمنين
 مثل ذلك الإنجاء تنجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين و (حقاً علينا) اعتراض يعنى حق ذلك علينا حقاً وقرئ تنجى
 بالتشديد (يا أيها الناس) يا أهل مكة (إن كنتم في شك من ديني) وصحته وسداداه فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على
 عقولكم وانظروا فيه بعين الإنصاف لتعلموا أنه دين لا مدخل فيه للشك وهو أنى لأعبد الحجارة التي تعبدونها من دون
 من هو إلهكم وخالقكم (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) وإنما وصفه بالتوفى ليريبهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى فيعبد
 دون ما لا يقدر على شيء (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعنى أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحى
 إلى في كتابه وقيل معناه إن كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أثبت عليه أم أتركه وأوافقكم فلا تخدثوا أنفسكم بالحال
 ولا تشكوا في أمرى واقطعوا عنى أطعامكم واعلموا أنى لأعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى
 كقوله قل يا أيها الكافرون لأعبد ما تعبدون أمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن
 يكون من الحذف المطرد الذى هو حذف الحروف الجارة مع إن وأن وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله
 أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر ۝ (فإن قلت) عطف قوله (وأن أقم) على أن أكون فيه إشكال لأن أن لا تخلو من
 أن تكون التي للعبارة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح أن تكون للعبارة وإن كان الأمر مما يتضمن
 معنى القول لأن عطفها على الموصولة بأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الأولى لا يساعد عليه لفظ الأمر وهو أقم
 لأن الصلة حتمها أن تكون جملة تحتل الصدق والكذب (قلت) قد سوغ سيوبه أن توصل أن بالأمر والنهى وشبه
 ذلك بقولهم أنت الذى تفعل على الخطاب لأن الغرض وصلها بما تكون معه فى معنى المصدر والأمر والنهى دالان
 على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال أقم وجهك استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا و (حنيفاً) حال من الدين أو من
 الوجه (فإن فعلت) معناه فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكفى عنه بالفعل إيجازاً (فإنك إذا من
 الظالمين) إذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم
 أعظم من الشرك إن الشرك لظلم عظيم ۝ أتبع النهى عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله عز وجل
 هو الصانع النافع الذى إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجناد الذى لا شعور به وكذلك
 إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريدك من فضله وإحسانه فكيف بالأوثان فهو الحقيق إذاً بأن توجه إليه العبادة دونها وهو
 أبلغ من قوله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته (فإن قلت) لم ذكر المس في

لَفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ
فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ
إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝

سورة هود مكية

إلا الآيات ۱۲ و ۱۷ و ۱۱۴ فمدنية وآياتها ۱۲۳ نزلت بعد سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ نَكْتُبْ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَا تَعْبُدُونَ

أحدهما والإرادة في الثاني (قلت) كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعاً الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير
وأنه لا أراد لما يريد منهما ولا مزبل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة
في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله تعالى (يصيب به من يشاء من عباده) والمراد
بالمشيئة مشيئة المصلحة (قد جاءكم الحق) فلم يبق لكم غدر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فنافع باختياره
لأنفسه ومن آثر الضلال فما ضر إلا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل إليهم الأمر بعد إبانة الحق
وإزاحة العلل وفيه حث على إثبات الهدى وإطراح الضلال مع ذلك (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول إلى أمركم وحملكم
على ما أريد إنما أنا بشير ونذير (واصبر) على دعوتهم واحتمال أذاهم وإعراضهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم
والغلبة وروى أنها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال إنكم ستجدون بعدى أثره فاصبروا حتى
تلقوني يعني أنى أمرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا أتم على ما يسومكم الأمراء الجورة
قال أنس فلم نصبر وروى أن أبا قتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار ثم دخل عليه من بعد
فقال له مالك لم تلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب أهلك يوم بدر وقد قال
صلى الله عليه وسلم يامعشر الأنصار إنكم ستلقون بعدى أثره قال معاوية فاذا قال؟ قال: قال فاصبروا حتى تلقوني قال
فاصبر قال إذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

إلا أبلغ معاوية بن حرب ۝ أمير الظالمين لنا كلامي ۝ بأنا صابرون فنظروكم ۝ إلى يوم التغابن والخصام
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وندب
به وبعدد من غرق مع فرعون

﴿سورة هود عليه السلام﴾

﴿مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (أحكمت آياته) نظمت نظار صينا محكماً لا يقع فيه نقض ولا خال كالبناء المحكم المرصف
ويجوز أن يكون نقلاً بالهمزة من حكم بضم الكاف إذا صار حكماً أى جعلت حكمة كقوله تعالى آيات الكتاب
الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجساح قال جرير
أبى حنيفة أحكموا سفهاءكم ۝ إني أخاف عليكم أن أغضبا

وعن قتادة أحكمت من الباطل (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص

إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۚ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۚ إِلَىٰ اللَّهُ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ إِلَّا إِلَهُم يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ إِلَّا حِينَ يَسْتَغْشَوْنَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

أوجعلت فصولا سورة سورة وآية آية أوفرت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد أي بين ولخص وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أي أحكمتها أنا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل (فإن قلت) ما معنى ثم (قلت) ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الأحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل وكتاب خير مبتدأ محذوف وأحكمت صفة له وقوله (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت أي من عنده إحكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور (الأتعبدوا) مفعول له على معنى لثلاثا تعبداً أو تكون أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبداً إلا الله أو أمركم أن لا تعبداً إلا الله (وأن استغفروا) أي أمركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة وبدل عليه قوله إنني لكم منه نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله إنني لكم منه نذير كقوله تعالى ف ضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل أي اني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله أو هي صلة لنذير أي أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم وأبشركم بثوابه إن آمنتم (فإن قلت) ما معنى ثم في قوله (ثم توبوا إليه) (قلت) معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة أو استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا (يتمتعكم) يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عشية واسعة ونعمة متتابعة (إلى أجل مسمى) إلى أن يتوفاكم كقوله فلنجينه حياة طيبة (ويؤت كل ذي فضل فضله) ويهبط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا ينخس منه أو فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات (وإن تولوا) وإن تولوا (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل ۚ وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء فكان قادراً على أشد ما أراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وإن تولوا من ولي (يثنون صدورهم) يزورون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدرة ومن ازور عنه وانحرف ثني عنه صدره وطوى عنه كشحه (ليستخفوا منه) يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير إضمار يريدون لقود المعنى إلى إضماره الإضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفاق معناه ف ضرب فانفاق ومعنى (الآحين يستغشون ثيابهم) ويزيدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضاً كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم (ما يسرون وما يعلنون) يعني أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافي عنه روى أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطلق حلو وحسن سياق للحدث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجالسته ومجادته وهو يضمخلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين ۚ وقرئ ثنوني صدورهم واثنوني أفعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالناء والياء وعن ابن عباس

(قوله لقود المعنى) أي لتأدية المعنى (قوله ويزيدون الاستخفاء) الظاهر أن هذا هو الخبر عن قوله ومعنى الآحين الخ كما قال أولاً

سورة هود
 إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝

لنثوني وقرئ نثون وأصله نثون تفوعل من الثن وهو ما هس وضعف من الكلا يريد مطاوعة صدورهم للثنى كما ينثى الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم وقرئ نثن من اثنان افعال منه ثم هز كما قيل اياضت وادهامت وقرئ نثوى بوزن ترعوى (فإن قلت) كيف قال (على الله رزقها) بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل (قلت) هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كندور العباد والمستقر مكانه من الأرض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبین (وكان عرشه على الماء) أى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض وارتفاعه فوقها إلا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض وقيل وكان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيفاً كان فالله يمسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت أحوج إليه وإلى إمساكه (ليبلوكم) متعلق بخلق أى خلقهون لحكمة بالغة وهى أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفضول النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصى فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبلى لأحوالكم كيف تعملون (فإن قلت) كيف جاز تعليق فعل البلوى (قلت) لما فى الاختبار من معنى العلم لأنه طريق إليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجهاً واسمع أيهم أحسن صوتاً لأن النظر والاستماع من طرق العلم (فإن قلت) كيف قيل (أيكم أحسن عملاً) وأعمال المؤمنين هى التى تتفاوت إلى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها إلى حسن وقبيح (قلت) الذين هم أحسن عملاً هم المتقون وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصم بالذكر وأطرح ذكر من وراءهم تشریفاً لهم وتنبهاً على مكانهم منه وليكون ذلك لطفاً للسامعين وترغيباً فى حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله قرئ واثن قلت أنكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه أن يكون من قولهم ائت السوق عنك تشتري لنا لحماً وأنت تشتري بمعنى علك أى واثن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بإنكاره لقالوا (إن هذا إلا سحر مبین) باتين القول بطلانه ويجوز أن تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم إن هذا إلا سحر مبین أن السحر أمر باطل وأن بطلانه كبطلان السحر تشبيهاً له به

﴿القول فى سورة هود عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها (قال إن قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب الخ) قال أحمد كل ما يسديه الله تعالى من رزق نهيمة أو مكلف فى الدنيا أو ثواب فى الآخرة فذلك كله فضل ولا واجب على الله تعالى وإن ورد مثل هذه الصيغة فمحمول على أن الله عز وجل لما وعدهم فضله ووعدده خبر وخبره صدق ووجب وقوع الموعد أى يستحيل فى العقل أن لا يقع لزوم الخلف فى خبر الصادق فعبر عن ذلك بما يعبر به عن وجوب التكليف وبينهما هذا الفرق المذكور هذه قاعدة أهل الحق وقدم الكلام عليها عند قوله تعالى إنما التوبة على الله والله الموفق

يعنى ويريدون (قوله من الثن) فى الصحاح الثن بالكسر بيس الحشيش (قوله أو بيضة كل) لعله كل أى كل واحد (قوله وقيل وكان الماء) لعله كان بدون واو ويمكن أن المعنى كان عرشه على الماء وكان الماء

وَلَمَّا أَخْرَجْنَا عَنْهَا الْعَذَابَ إِلَىٰ آتَمَةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّقَوْلِنَا مَا يَحْبِسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ وَأَنزَلْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ ۙ وَأَنزَلْنَا
نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسْتَهْلِكَةٍ لِّقَوْلِنَا ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ۙ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۙ فَلَمَّا تَرَاكَ تَارِكًا بَدُضًا مَّيُوحِي إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۙ أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْهُ قُلْ فَاتُوا

أو أشاروا بهذا القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره
وقرئ إن هذا إلا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (العذاب) عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس
قل جبريل المستهزئين (إلى آتمة) إلى جماعة من الأوقات (ما يحبسها) ما يمنعها من النزول استعجالاً له على وجه التكذيب
والاستهزاء و (يوم يأتيهم) منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك أنه إذا جاز تقديم
معمول خبرها عليها كان ذلك دليلاً على جواز تقديم خبرها إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع العامل
(وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا يستهزئون) العذاب الذي كانوا به يستعجلون وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون
لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحقيق بهم إلا أنه جاء على عادة الله في إخباره (الإنسان) للجنس (رحمة)
نعمة من صحة وأمن وجدة (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة (إنه ليؤس) شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك
النعمة المسلوقة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع (كفور) عظيم الكفران
لما سلفه من القلب في نعمة الله نساءه (ذهب السيئات عنى) أى المصائب التى ساءتنى (إنه لفرح) أشربطر (فخور)
على الناس بما أذقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (إلا الذين) آمنوا فإن عادتهم إن نالهم رحمة أن
يشكروا وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا ۙ كانوا يقترحون عليه آيات نعمتنا لاسترشادنا لأنهم لو كانوا مسترشدين
لكانت آية واحدة بما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون
بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى إليهم
ما لا يقبلونه ويضحكون منه فترك الله منه وهججه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزأ بهم واقتراحهم بقوله (فلملك
تارك بعض ما يوحى إليك) أى لمالك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وضائق به صدرك)
بأن تلوه عليهم (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) أى هل أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة
ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال (إنما أنت نذير) أى ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى إليك وتبلغهم ما أمرت
بتبليغه ولا عليك ردوا أو تتهاونوا أو اقترحوا (والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل
فتوكل عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم
واستهزأهم (فإن قلت) لم عدل عن ضيق إلى ضائق (قلت) ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرأ ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت
الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السهمى العكلى
بنزلة أما اللثيم فسامن ۙ بها وكرام الناس بادشجوبها

(قوله أو أشاروا بهذا) لعله وأشاروا

سورة هود
 بعشر سور مثله مفتريت وأدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صدقين ه فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا
 إنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ه من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم
 أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ه أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وبطل
 ما كانوا يعملون ه أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتب موسى إماما ورحمة أولئك

(أم) منقطعة ه والضمير في (افتراه) لما يوحى إليك ه تحدهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخبر في الخط
 لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد
 (مثله) بمعنى أمثاله ذهابا إلى مماثلة كل واحدة منه (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واخترته من
 عند نفسك وليس من عند الله قاردهم على دعواهم وأرخی معهم العنان وقال هبوا أنى اخترته من عند نفسي ولم يوح
 إلى وأن الأمر كما تم فأنوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما أقد
 عليه من الكلام (فإن قلت) كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى (قلت) معناه مثله
 في حسن البيان والنظم وإن كان مفترى (فإن قلت) ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله
 قل (قلت) معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال
 في موضع آخر فإن لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله
 ه فإن شئت حرمت النساء سواكم ه ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب للشركيين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فإن
 لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لهم بالعجز عنه وأن طاعتهم أقصر من أن تبلغه (فاعلموا
 إنما أنزل بعلم الله) أى أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وأخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه (و) اعلموا عند ذلك
 (أن لا إله إلا) الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة
 وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فعناه فائتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على أنه
 منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون (نوف إليهم) نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة
 من غير بخش في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم أهل الرياء يقال للقرء منهم أردت أن يقال فلان قارئ
 فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وأصدق فعلمت حتى يقال فقيل ولمن قائل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرى فقد قيل وعن أنس
 ابن مالك هم اليهود والنصارى إن أعطوا أسائلا أو وصلوا رحما جعل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين
 جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على أن الفعل لله عز وجل
 ونوف إليهم أعمالهم بالتاء على البناء للفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالانخفيف وإثبات الياء لأن الشرط وقع ماضيا كقوله
 ه يقول لا غائب مالي ولا حرم ه (وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنعهم يعني لم يكن له ثواب
 لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد نوفي إليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى كان عملهم في نفسه
 باطلا لأنه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان
 أن تكون ما إبهامية وينصب يعملون ومعناه وباطلا أى باطل كانوا يعملون وأن تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا
 ما كانوا يعملون (أفمن كان على بينة) معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة أى لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم

(قوله قاردهم على دعواهم) ضمن معنى واقفهم وسائرهم

(قوله فن كان على بينة) عبارة النسفي كن كان وعبارة الخازن أفمن كان على بينة من ربه أى كن كان يريد الخ

يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ ۝ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانْ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِّفْ لَهُمْ
الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

يريد أن بين الفريقين تفاوتاً بعيداً وتبايناً بيناً وأراد بهم من آمن من اليهود كعبدالله بن سلام وغيره كان على بينة (من ربه) أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان (شاهد منه) أي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو شاهد من القرآن فتمت تقدم ذكره آنفاً (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضاً من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على أن القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد من كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة (إماماً) كتاباً مؤتمناً به في الدين قدوة فيه (رحمة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم (أولئك) يعني من كان على بينة (يؤمنون به) يؤمنون بالقرآن (ومن يكفر به من الأحزاب) يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ ربة بالضم وهما الشك) منه من القرآن أو من الموعود (يعرضون على ربهم) يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم ويشهد عليهم (الأشهاد) من الملائكة والنبين بأسم الكذابين على الله بأنه اتخذ ولداً وشريكاً ويقال (ألا لعنة الله على الظالمين) فواخزيه ووافضحتاه والأشهاد جمع شاهد أو شهيد كأصحاب أو أشراف (ويبغونها عوجاً) يصفونها بالعوج وهو مستقيمة أو يبغونها أهلها أن يعوجوا بالارتداد ۝ وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) أي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولا كنهه أراد أنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد (يضاعف لهم العذاب) وقرئ يضاعف (ما كانوا يستطيعون السمع) أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكرهتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوئب إذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل كأنهم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا أستطيع

قوله تعالى « يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » (قال أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكرهتهم له كأنهم الخ) قال أحمد أهل الحق وإن نفوا تأثير استطاعة العبد وخاضوا الخالق لقدرة الخالق عز وجل فلا ينفون استطاعة العبد نفسها ولا ما يجده من نفسه من الفرق حالة الحركات القسرية والاختيارية وإنما الذي ينفى الاستطاعة جملة هم المجبرة حقيقة لأهل السنة والحق مع الزحشري في هذا الموضوع إلا في غفلته حيث يقول فيوعوع

(قوله ولعل بعض المجبرة) إن كان مراده بهم أهل السنة كعادته فهم لا يسلبون عن العبد الاستطاعة في الفعل بل يثبتون له الكسب والاستطاعة مع الفعل وإن كان مراده القائلين بالجبر المحض وأن العبد كالريشة المعلقة في الهواء فلا ضير ونقل الخازن عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال أخبر الله تعالى أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فإنه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهو طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فإنه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم (قوله فيوعوع به) في الصحاح الوعوع صوت الذئب

يَفْتَرُونَ ۚ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۗ هُمُ الْآخِسُونَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبْتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۗ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۗ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۗ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمِ إِلْيَمٍ ۗ فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ إِلَّا نَجْمًا مِنَ السَّمَاءِ
سَاقِطًا ۗ أَمْ لَمْ يَكُن لَكُمْ بَصِيرَةٌ أَن يَنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن سَمَاءٍ مَّوَدَّةً مِّن لَّدُنَّا ۗ بَلْ كَذَّبْتُم بِآيَاتِنَا كَذَّابًا عَسِيفًا ۗ

أن أسعده وهذا مما يمجح سمعى ويحتمل أن يريد بقوله وما كان لهم من أولياء أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله
وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من أولياء ثم بين نفي كونهم أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد (خسروا أنفسهم) اشتروا عبادة
الآلهة بعبادة الله فكان خسراهم في تجارتهم ما لا خسرا من أعظم منه وهو أنهم خسروا أنفسهم (وضل عنهم) وبطل
عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لاجرم) فسر في مكان آخر (هم الآخسرون)
لا ترى أحداً أبين خسرانا منهم (وأخبتوا إلى ربهم) واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت
وهى الأرض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الذي الخبيث قال : ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث
وقيل التاء فيه بدل من التاء ۗ شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف
والطباق وفيه معنيان أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والغباب وأن يشبه بالذى
جمع بين العمى والسمم أو الذى جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو فى والأصم وفى والسميع لعطف الصفة
على الصفة كقوله ۗ الصابح فالغائم فالآيب ۗ (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيهاً ۗ أى أرسلنا نوحاً بأنى لكم
نذير ومعناه أرسلناه ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله (إنى لكم نذير مبين) بالكسر فلما اتصل به الجاز فتح كافتح فى كأن
والمعنى على الكسر وهو قولك إن زيدا كالأسد وقرئ بالكسر على إرادة القول (أن لا تعبدوا) بدل من إنى لكم نذير
أى أرسلناه بأن لا تعبدوا (إلا الله) أو تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير ۗ وصف اليوم باليم من الإسناد المجازى
ارفع الالم فيه (فإن قلت) فإذا وصف به العذاب (قلت) مجازى مثله لأن الالم فى الحقيقة هو المعبذ ونظيرهما قولك نهارك
صائم وجدجده (الملائ) الأشراف من قولهم فلان ملىء بكذا إذا كان مطيقاً له رقدملوا بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور
واضطلعوا بها وتديرها أولانهم يتماوتون أى يظهرون ويتساندون أولانهم يملؤن القلوب هيبه والمجالس أهبة أولانهم

بها على أهل العدل يعنى الآية المذكورة وهذه سقطة عظيمة وهب أن المجر غلط فى الاستدلال بالآية على معتقده فكيف
يستجيز أن يطلق على إرادته الآية وعوذة وإماتلا كتاب الله تعالى غير أن خطاه فى تصحيح معتقده الباطل به وما الزمخشرى
إلا يتساح كثيراً فيما يجب من الآداب للكتاب العزيز وإنما يليق التساح إذا كان يفسر شعرا مرئ القيس أو الحارث بن حلزة
وأما أدب القرآن فيضيق عن أسهل من ذلك والله الموفق ۗ قوله تعالى ۗ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون ۗ (قال محمود شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع
إلى قوله أن تكون الواو الخ) قلل أحمد بخلافها على الوجه الأول فإنها لعطف الموصوف على الموصوف وأما تنظيره الآية
بتشبيه امرئ القيس فى كونه شبه تشبيهين اثنين فقيه نظر فإن امرأ القيس شبه كل واحد من الرطب واليابس تشبيهاً
واحداً والآية على التفسير الأول شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين وإنما ينظر بيت امرئ القيس على الوجه الثانى
فإن مقتضاه أن كل واحد منهما شبه تشبيهاً واحداً ولكن فى صفتين متعدتين والامر فى ذلك قريب والله أعلم ۗ قوله تعالى

(قوله أو الذى جمع بين البصر والسمع) لعله والذى (قوله والمجالس أهبة) كسكرة عظيمة

هُم أَرَادْنَا بِأَدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۝ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّي وَعَآتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا مُكْرَاهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاثِرُونَ ۝ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَى كَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝

ملاء بالأحلام والآراء الصائبة (مانراك لإبشراً مثلنا) تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أذك واحد من الملأ ومواز لهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى إلى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل أو أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكاً لإبشراً ۝ والأرادل جمع الأردل كقوله أكابرجر ميا أحاسنكم أخلاقاً قرئ بادی الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك أول الرأي أو ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم حذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك إنما هوشى عن لهم بديهة من غير روية ونظر وإنما استردلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالاً ما كانوا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال كاترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقدزل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحداً من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلاً أن يجعله سبياً في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على أن الأنبياء عليهم السلام بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصجرين لشأنها وشأن من أخذ اليها فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله (من فضل) من زيادة شرف علينا توهل لكم للنبوة (بل نظنكم كاذبين) فيما تدهونه (أرأيتم) أخبروني (إن كنت على بينة) على برهان (من ربى) وشاهد منه يشهد بصحة دعواى (وآتاني رحمة من عنده) بإيتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة (فإن قلت) فقوله (فعميت) ظاهر على الوجه الأول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فدميتا (قلت) الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفي قراءة أبي فعمهاها عليكم (فإن قلت) فما حقيقته (قلت) حقيقته أن الحججة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهديكم كما لو عمى على الفوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد (فإن قلت) فما معنى قراءة أبي (قلت) المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها بخلافهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية أعمية منه والدليل عليه قوله (أنزلنا مكرهاً وأنتم لها كارهون) يعنى أنكروهم على قبولها ونفسركم على الاهتداء بها وأنتم تكروهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين وقد جرى بضميرى المفعولين متصلين جميعاً ويجوز أن يكون الثانى منفصلاً كقولك أنزلناكم إياها ونحوه فسيفيكفكم الله ويجوز فسيفيكفكم إياهم وحكى عن أبى عمرو إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظها الراوى سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر ۝ والضمير في قوله (لا أسئلكم عليه) راجع إلى قوله لهم إنى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله ۝

وقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك لإبشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادی الرأي ۝ (قال محمود هو تعريض بأنهم كانوا أحق منه بالنبوة الخ) قال أحمد ويحتمل في الوجهين أن يكون المراد أول الرأي ولكنه ترك الهمز استئقلاً إلا أن يكون القارئ بها ياء ليس من مذهبه تسهيل الهمز والمعنيان متقاربان وقد زعم هؤلاء أن يحجروا نوحاً بمن اتبعه من وجهين أحدهما أن المتبعين أراذل ليسوا قدوة ولا أسوة والثانى أنهم مع ذلك لم يترووا في اتباعه ولا أمعنوا الفكرة في صحة ما جاء به وإنما بادروا إلى ذلك من غير فكرة ولا روية وغرض هؤلاء أن لا يقوم عليهم حجة بأن منهم من صدقه وآمن به والله أعلم

(قوله بخلافهم الله) لم يفسره بمعنى أخفهاها لأن الله لا يفعل الشر عند المعتزلة وعند أهل السنة يفعل كل ممكن

وَيَقَوْمٍ مِّنْ يَّبْصُرِنِي مَنَ اللَّهُ إِن طَرَدْتَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ
 الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ إِن يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي
 إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ قَالُوا يَسُوعُ قَدْ جَدَلْنَا فَا كَثُرَتْ جَدَلْنَا فَأَتْنَا بِمَا تَعَدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝
 قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِن أَرَدْتَ أَن أَنْصَحَ لَكُمْ إِن
 كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتَهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا

وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الأصل (فإن قلت) ما معنى قوله (إنهم ملاقوا ربهم) (قلت) - معناه أنهم
 يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما عرف
 غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما على أن أشق
 عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أو هم
 مصدقون ببقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة (تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله
 ألا لا يجهان أحد علينا ۝ أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم (من ينصرتني من الله) من يمنعني من انتقامه (إن طردتهم)
 وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أففة من أن يكونوا معهم على سواء (أعلم الغيب) معطوف على عندي خزائن
 الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلا عليكم في الغنى
 حتى تبهجوا وفضل بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على
 ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم (ولا أقول إنى ملك) حتى تقولوا إلى ما أنت إلا بشر مثلنا ۝ ولا أحكم على من استرذلتهم من المؤمنين
 لفرهم أن الله (إن يؤتيهم خيرا) في الدنيا والآخرة طوائفهم عايبه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم (إنى إذا المان الظالمين)
 إن قلت شيئا من ذلك ۝ والازدراء أفعال من زرى عليه إذا عابه وأزرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه (جادلتنا
 فأكثر جدالنا) معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد فلان فأكثر وأطاب (فأتنا بما تعدنا) من
 العذاب المعجل (إنما يأتىكم به الله) أي ليس الإتيان بالعذاب إلى إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه (إن شاء) يعني إن
 اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضى الله عنه فأكثر جدلنا ۝ (فإن قلت) ما وجه ترادف هذين الشرطين
 (قلت) قوله (إن كان الله يريد أن يغويكم) جزاؤه مادلّ عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم مادلّ عليه فوصل
 بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك إن أحسنت إليك إن أمكنتني (فإن قلت) فما معنى قوله إن كان الله
 يريد أن يغويكم (قلت) إذا عرف الله من الكافر الإصرار بخلافه وشأنه ولم ياجته سعى ذلك إغواء وإضلالا كما أنه إذا

قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم (قال إن قلت ما وجه ترادف
 هذين الشرطين الخ) قال أحمد ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل أنت طالق إن شربت إن أكلت وهي
 المترجمة بمسئلة اعتراض الشرط على الشرط والمنقول عن الشافعية أنها إن شربت ثم أكلت لم يحنث وإن أكلت ثم شربت
 حنث وهذا الفرق مبناه على جعل الجزاء للشرط الآخر أي للذي يليه ثم جعلها معا جزاء للشرط المتوسط ولذلك سر
 في العربية لا تطول بذكره وعليه أعرب الزمخشري هذه الآية كما رأيت والله أعلم

(قوله ذلك مما تعرفونهم به أي ترمونهم وتعيبونهم أفاده الصحاح (قوله فإن قلت فما معنى) السؤال وجوابه مبنى
 على مذهب المعتزلة إن الله لا يخلق الشر أماعلى مذهب أهل السنة فالإغواء على ظاهره خلق الغنى أي الضلال في القلب

بَرِيءٌ مِّمَّا يَكْفُرُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ۝ وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ۝ وَيَصْنَعِ الْفُلَ وَكَلَّمَا
مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ

عرف منه أنه يتوب ويرعوى فلفظ به سعى إرشاداً وهداية وقيل أن يغوبكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا
بشم فهلك ومعناه أنكم إذا كنتم من النصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطائفة كيف
ينفعكم نصحي (فعلى إجرامى) وإجرامى بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم أسرارهم وأسرارهم ونحو جرم وأجرام
قفل وأقفال وينصر الجمع أن فسره الأولون بآثامى والمعنى إن صح وثبت أنى افتريته فعلى عقوبة إجرامى أى افترائى
وكان حق حينئذ أن تعرضوا عنى وتألّبوا على (وأنا برىء) يعنى ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه ومعنى (مما يكفرون) من
إجرامكم فى إسناد الافتراء إلى فلا وجه لأعراضكم ومعاداتكم (لن يؤمن) إقراط من إيمانهم وأنه كالحال الذى لا تعلق
به للتوقع (إلا من قد آمن) إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها (فلا تبتئس)
فلا تحزن حزن بئس مستكين قال

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس ۝ منه واقعد كريماً ناعم البال

والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم (بأعيننا) فى موضع
الحال بمعنى أصنعها محفوظاً وحقيقته ملتبساً بأعيننا كأن الله معه أعينا تكلفه أن يزيغ فى صنعته عن الصواب وأن لا يحول
بينه وبين عمله أحد من أعدائه ووحينا وإنا نوحى اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنه لم يعلم كيف
صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر (ولا تخاطبني فى الذين ظلموا) ولا تدعنى فى شأن قومك واستدفاع
العذاب عنهم بشفاعتك (إنهم مغرقون) إنهم محكوم عليهم بالإغراق وقد وجب ذلك وقضى به القضاء وجف القلم فلا
سبيل إلى كفه كقوله يا إبراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود (ويصنع الفلك)
حكاية حال ماضية (سخروا منه) ومن عمله السفينة وكان يعملها فى برية يهماء فى أبعد موضع من الماء وفى رقت عز الماء
فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً (فإننا نسخر منكم) يعنى فى المستقبل
(كما تسخرون) منا الساعة أى نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق فى الدنيا والخرق فى الآخرة وقيل
إن تسجهلونا فيما نصنع فإننا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال
منا أولان تستجهلونا فإننا نستجهلكم فى استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال
كما هو عادة الجهلة فى البعد عن الحقائق وروى أن نوحاً عليه السلام اتخذ السفينة فى سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع
وعرضها خمسون ذراعاً وطولها فى السماء ثلاثون ذراعاً وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى البطن
الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه فى البطن الأعلى مع
ما يحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضاً بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طرفها
ألفاً ومائتى ذراع وعرضها ستائة وقيل أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لوبعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا
عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كتيب من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله

(قوله إذا بشم فهلك) فى الصحاح البشم التخم يقال بشمت من الطعام بالكسر وبشم الفصيل من كثرة شرب اللبن (قوله
وتألّبوا على) أى تتجمعوا أفاده الصحاح (قرله وأن لا يحول بينه) لعله وأن يحول (قوله برية يهماء) أى لا يهتدى فيها
الطريق ويقال الممر أبهم وكذا الرجل الشجاع أبهم كذا فى الصحاح

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّهِيمٌ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
اِثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ
مَجْرِبًا وَمَرْضًا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ

أعلم قال هذا كعب ابن حام قال فضرب الكتيب بعصاه فقال قم يا ذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه
وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام هكذا أهلكك قال لامت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة فن ثمة شبت
قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها مائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة
للدواب والوحوش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا (من يأتيه) في محل النصب
بتغلبون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق (ويحمل
عليه) حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يتبدأ بعدها
الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء (فإن قلت) وقعت غاية لماذا (قلت) لقوله ويصنع الملك أي وكان
يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد (فإن قلت) فإذا اتصلت حتى يصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام (قلت) هو حال
من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه (فإن قلت) فما جواب كلما (قلت) أنت بين
أميرين إما أن تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل أو نجعل سخروا بدلا من مر أو صفة للملأ وقال
جوابا (وأهلك) عطف على اثنين وكذلك (ومن آمن) يعني واحمل أهلك والمؤمن من غيرهم واستثنى من أهله من سبق
عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر لا التقديره عليه وإرادته به تعالى
الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابه وامرأته (إلا قليل) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانوا ثمانية نوح
وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا
وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافت ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ويجوز أن يكون
كلما واحدا وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل بسم الله بركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين
بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها إما لأن المجرى والمرسى للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف
منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز أن يراد مكانا الإجراء والإرساء وانتصابهما بما في
بسم الله من معنى الفعل أو بما فيه من إرادة القول والكلامان أن يكون بسم الله مجراها ومرسائها جملة من مبتدأ وخبر
مقتضبة أي بسم الله إجراؤها وإرساؤها يروى أنه كان إذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال
بسم الله فرست ويجوز أن يفهم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله إجراؤها وإرساؤها أي بقدرته وأمره
وقرئ ۝ مجراها ومرسائها بفتح الميم من جرى ورسى إما مصدرين أو وقتين أو مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها
بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله (فإن قلت) ما معنى قولك جملة مقتضبة (قلت) معناه أن نوحا عليه السلام
أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرسائها بذكر اسم الله أو بأمره وقدرته ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن

قوله تعالى بسم الله مجراها ومرسائها (قال ويجوز أن يقتحم الاسم الخ) قال أحمد نفور من اعتقاد أن الاسم هو المسمى ولو اعتقد
ذلك لما جعله مقحما والله أعلم

(قوله قال فضرب الكتيب) أي راوى هذه القصة لكنه غير معلوم
(قوله يختار الكفر لا التقديره عليه) هذا على مذهب المعتزلة من عدم سبق القضاء والقدر على الشر وعدم إرادته
ولكن مذهب أهل السنة أن كل ممكن مسبق بالقضاء والقدر والإرادة ولو شرأ

يَسْبِقِ أَرْكَبَ مَعْنًا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۖ قَالَ سَتَأُوذَىٰ إِلَىٰ جِبَلٍ يَعِصَمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۖ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ
مِنَ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ يَدَيْهِمَا الْمَرْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُبْغِرِينَ ۖ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْ

تكون في موضع الحال كقوله .

و جأؤنا بهم سكر علينا ۖ فلا تكون كلاماً برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الأول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها بجرأة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدین (إن ربي لغفور رحيم) لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته إياكم لما نجاكم ۖ (فإن قلت) بم اتصل قوله (وهي تجرى بهم) (قلت) بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجرى بهم أي تجرى وهم فيها (في موج كالجبال) يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها (فإن قلت) الموج ما يرتفع فوق الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والأرض وكانت الفلك تجرى في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج (قلت) كان ذلك قبل التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال الأثرى إلى قول ابنه سآوى إلى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام ۖ وقرأ على رضى الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريد أن ابنها كنعاناً كنعانياً بالفتحة عن الألف وبه ينضرمذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت إن الله حكى عنه إن ابني من أهلي وأنت تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله من أهلي ولم يقل مني ونسبته إلى أمه رجهاً أحدهما أن يكون ربياً له كعمر بن أبي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الأبياء عليهم السلام وقرأ السدى ونادى نوح ابنه على الندبة والترثى أي قال يا ابناه والمعزل مفعول من عزله عنه إذا نجاه وأبعد يعنى وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين أبيه (يأبى) قرئ بكسر الياء اقتصاراً عليه من ياء الإضافة وبالفتح اقتصاراً عليه من الألف المبذولة من ياء الإضافة في قولك يا بنياً أو سقطت الياء والألف لالتقاء الساكنين لأن الراء بعدهما ساكنة (إلا من رحم) إلا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله أي إلا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفوراً رحماً في قوله إن ربي لغفور رحيم وذلك أنه لما جعل الجبل عاصماً من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم عن السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا إذا عصمة إلا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل إلا من رحم استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وقرئ إلا من رحم على البناء للمفعول ۖ نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلى ماءك وأقلعى من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير متمنعة عليه كأنها عقلاء يميزون قد عرفوا عظمتهم وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على

قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم (قال المراد إلا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم الخ) قال أحمد والاحتمالات الممكنة أربعة لا عاصم إلا الراحم ولا معصوم إلا مرحوم ولا عاصم إلا مرحوم ولا معصوم إلا الراحم فالأولان استثناء من الجنس والآخران من غير الجنس وزاد الزمخشري خامساً وهو لا عاصم إلا مرحوم على أنه من الجنس بتأويل حذف المضاف تقديره لا مكان عاصم إلا مكان مرحوم والمراد بالنفي التعريض بعدم عصمة الجبل وبالثبت

(قوله عند اضطرابه وزخيره) في الصحاح زخر الوادى إذا امتد جداً وارتفع ومنه يقال بحر زاخر

أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝ قَالَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ إِتْمَانًا ۝ إِنَّهُ

مشيئة على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا إبطاء ۝ والبلع عبارة عن النشف ۝ والإقلاع الإمساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحمي (وغيض الماء) من غاضه إذا نقضه (وقضى الأمر) وأنجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل بالمرصل (وقيل بعدا) يقال بعد بعدا وبعدا إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره بأرض ابلعي ماءك ويأسماء ألقعي ولأن يقضى ذلك الأمر الهائل غيره ولا أن تستوى السفينة على متن الجودي وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورفصوا لها رؤسهم لالتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي وألقعي وذلك وإن كان لا يخفى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن فتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروى أنها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد أعتقه الله من الغرق وروى أن نوحا صام يوم الهبوط وأمر من معه فصاموا شكراً لله تعالى ۝ نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله (فإن قلت) فإذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء (قلت) أريد بالنداء إرادة النداء ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله إذ نادى ربه نداء خفياً قال رب بغير فاء (إن ابني من أهلي) أي بعض أهلي لأنه كان ابنة من صلبه وكان ربياله فهو بعض أهله (وإن وعدك الحق) وأن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال وُلدي (وأنت أحكم الحاكمين) أي أعلم الحكام وأعدلهم لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل وزب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكمة في زمانك قد لقب أفضى القضاة ومعناه

التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها أقرب من بعض والله أعلم ۝ قوله تعالى وقيل بأرض ابلعي ماءك ويأسماء ألقعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين (قال نداء الأرض والسماء بما نادى به العاقل الخ) قال أحمد ومن هذا النمط في السكوت عن ذكر الموصوف اكتفاء بصفات لا نفرادهما السكوت عن ذكر الأوصاف أحيانا اكتفاء بذكر الموصوف لتبينه بها وتوحيده فيها وأنه متى ذكر مكانها قد ذكرت بذكره في مثل قوله وهو الله في السموات وفي الأرض الآية والمراد وهو الله الموصوف بصفات الكمال المشهور بها في العالمين ومنه ۝ أنا أبو النجم وشعري شعري ۝ ولقد تحيل الشعراء على التعلق بأذيال هذه المعاني اللطيفة فقال أبو الطيب يمدح عضد الدولة لا تحمدتها واخذن هماما ۝ إذ لم يسم حامد سواكا

يعنى لا يمدح نفسك فإنك المنفرد بالممدوح حتى إذا ذكرت ولم يسم المعنى بها لم يسبق إلى ذهن أحد غيرك لتفردك بها ۝ قوله تعالى قال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (قال أي أعلم الحكام وأعدلهم لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم الخ) قال أحمد ثم حدث بعد الزمخشري ترفع عن أفضى القضاة إلى قاضى القضاة والذي تلاحظوا به في ارتفاع هذه الثانية على الأولى أن الأولى تقتضى مشاركة القضاة لأقضاهم في الوصف وأن يزداد عليهم فترفعوا أن يشركهم أحد في وصفهم ممن دونهم في المنصب فعدوا أعماء يشاركون فيه إلى ما ليس كذلك فأفردوا رئيسهم بتلقيه بقاضى القضاة أي هو الذى يقضى بين القضاة ولا يشاركونهم منهم أحد في وصفه وجعلوا الذى يليه في الرتبة أفضى القضاة إلا أنهم إنما يعنون قاضى قضاة زمانه أو إقامته وإذا جاز أن يطلق على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أفضى قضاة الصحابة في زمانه كما أطلقه عليه

عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ

أحكام الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز أن يكون من الحكمة على أن يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالقي على مذهب الخليل (إنه عمل غير صالح) تعليل لاتقاء كونه من أهله وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسبيك في دينك ومعتقدك من الأبعد في المنصب وإن كان حبشياً وكنيت قرشياً لصيةك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحماً فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغة في ذمته كقولها ۝ فإنما هي إقبال وإدبار ۝ وقيل الضمير لنداء نوح أي إن نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذلك (فإن قلت) فهلا قيل إنه عمل فاسد (قلت) لما نفاه عن أهله نفي عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي وآذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك وإن هذا لما اتفقت عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله كانت تحت عبيد من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقرئ عمل غير صالح أي عملاً غير صالح ۝ وقرئ فلا تستأن بكسر النون بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء بمعنى فلا تلتمس مني ملتسماً أو التماساً لا تعلم أصواب هو أم غير أصواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه (فإن قلت) لم سمي نداءً وسؤالاً ولا سؤال فيه (قلت) قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشاركة ولده الغرق فقد استنجز ۝ وجعل سؤالاً ما لا يعرف كنهه جهلاً وغباوة ووعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين (فإن قلت) قد وعده أن ينجي أهله وما كان عنده أن ابنه ليس منهم ديناً فلما أشفي على الغرق تشابه عليه الأمر لأن العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكماً لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب إمارة الشبهة وطلب إمارة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلاً (قلت) إن الله عز وجل قد قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا أبناء جين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم

الذي عليه الصلاة والسلام حيث قال أقضاكم على فدخل في المخاطبين القضاة وغيرهم فلا حرج إن شاء الله أن يطلق على عدل قضاة الزمان أو الإقليم وأعلمهم قاضي القضاة وأقضى القضاة أي قضاة زمانه وبلده وكل قرن ناجم في زمن فهو شبيه زمن فيه بدأ هذا اللقب ۝ قوله تعالى إنه عمل غير صالح (قال فهلا قيل إنه عمل فاسد قلت لما نفاه عن أهله نفي عنه الخ) قال أحمد ولهذا المعنى والله أعلم قيل له عليه الصلاة والسلام وأنذر عشيرتكَ الأقربين وإن كان مأموراً بالإنذار عن العموم ولكن لما كانت أهلية النبي عليه الصلاة والسلام مظنة الاتكال والفتور عن العمل خص أهله بالإنذار إيذاناً بذلك والله أعلم ولهذا لما نزلت أنذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال إنى لأملك لكم من الله شيئاً أو قال ذلك لكل واحد منهم بخصوصه ۝ قوله تعالى فلا تستأن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ۝ (قال فإن قلت قد وعده الله أن ينجي أهله وما كان عنده الخ) قال أحمد وفي كلام الزمخشري ما يدل على أنه يعتقد أن نوحاً عليه السلام صدر منه ما أوجب نسبة الجهل إليه ومعاذته على ذلك وليس الأمر كما تخيله الزمخشري ونحن نوضح الحق في الآية منزلاً على نصها مع تنزيه نوح عليه السلام مما توهم الزمخشري نسبة إليه فتقول لما وعد نوح أولاداً بنجاة أهله إلا من سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفاً لحال ابنه المذكور ولا مطلعاً على باطن أمره بل يعتقداً بظاهر الحال أنه مؤمن بقي على التمسك بصيغة العموم الأهلية الثابتة ولم يعارضها بيقين في كفر ابنه حتى يخرج من الأهل ويدخل في المستثنين فسأل الله فيه بناء على ذلك فتبين له أنه في علمه من المستثنين وأنه هو لا علم له بذلك فلذلك سأل فيه وهذا بأن يكون إبانة عذر أولى منه أن يكون عتياً فإن نوحاً عليه السلام لا يكافئه الله علماً استأثر به غيباً وأما قوله إنى أعظك أن تكون من الجاهلين فالمراد منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعد أن أعلمه الله باطن أمره وأنه إن وقع في المستقبل في السؤال كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يقيه عليه السلام على سمة العصمة والموعظة لا تستدعي وقوع ذنب بل المقصد

(قوله من الأبعد في المنصب) اعلمه تحريف وأصله في النسب

أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّةٍ مِّنْ مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنَمَتْعُهُمْ ثُمَّ نَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابَ أَلِيمٍ ۝ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَبُرِّدْكُمْ قُوَّةً

فَعَوَّبَ عَلَيَّ أَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مَا يَجِبُ أَنْ لَا يَشْتَبَهَ (أَنْ أَسْأَلَكَ) مِنْ أَنْ أَطْلُبَ مِنْكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَا لَا عَلِمَ لِي بِصِحَّتِهِ تَأْدِيبًا بِأَدْبِكَ وَاتِّعَازًا بِمَوْعِظَتِكَ (وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي) مَا فَرَطَ مِنِّي مِنْ ذَلِكَ (وَتَرْحَمْنِي) بِالتَّوْبَةِ عَلَيَّ (أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) أَعْمَالًا ۝ وَقُرْئِي يَا نُوحُ اهْبِطْ بِضَمِّ الْهَاءِ (بِسَلَامٍ مِنَّا) مَسْلَمًا مَحْفُوظًا مِنْ جِهَتِنَا أَوْ مَسْلَمًا تِلْكَ مَكْرَمًا (وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ) وَمَبَارَكًا عَلَيْكَ وَبِالْبَرَكَاتِ الْخَيْرَاتِ النَّامِيَةِ وَقُرْئِي وَبُرُكَةً عَلَى التَّوْحِيدِ (وَعَلَى أُمَّةٍ مِّنْ مَّعَكَ) يَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ فَيُرَادُ الْأُمَّةُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا جَمَاعَاتٍ أَوْ قَبِيلٍ لَهُمْ أُمَّةٌ لِأَنَّ الْأُمَّةَ تَشْتَبِعُ مِنْهُمْ وَأَنْ تَكُونَ لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ أَيْ عَلَى أُمَّةٍ نَاشِئَةٍ مِنْ مَعَكَ وَهِيَ الْأُمَّةُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَهِيَ الْوَجْهَ وَقَوْلُهُ (وَأُمَمٌ) رَفَعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ وَ(سَنَمَتْعُهُمْ) صِفَةٌ وَالْخَبْرُ مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ وَمِنْ مَعَكَ أُمَّةٌ سَنَمَتْعُهُمْ وَإِنَّمَا حُذِفَ لِأَنَّ قَوْلَهُ مِنْ مَعَكَ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَالْمَعْنَى أَنَّ السَّلَامَ مِنَّا وَبِالْبَرَكَاتِ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّةٍ مُّؤْمِنِينَ يَنْشُؤْنَ مِنْ مَعَكَ وَمِنْ مَعَكَ أُمَّةٌ يَمْتَعُونَ بِالدُّنْيَا مُنْقَلِبُونَ إِلَى النَّارِ وَكَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا الْإِنْبِيَاءِ وَالْخَلْقِ بَعْدَ الطُّوفَانِ مِنْهُ وَمِنْ كَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ دَخَلَ فِي ذَلِكَ السَّلَامِ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفِيهَا بَعْدَهُ مِنَ الْمَتَاعِ وَالْعَذَابِ كُلِّ كَافِرٍ . وَعَنْ ابْنِ زَيْدٍ هَبَطُوا وَاللَّهُ عَنْهُمْ رَاضٍ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُمْ نَسْلًا مِنْهُمْ مِنْ رَحْمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ عَذِبَ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْأُمَّةِ الْمَمْتَعَةِ قَوْمُ هُودٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ وَشُعَيْبٍ (تِلْكَ) إِشَارَةٌ إِلَى قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَحَلُّهَا الرِّفْعُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْجَمَلُ بِمَدِّهَا أَخْبَارُ أَيْ تِلْكَ الْقِصَّةُ بِعَظْمِ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ مَوْحَاةٌ إِلَيْكَ بِمَجْهُولَةٍ عِنْدَكَ وَعِنْدَ قَوْمِكَ (مِنْ قَبْلِ هَذَا) مِنْ قَبْلِ إِحْبَاطِي إِلَيْكَ وَإِخْبَارِكَ بِهَا أَوْ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي كَسَبْتَهُ بِالْوَحْيِ أَوْ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْوَقْتِ (فَاصْبِرْ) عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَأَذَى قَوْمِكَ كَمَا صَبَرَ نُوحٌ وَتَوَقَّعَ فِي الْعَاقِبَةِ لَكَ وَلِمَنْ كَذَبَكَ نَحْوَ مَا قَبَضَ لِنُوحٍ وَلِقَوْمِهِ (إِنَّ الْعَاقِبَةَ) فِي الْفَوْزِ وَالنَّصْرِ وَالْغَلَابَةِ (لِلْمُتَّقِينَ) ۝ وَقَوْلُهُ وَلَا قَوْمُكَ مَعَانِي إِنْ قَوْمُكَ الَّذِينَ أَنْتَ مِنْهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ وَوَقُورِ عَدَدِهِمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شَأْنَهُمْ وَلَا سَمْعُوهُ وَلَا عَرَفُوهُ فَكَيْفَ يَرَجُلُ مِنْهُمْ كَمَا تَقُولُ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ وَلَا أَهْلُ بَلَدِهِ (أَخَاهُمْ) وَاحِدًا مِنْهُمْ وَاتِّصَابَهُ لِلْعَطْفِ عَلَى أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ(هُودًا) عَطْفٌ بَيِّنٌ وَ(غَيْرُهُ) بِالرِّفْعِ صِفَةٌ عَلَى مَحَلِّ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ وَقُرْئِي غَيْرُهُ بِالْجَرِّ صِفَةٌ عَلَى اللَّذِّظِ (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ) تَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ بِاتِّخَاذِكُمْ الْأَوْثَانَ لَهُ شُرَكَاءُ ۝ مَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَاجَهُ قَوْمُهُ بِهَذَا الْقَوْلِ لِأَنَّ شَأْنَهُمُ النَّصِيحَةُ وَالنَّصِيحَةُ لَا يَمْحُضُهَا وَلَا يَمْحُضُهَا إِلَّا حَسَمُ الْمَطَامِعِ وَمَادَامَ يَتَوَهَّمُ شَيْءٌ مِنْهَا لَمْ تَنْجِعْ وَلَمْ تَنْفَعْ (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) إِذْ تَرُدُّونَ نَصِيحَةَ مَنْ لَا يَطْلُبُ عَلَيْهَا أَجْرًا إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَهُوَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَلَا شَيْءَ أَنْفِي لِلنَّهْمَةِ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) آمَنُوا بِهِ (ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ) مِنْ عِبَادَةٍ غَيْرِهِ لِأَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَنْصَحُ إِلَّا بَعْدَ الْإِيمَانِ ۝ وَالْمِدْرَارُ الْكَثِيرُ الدَّرُورُ كَالْمَغْزَارِ وَإِنَّمَا قَصِدُ اسْتِمَالَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَتَرْغِيْبِهِمْ فِيهِ بِكَثْرَةِ الْمَطَرِ وَزِيَادَةِ الْقُوَّةِ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا أَصْحَابَ زُرُوعٍ وَبَسَاتِينٍ وَعِمَارَاتٍ حَرَّاصًا عَلَيْهَا أَشَدَّ الْحَرَصِ فَسَكَنُوا أَحْوَجَ شَيْءٍ إِلَى الْمَاءِ وَكَانُوا مَدْلِينَ بِمَا أُوتُوا مِنْ شِدَّةِ الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ وَالْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ مُسْتَحْرِزِينَ بِهَا مِنَ الْعَدُوِّ مَهْيِينَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَقِيلَ أَرَادَ الْقُوَّةَ فِي الْمَسَالِ وَقِيلَ الْقُوَّةَ عَلَى النِّكَاحِ وَقِيلَ حَبْسَ

مِنْهَا أَنْ لَا يَقَعَ الذَّنْبُ فِي الْاسْتِقْبَالِ وَلِذَلِكَ مِثْلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ذَلِكَ وَاسْتِعَاذَ بِاللَّهِ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ مَا نَهَى عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(قَوْلُهُ رَكَا نَوَا مَدْلِينَ) مِنَ الدَّلِّ وَفِي الصَّحَاحِ الدَّلُّ قَرِيبٌ مِنَ الْهُدَى وَهِيَ مِنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ

إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُرْمِينَ ۝ قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ تَقُولُ إِلَّا أَعْتَرَكْ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا

عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسايتهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجاجه فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلني شيئاً لعن الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعائة مرة فولد له عشرة بنين فباع ذلك معاوية فقال هلاساته هم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود عليه السلام ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح عليه السلام ويمدكم بأموال وبنين (ولا تولوا) ولا تعرضوا عنى و عما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه (بجرمين) مصرين على إجراكم وآثامكم (ما جئتنا ببينة) كذب منهم ووجود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع قوت آياته المحصر (عن قولك) حال من الضمير في تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه إقناطاله من الإجابة (اعتراك) مفعول نقول وإلا لغرو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أى خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدقك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذى بهذيان المرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خيلاً وجنونا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وإنما العجب من قوم من المظاهرين بالإسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنوناً والمتيب إلى ربه مجنباً ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في أيام جاهليته من المودة وما ذاك إلا لعرق من الإلحاد أبى إلا أن يذب وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم المنتدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبه متاه حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنصر وتنقم ولعالم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثراب ۝ من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشاً إلى إراقة دمه برهونه عن قوس واحدة وذلك لثقتة بره وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا إلى ولا تنظرون أكد برأته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على أنى لأفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أنى لأفعله (فإن قلت) هلا قيل إني أشهد الله وأشهدكم (قلت) لأن إلهاد الله على البراءة من الشرك إلهاد صحيح ثابت في معنى تثبیت التوحيد وشد معاقده وأما إلهادهم فها هو الإلهاد بدنيهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه أشهد على أنى لأحجك تهكماً به واستهانة بحاله (عما تشركون من دونه) من إشرارككم

قوله تعالى « قال إني أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون » (قال مجود إن قلت هلا قيل أشهد الله وأشهدكم الخ) قال أحمد وتلخيص ما قاله أن صيغة الخبر لا تحتمل سوى الإخبار بوقوع الإلهاد منه فلما كان إلهاده لله واقداً محققاً عبر عنه بصيغة الخبر لأنه إلهاد صحيح ثابت وعبر فى جانبهم بصيغة الأمر التى تتضمن الاستهانة بدنيهم وقلة المبالاة به وهو مراده فى هذا المقام معهم ويحتمل أن يكون إلهاده لهم حقيقة والغرض إقامة الحججة عليهم وإنما عدل إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بأن يعبر عن خطاب الله تعالى

(قوله المرسمين) فى الصحاح البرسام علة معروفة (قوله وضب من الزندقة) فى الصحاح الضب الحقد والضب واحد ضباب النخل وهو طلع (قوله لا يبالون بالبهت) رى الشخص بما ليس فيه

إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِن رَّبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ۚ وَمَا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِينًا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنَّا وَعَجَبِينَ ۚ وَتِلْكَ ءَايَاتُ رُسُلِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۚ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِن ءَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ لَعَادِ قَوْمِ هُودٍ ۚ وَإِلَىٰ ثَمُودَ

آلهة من دونه أو مما تشركون من آلهة من دونه أي أتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا (فكيدوني جميعاً) أتم وألهتكم أعجل ما تفعلون من غير إنظار فإني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معزتكم وإن تعاوتكم عليّ وأتم الأقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنقم مني إذا نلت منها وصدت عن عبادتها بأن تخباني وتذهب بعقلي ۚ ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلامه من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتغال ربوبيته عليه وعليهم من كون كل دابة في قبضته وملكوته وتحت قهره وسلطانه والاختصاص بها تمثيل لذلك (إن ربي على صراط مستقيم) يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معصم به (فإن تولوا) فإن تولوا (فإن قلت) الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط (قلت) معناه فإن تولوا لم أعاتب على تفریط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبستم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول (ويستخلف) كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويحيى بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم (ولا تضررونه) بتوليكم (شيثاً) من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وإنما تضررون أنفسكم وفي قرارة عبد الله ويستخاف بالجزم وكذلك ولا تضرره عطفاً على محل فقد أبغتكم والمعنى إن تولوا يعذرن ويستخلف قوماً غيركم ولا تضرروا إلا أنفسكم (على كل شيء حفيظ) أي رقيب عليه مهيم من فما تخفي عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيباً على الأشياء كلها حافظاً لها وكانت مفتقرة إلى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم (والذين آمنوا معه) قيل كانوا أربعة آلاف ۚ (فإن قلت) ما معنى تكرير التنجية (قلت) ذكر أولاً أنه حين أملاك عدوهم نجاهم ثم قال (ونجيناهم من عذاب غليظ) على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أديبارهم فقطعهم عضواً عضواً وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغاظ منه وأشد ۚ وقوله رحمة منا يريد بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له (وتلك عاد) إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسوله) لأنهم إذا عصوا رسوله فقد عصوا جميع رسل الله لانفترق بين أحد مرسله قيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده (كل جبار عنيد) يريد رؤسائهم وكبرائهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تسكبهم على وجوههم في عذاب الله (إلا) وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفضيح له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم (فإن قلت) (بعدا) دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم (قلت) معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له الأثرى إلى قوله إخوتى لا تبعدرأ أبداً ۚ وبلى والله قد بعدوا

(قوم هود) عطف بيان لعاد (فإن قلت) ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه (قلت) الفائدة فيه أن يوسموا بهذه

بصيغة الخبر التي هي أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر والله الموفق للصواب ۚ قوله تعالى إلا بعداً لعاد قوم هود (قال إن قلت) ما الفائدة في هذا البيان وجعل قوم هود عطف بيان على عاد الخ) قال أحمد فيه أيضاً فائدتان جليلتان إحداهما الذمبة بذكر هود الذي إنما استحقوا الهلاك بسببه على موجب الدعاء عليهم وكأنه قيل عاد قوم هود الذي كذبوه والآخرى تناسب الآي بذلك فإن قبلها واتبعوا أمر كل جبار عنيد وقبل ذلك حفيظ وغليظ وغير ذلك مما هو على وزن فعيل المناسب لفعول في القوافي والله أعلم

أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ
ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ه قَالَوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُد
آبَاءُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ه قَالَ يَتَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ه وَيَتَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ه فَذَرُوهَا
تَاكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ه فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
ذَلِكَ وَعَدٌ لِلَّذِينَ كَذَبُوا ه فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمَنْ خِزَى يَوْمَئِذٍ

الدعوة وسما وتجعل فيهم أمراً محققاً لاشبهة فيه بوجه من الوجوه ولأن عاداً عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود
والنصبة فيهم والآخرى إرم (هو أنشأكم من الأرض) لم ينشئكم منها إلا هو ولم يستعمركم فيها غيره وإنشأؤهم منها خلق
آدم من التراب (واستعمركم فيها) وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك نارس
قد أكثروا من حفر الآبار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من أنبياء
زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأرعى إليه أنهم عمروا بلادهم فعمش فيها عبادي وعن معاوية بن أبي سفيان أنه أخذ في إحياء
الأرض في آخر أمره فقبل له فقال ما حملني عليه إلا قول القائل ليس الفتى يفتى لا يستضاء به ه ولا تكون له في الأرض آثار
وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما أن يكون استعمر في معنى أعمار
كقولك استهلكه في معنى أهلكه ومعناه أعماركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم والثاني أن يكون بمعنى جعلكم
معمرين دياركم فيها لأن الرجل إذا ورث ناره من بعده فكأنما أعمارها إياها لأنه يسكنها عمره ثم بتركها غيره (قريب)
داني الرحمة سهل المطاب (مجيئ) لمن دعاه وسأله (فيما) فيما بيننا (مرجرا) كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات
الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكرن مشاوراً في الأمور ومسترشداً في التداير فلما نظمت بهذا القول انقطع رجائنا
عنك وعلينا أن لاخير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا تقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا
على ما نحن عليه (يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (مريب) من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء
الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل إذا كان ذاربية على الإسناد المجازي قيل (إن كنت على بيعة من ربي) بحرف الشك
وكان على يقين أنه على بيعة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أني على بيعة من ربي وأنى نبي على الحقيقة وانظروا
إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله (فما تزدونني) إذن حينئذ (غير تخسير) يعني تخمرون
أعمالى وتبطلونها أو فما تزدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير أن أخسركم أى أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم
إنكم خاسرون (آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ه (فإن قلت) فبم يتعلق لكم
(قلت) بآية حالاً منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (عذاب قريب) عاجل
لا يستأخر عن مسك لها بسوء الإيسيراً وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم
وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أى يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب
الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت (غير مكذوب) غير مكذوب

(قوله إذن حينئذ) إحداهما مزيدة (قوله ويوم شهدناه) أى من قول الشاعر ويوم شهدناه سليمان عامراً من قوله (قوله)
فقد صدقتك ولم يكذب) لعله صدقه ولم يكذبه

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثْمِينَ ۝ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا
 إِلَّا إِنْ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِمُودَ ۝ وَاقْتَدَجَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
 فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ۝ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ

فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه أو على المجاز
 كأنه قيل للوعد نفي بك فإذا وفي به فقد صدق ولم يكذب أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمجلود
 والمعقول وكالمصدوق بمعنى الصدق (ومن خزي يومئذ) قرئ مفتوح الميم لأنه مضاف إلى إذ وهو غير متمكن كقوله
 ۝ على حين عانت المشيب على الصبا ۝ (فإن قلت) علام عطف (قلت) على نجيئنا لأن تقديره ويناهم من خزي يومئذ
 كما قال ونجيئناهم من عذاب غايظ على وكانت النتيجة من خزي يومئذ أي من ذلله ومهانته وفضيخته ولا خزي أعظم
 من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد يومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة ۝
 وقرئ إلا إن تمود وتمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب إلى الحى أو الأب الأكبر ومنعه للتعريف
 والتأنيث بمعنى القبيلة (رسلنا) يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل عليه السلام وملكه معه وقيل جبريل
 وميكائيل وإسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدى أحد عشر (بالشرى) هى البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط
 والظاهر الولد (سلاما) سلمنا عليك سلاما (سلام) أمركم سلام وقرئ فمالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم
 ولام كحرم وحرم وأنشد

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت ۝ كما كئل بالبرق الغمام اللوامح
 (فما لبث أن جاء) فما لبث في المجيء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه ۝ والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش
 بلغة أهل السراة وكان مال إبراهيم عليه الصلاة والسلام البقر (حنيد) مشوى بالرضف في أخدود وقيل حنيد يقطر
 دسمه من حذت الفرس إذا ألفت عليه الجمل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين ۝ يقال نكره وأنكره واستنكره
 ومنكور قليل في كلامهم وكذلك أنا أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك قال الأعشى
 وأنكرتني وما كان الذى نكرت ۝ من الحوادث إلا الشيب والصلعا

قيل كان ينزل في طرف من الأرض يخاف أن يربدوا به مكروهاً وقيل كانت عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم
 طعامهم أمنوه وإلا خافوه والظاهر أنه أحسن بأنهم ملائكة ونكرهم لأنه يخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله
 عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى إلى قولهم لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم

قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيد فلما رأى
 أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط الآية (قال قيل إنه كان ينزل
 في طرف من الأرض يخاف أن يربدوا به مكروها الخ) قال أحمد وقد وردت في قصة إبراهيم هذه ثلاثة مواضع
 هذا أحدها وهو دال على أنه إنما أوجس منهم خيفة لعله أنهم ملائكة وعدم عليه جاؤا الثاني في الحجر قوله
 ونبتهم عن ضيف إبراهيم إلى قوله لا توجل إنا نبشرك فلم يطمنوا بإعلامه أنهم ملائكة ولكن بأنهم مبشرون له
 فدل على استشعارهم أنه علم كونهم ملائكة ووجل بما جاؤا فيه الثالث في الذاريات فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف
 وبشروه فهو أيضاً كذلك وأما لوط فلم يشعر أنهم ملائكة حتى أعلموه بذلك ألا ترى إلى قوله تعالى قالوا يا لوط
 إنا نرسل ربك لن يصلوا إليك فأتول ما أعلموا به أنهم رسل فالفرق بين هذه الآية وبين أي إبراهيم مصداق لأن إبراهيم
 علم كونهم ملائكة ولوط لم يعلم ذلك ولا يبعد من فضل إبراهيم على لوط أن يبعد على فراسته أن يعلم أنهم ملائكة

(قوله في البث إن جاء) لعله إن جاء بعجل (قوله مشوى بالرضف) أى الحجارة المحماة كما في الصحاح

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ؕ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشِّرْنَاهَا بِاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ اسْحَاقَ يَعْقُوبَ ؕ
قَالَتْ يَوِيلَىٰ آلِ دَاوُدَ وَأَنَا عَجْرُزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ؕ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ
اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ؕ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ بَدَلْنَا

أرسلوا (فأوجس) فأضمر ؕ وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخرف والتغير في وجهه أو عرفوه بتعريف الله أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب (وامراته قائمة) قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفي مصحف عبدالله وامراته قائمة وهو قاعد (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلم العذاب وقيل كانت تقول لإبراهيم اضمم لوطاً ابن أخيك إليك فإني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سروراً لما أتى الأمر على ماتوهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الأعرابي فضحكت بفتح الحاء (يعقوب) رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء إسحق يعقوب مولود أو موجود أي من بعده وقيل الورا ولد الولد وعن الشعبي أنه قيل له أهذا ابنك فقال نعم من الورا وكان ولده ولده وقرئ يعقوب بالنصب كأنه قيل ورهبنا لها إسحق ومن وراء إسحق يعقوب على طريقة قوله ؕ ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ؕ

الألف في (ياريلنا) مبدلة من ياء الإضافة وكذلك في يالهما وياعجبا وقرأ الحسن ياويلنا بالياء على الأصل و (شيخا) نصب بمادل عليه اسم الإشارة وقرئ شيخ على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا بعلي هو شيخ أو بعلي بدل من المبتدأ وشيخ خبر أو يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولإبراهيم مائة وعشرون سنة (إن هذا لشيء عجب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها فزقالوا أتعجبين من أمر الله) لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن أن تتوقر ولا يزدحمها ما يزدحم سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه أمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإعانة يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب ؕ وأمر الله قدرته وحكمته وقوله (رحمت الله وبركاته عليكم) كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم (حميد) فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده (مجيد) كريم كثير الإحسان إليهم ؕ وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص لأن

دون لوط عليهما السلام ؕ عاد كلامه (قال ومعنى أوجس أضمر وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف الخ) قال أحمد وهذا التأويل وهم فيه الزمخشري والله أعلم لأنهم إنما علموا خوفه ووجله بإخباره إياهم بذلك وبدل عليه قوله تعالى في آية أخرى قال إنا منكم وجلون قالوا لا ترجل والقصة واحدة والله الموفق للصواب ؕ عاد كلامه (قال وضحك زوجته لأنها سرت بذهاب الخيفة الخ) قال أحمد ويبعد هذا التأويل أنها قالت بعديا ويلنا ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت إذ لا عجب في حمل من تحيض والحيض في العادة مهماز على إمكان الحمل والله الموفق

(قوله ولا ناعب) تمتته : إلا بين غرابها (قوله ولا يزدحمها) في الصحاح زهاه وازدهاه استخفنه وتهاون به

فِي قَوْمِ لُوطٍ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مِّنْبِيبٍ ۚ يَسْأَلُ إِبْرَاهِيمُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ
 لَكَاذِبِينَ ۚ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۚ
 وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَبْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ

أهل البيت مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن (الروح) ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما
 اطمأن قلبه بعد الخوف وملى سروراً بسبب البشرى بدل الغم فرغ المجادلة (فإن قلت) أين جواب لما (قلت) هو
 محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله (بجادلنا) كلام مسانف دال على الجواب وتقديره اجترأ على
 خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال كبت وكبت ثم ابتداء فقال يجادلنا في قوم لوط قيل في يجادلنا هو جواب لما وإنما جى به
 مضارعاً لحكاية الحال وقيل إن لما ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال وقيل معناه
 أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسولنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال رأيتم لو كان
 فيها خمسون رجلاً من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال
 رأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله
 (في قوم لوط) في معنائهم وعن ابن عباس قالوا إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون
 فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف إنسان (إن إبراهيم حلیم) غير عجول على كل من أساء إليه (أواه)
 كثير التأوه من الذنوب (منيب) تائب راجع إلى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة
 فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلمهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على
 الاستغفار لآبيه (يا إبراهيم) على إرادة القول أي قالت له الملائكة (أعرض عن هذا) الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك
 فلا فائدة فيه (إنه قد جاء أمر ربك) وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا بحالة
 لا مردله يجادل ولا دعاء ولا غير ذلك ۚ كانت مسامحة لوط وضيق ذرعه لأنه حسب أنهم إنس يخاف عليهم خبث قومه
 وأن يهجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروى أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى
 معهم منطلقاً بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشرقرية في الأرض عملاً يقول ذلك
 أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها ۚ يقال يوم عصيب وعصوب إذا كان
 شديداً من قولك عصبه إذا شتته (يهرعون) كأنما يدفعون دفعاً (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك
 الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين
 لا يكفهم حياهم وقيل معناه وقد عرف لوط عاداتهم في عمل الفواحش قبل ذلك (هؤلاء بناتي) أراد أن يبي أضيافه بناته وذلك
 غاية الكرم وأراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن
 يزوجهما ابنتيه وفرأ ابن مروان أن أظهر لكم بالنصب وضمه سيويه وقال احتى ابن مروان في لحنه وعن أبي عمرو بن العلاء
 من قرأ من أظهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالاً قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله
 هذا على شيخنا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمرة كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمرة في الحال وهن فصل وهذا
 لا يجوز لأن الفصل يختص بالوقوع بين جزأى الجملة ولا يقع بين الحال وذى الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه

(قوله عشرة فيهم خير) لعله عشرة يصلون (قوله وضيق ذرعه) في الصحاح يقال ضقت بالامر ذرعاً إذا لم تطفه
 ولم تقو عليه وأصل الذرع إنما هو بسط اليد فكأنك تريد مددت يدي إليه فلم تنله

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۝ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوَا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْ أَهْلَكَ بِقَطْعِ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعِدُهُمْ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّنْ سَجِيلٍ

فصلا وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى من جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا أخى هو ويكون أظهر حالا (فاتقوا الله) بإثارة عليهم (ولا تخزونى) ولا تهينونى ولا تفضحونى من الخزى أو ولا تخجلونى من الخزية وهى الحياء (فى ضيفى) فى حق ضيوفى فإنه إذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة (اليس منكم رجل رشيد) رجل واجديتهدى إلى سبيل الحق وفعل الجبل والكف عن سوءه وقرى ولا تخزون بطرح الباء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة فى تواضعه لهم وإظهاراً لشدة امتعاضه ما أوردوا عليه طمعاً فى أن يستخيرا منه ويرقوا له إذا سموا واذنك فيتركوها ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مانعة بينه وبينهم ومن ثم (قالوا لقد علمت) مستشهدين بعلمه (مالنا فى بناتك من حق) لأنك لا ترى منا كتماناً وما هو إلا عرض سابرى وقبل ما اتخذوا إيمان الذكرا من مذهبنا وديننا لنواظورهم عليه كان عندهم أنه هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل فذلك قالوا مالنا فى بناتك من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذى نحن عليه ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة (لتعلم ما نريد) عن الإتيان الذى كور وما لم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله تعالى ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال يعنى لو أن لى بكم قوة لفعلمت بكم وصنعت يقال مالى به قوة ومالى به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها ومالى به يدان لأنه فى معنى لا أضطلع به ولا أستقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت إلى قوى أستند إليه وأتمنع به فيحمنى منكم فشبّه القوى العزيز بالركن من الجبل فى شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه إن ركنك لشديد وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى إلى ركن شديد وقرى أو آوى بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لى بكم قوة أو أيا كقولها للباس عباءة وتقر عبنى وقرى إلى ركن بضمين وروى أنه أغلق بابها حين جاؤا وجعل برآدهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأته الملائكة ما لى لوط من الكرب قالوا يالوط إن ركنك لشديد (إنارسل ربك لى يصلوا إليك) فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه رشاح من در منظوم وهو براق الشيا فاضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى «فطمسنا أعينهم» فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن فى بيت لوط قوما سحرة لى يصلوا إليك جملة موضحة للتى قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره وقرى فأسر بالقطع والوصل وإلا امرأتك بالرفع والنصب وروى أنه قال لهم متى وعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (اليس الصبح بقريب) وقرى الصبح بضمين (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ إلا امرأتك بالنصب (قلت) استئناها من قوله فأسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله بأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على أصل الاستئناء وإن كان الفصيح هو البدل أعنى قراءة من قرأ بالرفع فأيدلها عن أحدونى إخراجها مع أهله روايتان روى أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا منى فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوم ما فآدر كها حجر فقتلها وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هوأها

(قوله لشدة امتعاضه) امتعاض من الأمر غضب منه وشق عليه كذا فى الصحاح (قوله وما هو إلا عرض سابرى) عرض سابرى بفتح العين نوع من الثياب رقيق منسوب إلى سابور من الأكا سرة كذا فى الصحاح عرضت له الشىء أى أظهرته له

مَنْزُودٌ ۝ مَسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدَةٌ ۝ وَإِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ ۝ وَيَقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝

الهم فلم يسرها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم (من يسجل) قيل هي كلمة معربة من سنككل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لترسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل ويسجل لفلان (منضود) نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في أثر بعض متابعا (مسومة) معلية للعذاب وعن الحسن رضى الله عنه كانت معلية بيضاء وحمرة وقيل عليها سما يعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (وماهى) من كل ظالم بعيد وفيه وعيد لأهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى أم تك ما من ظالم منهم إلا هو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقري أى هي قرية من ظالمى مكة يبرون بها في مسابرم (بعيد) بشىء بعيد ويجوز أن يراد وماهى بمكان بعيد لأنها وإن كانت في السماء وهي مكان بعيد إلا أنها إذا هوت منها فهى أسرع شىء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب منه (إنى أراكم بخير) يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بخير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا (يوم محبط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو (فإن قلت) وصف العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها (قلت) بل وصف اليوم بها لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للعذب ما شتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه (فإن قلت) النهى عن النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله أو فوا (قلت) نهوا أولا عن عين الفيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن فى التصريح بالتبجح نعيما على المنهى وتعبير الله ثم ورد الأمر بالإيفاء الذى هو حسن فى العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط أى ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه وفيه توقيف على أن الموفى عليه أن ينوى بالوفاء القسط لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخش الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير ۝ وفى كل ما باع امرؤ بخس درهم ۝ وروى مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شىء يباع شيئا كما تفعل السماسرة أو كانوا يمسكون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فهو عن ذلك ۝ والعنى فى الأرض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف والبخش عتيا منهم فى

قوله تعالى ويا قوم أو فوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم (قال إن قلت النهى عن النقصان أمر بالإيفاء الخ) قال أحمد وابن قال إن الأمر بالشىء ليس نهيا عن ضده أن يستدل بهذه الآية فإن الأمر لو كان عين النهى عن الضد لكان وروده عقيب تكرارا وفى كلام الزمخشري ما يدل على أنه وهم فاعتقد أن النهى فى الآية قبل الأمر وذلك سهو وغفلة وكل مأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم وأما قوله أن الإيفاء حسن فى العقول فتفريع على قاعدة التحسين والتقيح وقد سبق بطلانها وبيننا أن التحسين والتقيح موظفان من الشرع ولا مجال للعقل فى حكم سمعى

وأبرزته إليه يقال عرضت له ثوبا مكان حقه وفى المثل عرض سابرى لأنه ثوب جيد يشتري بأقل عرض ولا يبالغ فيه (قوله ويسجل لفلان منضود) فى الصحاح نضد متاعه ينضده بالكسر نضدا أى وضع بعضه فوق بعض

بَقِيَتْ اللهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝ قَالَ يَبْقَوْنَ آرَائِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ

الأرض (بقيت الله) ما بقي لكم من الحلال بعد النزه عما هو حرام عليكم (خير لكم إن كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا وإنما خوطبوا بترك التظريف والبخس والفساد في الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان (فإن قلت) بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من تبعه البخس والتظريف فلم شرط الإيمان (قلت) لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للإيمان وتبنيه على جلالته شأنه ويجوز أن يراد إن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم ويجوز أن يراد ما بقي لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه وأما الحرام فلا يضاف إلى الله ولا يسمى رزقاً وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ بقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والتبائح (وما أنا عليكم بحفيظ) وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبالغاً ومنهياً على الخير وناصحاً وقد أذرت حين أذرت ۝ كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه إذا رأوه يصلون تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم (أصلواتك تأمرك) السخرية والهزء والصلوة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن يقال إن الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو إليه وتبعث عليه إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطين وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهمك بصلاته وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك إليه داعي عقل ولا يأمرك به أمر فطنة فلم يبق إلا أن يأمرك به أمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليالك ونهارك وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال ومعنى تأمرك (أن تترك) تأمرك بتكليف أن تترك (ما يعبد آباؤنا) لحذف المضاف الذي هو التكليف لأن

۝ قوله تعالى بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين (قال بقية الله ما بقي لكم من الحلال الخ) قال أحمد المنقول عن المعتزلة أن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة لأنها لا أمرأ وقد جوز بعضهم خطابهم بالنهي وهذه الآية تدل على أنهم مخاطبون في حال الكفر بشرط الإيمان وقد قررها الرنخسرى على ذلك ۝ عاد كلامه (قال فإن قلت بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من تبعه البخس الخ) قال أحمد وهذا أيضاً من إقرار الرنخسرى الآية على ظاهرها ومعنى السؤال أن الكفار إذا قدرنا خطابهم بالفروع انتفعوا باجتناب المنهيات في الدار الآخرة لأن ثمرة الخلاف في مسألة خطاب الكفار إنما تظهر في الدار الآخرة وإذا كانوا ينتفعون بذلك فلامعنى لاشتراط الإيمان والحال مع وجوده وعدمه في الانتفاع بالامتثال سواء . ومعنى الجواب أن ظهور الانتفاع بالامتثال إنما يتحقق مع الإيمان وأما مع الكفر فهم مخلدون في العذاب وإنما تظهر الفائدة على خفاء في تحقيق ما من العذاب والله الموفق ۝ عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد ما بقي لكم من الطاعات عند الله الخ) قال أحمد قد تقدم أن عقيدة أهل السنة أن لا خالق ولا رازق إلا الله إيماناً بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم وإذا كان الرزق عبارة عن كل ما يقيم به الخلق بذمتهم لزم اندراج الحرام في هذا الإطلاق عقد أو حقيقة وأما إطلاق القول بإضافته على الخصوص إلى الله تعالى فأمر خارج عن الاعتقاد راجع إلى الاتباع والله الموفق ۝ قوله تعالى « قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » (قال محمد معناه تأمرك بتكليف أن تترك ما يعبد آباؤنا

(قوله ولا يسمى رزقاً) هذا مذهب المعتزلة وأما مذهب أهل السنة فالرزق ما ينتفع به ولو حراماً (قوله مساق الطين) في الصحاح الطين السخرية وطين يطن فهو طنان وأظنه مولداً أو معرباً اه

عَلَىٰ يَدَيْهِ مِن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ وَيَقُولُونَ لَا يَبْرُمَنَّكُمْ شِرَاقِي ۚ أَنَّ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ

الإنسان لا يؤمر بفعل غيره ۝ وقرئ أصلانك بالتوحيد ۝ وقرأ ابن أبي عمير أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء بناء الخطاب
فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاختناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينههم عن
حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا بقولهم (إنك لأنك الحليم الرشيد) نسبه إلى غاية السفه والغى فعكسوا
ليتهمكوا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه إنك المتواصف بالحلم
والرشد في قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به (ورزقني منه) أي من لدنه (رزقا حسنا) وهو ما رزقه
من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حالاً طيباً من غير بخس ولا تطفيف (فإن قلت) أين جواب أريدتم وما لم يثبت
كما أثبت في قصة نوح ولوط (قلت) جوابه محذوف وإنما لم يثبت لأن إثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام
ينادي عليه والمعنى أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين مزرى وكنت نبياً على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك
عبادة الأوثان والسكف عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك ۝ يقال بخالفني فلان إذا قصدته وأنت مول
عنه وخالفني عنه إذا ولي عنه وأنت قاصده ويلفك الرجل صادراً عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني إلى الماء
يريد أنه قد ذهب إليه وادراً وأنا ذاهب عنه صادراً ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ۝ يعني أن
أسبقكم إلى شهوراتكم التي نهيتكم عنها لا أستبد بها دونكم (إن أريد إلا الإصلاح) ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي
ونصيحتي وأمرى بالمعروف ونهي عن المنكر (ما استطعت) ظرف أي مدة استطاعتني للإصلاح وما دمت متمكناً منه
لا آلو فيه جهداً أو بدلاً من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على
قولك إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت أو مفعول له كقوله ۝ ضعيف النكاية أعداءه ۝

أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم (وما توفيقى إلا بالله) وما كوني موقفاً لإصابة الحق فيما آتى
وأذر ووقوعه موافقاً لرضا الله إلا بتموته وتأيدته والمعنى أنه استوفى ربه في إتمام الأمر على سنته وطلب منه التأيد والإظهار
على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطباعهم فيه ۝ جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين

إلى قوله بناء الخطاب فيهما) قال أحمد فعلى هذه القراءة يكون أن تفعل معطوفاً على أن تترك وعلى المشهور لا يجوز ذلك
والله أعلم لاستحالة المعنى فيتعين العطف فيها على ما يعبد كأنهم قالوا أصلواتك تأمرك أن تترك عبادة آباءنا ومعبود آباءنا على أنها
مصدرية أو مرصولة ثم قالوا أو أن تفعل أي أريد أن تترك فعلنا في أموالنا ما تشاء هذه لطيفة فتنه لها ولا حاجة إلى إضمار الزمخشري
لمضاف تقديره تأمرك بتكليف أن تترك واحتجاجه لذلك بأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره إذا والمسئلة فرع من فروع
خاق الأفعال ومع ذلك كله فتقدير المضاف في الآية متوجه ليس بناء على القراءة المذكورة ولكن لأن عرف الخطاب
في مثله يقتضى ذلك والله أعلم ۝ قوله تعالى (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) (قال محمود ما استطعت ظرف أي مدة
استطاعتني للإصلاح وما دمت متمكناً منه ويجوز أن يكون على حذف مضاف تقديره إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت
أو يكون مفعولاً للمصدر كقوله ۝ ضعيف النكاية أعداءه) قال أحمد والظاهر أنه ظرف كبر في قوله فاتقوا الله ما استطعتم
وأما جعله مفعولاً للمصدر وقد عرف بالألف واللام فبعيد لأن إعمال المصدر المعرف في المفعول الصريح ليس بذلك
قالوا ولم يوجد في القرآن عاملاً في مفعول صريح ولا في غيره إلا في قوله لا يحب الله الجهر بالسوء فاعمله في الجار والعدول

(قوله عن حذف الدراهم) الذي في الصحاح حذف من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذت أم (قوله لا يبض حجره)
في الصحاح بضم الماء بضيضاً سال قليلاً قليلاً وفي المثل ما يبض حجره أي ما تندى صفاته

مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۚ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ رَبُّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا
إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۚ قَالُوا يَشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ
لَرَجَّيْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۚ قَالَ يَبْقَوْمِ ارْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا

تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته إياه قال ۚ جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا ۚ ومنه قوله تعالى (لا يجر منكم شقي أن يصيبكم) أي لا يكسبنكم شقاي إصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارماله أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدى إلى مفعول واحد كما نقل أ كسبه المال من كسب المال وكما لافرق بين كسبته مالا واكسبته إياه فكذلك لافرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه والقراءتان مستويتان في المعنى لانفارت بينهما إلا أن المشهورة أفصح لفظا كما إن كسبته مالا أفصح من اكسبته والمزاد بالفصاحة أنه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدورهم له أكثر استعمالا ۚ وقرأ أبو حيرة ورويت عن نافع مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله ۚ لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت ۚ (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعني أنهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك (فإن قلت) ما البعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه (قلت) إما أن يرادوا أهلا بهم ببعيد أو ما هم بشيء بعيد أو زمان أو مكان بعيد ويجوز أن يسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والهيوق ونحوهما (رحيم ودود) عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال (مانفقه) مانفهم (كثيرا مما تقول) لأنهم كانوا لا يلقون إليه إذهابهم رغبة عنه وكرهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبا بجدته ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا يفقههم كثير منه وكيف لا يفقههم كلامه وهو خطيب الأنبياء وقيل كان أثنى (فينا ضعيفا) لاقوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمى المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وايس بسديد لأن فينا ياباء الأتري أنه لو ين إنا لترك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك المراء قرمه حيث جعلهم رهطا ۚ والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة وإنما قالوا ولولا هم احترامهم واعتدادا بهم لأنهم كانوا على ما هم لا خوفان شوكتهم وعزتهم (لرجنك) لقتلتناك شر قتلة (وما أنت علينا بعزير) أي لا تعز علينا ولأنكم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دلّ إيلام ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفعل لا في الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزير بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم (أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب (فإن قلت) فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطى أعز عليكم من الله (قلت)

عن إلقاء الأعراب إلى وجوهه وهي ممكنة عديدة متعين خصوصا في أفصح الكلام والله أعلم ۚ قوله تعالى إنا لترك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجنك (قال فيه معنى قولهم ضعيفا أي لاقوة لك ولا عز فيما بيننا الخ) قال أحمد وهذا من محاسن

(قوله جرمت فزارة) صدره ولقد طعنت أبا عبيدة طعنة وجرمت أي الطعنة أفاده الصحاح (قوله على ما يقتضيه قوم من عمله) وذلك بأن يعامل معاملة المؤنث نحو كذبت قوم نوح المرسلين أو معاملة جمع الذكر نحو إذ قال لهم أخوهم نوح الاتقون لأن الأول مقتضى حمله على لفظه كما سبأني للمهم في سورة الشعراء من أن القوم مؤنثة وتصغيرها قومية والثاني مقتضى حمله على معناه وهو ظاهر

إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَيَقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِجِنَانِ شَعْيِيَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَاتَّخَذُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جِثْمِينَ ۝ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الْإِبْعَادُ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ

تعاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله حين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (واتخذتموه وراكم ظهوريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعاب به والظهير منسوب الى الظهر والنكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى امس امسى (بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها (على مكاتبكم) لا تخلو المكاتب من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكاتب ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكاتبه فهو مكاتب والمعنى اعملوا قارين على جهتم التي اتم عليها من الشرك والشان لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لنا (ابي عامل) على حسب ما يؤتىني الله من النصره والتأييد ويكفني (من ياتيئه) يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون اينا ياتيئه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي ياتيئه عذاب يخزيه والذي هو كاذب (فان قلت) اي فرق بين ادخال الفاء ونزوعها في سوف تعلمون (قلت) ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزوعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكاتبنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فرصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للفتن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقرى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تنكأ محاسنه (وارقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (ابي معكم رقيب) اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضرب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع (فان قلت) قد ذكر عملهم على مكاتبهم وعمله على مكاتبه ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومهم فكان القياس ان يقول من ياتيئه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من ياتيئه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث إليهم (قلت) القياس ما ذكرت ولكم لما كانوا يدعون كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا هم (فان قلت)

نسكته الدالة على أنه كان مليا بالحدائق في علم البيان والله المستعان ۝ قوله تعالى ابي عامل سوف تعلمون من ياتيئه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارقبوا ابي معكم رقيب (قال ان قلت قد ذكر عملهم على مكاتبهم الخ) فان احمد والظاهر والله اعلم ان الكلامين جميعا لهم فالاول وهو قوله من ياتيئه عذاب يخزيه مضمن ذكر جرمهم الذي يجازون به وهو الكذب ويكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وإنما يعني المخاطب في الكلامين فاذا ثبت صرف الكلامين إليهم لم يخجل ذلك من دلالة على ذكر عاقبته هو لان أحد الفريقين اذا كان مبطلا فالآخر هو المحقق قطعا فذكره لإحدى العاقبتين صريحا يفهم ذكر الاخرى تعريضا والتعريض كما علمت في كثير من مواضعه ابلغ وأوقع من التصريح وهذا منه والذي يدل على ان الكلامين لها وان عاقبة أمر شعيب لم تذكر استغناء عنها بذكر عاقبتهم كما بيناه في الآية التي في أول هذه السورة وهي قوله تعالى قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من ياتيئه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم الا تراه كيف اکتفي بذلك عن ان يقول ومن هو على خلاف ذلك وكذلك قوله في سورة الانعام قل يا قوم اعملوا على مكاتبكم ابي عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار فذكر هناك أيضا إحدى العاقبتين لأن المراد بهذه العاقبة عاقبة الخيرومتى أطاقت فلا يعني الا ذلك كقوله والعاقبة للمتقين واستغنى عن ذكر مقابلتها والله اعلم فتأمل هذا الفصل فإنه تحفة لمن همه نظم درر الكتاب العزيز وضم

ثمود ه ولقد أرسلنا موسى بآيَاتنا وسلطان مبين ه إلى فرعون وهآلئيه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ه يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود ه واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ه ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قاتم وحصيد ه وما ظالمينهم

قلت) ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءت بالواو والساقان الوسطيان بالفاء (قلت) قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله إن موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب لحيء بالفاء الذي هو للتسيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الآخران فلم تقعا بتلك المثابة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة ه الجائمه اللازم لما كانه لا يريم كاللا بد يعني أن جبريل صاحب بهم صبيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا (كأن لم يغنوا) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين ه البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الأتري إلى قوله (كما بعدت) وقرأ السلي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض العرب إلا أنهم أرادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقرأة السلي جاءت على الأصل اعتباراً لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعد أ لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها (آياتنا وسلطان مبين) فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أهرما (وما أمر فرعون برشيد) تجهيل لتبعيه حيث شاعره على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الإلهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلوا له دعواه وتابعوا على طاعته والأمر الرشيد الذي فيه رشد أي وما في أمره رشد إنما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لامن يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عابوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام وعللوا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط (يقدم قومه) أي كما كان قنوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيراً لذلك وإيضاحاً أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمى ويرضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين ه (فإن قلت) هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي (قلت) لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة و(الورد) المورد و(المورود) الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده (واتبعوا في هذه) في هذه الدنيا (لعنة) أي يلغنون في الدنيا ويلغنون في الآخرة (بئس الرفد المرفود) ردهم أي بئس العمون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رقد للعذاب ومدد له وقد رقدت باللعة في الآخرة وقيل بئس

بعضها إلى بعض والله الموفق للصواب

(قوله ما بال ساقتي قصة) في الصحاح ساقعة الجيش مؤخره اه ومثله ساقعة القصة هنا (قوله كاللا بد) أي المتبدد اللاصق بالأرض أفاده الصحاح (قوله بحيث هو قعصا كان) في الصحاح يقال مات فلان قعصا إذا أصابته ضربة فمات مكانه (قوله وذلك أنه ادعى الإلهية) وهو بشر مثلهم وظاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الإلهية (قوله يقدم قومه فيوردهم) ولم جيء بلفظ الماضي قلت لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم

وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا تَتْبِيبًا ۚ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ الِيمُّ شَدِيدًا ۚ إِنْ فِي
ذَلِكَ لَآيَةٌ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ۚ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ

العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى نقصه عليك) خبر بعد خبر أي ذلك النبا بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) الضمير للقرى أي بعضها باق وبعضها عانى الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد (فإن قلت) ما محل هذه الجملة (قلت) هي مستأنفة لا محل لها (وما ظلمناهم) باهلا كنا إياهم (ولكن ظللوا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا (فما أغنت عنهم آلهم) فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية و(لما) منصوب بما أغنت (أمر ربك) عذابه ونقمته (تتبيب) تحسير يقال تب إذا خسرت به غيره إذا أوقعه في الخسران ۚ محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الأخذ (أخذ ربك) والنصب فيمن قرأ أو كذلك أخذ ربك بلفظ الفعل ۚ وقرئ إذا أخذ القرى (وهي ظالمة) حال من القرى (اليم شديد) وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقره فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال (ذلك) إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم (آية لمن خاف) لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالجرمين في الدنيا وما هو إلا أنموذج مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والحشية من الله تعالى ونحوه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى (ذلك) إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه و(الناس) رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت بجمع له الناس (فإن قلت) لآي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله (قلت) لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا بالجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وإن شئت فوازن بينه وبين قوله يوم بجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب (يوم مشهود) مشهود فيه فأتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله ۚ ويوم شهدناه سايبا وعامرا ۚ أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال ۚ في تحفل من نواصي الناس مشهود (فإن قلت) فما منعك أن تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه (قلت) الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فإن جعلته مشهودا في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجوز أن يكون مشهودا في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهد ما كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لامفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني

ۚ قوله تعالى ذلك يوم بجمع له الناس (قال فيه إن قلت لم عدل عن الفعل إلى اسم المفعول الخ) قال أحمد وهذا السر ورد قوله تعالى إنا سنخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق والطير محشورة فاستعمل الفعل حيث يابق به واسم المفعول حيث يحسن استعماله أيضا الخ ۚ قوله تعالى وذلك يوم مشهود قال المراد مشهود فيه فأتسع في الظرف الخ) قال أحمد يكون المشهود الذي هو المفعول به مسكوتا عنه مبهما ومن الإبهام ما يكون وتفخيا وهذا مكانه

(قوله اسم المفعول من دلالة على ثبات) عبارة النسفي دلالة

مَعْدُودٌ ۝ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ
وَشَهِيْقٌ ۝ خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ وَأَمَّا

فمن كان منكم مقيماً حاضراً لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبت مفعولاً فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهد المقيم ويغيب عنه المسافر ۝ الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهائها فيقولون انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون حل الأجل فإذا جاء أجلهم يراى آخر مدة التأجيل والعد إنما هو لليلة لاغايتهما ومنتهائها فمعنى قوله (وما يؤخره إلا لأجل معدود) إلا لانتها مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء ۝ قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لأدر حكاة الخليل وسيدويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل (فإن قلت) فاعل يأتي ماهو (قلت) الله عز وجل كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله يا ذنه ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة (فإن قلت) بما انتصب الظرف (قلت) إنما أن ينتصب بلاكلم وإما بإضمار اذ كر وإما بالانتها المحذوف في قوله إلا لأجل معدود أى ينتهى الأجل يوم يأتي (فإن قلت) فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتاً لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه (قلت) المراد إتيان هو له وشدائده (لانكلم) لاتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن (فإن قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (قلت) ذلك يوم طويل له موافق وهو اطن في بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يحتم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم (فمنهم) الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقدم ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقى الذى وجبت له النار لإسمائه والسعيد الذى وجبت له الجنة لإحسانه ۝ قراءة العاقمة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا ۝ والزفير إخراج النفس ۝ والشهيق ردة قال الشماخ: بعيد مدى التطريب أول صوته ۝ زفير ويتلوه شهيق محشرج

(مادامت السموات والأرض) فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها رهي دائمة مخلوقة الأبد والدليل على أن لها سموات وأرضاً قوله تعالى «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات» وقوله «وأورثنا الأرض نتقوا من الجنة حيث نشاء» ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلمهم ويظلمهم إقامساء يخلقها الله أو يظلمهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثاني أن يكون عبارة عن التأييد ونفى الانقطاع كقول العرب مادام تعار وما أقام ثبير ومالاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأييد (فإن قلت) فامعنى الاستثناء في قوله (إلا ما شاء ربك) وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء (قلت) هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبها وأغاظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسوه لهم وإهانتهم إياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل هو قعابهم وهو رضوان الله كما قال ۝ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر، ولهم ما يفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو وهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته (إن ربك فاعل لما يريد) أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطى أهل الجنة عطاءه الذى لا انقطاع له فأنمله فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً ولا يخذعك عنه قول المجبرة إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادى على

(قوله ولا يخذعك عنه قول المجبرة) يريد أهل السنة أمما المعتزلة فيقولون فاعل الكبيرة واسطة بين المؤمن والكافر وخلوده في النار أبدى وتحقيق بطلانه في علم الوحيد

الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ ه
فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيْبُهُمْ غَيْرُ مَنْقُوصٍ ه
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ
مُرِيْبٍ ه وَإِنَّ كَلِمًا لِيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ه فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ

تسكذبهم ويسجل باقتراثهم وما ظنك بقوم نبدوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص لياتين على
جهنم يوم تصفق فيها ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان
الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها على أن نعقل
عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزهر بر فذلك خلوجهم وصفق ابوابها وأقول ما كان
لا ابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بها على بن أبي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث (غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه
يمتد إلى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون ه لما قص قصص عبدة الأوثان وذكروا ما أحل به من نعمة وما أعد لهم من عذاب قال
(فلاتك في مرية مما يعبد هؤلاء) أي فلاتك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعريضهم بالمسا أصاب
أمثالهم قبلهم تسليبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عدة بالانتقام منهم ووعيد لهم ثم قال (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم) يريد أن
حالهم في الشرك مثل حال آباؤهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل
النهي عن المربة وما في مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي من عبادتهم وعبادتهم أو مما يعبدون من
الأوثان ومثل ما يعبدون منها (وإنا لموفونهم نصيبهم) أي حظهم من العذاب كما وفينا آباؤهم أنصباهم ه (فإن قلت) كيف
انصب (غير منقوص) حالا عن النصيب الموفى (قلت) يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الأترك تقول وفية
شطر حقه وذلك حقه وكامله وناقصاً (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن (ولولا كلمة)
يعني كلمة الإناظر إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) بين قوم موسى أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضاً (وإن كلا) التوین
عوض من المضاف إليه يعني وإن كلهم وإن جميع المختلفين فيه (ليوفينهم) جواب قسم محذوف ه واللام في لما موطئة
للقسم وما مزيدة والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) من حسن وقبيح وإيمان وجحود وقرئ وإن
كلا بالتخفيف على أعمال الخففة عمل الثقيلة اعتباراً لأصلها الذي هو الثقل وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن
نافية ولما بمعنى إلا وقرأة عبد الله مفسرة لها وإن كل إلا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما ليوفينهم
بالتوین كقوله أكلما والمعنى وإن كلا ملومين بمعنى مجرعين كأنه قيل وإن كلا جميعاً كقوله فسجد الملائكة كلهم
أجمعون (فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها (ومن تاب معك
معك) معطوف على المستتر في استقم وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت

ه قوله تعالى ه وإنا لموفونهم نصيبهم غير منقوص ه (قال محمود) أي حظهم من العذاب وإنما نصب غير منقوص حالاً من
النصيب الموفى لأنه يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الأترك تقول وفية شطر حقه وكامله (قال أحمد) وهم
والله أعلم فإن التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملاً كان أو ناقصاً فقولك وفية نصف حقه يستلزم عدم نقصانه فواجه
انتصابه حالاً عنه والأوجه أن يقال استعملت التوفية بمعنى الإعطاء كما استعمل التوفى الأخذ ومن قال أعطيت فلانا حقه
كان جديراً أن يؤكد بقوله غير منقوص والله أعلم

(قوله لما روى لهم بعض النوابت) في الصحاح أن بني فلان لنا بته شر والنوابت من الأحداث الأعمار

وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ

وليستقم من تاب على الكفر وآمن معك (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (إنه بما تعملون بصير) عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتي هود الواقعة وأخواتها وروى أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فبك الشيب فقال شيبتي هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روى عنك أنك قلت شيبتي هود فقال نعم فقلت ما الذي شيك منها أفصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما أمرت قال افتقر إلى الله بصحة العزم قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن أبي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة لإلاياء في كل ما كان من باب علم بعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسك النار بكسر التاء وقرأ ابن أبي عبله ولا تركنوا على البناء المفعول من أركنه إذا أماله والهوى متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزبي بزيمهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فإن الركون هو الميل اليسير وقوله (إلى الذين ظلموا) أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين وحكى أن الموقف صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبينه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنت وحشة الظالم وسهات سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطباً تدير عليك رحي باطلهم وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم وسليماً يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم يخاف من بعدهم خاف أضعاء الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فإر دينك فقد دخله سقم وهيء زادك فقد حضر السفر البعيد وما نفي على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القزاة الزائرون للبلوك وعن الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملاً وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه . ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في بركة هل يسقى شربة ماء فقال لا فقبل له يموت فقال دعه يموت (ومالك من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسك أي فتمسك النار وأتم على هذه الحال ومعناه ومالك من دون الله من أنصار يقدر على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم (فإن قلت) فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له (طرفي النهار) غدوة وعشية (وزلفا من الليل) وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وازدلف إليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر

(قوله وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك) لعل هنا سقطاً تقديره في جنب ما أعطوك وما أقل ما سلحوا لك في جنب ما أفسدوا الخ

ذَكَرَى لِلذَّكْرَيْنِ ۝ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ
يَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۝

والعصر لأن ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقت عنده جميع النهار وآيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه ونحوه وأطراف النهار وقرئ وزلفا بضمين وزلفا بسكون اللام وزاني بوزن قربي فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمين نحو بسر في بسر والزاني بمعنى الزلفة كما أن القربي بمعنى القرية وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة أي أقم الصلاة طرفي النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلاة تتقرب بها إلى الله عزوجل في بعض الليل (إن الحسنات يذهبن السيئات) فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني إن الحسنات يذهبن السيئات بأن يكن لطفاً في تركها كقوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في أبي اليسر عمرو بن غزية الأنصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبهت فقال لها إن في البيت أجود من هذا التمر فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر أمر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت وروى أنه أتى أبا بكر فأخبره فقال استر على نفسك وتب إلى الله فأتى عمر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فقال عمر أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توصاً وضوءاً حسناً وصل ركعتين إن الحسنات يذهبن السيئات (ذلك) إشارة إلى قوله فاستقم فابعده (ذكرى للذكارين) عظة للمتعبين ۝ ثم كر إلى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو غاية للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتبنيه على مكان الصبر ومحلّه كأنه قال وعليك بما هو أهم بما ذكرت به وأحق بالتوصية وهو الصبر على امثال ما أمرت به والانتفاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه إلا به (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على الاستقامة وإقامة الصلوات والانتفاء عن الطغيان والركون إلى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون) فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا إلا التي في الصفات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصفات لولا أن تداركه نعمة من ربه لبيد بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم (أولو بقية) أولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لأن الرجل يستقي مما يخرج من أجمده وأفضله فصار مثلاً في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية الفوم أي من خيارهم وبه فسر بيت الحماة ۝ أن تذنبوا ثم يأتي بقتيتكم ۝ ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذو وبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ أولو بقية بوزن لقية من بقاء ببقية إذا رافبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المزة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم (إلا قليلاً) استثناء منقطع معناه ولكن قليلاً ما أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ۝ ومن في (من أنجينا) حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم بدليل قوله تعالى أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (فإن قلت) هل لوقوع هذا الاستثناء متصلاً وجه يحمل عليه (قلت) إن جعلته متصلاً على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً لأنه يكون تحضيضاً الأولى البقية على النهي عن الفساد إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن إلا الصالحاء منهم تريد استثناء الصالحاء من المحضضين على قراءة القرآن

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ
 مُخْتَلِفِينَ ۚ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۚ
 وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِّنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ
 وَقُلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۚ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۚ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ

وإن قلت في تحضيضهم على الهوى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون أو لو بقية إلا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحاً وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان الأوضح أن يرفع على البدل (وانبع للذين ظلوا ما أترفوا فيه) أراد بالذين ظلوا تاركى الهوى عن المنكرات أى لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعقدوا همهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التمتع والترغيب من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنىء ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ أبو عمرو في رواية الجعنى وانبع الذين ظلوا يعنى واتبعوا جزء ما أترفوا فيه ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزء أترفوا فيه وهذا معنى قوى لتقدم الانجاء كأنه قيل إلا قليلا من أنجينا منهم وهلك السائر (إن قلت) علام عطى قوله واتبع الذين ظلوا (قلت) إن كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفاً على مضمرة لأن المعنى إلا قليلا من أنجينا منهم نهوا عن الفساد وانبع الذين ظلوا شهواتهم فهو عطى على نهوا وإن كان معناه واتبعوا جزء الإتراف قالوا أو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلوا جزءهم (فإن قلت) فقوله (وكانوا مجرمين) (قلت) على أترفوا أى اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبعوا أى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز أن يكون اعتراضاً وحكماً عليهم بأنهم قوم مجرمون (كان) بمعنى صح واستقام ۚ واللام لتأكيد النفي و (بظلم) حال من العاقل والمعنى واستحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالماً لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيهاً لذاته عن الظلم وإيداناً بأن إهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمنون إلى شركهم فساداً آخر ۚ (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى لا يضطرهم إلى أن يكون أهل أمة واحدة أى ملة واحدة وهى ملة الإسلام كقوله إن هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي اضطرار وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق ولسكنته مكنهم من الاختيار الذى هو أساس التكليف فاختر بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول وتضمنه يعنى ولذلك من التمكين والاختيار الذى كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره (وتمت كلمة ربك) وهى قوله الملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعله بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبأ (نقص عليك) و (من أنباء الرسل) بيان لكل و (مانثبت به فؤادك) بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك يعنى على الأساليب المختلفة وما ثبت به مفعول نقص ومعنى تثبتت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لأن تكاثراً الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم (وجاءك في هذه الحق) أى في هذه السورة أو في هذه الآيات المقصدة فيها ما هو حق (وموعظة وذكرى ۚ وقل للذين لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا) على حالكم وجهتكم التى أتم عليها (إننا عاملون وانتظروا) بنا الدوائر (إننا منتظرون) أن ينزل بكم نحر ما نقص الله من النعم النازلة بأشباهم

وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

سورة يوسف مكية

إلا الآيات ۱ و ۲ و ۳ و ۷ فمدنية وآياتها ۱۱۱ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الرَّتَّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝ إِذْ قَالَ

(والله غيب السموات والارض) لا تخفى عليه خافية مما يجرى فيها فلا تخفى عليه أعمالكم (وإليه يرجع الأمر كله)
فلا بد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فيذوقهم لك منهم (فاعبده وتوكل عليه) فإنه كافيك وكافلك (وما ربك بغافل عما يعملون)
وقرئ تعملون بالذاء أى أنت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الأجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة
من السعداء إن شاء الله تعالى ذلك

﴿ سورة يوسف مكية وهى مائة وإحدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (تلك) إشارة إلى آيات السورة و (الكتاب المبين) السورة أى تلك الآيات التى أنزلت
إليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى إعجاز العرب وتبكيهم أو التى تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من
عند البشر أو الواضحة التى لا تشبه على العرب معانيها لتزولها بلسانهم أو قدايين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد
روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف
(أنزلناه) أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه (قرآنا عربيا) وسمى بعض القرآن قرآنا لأن القرآن
اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلمكم تعقلون) إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا
أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (القصص) على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا
كقولك شله يشله شللا إذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالتفص والحسب ونحوه البأ والخبر فى معنى المنبأ به
والخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد وإن أريد المصدر فعناه نحن نقص عليك أحسن
الاقتصاص (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أى بإيحاتنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لإضافته
إليه ويكون المقصود محذوفا لأن قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن معن عنه ويجوز أن ينصب هذا القرآن بنقص
كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحاتنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبداع
طريقة وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص فى كتب الأولين وفى كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه فى كتاب
منها مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وإن أريد بالقصص المقصود فعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث
وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التى ليست فى غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقص
فى بابها كما يقال فى الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد فى فنه (فإن قلت) مم اشتقاق القصص (قلت) من قص أثره إذا تبعه
لأن الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أى يتبع ما حفظ منه آية بعد
آية (وإن كنت) إن مخففة من الثقيلة واللام هى التى تفرق بينها وبين النافية والضمير فى (قبله) راجع إلى قوله

(قوله ليست فى غيرها والظاهر أنه) لعله فى غيره كعبارة النفسى

يوسف لأبيه يسأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ه قال يسأبت

ما أوحينا والمعنى وإن الشأن والحديث كنت من قبل إبحاثنا إليك من الغافلين عنه أي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه (إذ قال يوسف) بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتغال لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصود فإذا قصّ وقته فقد قصّ أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربياً لانصرف لخلوة عن سبب آخر سوى التعريف (فإن قلت) فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل (قلت) لأن القراءة المشهورة قلت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت في هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آس و أونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل من الكريم فقربوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم (يا أبت) قرئ بالحركات الثلاث (فإن قلت) ما هذه الباء (قلت) تاء تأنيث وقعت عوضاً من ياء الإضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف (فإن قلت) كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمدكر (قلت) كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربيعة و غلام بفعلة (فإن قلت) فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة (قلت) لأن التأنيث والإضافة يتناسبان في أن كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره (فإن قلت) فما هذه الكسرة (قلت) هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا أباي قد زحقت إلى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحاً (فإن قلت) فما بالكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة (قلت) امتنع ذلك فيها لأنها اسم والأسماء حقها التحريك لأصلها في الإعراب وإنما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفاً لأنها حرف لين وأما التاء فخرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها (فإن قلت) يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لأنها في حكم الياء إذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا أباي لا يجوز يا أبت (قلت) الباء والكسرة قلبها شيان والتاء عوض من أحد الشئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه إلا إذا جمع بين التاء والياء لا غير الأتري إلى قولهم يا أباي مع كون الألف فيه بدلاً من الياء كيف جاز الجمع بينهما وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك (فإن قلت) فقد دلت الكسرة في يا غلام على الإضافة لأنها قريبة الياء ولصيقتهما فإن دلت على مثل ذلك في يا أبت فالتاء المعوضة لغو وجردها كعدمها (قلت) بل حالها مع التاء كحالها مع الياء إذا قلت يا أباي (فإن قلت) فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها (قلت) أما من فتح فقد حذف الألف من يا أباي واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز أن يقال حركتها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا أباي وأما من ضم فقد رأى اسماً في آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال يا أبت كما تقول ياتبة من غير اعتبار لكونها عوضاً من غير ياء الإضافة ه وقرئ إني رأيت بتحرك الياء وأحد عشر بسكون العين تخفيفاً لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا إلى تسعة عشر إلاثني عشر ثلاثي ساكنان ورأيت من الرؤيا لأن الرؤية لأن ما ذكره معلوم أنه منام لأن الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف

(القول في سورة يوسف عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (قال إن قلت ما معنى تكرار رأيت الخ) قال أحمد وأحسن من ذلك أن الكلام طال بين الفعل والحال فطرى ذكر الفعل لمناسبة الحال وهي المقصودة إذ الآية في السجود كانت والله أعلم

(قوله كما تقول ياتبة من غير اعتبار) قوله تبه بكسر الباء وتشديد الباء الحالة الشديدة وفي نسخة ياتبة كذا بها ش الأصل

لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا اتَّخَذَ لَكَ مِنْ قَبْلُ

في حال اليقظة لسكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس (فإن قات) ما أسماء تلك الكواكب (قلت) روى جابر أن يهوديا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رأى يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي إن أخبرتك هل تعلم قال نعم قال جريان والطارق والذبال وقاس وعمودان والعليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذوالسكتفين وآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي أي والله إنها لأسماءها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لآية فقال إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثلثي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصصها على أبيه فقال له لا تقصصها عليهم فإخرا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة وقيل ثمانون ۝ (فإن قلت) لم أخرج الشمس والقمر (قلت) أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخرج جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر ۝ (فإن قلت) ما معنى تكرار رأيت (قلت) ليس بتكرار إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله إني رأيت أحد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال (رأيتهم لي ساجدين) (فإن قلت) فلم أجريت بحرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين (قلت) لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطي حكما من أحكامه إظهارا لآثار الملاسة والمقاربة ۝ عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوّة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه تخاف عليه حسد الإخوة وبغيرهم ۝ والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينها بحرفي التأنيث كما قيل القرية والقري وقري رويك بقلب الهمزة واو وسمع الكسائي ريبك وريبك بالإدغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لأن الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام في قولهم انزروا الإزار واتجر من الأجر (فيكيدوا) منصوب بإضمار أن والمعنى إن قصصتها عليهم كادوك (فإن قلت) هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني (قلت) ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفاضة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر (عدو مبين) ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء واقوله لأفعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن أن يحمله على مثله (وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء (يجتبيك ربك) يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وغز وكبرياء شأن كذلك يجتبيك ربك لأمر عظام وقوله (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء أفعال من جيت الشيء إذا حصلته لنفسك وجيت الماء في الحوض جمعه والأحاديث الرؤيا لأن الرؤيا أما حديث نفس أو ملك أو شيطان ۝ وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث معاني كتب الله وسنن الأنبياء وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت أحاديث لأنه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا ألا ترى إلى قوله تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون الله

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَّائِلِينَ ۝ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ
وَإِخْوَهُ أَحِبُّ إِلَىٰ آيِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عَصَبَةٌ إِنَّا أَنَا أَلْفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ

نزل أحسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدية ۝ ومعنى إتمام النعمة عليهم أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة
الآخرة بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكاً ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة وقيل أتمها على إبراهيم بالخلعة والإنجاء
من النار ومن ذبح الولد وعلى إسحق بإنجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه وقيل
علم يعقوب أن يوسف يكون نبياً وإخوته أنبياء استدلالاً بوضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت
الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا مارضى أن يبع له إخوته حتى يبع له أبواه وقيل كان يعقوب مؤثراً له بزيادة المحبة
والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة
إلى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما تص رؤياه على يعقوب قال هذا أمر مشئت يجمع الله لك بعد
دهر طويل ۝ وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن
له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن أهلها ۝ وأراد بالآبوين الجد وأبا
الجد لأنهم في حكم الأب في الأصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وإن كان بينه وبين فلان عدة و(إبراهيم وإسحق) عطف
بيان لأبويك (إن ربك عالم) بهلم من يحق له الاجتباء (حكيم) لا يتم نعمته إلا على من يستحقها (في يوسف وإخوته) أى في قصتهم
وحدثهم (آيات) علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شىء (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب ۝ وقرئ آية
وفي بعض المصاحف عبرة وقيل إنما قص الله تعالى على النبي عليه الصلاة والسلام خبر يوسف وبغى إخوته عليه لما رأى
من بغى قومه عليه ليتأسى به وقيل أسامهم يهوذا وروبييل وسمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينه ودان ونفتالى
وجاد وآشر السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج
أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (أيوسف) اللام للابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة
محبة لهما أمر ثابت لا شبهة فيه (وأخوه) هو بنيامين وإنما قالوا أخوه وهم جميعاً لإخوته لأن أمهما كانت واحدة وقيل (أحب)
في الاثنين لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام
التعريف وإذا أضيف جازاً الأمران والواو في (ونحن عصبه) وأوالحال يعنى أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران
لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة تقوم بمراقبه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما فضلنا بالكثرة والمنفعة

۝ قوله تعالى ۝ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى آيينا منا ونحن عصبة ۝ قال اللام للتوكيد دخلت الإشعار بأن زيادة محبة
أبيهم لهما أمر ثابت الخ) قال أحمد هذه تؤيد قراءة ابن مروان هؤلاء بناتى هن أظهر لكم بالنصب وقد قال سيديويه فيها احتبى
ابن مروان في لحنه أى تمكن وحيث تأيدت بقراءة أمير المؤمنين كرم الله وجهه فلا بد من التماس الحمل الصحيح لها
وليس ذلك ببعيد إن شاء الله فنقول لو قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى آيينا منا ونحن نحن على طريقة
۝ أنا أبو النجم وشعري شعري ۝ ونحو أنا أما رأيت أنت لم يكن في فصاحته مقال وقد علمت أن معنى أنا أنا أى أنا
الموصوف بالأوصاف الشهيرة التى استغنى عن ذكرها فلا بعد والحالة هذه في حذف الخبر لمساواته المبتدأ وعدم زيادته عليه
لفظاً وراحة من تكرار اللفظ بعينه والسياق يرشد إلى المحذوف وإذا كان كذلك فقول القائلين ليوسف وأخوه أحب
إلى آيينا منا ونحن نحن ولكن استغنوا عن الخبر للسرى الذى ذكرناه فقولهم ونحن كلام تام بالتقدير المذكور
فلا غرو في وقوع الحال بعده وهذا بعينه يجرى في قوله هؤلاء بناتى هن أظهر لكم فقوله هن في حكم الكلام التام والمراد
هؤلاء بناتى هن المشهورات بالأوصاف الحميدة الظاهرة وأصل الكلام هن هن فوقع الحال بعد التمام والله أعلم

لَكُمْ وَجْهَ آيَاتِكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ۝ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنَنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ

عليهما (إن أبانا لني ضلال مبین) أي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك ۝ والعصبة والعصابة العشرة فصاعداً وقيل إلى الأربعين سمو بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الأنباري هذا كما تقول العرب إنما العامري عمته أي يتعهد عنه (أقتلوا يوسف) من جملة ما حكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الأمر بالقتل شعور وقيل دان والباقرن كانوا راضين فجعلوا أمرين (أرضاً) أرضاً منكورة بجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف وإيهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المهمة (يخجل لكم وجه أيكم) يقبل عليكم إقبال القراحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم من يشار كههم فيها وينازعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصور معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويقي وجه ربك وقيل يخجل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو برجع الضمير إلى مصدر أقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تائبين إلى الله عما جنيتهم عليه أو يصلح ما بينكم وبين أيكم بعذر تهودونه أو تصلح دنياكم وتنظم أموركم بعده بخلو وجه أيكم ۝ وتكونوا إماماً مجزوم عطفاً على يخجل لكم أو منصوب بإظهار أن والواو بمعنى مع كقوله وتكلموا الحق (قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأياً وهو الذي قال فلن أبرح الأرض قال لهم القتل عظيم (القره في غيابة الجب) وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخل :

إن أنا يوماً غيبتني غيابتى ۝ فسيروا بسيرى في العشيرة والأهل

أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب البئر لم تطولان الأرض تجب جبا لا غير (يلتقطه) يأخذه بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالناء على المعنى لأن بعض السيارة سيارة كقوله ۝ كما شرقت صدر القناة من الدم ۝ ومنه ذهب بعض أصابعه (إن كنتم فاعلين) إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي (مالك لا تأمنا) قرئ بإظهار النون وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام وتيمنا بكسر التاء مع الإدغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجدنا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله على رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحسن منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه (ترتع) يتسع في أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ ترتع من ارتعى يرتعى ۝ وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (فإن قلت) كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب (قلت) كان لهم الاستباق والانتضال ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لالهو بدليل قوله لنا ذهبنا نستبق وإنما سموه لعباً لأنه في صورته (ليحزنتي) اللام لام الابتداء كقوله إن ربك ليحكم بينهم ودخلوها أحد ما ذكره سيديويه من سبب المصارعة ۝ اعتذر إليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقة إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا

۝ قوله تعالى « قال إنى ليحزنتى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن

(قوله قال المنخل إن أنا يوماً) لعله إذا أنا أوله وإن أنا (قوله ما يدل على خلاف النصيحة والمقة) أى المحبة وقدمه يمه بالكسر فهما أى أحبه فهو وامق كذا في الصحاح

وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۖ قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الذَّبَّ وَنَحْنُ عَصَبَةٌ إِنَّا إِذَا خَسِرْنَا ۖ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ وَجَاءَتْهُمْ آبَاهُمْ عِشَاءَ

عنه برعيهم ولعبهم وأقل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم أن الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فن ثم قال ذلك فلقتهم العلة وفي أمثالهم ۖ البلاء موكل بالمنطق ۖ وقرئ الذئب بالهمزة على الأصل وبالتخفيف وقيل اشتقاه من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جهة ۖ القسم محذوف تقديره والله (لئن أكله الذئب) واللام موطئة للقسم وقوله (إنا إذا خاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط ۖ والواو في ونحن عصبية واو الحال حلفوا له لئن كان ماخافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالمهم أنهم عشرة رجال يمثلهم تعصب الأمور وتكفي الخطوب إنهم إذا ليقوم خاسرون أي هالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً أو مستحقون أن يهلكوا لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسارة والدمار وأن يقال خسروهم الله ودمروهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضران وقيل إنهم تقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها (فإن قلت) قد اعتذر إليهم بغيرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر (قلت) هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرين فأعاروه آذاناً صماً ولم يعبوا به (أن يجعلوه) مفعول أجمعوا من قولك أجمع الأمر وأزمعه فأجمعوا أمرهم ۖ وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بأرض الأردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روى أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغيثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح بأبته لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإمام فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم فزعرها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكباً تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى إلى صخرة فقام عليها وهو يكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه الطعام ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين أتى في النار وجرد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحق وإسحق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تيممة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فأخرجته وألبسه إياه (وأوحينا إليه) قيل أوحى إليه في الصخر كما أوحى إلى يحيى وعيسى وقيل كان إذ ذاك مدركاوعن الحسن كان له سبع عشرة سنة (لتنبئهم بأمرهم هذا) وإنما أوحى إليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويشرح بما يؤول إليه أمره ومعناه لتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أرواهمهم وإطول العهد المبتدل للهيآت والأشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه بمتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فظن فقال إنه ليخبرني هذا الجمام أنه كان أخ من أيكم يقال له يوسف وكان يدينه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة

عصبة إنا إذا لخاسرون» (قال محمود) اعتذر لهم بأمرين أحدهما حزنه لفارقتة الثاني خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه الخ (قال أحمد) وكان أشغل الأمرين لقلبه خوف الذئب عليه لأنه مظنة هلاكه وأما حزنه لفارقتة ريثما يرتع ويلعب ويعود سالماً إليه عما قليل فأمر سهل فكأنهم لم يشتغلوا إلا بتأمينه وتطمينه من أشد الأمرين عليه والله أعلم

(قوله ويذيقهم الأمرين فأعاروه) الأمرين بنون الجمع الدواهي كذا بهامش وفي الصحاح الأمران الفقر والهرم وفيه أيضاً الأمر المضارين مجتمع فيها الغرث قال الشاعر
فلا تهدي الأمر وما يليه ۖ ولا تهدي معروف العظام
أبو زيد لقيت منه الأمرين ، بنون الجمع وهي الدواهي اه

يَكُونُ ۚ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۚ وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ۚ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ وَلِلَّهِ

الجب وقتلم لايبكم أكله الذئب وبعتموه بثمان بخس ويجوز أن يتعلق وهم لايشعرون بقوله وأوحينا على أنا أنسناه بالوحى وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لايشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لأنيس له ۚ وقرئ لنبئهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لايشعرون متعلق بأوحينا لاغير ۚ وعن الحسن عشيأ على تصغير عشي يقال لقيته عشيأ وعشيأنا وأصيلا وأصيلانا ورواه ابن جنى بضم العين والقصر وقال عشيأ من البكاء وروى أن امرأة حاكت إلى شريح فبكت فقال له الشعبي يا أبا أمية أمتراها تبكي فقال قد جاء إخوة يوسف فيكون وهم ظلمة ولاينبغي لأحد أن يقضى إلا بما أمر أن يقضى به من السنة المرضية وروى أنه لما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أى تتسابق ، والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتساء والنزاهى وغير ذلك والمعنى تتسابق فى العذر أو فى الرمي وجاء فى التفسير نتضل (بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا (بدم كذب) ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه ۚ فهن به جود وأنتم به بخل ۚ وقرئ كذبا نصا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضى الله عنها كذب بالبدال غير المعجمة أى كدر وقيل طرى وقال ابن جنى أصله من الكذب وهو القوف البياض الذى يخرج على أظفار الأحداث كأنه دم قد أثر فى قيصه روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروى أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القييص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القييص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قييصه وقيل كان فى قييص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارند بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره (فإن قلت) على قييصه ما محله (قلت) محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاؤا فوق قييصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال (فإن قلت) هل يجوز أن تكون حالا متقدمة (قلت) لا لأن حال المجرور لا تقدم عليه (سوّلت) سهلت من السول وهو الاسترخاء أى سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتوه من يوسف وهوته فى أعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القييص أو أوحى إليه بأنهم قصده (فصبر جميل) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفى قراءة أبى فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء فى الحديث المرفوع أنه الذى لاشكوى فيه ومعناه لاشكوى فيه إلى الخلق الأتري إلى قوله إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وقيل لأعابشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينه فكان يرفعهما بعصابة فقال له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أشكوىنى قال يارب خطيئة فاغفرها لى (والله المستعان) أى أستعينه (على) احتمال (ماتصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزق فيه (وجاءت

ۚ قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون (قال روى أنه لما سمع أصواتهم قال يا بني هل أصابكم فى غنمكم شيء قالوا لا الخ)

(قوله يقال لقيته عشيأ وعشيأنا) وهذا لو حذف نونه صار عشيأ كقراءة الحسن (قوله وهو القوف البياض) عبارة الضحاح القوف البياض الذى يكون فى أظفار الأحداث اه فجعل البياض خبرا عن القوف وتفسيرا له فعله هنا أى البياض

عَلِيمٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ

سيارة) رقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب فأخطئوا الطريق فنزلوا قريباً منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف (فأرسلوا) رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء ۝ والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم (يا بشرى) نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا من آوتك وقرئ يا بشرى على إضافتها إلى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشرى بالياء مكان الألف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولاي وعن نافع يا بشرى بالسكون وليس بالوجه لما فيه من النقاء الساكنين على غير حده إلا أن يقصد الوقف ۝ قبل لما أدلى دلوه أي أرسلها في الجب تعاق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بسلام أحسن ما يكون فنال يا بشرى (هذا غلام) وقيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرقة وقيل أخفوا أمره ووجد أنهم له في الجب وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس أن الضمير لإخوة يوسف وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه و(بضاعة) نصب على الحال أي أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما يوضع من المال للتجارة أي قطع (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه أسرارهم وهو وعبد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم أو والله عليم بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيمهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخص) مبخرس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف ناقص العيار (دراهم) لادنائير (معدودة) قليلة تعد عدداً ولا توزن لأنهم كانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية وهي الأربعون ويعدون مادونها وقيل للقليلة معدودة لأن الكثيرة يمتنع من عدّها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين (وكانوا فيه من الزاهدين) من يرغب عما في يده فيبيعه بماطف من الثمن لأنهم التقطوه والمثقف للشيء متهاون به لا يبالي بمباعه ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن ويجوز أن يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من إخوته وكانوا فيه من الزاهدين لأنهم اعتقدوا أنه أبق فخافوا أن يخطروا بهم في بيروى أن إخوته اتبعوهم يقولون لهم استوثقوا منه لا يبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لأن الصلة لا تنقدّم على الموصول ألا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاريين وإنما هو بيان كأنه قيل في أي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه (الذين اشتراه) قيل هو قطفير أو أظفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعا يوسف إلى الإسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآناه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه

قال أحمد وقواه على انهامهم أنهم ادعوا الوجه الخاص الذي خاف يعقوب عليه السلام هلاكه بسببه أولا وهو أكل الذئب إياه فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم وأخاف أن يأكله الذئب وكثيرا ما تلقف الأعذار الباطلة من قلق في المخاطب المعتذر إليه حتى كان بعض أمراء المؤمنين يلقنون السارق الإنكار ۝ قوله تعالى وشروه بثمن بخص دراهم معدودة (قال المعدودة كناية عن القليلة الخ) قال أحمد ومن التعبير عن القلة بالعدد الدعوة المأثورة على الكفرة اللهم أحصهم عددا واستأصلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فالمدعوبه وإن كان إحصاؤهم عدداً في الظاهر إلا أن هذا ليس مرادا لأن الله تعالى أحصى كل شيء عدداً وأحاط به علما فلا بد من مقصود وراء ذلك وهو لازم العدد وذلك القلة فلما كان كل قليل معددا وكل كثير غير معدود دعى عليهم بالقلة وعبر عنها بلازمها وهو الإحصاء والله أعلم

(قوله فيبيعه بماطف من الثمن) أي قلّ وفي الصحاح الطفيف القليل

لَا مَرَأَةَ أَكْرَمَى مِثْوَهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَّا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حِكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَرُودَتِ الَّتِي هُوَ فِي يَدَيْهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ

فرعون موسى عاش أربعائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين ديناراً وزوجى نعل وثوبين أبيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وخريرا فابتاعه قطير بذلك المبلغ (أكرمى مثواه) اجعلي منزله ومقامه عندنا كرما أى حسنا مرضيا بدليل قوله إنه ربى أحسن مثواى والمراد تفقديه بالإحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال الرجل كيف أبو مشواك وأم مشواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوايك عنده وهل يراعى حق نزولك به ۝ واللام في لامرأته متعلقة يقال لا باشتراه (عسى أن ينفعنا) لعله إذا تدرّب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض مانحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأماتته أو تبتناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقبا لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التي أتت موسى وقالت لآبيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضى الله عنهما وروى أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه فعرفه (وكذلك) الإشارة إلى ما تقدم من أنجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف (مكنا) له أى كما أنجينا وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) كان ذلك الإنجاء والتمكين لأن غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل (والله غالب على أمره) على أمر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضى أو على أمر يوسف يدبره لا يكله إلى غيره قد أراد إخوته به ما أرادوا ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الأمر كله بيد الله ۝ قيل في الأشد ثمانى عشر سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون وقيل أقصاه ثنتان وستون (حكما) حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزي المحسنين) تنبيه على أنه كان محسنا في عمله متقيا في عفوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه وعن الحسن من أحسن عبادة ربه في شببته آتاه الله الحكمة في اكتفاله ۝ المراد مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت ما يفعل الخادع لصاحبه عن الشيء الذى لا يريد أن يخرج من يده يحتمل أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التحمل لمواقفته إياها (وغلقت الأبواب) قيل كانت سبعة ۝ قرئ هيت بفتح الهاء وكسرهما مع فتح التاء وبناؤه كبناء ابن وعيط وهيت كجبر وهيت كحيت وهيت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيه بكاء يجهيه إذا تهيأ وهيت لك واللام من صلة الفعل وأما في الأصوات فليليان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (إنه) إن الشأن والحديث (ربى) سيدى ومالكى يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخلفه في أهله سوء الخلاقه وأخونه فيهم (إنه لا يفلح الظالمون) الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل أراد الزناة لأنهم ظالمون أنفسهم وقيل أراد الله تعالى لأنه مسبب الأسباب ۝ هم بالامر إذا قصده وعزم عليه قال

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ۝ تركت على عثمان تبكى حلالته

(قوله وأما في الأصوات فليليان) في الصحاح هيت به وهوت به أى صاح به ودعاه وفيه أيضا قولهم هيت لك أى هلم لك وفيه هلم يارجل بفتح الميم بمعنى تعال

ومنه قولك لا أفعل ذلك ولا كيداً ولا هما أي ولا أكاد أن أفعله كيدا ولا أهم بفعله هما حكاه سيدييه ومنه الهمام وهو الذي إذا همّ بأمر أمضاه ولم يشكل عنه وقوله (ولقد هممت به) معناه ولقد هممت بمخالطته (وهمّ بها) وهمّ بمخالطتها (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لمخالطتها فحذف لأن قوله وهمّ بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا أنى خفت الله معناه لو أنى خفت الله لقتلته (فإن قلت) كيف جاز على نبيّ الله أن يكون منه همّ بالمعصية وقصد إليها (قلت) المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهمّ به والفصد إليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همماً لشدته لما كان صاحبه مدوحاً عند الله بالامتناع لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله وهمّ بها وشارف أن بهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشاركة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه (فإن قلت) قوله وهمّ بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد هممت به أم هو خارج منه (قلت) الأمران جائزان ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على قوله ولقد هممت به ويبتدئ قوله وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضاً إشعار بالفرق بين الهمين (فإن قلت) لم جعلت جواب لولا محذوفاً يدل عليه همّ بها وهلا جعلته هو الجواب مقدماً (قلت) لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حين من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها إذا دل الدليل عليه لجائز (فإن قلت) فلم جعلت لولا متعلقة بهمّ بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد هممت به وهمّ بها لأن الهمّ لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون إلا من اثنين معاً فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما (قلت) نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد هممت به وهمّ بها فكان إغماله إلزام له فوجب أن يكون التقدير ولقد هممت بمخالطته وهمّ بمخالطتها على أن المراد بالمخالطين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله إلى ما هو حظها من قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل إلى حظها من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهمّ بها وحده وقد فسرهمّ يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل تسكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتاً إياك وإياها فلم يكثر له فسمعه ثانياً فلم يعمل به فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أمله وقيل ضرب يده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل ولد يعقرب له اثنا عشر ولداً لإيوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين همّ وقيل صحیح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زاد ناعداً لاريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم الحافظين كراماً كاتبين فلم يتصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوم مات رجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل عليه السلام أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتحمل عمل السفهاء وأنت مكنوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسرتة وقالت أستحي منه أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه وأهل العدل والوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكر توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذى النون وذكر توبتهم

(قوله وقرمه ميلا) أي شدة شهوته أفاده الصحاح (قوله ومشافهته كأنه شرع فيه) لعله ومشافهته (قوله مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى) يريد بهم أهل السنة ويريد بأهل العدل المعنولة وبهت الشخص نسبة إلى قبيح لم يفعله ولولا أن ذلك دائر بين الساف لما أوردته

كَذَلِكَ نَنْصُرُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۝ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابَ أَلِيمٍ ۝ قَالَ هِيَ رُوَدَّتْنِي عَنْ

واستغفارهم كيف وقد أتى عليه وسمى مخلصاً فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدخض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولى القوة والعزم ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل إبراهيم عليه السلام وليقتدى به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أوامك في إيرادهم ما يؤدى إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكنته للوقوع عليها وفي أن ينهيه بثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالوبيع العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنشاه وهو جاثم في مريضه لا يتحلجل ولا ينتهى ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقع الزناة وأشطرهم وأحذم حدقه وأجلحهم وجهاً لى بأدنى ما لى به نبي الله مما ذكرنا لمناقبه له عرق يذبض ولا عضو يتحرك فياله من مذهب ما أفضمه ومن ضلال ما أيدته (كذلك) الكاف منصوب المحل أى مثل ذلك التثبوت ثبتناه أو مرفوعه أى الأمر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) من خيانة السيد (والفحشاء) من الزنا (إنه من عبادنا المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ويجرز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم إنا أخلصناهم بخالصة (واستبقا الباب) وتسبقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله راختر موسى قومه على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراه لتبته الخروج (فإن قلت) كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب (قلت) أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب (وقدت قميصه من دبر) اجتذبه من خلفه فانقدأى انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها) وصادفابعالها وهو قطفير تقول المرأة لبعها سيدي وقبل إنما لم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصب فلم يكن سيدها له على الحقيقة قيل أليفاه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالس مع ابن عم للمرأة هـ لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المرية وهى مغلظة على يوسف إذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضها وهما تبرئة صاحبها عند زوجها من الرية والغضب على يوسف ونحو ريفه طمعاً أن يؤاتها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما أيست من مؤاتاته طوعاً ألاترى إلى قولها ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وما نافية أى ليس جزاؤه إلا السجن ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أى شىء جزاؤه إلا السجن كما تقول من فى الدار إلا زيد (فإن قلت) كيف لم تصرح فى قولها بذكر يوسف وإنه أراد بها سوءاً (قلت)

قوله تعالى قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم (قال إن قلت لم قالت ما قالت غير مصرحة بذكر يوسف الخ) قال أحمد أو أظهرت بهذا الإجمال الحياء والحشمة أن تقول لبعها هذا أرادنى سوءاً ولذلك أيضاً كنت بالسوء عما أضمرته من الهناة مبالغة فى المكر والسكيد وإبعاداً للثمة عنها بتوقى ما يشعر منها بالتبرج والفتحة وعلى الضد من مقصودها وإن وافق ملاحظتها بحشمة الإجمال قول ابنة شعيب تمدح موسى عليه السلام فيما حكى الله عنها قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خيز من استأجرت القري الأمين ولم تقل إنه قري أمين حياء من التعيين وحشمة وخفراً ولكن هذه إنما بعثها على هذا الأدب شيمة الحياء وامرأة العزيز إنما بعثها عليه التكلم والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر والله أعلم

(قوله لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر) فى الصحاح فراشة القفل هو ما ينشب فيه يقال أقفل فأفرش

(قوله إذ لم يؤاتها جاءت بحيلة) فى الصحاح وتقول آتيت على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته وطاوعته والغامة تقول وآتيت

نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ قَبْلَ فَصَدَقْتُ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ

قصدت العموم وأن كل من أراد بأهلك سوءاً لحقه أن يسجن أو يهذب لأن ذلك أبلغ فيما قصده من تخويف يوسف ۝ وقبل العذاب الأليم الضرب بالسياط ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال (هي راودتني عن نفسي) ولو لذلك لكتم عليها (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان ابن عم لها وإنما أتى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عاينها وأوثق لبرامة يوسف وأني للثمة عنه وقيل هو الذي كان جالساً مع زوجها الذي الباب وقيل كان حكماً يرجع إليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صيباً في المهدي وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ۝ (فإن قلت) لم سمى قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة (قلت) لما أدى مؤدى الشهادة في إن ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمى شهادة (فإن قلت) الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة (قلت) لأنها قول من القول أو على إرادة القول كأنه قيل وشهد شاهد فقال إن كان قميصه ۝ (فإن قلت) إن دل قد قميصه من دبر

۝ قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّم قبل فصَدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قدّم دبر فكذبت وهو من الصادقين (قال إن قلت لم سمى قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة الخ) قال أحمد مهما قدره من ذلك في اتباعه لها يحتمل مثله في اتباعه لها فإنما تقدّم قميصه من قبل بتقدير أن يكون أجندبها حتى صاراً متقابلين فدفعته عن نفسها وهذا بعينه يحتمل إذا كانت هي التابعة أن تكون اجتذبت حتى صاراً متقابلين ثم جذبت قميصه إليها من قبل بل ههنا أظهر لأن الموجب لقد قميص غالباً الجذب لا الدفع ۝ عاد كلامه (قال والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقدم قميصه فينقد) قال أحمد وهذا بعينه محتمل لو كانت هي التابعة وهو فارمها فانقد قميصه في إسرعه للفرار والله أعلم فليس كلام الرخشري في هذا الفصل بذلك والحق والله ولي التوفيق أن الشاهد المذكور إن كان صيباً في المهدي كما ورد في بعض الحديث فالآية في مجرد كلامه قبل أو انه حتى لو قال صدق يوسف وكذبت لكفي برهاناً على صدقه عليه السلام كما كان مجرد إخبار عيسى عليه السلام في المهدي برهاناً على صدق مريم فلا تبقى المناسبة بين الأمانة المنصوبة ومارتب عليها لأن العمدة في الدلالة نضها لا مناسبتها وإن كان الشاهد بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له وإقامة الحق كما ذكر الرخشري فهذا والله أعلم كان من حقه أن يصرح بما رأى فيصدق يوسف ويكذبها ولكنه أراد أن لا يكون هو الفاضح لها ووثق بأن انقطاع قميصه إنما كان من دبر فنصبه أمانة لصدقه وكذبها ثم ذكر القسم الآخر وهو قدّم من قبل على علم بأنه لم ينقد من قبل حتى بنى عن نفسه الثمة في الشهادة وقصد الفضيحة وينصفهما جميعاً فيذكر أمانة على صدقها المعلوم نفيه كما ذكر أمانة على صدقه المعلوم وجوده ومن ثم قدم أمانة صدقها على أمانة صدقه في الذكر لإزاحة للثمة ووثوقاً بأن الأمانة الثانية هي الواقعة فلا يضره تأخيرها وهذه اللطيفة بعينها والله أعلم هو التي راعاها مؤمن آل فرعون في قوله وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم فقدم قسم الكذب على قسم الصدق لإزاحة للثمة التي خشى أن تطرق إليه في حق موسى عليه السلام ووثوقاً بأن القسم الثاني وهو صدقه هو الواقع فلا يضره تأخيره في الذكر لهذه الفائدة ومن ثم قال بعض الذي يعدكم ولم يقل كل ما يعدكم تعريضاً بأنه معهم عليه وأنه حريص على أن يبخره حقه وينجو هذا النحو تأخير يوسف عليه السلام لكشف وعاء أخيه لأنه لو بدأ به لفظنوا أنه هو الذي أمر بوضع السقاية فيه والله أعلم فمصد هذا الشاهد الأمانة الآخرة فقط والمناسبة فيها محققة وأما الأمانة الأولى فليست مقصودة وإنما ذكرها توطئة كما تقدم فلم يلتمس لها مناسبة جلية صحيحة على البقين وإنما هي كالفرض والتقدير والله أعلم وكأنه قال إن كان قميصه قدّم قبل فهي صادقة لكنه يعلم انتفاء الأمانة المذكورة فعلق صدقها على محال وهو وجوده من قبل حالة عدمه فهذا التقرير هو الصواب والحق اللباب والله الموفق ۝ وأما إن كان الشاهد الحكيم الذي كان الملك يرجع إليه ويستشيره كما ورد في بعض التفاسير فلا بد من التماس المناسبة في الطرفين لأنها عهد الحكيم وأقرب وجه في المناسبة

دُبْرٌ فَيَكْذِبُ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ فَلَمَّا رَأَىٰ قَيْصَهُ قُدِّمَ مِنْ دُبْرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۚ
يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ لَدُنْكَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الْخَاطِئِينَ ۚ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ
تُرَوِّدُ فِتْنَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ

علي أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتهدت ثوبه إليها فقدته فمن أين دل قده من قبل على أنها صادقة وأنه كان تابعها
(قلت) من وجهين أحدهما أنه إذا كان تابعها وهي دافعتة عن نفسها قدت قيصه من قدامه بالدفع والثاني أن يسرع خلفها
ليلحقها فيتعثر في مقدم قيصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القيص ومن
دبره وأما التنكير فعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي إسحاق أنه قرأ من قبل ومن دبر
بالفتح كأنه جمعها علمين للجهتين فمعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئنا بسكون العين (فإن قلت) كيف تجاز الجمع بين
إن الذي هو للاستقبال وبين كان (قلت) لأن المعنى أن يعلم أنه كان قيصه قد ونحوه كقولك إن أحسنت إلى فقد أحسنت إليك من قبل
لمن يمتن عليك بإحسانه تريد أن تمتن على أم من عليك (فلمارأي) يعني قطفير وعلم راءة يوسف وصدقه وكذبها (قال إنه) إن
قولك ماجزاء من أراد بأهلك سوا أو أن هذا الأمر وهو طمعها في يوسف (من كيد كن) الخطاب لها ولامتها وإنما استعظم
كيد النساء لأنه وإن كان في الرجال إلا أن النساء أطف كيداً وأنفذ حيلة ولهن في ذلك نيقه ورفق وبذلك يغلبن الرجال
ومنه قوله تعالى «ومن شرّ النفاثات في العقده» والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض
العلماء أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً» وقال
للنساء «إن كيدكن عظيم» (يوسف) حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف
لمحله (أعرض عن هذا) الأمر واكتمه ولا تحدث به (واستغفري) أنت (لذنبك إنك كنت من الخاطئين) من جملة
القوم المتعمدين المذنب يقال خطئ إذا أذنب متعمداً وإنما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث
وما كان العزيز إلا رجلا حلما وروى أنه كان قليل الغيرة (وقال نسوة) وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقى
وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه
غير حقيقى كتأنيث اللبنة ولذلك لم تلحق فعلة تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها (في المدينة) في مصر (امرات العزيز)
يردن قطفير والعزير الملك بلسان العرب (فتاهما) غلامها يقال فتأى وفتأى أى غلامى وجارىتى (شغفها) خرق حبه شغاف
قلبا حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة
وقد حال هم دون ذلك واجج ۚ مكان الشغاف يتبعه الأصابع

أن قد القيص من دبر دليل على إدباره عنها وقده من قبل دليل على إقباله عليها بوجه والله أعلم ۚ قوله تعالى إنه من
كيدكن إن كيدكن عظيم (قال الضمير راجع إلى قولها ماجزاء من أراد بأهلك سوا الخ) قال أحمد وفيما قاله هذا العالم
نظر الآن الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي وأما هذه الآية فكيد النساء فهما من قول العزيز ولكن حكاه الله
تعالى عنه فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحه حاله ويحتمل أن لا يكون المراد تصويبه وأيضا فإن كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلا
لكيد الله تعالى فكان ضعيفا بالنسبة إليه ألا ترى أول الآية الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل
الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا وأيضا فإن الكيد الذي يتعاطاه النساء وغيرهن مستفاد من
الشيطان بوسوسته وتسويله وشواهد الشرع قائمة على ذلك فلا يتصور حينئذ أن يكون كيدهن أعظم من كيد الله والله أعلم

(قوله وقرئنا) أى : قبل ودبر، قوله بسكون العين : أى الباء (قوله في ذلك نيقه ورفق) النيقه اسم للتأنيق في الأمر . أفاده

الصحاح (قوله مع غيرهن من البوائق) أى الدواهي أفاده الصحاح

لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَءَأْتَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِنِّينًا وَقَالَتِ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلْسًا رَأَيْنَهُ أَكْبَرَنَّهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ

وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير إذا هنا فأحرقه بالقطران قال كاشعف المهزومة الرجل الطالى ه
و (حبا) نصب على التمييز (في ضلال مبين) في خطأ وبعد عن طريق الصواب (بمكرهن) باغتيالهن وسوء قائلتهن وقولهن
امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتيال مكرأ لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل
كانت استكتمت سرها فأفشيت عليه (أرسات إيهن) دعتهن قيل دعيت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعدت
لهن متكا) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن
ويبهتن عند رؤيته ويشغان عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكئ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده
ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر به وبين فتضع الخناجر في أيديهن ليقطعن أيديهن فتبكتن بالحجة ولنول يوسف
من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه أنهن يهتن عليه وقيل متكا مجلس طعام لأنهم
كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى أن يأكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن
بها ما يأكلن وقيل متكا طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لأن من دعوته ليظعم عندك اتخذت
له تكأة يتكئ عليها قال جميل
فظالمتنا بنعمة واتكأنا ه وشربنا الحلال من قلله

وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين ه وقرئ متكا
بغير همز وعن الحسن متكاه بالمد كأنه مفتعال وذلك لإشباع فتحة الكاف كقوله بمنزاح بمعنى بمنزح ونحوه يذباع بمعنى
يذبع وقرئ متكا وهو الأترج وأنشد
فأهدت متكا لبي أبيها ه تحب بها العشممة الوقاح
وكانت أهدت أترجة على ناقة وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين وحملها كالعدين على جمل
وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل أهدت لمن ما يقطع من متك الشيء بمعنى يتكك إذا قطعه وقرأ
الأعرج متكا مفعلا من تكئ يتكا إذا اتكأ (أكبرنه) أعظمه وهن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل
يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بيوسف الليلة التي
عرج بي إلى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيت قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان
يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلالوا وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان أحد
يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حزن
والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخات في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد
الكبر وكان أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ه فإن لح حاضت في الخدور العواتق

(قطعن أيديهن) جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها ه حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في
باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال
حاشا أبي توبان إن به ه ضنا عن الملحاة والشم
وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيهه الله وهي قراءة ابن
مسعود على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان

(قوله إذا هنا فأحرقه بالقطران) في الصحاح هنا البعير إذا طليته بالهناء وهو القطران
(قوله يدهشن ويبهتن عند رؤيته) يدهشن يتحيرن أفاده الصحاح (قوله اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية)
لعله أي طعمنا (قوله تحب بها العشممة الوقاح) الخبب ضرب من العدو والعشممة الشديدة والوقاح الصلبة أفاده
الصحاح (قوله وقيل الزماورد) الزماورد الرقاق المحشو باللحم

حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ

من يبرأ وينزهه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة أبي عمرو حاش لله بحذف الألف الآخرة وقراءة الأعمش حشا لله بحذف الألف الأولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة تبعث الألف في الإسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الإله (فإن قلت) قلم نجاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى براءة لله (قلت) مراعاة لأصله الذي هو الحرفية ألا ترى إلى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الألف إلى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله تعالى من صفات العجز والتعجب من قدرته على خالق جميل مثله وأما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خالق عفيف مثله (ما هذا بشرا) نفين عنه البشرية لغرابته وجماله ومباعدة حسنه لما عليه بحسن الصور وأثبتن له الملكية وبتن بها الحكم وذلك لأن الله عز وجل ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل منتهى في الحسن والقبح هما وما ركز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة إلا ما عليه الفئة الخامسة المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب وإعمال ما عمل ليس هي اللغة القدي الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى ما عن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي في قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشري أي ما عو بعبد مملوك لثيم (إن هذا إلا ملك كريم) تقول هذا بشري أي حاصل بشري بمعنى هذا مشري وتقول هذا لك بشري أم بكري والفرامة هي الأولى لمراقبتها المصحف ومطابقة بشر ملك (قالت فذلكن) ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزله في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتن به وربما بحاله واستبعاداً لمحله ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتني فيه تعني أنك لم تصورنه بحق صورته ولو صورته بما عاينتن لغذرتني في الافتتان به ۝ الاستعصام بناءً بالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه

ه قوله ما هذا إلا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (قال نفين عنه البشرية لغرابته وجماله ومباعدة حسنه الخ) قال أحمد تقدم القول في مسألة التفضيل شافياً والزحشرى لا يدعه التعصب للمعتقد الفاسد أن يحمله على مثل هذه المشافهات يرى بها أهل الحق فينسب إليهم الإيجاب والخسار والمكابرة في الضروريات وجحد الحقائق تعكيساً وهذا كله هم برآء منه وحسبه من المقابلة بذلك خطؤه في اعتقاد أن تفضيل الملك عند قائله ليس ضرورياً ولا عقلياً نظرياً ولكن سمعياً وقد قنع في الاستدلال على هذه العقيدة بالضرورة التي ادعى أنها مركوزة في الطباع ثم حكم بأن كل مركوز في الطباع حق وخصوصاً والكلام في طباع النساء القائلات ما هذا بشرا وإذا كان كل مركوز في الطباع حقاً فما ركز فيها حب الشهوات وإيثار العاجلة وجميع أمهات الذنوب مركوز في الطباع أفيكون ذلك حقاً إلا عند ناظر بعين الهوى أعشى في سبيل الهدى والله ولي التوفيق ۝ قوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتني فيه (قال لم تقل فهذا وهو حاضر الخ) قال أحمد وبهذا أوجب عما ورد من السؤال في قوله تعالى أول البقرة الم ذلك الكتاب لما جعل الإشارة إلى الحروف المذكورة فقال إن قلت كيف أشار إليها وهي قريبة كما يشار إلى البعيد وأجاب هو بأن كل متقضى بعيد وأجاب أنا بأن الإشارة بذلك إلى بعده منزلة هذا الكتاب بالنسبة إلى كتب الله تعالى

(قوله معرب على أصله وعلى في قوله غدت) عطفه يحتاج إلى تكلف أي وإلى قوله غدت من عليه بعد ماتم ظمؤها كيف ترك على في قوله ويمكن أن التقدير ألا ترى إلى قولهم الخ وعلى في قوله أي وألا ترى على الخ (قوله إلا ما عليه الفئة الخامسة) يريد أهل السنة وقد أساء في تعصبه للمعتزلة فدعا الله عنه (قوله ليس هي اللغة القدي الحجازية) بمعنى القديمة لكن لم يذكرها في الصحاح

فَأَسْتَعِمْ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيَسْجُنَ وَيَلْبِسُونَ مِنَ الصَّغِيرِينَ ۚ قَالَ رَبِّ السُّجُنَ أَحِبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ۚ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ ثُمَّ بَدَأْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لَيَسْجُنَنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ ۚ وَدَخَلَ مَعَهُ السُّجُنَ فَتَيَّانٌ قَالَ
أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِي أَحْسَرَ نَجْوًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِنِي أَحْمَلَ فَوْقَ رَأْسِي خَبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ

استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء
أبور منه على أنه يرى مما أضف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهمم والبرهان (فإن قلت) الضمير في (أمره) راجع إلى الموصول أم إلى
يوسف (قلت) بل إلى الموصول والمعنى ما أمر به فحذف الجار في قولك أمرتك الخير ويجوز أن يجعل ما مصدرية فيرجع إلى
يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمرى إياه أى موجب أمرى ومقتضاه قرئ وليكرنا بالشديد والتخفيف والتخفيف
أولى لأن النون كتبت في المصحف ألقا على حكم الوقف وذلك لا يكون إلا في الخفيفة وقرئ السجن بالفتح على المصدر
وقال (يدعوتني) على إسناد دعوة اليهن جميعاً لأنهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقان له إياك وإلقاء نفسك في السجن
والصغار فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية (فإن قلت) نزول السجن مشقة
على النفس شديدة ومادهونه إليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة أحب إليه من اللذة (قلت) كانت أحب إليه وآثر عنده
نظراً في حسن الصبر على احتماها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عافية كل واحدة منهما لانظراً في مشتهى النفس ومكروها
(وإلا تصرف عني كيدهن) فزع منه إلى الطاف الله وعصمته كعادة الأنبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه
من الصبر لأن يطلب منه الإجماع على التعفف والإلجاء إليه (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل إلى الهوى ومنها الصبا
لأن النفوس أصبوا إليها لطيب نسيما وروحها وقرئ أصب اليهن من الصبابة (من الجماعين) من الذين لا يعملون بما يعملون
لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لأن الحكيم لا يفعل الفبيح وإنما ذكر الاستجابة ولم يتقدم
الدعاء لأن قوله وإلا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللفظ (السميع) لدعوات الملائكة إليه (العليم) بأحوالهم
وما يصلحهم (بداهم) فاعله مضمرة لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجنته والمعنى بداهم بداء أى ظهر لهم رأى ليسجنته
والضمير في لهم للعزير وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهى الشواهد على براته وما كان ذلك إلا باستئصال المرأة لزوجها
وقتلها منه في الذروة والغارب وكان مطاوعة لها وجميلاً ذلوا لزامه في بدعا حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها
في سجنه وإلحاق الصغار به كما أوعده به وذلك لما أيسر من طاعته لها أو لطمعها في أن يذله السجن ويسخره لها وفي قراءة
الحسن ليسجنته بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم (حتى حين) إلى زمان كأنها
اقتربت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عني حين وهى لغة هذيل وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع
رجلاً يقرأ عني حين فقال من أقرأك قال ابن مسعود فكتب إليه إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربياً وأنزله بلغة قريش فأقرئ
الناس بلغة قريش ولا تقرهم بلغة هذيل والسلام مع بدل على معنى الصحبة واستحدثها تقول خرجت مع الأمير تريد
مصاحباً له فيجب أن يكون دخولها السجن مصاحبين له (فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه رقى إليه أنهما يسماانه فأمر
بهما إلى السجن فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف عليه السلام (إني أراي) يعنى في المنام وهى حكاية حال ماضية (أعصر خمرأ)
يعنى عنباتسمية للعنب بما يؤل إليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود أعصر عنبا (من المحسنين) من الذين

(قوله لزوجها وقتلها منه في الذروة) أى دورانها من وراء خديعته أفاده الصحاح (قوله رقى إليه أنهما يسماانه) فى الصحاح
رقى إليه الكلام ترقية أى رفع إليه

إِنَّا نُرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۖ قَالَ لَا يَأْتِيكُم بِطَعَامٍ تَرْضَقَانَهُ إِلَّا نَبَاتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُم بِذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۖ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي لِبِرِّهِمْ وَاسْتِخْقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

يُحْسِنُونَ عبارة الرؤيا أى يجيدونهارأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فقال له ذلك أو من العلماء لأنهما سمعاه يذكرون للناس ما علماه أنه عالم أو من المحسنين إلى أهل السجن ، فأحسن اليينا : بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد في تأويل الرؤيا روى أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه وإذا أضاق أو سعه وإذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا اصبروا توجروا إن لهذا لاجراً فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بوزك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحق ابن خليل الله إبراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خلعت سديك ولكنى أحسن جوارك فكفى في أى بيوت السجن شئت وروى أن الفتية قال له إن النجيب من حين رأيناك فقال أنشدك بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل على من حبه بلاء لقد أحببتى عمى فدخل على من حبه بلاء ثم أحببتى زوجة صاحبى فدخل على من حبه بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي أنهما تاحلما ليمتحناه فقال الشرايى إلى أرانى فى بستان فإذا بأصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كأس الملك وسقيته وقال الخباز إلى أرانى وفوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع الطير تمش منها ۖ (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى قوله نبئنا بتأويله (قلت) إلى ما قصا عليه والضمير يجرى باسم الإشارة فى نحوه كأنه قيل نبئنا بتأويل ذلك ۖ لما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترض ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فرق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه يفتنهما بما يحمل اليهما من الطعام فى السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لها ويقول اليوم يأتىكما طعام من صفته كيت وكيت فيجداه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لها التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لها ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذى علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفته واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة أولاً ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفته فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته فى العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به فى الدين لم يكن من باب التزكية (بتأويله) بيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه (ذلك) إشارة لها إلى التأويل أى ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات (بما علمى ربى) وأوحى به إلى ولم أهله عن تكهن وتنجيم (إلى تركت) يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ وأن يكون تعليلاً لما قبله أى علمى ذلك وأوحى إلى لاني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهى الملة الخيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على ذينهم وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة وأن غيرهم كانوا قوماً مؤمنين بها وهم الذين على ملة إبراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزء تنبيهاً على ما هم عليه من الظلم والكبر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما منى به من جهتهم حين أودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك مالا يقدم عليه إلا من هر شديد الكفر بالجزء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى اليه بما ذكر من إخباره بالغيب ليقوى رغبتهما فى الاستماع إليه واتباع قوله (ما كان لنا) ما صح

(قوله فإذا بأصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب) فى الصحاح الحبله بالضم ثمر العضاة وفيه العضاة كل شجر يعظم وله شوك والحبله بالتحريك الفضيب من الكرم وفيه أيضا سلة الخبز معروفة (قوله ووصفاه بالإحسان افترض ذلك) أى اتخذته فرصة أى نوبة وحظاً ونصيبياً أفاده الصحاح

لَا يَشْكُرُونَ ۖ يَصْحَبِي السِّجْنَ ۖ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۗ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ
 سَمِيَتْهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ
 الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۗ يَصْحَبِي السِّجْنَ ۖ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ
 فَمَا كُلُّ الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۗ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ
 فَإِنْسَهُ الشَّيْطَانُ ۖ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَبَّىٰ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۗ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ

لنا معشر الأنبياء (أن نشارك بالله) أى شىء كان من ملك أو جنى أو إنسى فضلا أن نشارك به صنما لا يسمع ولا يبصر
 ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس) أى على الرسل وعلى المرسل اليهم لأنهم نبوهم عليه وأرشدوهم
 اليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) فضل الله فيشركون ولا يتنبهون وقيل إن ذلك من فضل الله
 علينا لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن
 أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين (يا صاحبي السجن) يد يا صاحبي
 في السجن فأضافهما إلى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب
 فيه غير مصحوب وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما
 إلى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لأنهم صحباك ويجوز أن يريد
 ياسا كنى السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أرباب متفرقون) يريدان الفرق في العدد والتكاثر يقول أن تكون
 لكما أرباب شتى يستعبد كما هذا ويستعبد كما هذا (خير) لكما (أم) أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في
 الربوبية بل هو (القهار) الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام (ما تعبدون) خطاب لهما ولما على
 دينهما من أهل مصر (إلا أسماء) يعنى أنكم سميت ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة
 لا مسميات تحتار معنى (سميتموها) سميتموها يقال سميت بزيد وسميته زيدا (ما أنزل الله بها) أى بتسميتها (من سلطان) من حجة
 (إن الحكم) في أمر العبادة والدين (إلا الله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت
 عليه البراهين (أما أحدا) يريد الشرايى (فيسقى ربه) سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه أى يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روى
 أنه قال للأول ما رأيت من الكرامة وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضى في السجن
 ثم يخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم يخرج فنقتل (قضى الأمر) قطع وتم ما (تستفتيان)
 فيه من أمركما وشأنكما (فان قلت) ما استفيتا في أمر واحد بل في أمرين مختلفين فما وجه التوحيد (قلت) المراد بالأمر
 ما اتفقا به من سم الملك وما سجدنا من أجله وظنا أن ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الأمر الذي
 نزل بهما أعاقبه نجاه أم هلاك فقال لهما قضى الأمر الذي فيه تستفتيان أى ما يجر إليه من العاقبة وهى هلاك أحدهما
 ونجاه الآخر وقيل جحدا وقال ما رأيا شيئا على ما روى أيهما تحامسا له فأخبرهما أن ذلك كائن صدقيا أو كذبتما (ظن
 أنه ناج) الظان هو يوسف إن كان تأويله بطريق الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرايى أو يكون الظان
 بمعنى اليقين (اذكرنى عند ربك) صفتى عند الملك بصفتى وقص عليه قصتى لعله يرحمنى وينتاشنى من هذه الورطة (فأنساه
 الشيطان) وأنسى الشرايى (ذكر ربه) أن يذكره لربه وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره (بضع
 سنين) البضع ما بين الثلاث إلى التسع وأكثر الأقاربيل على أنه لبث فيه سبع سنين (فان قلت) كيف يقدر الشيطان على
 الإنسائه (قلت) يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشىء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره وأما

عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابس في رؤيا تعبرون ه قالوا

الإنسان ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله عز وجل ما نسخ من آية أو تنسها (فإن قلت) ما وجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد به الملك وما هي إضافة المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول (قلت) قد لابس في قورتك فأنساه الشيطان ذكره لربه أو عند ربه بخارت إضافة إليه لأن الإضافة تكون أدنى ملابسة أو على تقدير فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه لحذف المضاف الذي هو الإخبار (فإن قلت) لم أنكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله وفي الحديث الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة من كربة من كربة الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذ النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غبطه وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية والتقوى بالاشربة والاطعمة وإن كان ذلك لأن الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم والعرق والحرق ونحو ذلك من المضار (قلت) كما اصطفتي الله تعالى الانبياء على خلقته فقد اصطفتي لهم أحسن الأمور وأفضلها وأولاها والأحسن والأولى بالنبي أن لا يكل أمره إذا ابتلى ببلاء إلا إلى ربه ولا يعتضد إلا به خصوصا إذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيبه لما استغاث بنا وعن الحسن أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس ه لمادنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالة رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان رأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا آخر يابس قد استحصدت وأدركت فالتوت الياابسات على الخضر حتى غابن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها (سمان) جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام (فإن قلت) هل من فرق بين إيقاع سمان صفة للبهز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات سمان (قلت) إذا وقعت صفة لبقرات فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان ممن لا يجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن ه (فإن قلت) هلا قيل سبع عجاف على الإضافة (قلت) التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده (فإن قلت) فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب (قلت) الفارس والساحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الأسماء فأخذت حكمها وجزاؤها ما لم يجز في غيرها ألا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضغام وأربعة غلاظ (فإن قلت) ذلك مما يشكل وما نحن بسيدله لإشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بأن المراد البقرات (قلت) ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجاف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعال وفعلاء لا يجمعان على فعال حملة على سمان لأنه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض ه (فإن قلت) هل في الآية دليل على أن السنبلات الياابسات كانت سبعا كالخضر (قلت) الكلام مبنى على انصابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا آخر (فإن قلت) هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل (قلت) يؤدي إلى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضي أن ندخل في حكمها فتكون معها ميمزا للسبع المذكورة ولفظ الآخر يقتضي أن تكون غير السبع بيانه أنك تقول عندي سبعة رجال قيام وعود بالجر فيصح لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد (بأبيها الملاء) كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكام ه واللام في قوله (للرؤيا) إما أن تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين وإما أن تدخل لأن العامل إذا تقدم عليه معنوله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فمضدتها كما

قَلِيلًا مَّا تَأْكُلُونَ ۚ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شَأْنٍ يَأْكُلَ مَا أَقْدَمْتُمْ لَهَا إِلَّا قَلِيلًا مَّا تَحْصُرُونَ ۚ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ۚ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ فُلْيَا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ

فربما لم يعلموا أو معنى لعالمهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (تزرعون) خبر في معنى الأمر كقولهم تؤمنون بالله ورسوله رجاها دون وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به فيجفل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الأمر قوله فذروه في سنبله (دأبا) بسكون الهمزة وتحرركها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين إقما على ندأبون دأبا وإقما على إيقاع المصدر حالا بمعنى ذوى دأب (فذروه في سنبله) لئلا يتسوس و (يأكل) من الإسناد المجازي جعل أكل أهلون مسند إليهم (لحسون) تحرزون وتخبون (يغاث الناس) من الغوث أو من الغيث يقال غيئت البلاد إذا مطرت ومنه قول الأعرابي غثنا ما شئنا (يعصرون) بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للفعل من عصره إذا أنجاه وهو مطابق للإغاثة ويجوز أن يكون المني للفاعل بمعنى ينجون كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغاثون أنفسهم أي يغاثهم الله ويغاث بعضهم بعضاً وقيل يعصرون يمحرون من أعصرت السحابة وفيه وجهان إقما أن يضمن أعصرت معنى مطرت فيعدي تعديته وإقما أن يقال الأصل أعصرت عليهم لحذف الجار وأوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الحضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركا خصياً كثيراً الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة (فإن قلت) معلوم أن السنين المجدبة إذا انتهت كان اتهاؤها بالخصب وإلا لم توصف بالانتهاء فلم قلت إن علم ذلك من جهة الوحي (قلت) ذلك معلوم علماً مطلقاً لا مفصلاً وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم إلا بالوحي ۚ إنما أتى وتثبت في إجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقييح أمره عنده ويجعلوه سلباً إلى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا الأمر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي النهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في موافقها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف النهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسايرين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للنهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجزت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولقد عجزت منه حين أتاه الرسول فقال أرجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لا سرعت الإجابة

بالرؤيا أولاً وقول الفتى أنا أنبئكم بتأويله إلى قوله لعلى أرجع إلى الناس لعالمهم يعلمون دليل أيضاً على ذلك والله أعلم ۚ قوله تعالى « فلما جاءه الرسول قال أرجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بيدهن عليم » (قال محمرد إنما أتى وتثبت في إجابة الملك لتظهر براءة ساحته عما قرف به الخ) قال أحد ولقد مدحه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الأمانة بقوله ولو لبثت في السجن بعض ما لبث يوسف لأجبت الداعي وكان في طي هذه المدحة بالانابة والنسب تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق إلى الوهم من أنه هم بزليخا هما يواخذ به لأنه إذا صبر وتثبت فيما له أن لا يصبر فيه وهو الخروج من السجن مع أن الدواعي متوفرة على الخروج منه فلان يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من ألهم أولى وأجدر والله أعلم عاده كلامه قال وإنما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولم يكشف له عن الفصولة أو ضحاله لأن السؤال بجملها مما يبيح الملك على الكشف والبحث والاستعلام ويحصل البراءة له عليه السلام من ذلك والله الموفق

(قوله ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق) اتهم به واتساق الترسل

رَبِّكَ فَذَلِكُمْ مَبَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ اَيْدِيَهُنَّ اِنْ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝ قَالَ مَا خَطْبُكِ اِذْ رَوَدْتَنِي يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۝ قَالَتْ اَمْرَاةُ الْعَزِيْزِ الْاَيْمَنِ حَصْحَصَ الْحَقُّ اَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَاِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ ۝ ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّيْ لَمْ اَخْنَهُ بِالْغَيْبِ وَاِنَّ اللّٰهَ لَیَهْدِيْ كَيْدَ الْخٰتِنِيْنَ ۝ وَمَا اُبْرِيْ نَفْسِيْ اِنْ النّفْسَ

و بادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لعلها اذا اناة وإنما قال سل الملك عن حال النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شأنهن لأن السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبحث عما سئ عنه فأراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفاً يتميز فيه الحق من الباطل ۝ وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيده مع ما صنعت به وتوسيت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربى) ان الله تعالى (بكيدهن عايم) أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله لبعده غوره أو استشهد بعلم الله على أنهم كدنه وأنه برىء مما قرف به أو أراد الوعيد لمن أي هو عليهم بكيدهن فجازين عليه (ما خطبك) ما شأنك (اذ روادتن يوسف) هل وجدتن منه ميلا إليك (قلن حاش لله) تعجباً من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) أي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير إذا ألقى ثقله للإناخة قال

فحصحص في صم الصفا ثقلته ۝ وناء بسلى نومة ثم صمها ولا مزيد على شهادتهن له بالبرائة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لأنهن خصومه وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لأحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد قتلنا مقال ولا بد لنا من أن ندق في فروة من ثبتت نزاهته (ذلك ليعلم) من كلام يوسف أي ذلك الثبوت والتشمر لظهور البرائة ليعلم العزيز (أني لم أخنه) بظهر الغيب في حرمة ۝ ومحل (بالغيب) الحال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه خفي عن عينه أو هو غائب عنى خفي عن عيني ويجوز أن يكون ظرفاً أي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة (و) ليعلم (أن الله لا يهدي كيد الخائنين) لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها وبه في خيانتها أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون تأكيذاً لأمانته وأنه لو كان خائناً لما هدى الله كيد ولا سدده ۝ ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه اثلاً يكون لها من كياً وبجالتها في الأمانة معجباً ومفتخراً كما قال رسول الله

۝ قوله تعالى قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا روادتنه عن نفسه وإنه لمن الصادقين (قال لا مزيد على شهادتهن له بالبرائة واعترافهن على أنفسهن الخ) قال أحمد الصحيح من مذاهب أهل السنة تنزيه الأنبياء عن الكبائر والصغائر جميعاً وتتبع الآي المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل وذهب منهم طائفة مع القدرية إلى تجرير الصغائر عليهم بشرط أن لا تكون منفرة والصحيح عندنا في قصة يوسف عليه السلام أنه مبرأ عن الوقوع فيما يؤاخذ به وإن الوقف عند قوله به تمت به ثم يبدأ وهم بها لولا أن رأى رهان ربه كما تقول قتلت زيدا لولا أنني أخاف الله فلا يكون الهم واقفاً لوجود المانع منه وهو رؤية البرهان فإن كان الزمخشري يعرض بأهل السنة فقد بينا معتقدهم وإن كان يعرض بالمجبرة والحشوية حقيقة فشأنه وإياهم ۝ عاد كلامه (قال وقوله ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب الخ) من كلام يوسف عليه السلام والمعنى إن ذلك الجد في ظهور البرائة ليعلم الخ) قال أحمد وإرادته لعموم الأحوال أدخل في تنزيهه وأدل على أن الغرض بهذا

(قوله ونص الحديث حتى يتبين له براءته) في الصحاح نص الأمر مفصلة (قوله ألقى ثقله للإناخة) هي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما كذا في الصحاح (قوله وقالت المجبرة والحشوية نحن قد قتلنا مقال ولا بد لنا من أن ندق في فروة) يريد أعل السنة وقوله نحن قد قتلنا الخ يعني أن حالهم في تفسير الهم والبرهان يمثل بذلك والفروة جلدة الرأس (قوله ومحل بالغيب الحال من الفاعل) لعله محل الحال أو النصب على الحال

لَا مَرَّةَ بِالسُّوءِ إِلَّا مَارَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَبَّ كَلِمَةً
قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ

صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين أن ما فيه من الأمانة ليس به وحده وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته
فقال (وما أرى نفسي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها ولا يخلو إثم أن يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من
الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لأعن طريق القصد والعزم وإثم أن يريد عموم الأحوال (إن النفس لا تارة
بالسوء) أراد الجنس أي إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات (الإمارحيم ربى) إلا البعض الذي
رحمه ربى بالعصمة كالملائكة ويجوز أن يكون مراحم في معنى الزمان أي إلا وقت رحمة ربى يعني أنها تارة بالسوء في كل
وقت وأوان إلا وقت العصمة ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً أي ولكن رحمة ربى هي التي تصرف الإساءة كقوله ولا هم
ينقدون إلا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم أنى لم أخنه لأن المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت
ليعلم يوسف أنى لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرى نفسي مع ذلك
من الخيانة فإني قد خنته حين فرقة وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو ودعه السجن تريد الاعتذار
بما كان منها إن كل نفس لا تارة بالسوء إلا مراحم ربى إلا لنفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (إن ربى غفور
رحيم) استغفرت ربه واسترحمته مما ارتكبت (فإن قلت) كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولادليل على ذلك (قلت)
كفى بالمعنى دليلاً قائلاً إلى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملائكة من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم
من أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جرير هذا من تقديم القرآن
وتأخيره ذهب إلى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولقد افقت المبطله روايات مصنوعة فزعموا
أن يوسف حين قال أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حلت تكه
سراويلك يا يوسف وذلك لنها الكهيم على بهت الله ورسله ۝ يقال استخلصه واستخلصه إذا جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به
(فلما كلمه) وشاهد منه ما لم يحتسب (قال) أيها الصديق (إنك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة (أمين) مؤتمن على

الكلام النواضع منه التبرى من تزكية النفس فهو أدل على هذا المعنى من حمله على الحادثة الخاصة والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال)
وقيل ذلك كله كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت الخ) قال أحد وإنما جرى الكلام على هذا الوجه إذا الجأ إليه بحجج
كقوله فماذا تأمرون إذ لا يمكن جعله من قول الملائكة بوجه فتعين أن يصرف الضمير عنه إلى فرعون وأما هذه الآية فهي
تلو قوله وإنه لمن الصادقين إلى ما قبل ذلك من الضمائر العائدة إلى يوسف عليه السلام قطعاً ولا ضرورة تدعو إلى حمل
الضمير في ليعلم على العزيز وجعله من كلام يوسف وقد تضمنته الآية المصدرية بقول زليخا وذلك قوله قالت امرأة العزيز
وفي سياق الآية ما يرشد إلى أن هذا القول جرى منها ويوسف عليه السلام بعد في السجن لم يحضر إلى الملك وأنه لما تحتمت
براهته بقوله أبعث يخرج من السجن فذلك قوله وقال الملك ائتنى به أستخلصه لنفسى ۝ عاد كلامه (قال) ولقد افقت المبطله
روايات مصنوعة الخ) قال أحد ولقد صدق في التوريك على نقلة هذه الزيادات بالهت وذلك شأن المبطله من كل طائفة كما افقت
القدرية على قصة موسى حين طلب الرؤية وخزصعاً أن الملائكة جعلت تلكه بأرجلها وتمول يا ابن النساء الجبض طمعت
في رؤية رب العزة كل ذلك ليتم لهم غرضهم في أنه طلب لهم محالاً في العقول على الله تعالى وبحق الله الحق بكلماته
ويطل الباطل والله الموفق

(قوله فإني قد خنته حين فرقة) أي اتهمته (قوله دليلاً قائلاً إلى أن يجعل) أي مؤدياً (قوله) ولقد افقت المبطله روايات مصنوعة)
يريد أهل السنة الذين سماهم المجبرة فيما مر (قوله) وذلك لنها الكهيم على بهت الله ورسله) أي اتهمهم بما لم يفعله أفاده الصحاح

فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَا جَزَاءُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ

كل شيء وروى أن الرسول جاءه فقال أجب الملك نخرج من السجن ودعا لأهله اللهم أعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشمانة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جديدا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابته بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك فقال رأيت بقرات فوصف لونها وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رأها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقت أن تجمع الطعام في الأهرام فيأتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ويجمع لك من السكنوز ما لم يجمع لأحد قبلك (اجعلني على خزائن الأرض) ولني خزائن أرضك (إني حفيظ علم) أمين أحفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالأمانة والكفاية اللين هما طلبه الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إرضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل والتمكين مما لاجله تبعث الأنبياء إلى العباد واعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لالحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولم يقل اجعاني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة (فإن قلت) كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعاله وتحت أمره وطاعته (قلت) روى مجاهد أنه كان قد أسلم وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون الفضاء من جهة البغاة ويرونه وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى فسكان في حكم التابع له والمطيع (وكذلك) ومثل ذلك التمكن الظاهر (مكننا ليوسف) في أرض مصر روى أنها كانت أربعين فرسخا في أربعين (يتبوا منها حيث يشاء) قرى بالنون والياء أي كل مكان أراد أن يتخذ منزلا ومتبواله لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكته وسطانته وروى أن الملك توجه وختمه بخاتمة ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكلا بالدر والياقوت وزوى أنه قال له أما السرير فأشديه ملكك وأما الخاتم فأدبره أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعت إجلالا لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره وعزل قظير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته زليخا فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدتها عذرا فولدت له ولدين إفرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدرهم في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالجلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كالأيوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خواني فاترى قال الرأي رأيك قال فإني أشهد الله وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس ۝ وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب أرض مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين (برحمنا) بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) أن نأجرهم في الدنيا (ولا أجر الآخرة خير) لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في

(قوله وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى) عبارة النسفي البلوا (قوله ولبس ثيابا جديدا فلما دخل) في الصحاح جديد وجدد كسر يروسرر (قوله أن تجمع الطعام في الأهرام) كذا عبارة النسفي أيضا ولكنه ليس في الصحاح بل الذي فيه هراء البرد يهأهرا أي اشتد عليه حتى كاد يفتله رهري المال وهري القوم فهم مهروون اه فأصل الأهرام مواضع يشتد فيها البرد

الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ۝ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون ۝ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۝ وَقَالَ لَفَتِيدُهُ اجْعَلُوا بَعْضُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ إِخْوِهِ مِنْ

الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية ۝ لم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياهم في سن الحداثة ولا عتقادهم أنه قد هلك ولذا به عن أوهامهم لفلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقه عليها طريقا في البئر مشريا بدرهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هولكذبوا أنفسهم وظنونهم ولأن الملك مما يتبدل الزى ويلبس صاحبه من التهيّب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زى فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فاخطر بياهم أنه هو وقيل مارأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فاخطر بياهم أنه هو وقيل مارأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج وإنما عرفهم لأنه فارقههم وهم رجال ورأى زيمهم قريبا من زيمهم إذ ذاك ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفةهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له (ولما جهزهم بجهازهم) أي أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرين وأوقرركائبهم بما جاؤا من الميرة وقرئ بجهازهم أي أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرين وأوقرركائبهم بما جاؤا من الميرة وقرئ بجهازهم بكرة الجيم (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم) لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسئلة روى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم فإني أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فحشا نمتار فقال لعلكم جئتم عيوننا تنظرون عورة بلادى قالوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فإني الأخ الحادى عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيرون وأن الذى تقولون حق قالوا إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة واتنوني بأخيك من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فافترعوا بينهم فأصابت الفرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فغلموه عنده وكان قد أحسن إنزالهم وضياقتهم (ولا تقربون) فيه وجهان أحدهما أن يكون بمعنى النهى (سراود عنه أباه) سنخادعه عنه وسنجدته ونحتال حتى قيل فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وأن يكون بمعنى النهى (سراود عنه أباه) سنخادعه عنه وسنجدته ونحتال حتى تنزعه من يده (وإنا لفاعلون) وإنا لفاعلون على ذلك لا نتعابيه أو وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا تنوانى (لفتيته) وقرئ لفتيانه وهما جمع قتي كاخوة وإخوان فى أخ وفملة للفملة وفعالان للكثرة أى لغلمان الكياليين (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين (إذا انقلبوا إلى أهلهم) وفرغوا وظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنا وقيل علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها (منع منا الكيل) يردون قول يوسف

قوله تعالى وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (قال إنما أسكروه بعد العهد وتغيير الصورة الخ) قال أحمد وتوارد القادمين فى دخولهم عليه ومعرفة لهم عند ذلك تدل على أن مجرد دخولهم عليه استعقبته المعرفة (قوله وقيل رأوه على زى فرعون) إن أريد فرعون موسى فلم يكن قد وجد وعبرة الخازن زى ملوك مصر عليه ثياب

قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ وَمَا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَانَا مَا نَبِغِي هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بِعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۝ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝

فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا أذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما يحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا أو يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه (هل آمنكم عليه) يريد أنكم قلتم في يوسف وإنا له لحافظون كما تقولونه في أخيه ثم ختمت بضمها نكم فما يؤمنى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم وحافظا تميز كقولك هو خيرهم رجلا والله دزه فارسا ويجوز أن يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الأعمش فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة خير الحافظين (وهو أرحم الراحمين) فارجوا أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين ۝ وقرئ ردت الينا بالسكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء كما في قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد (مانبغى) للذني أي مانبغى في القول وما تنزید فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه وكانوا قالوا له إنا قد مناعنا على خير رجل أنزلنا وأكرما كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرما كرامته أو مانبغى شيئا وراء ما فعلنا من الإحسان أو على الاستفهام بمعنى أي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود مانبغى بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه أي شيء نطلب وراء هذا من الإحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما تريد منك بضاعة أخرى وقوله (هذه بضاعتنا ردت الينا) جملة مستأنفة موضحة لقوله مانبغى والجن بعدها معطوفة عليها على معنى إن بضاعتنا ردت الينا فتستظهر بها (ونمير أهلنا) في رجوعنا إلى الملك (ونحفظ أخانا) فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائداً على أوساق أبا عننا فأى شيء نبتغى وراء هذه المباحي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا وإنما قالوا (ونزداد كيل بعير) لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط (فإن قلت) هذا إذا فسرت البغى بالطلب فأما إذا فسرت بالكذب والتزید في القول كانت الجملة الأولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزید عن قياهم فما تصنع بالجلل البواقي (قلت) أعطونها على قوله مانبغى على معنى لانبغى فيما نقول ونمير أهلنا وتفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغى أن نمير أهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب أن أسعى وينبغى لي أن لا أنصر ويجوز أن يراد مانبغى وما نطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا وتفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رأيهم وأنهم يصيدون فيه وهو وجه حسن واضح (ذلك كيل يسير) أي ذلك مكبر قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاضمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر بمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم (لن أرسله معكم) مناف لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت

بلا مهلة والله أعلم ۝ قوله تعالى قال لن أرسله معكم حتى تؤتونا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ (قال معناه أن إرساله معكم مناف الخ) قال أحمد لن للاني المؤكد وأما قول الزمخشرى في المناقاة له فله وراء ذلك غرض إنما يطلع عليه من قول كلامه علماء وذلك أنه اعتمد في إحالة الرؤية على الله تعالى على أن قوله تعالى لن تراني معناه أن الرؤية منافية لحالي وجعل هذه المناقاة من مقتضى لن ثم التزم ذلك في هذه اللعظة حيثما وقعت كل ذلك لتميز الأذهان على أن هذا مقتضى لن وقد سبق وجه الرد

(قوله كقوله ذلك ليعلم) هل المراد أن جواز كونه من كلام يعقوب لأن المعنى يؤدي اليه كما جاز في قوله تعالى ذلك

وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمَ
إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ

إرساله معكم (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أراد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه (لأنني به) جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لأنني به (إلا أن يحاط بكم) إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به أو إلا أن تهلكوا (فإن قلت) أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء فيه إشكال (قلت) أن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لأنني به في تأويل النبي معناه لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم أي لا تمتنعون منه لعل من العلة إلا لعل واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى النفي قولهم أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت تريد ما أطلب منك إلا العمل (على ما نقول) من طلب الموثق وإعطائه (وكيل) رقيب مطلع ۝ وإنما نهام أن يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن اغيرهم فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود وأن يشار إليهم بالأصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالإكرام لا أمر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه يخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانون الجاهل وجماله في الصدور فيصيبهم ما يسيؤهم ولذلك لم يوصهم بالفرق في الكزة الأولى لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس (فإن قلت) هل للإصابة بالعين وجه تصح عليه (قلت) يجوز أن يحدث الله عز وجل عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكرن ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليميز المحققون من أهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله فيقول الحشوي هو أثر العين كما قال تعالى «وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا» الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعينكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة (وما أغنى عنكم من الله من شيء) يعني إن أراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من الفرق وهو مصيبكم لا محالة (إن الحكم إلا الله) ثم قال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان يغني عنهم) رأى يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيه بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة

عليه في ذلك ۝ عاد كلامه (قال وقوله لأنني به إلا أن يحاط بكم معناه إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان الخ) قال أحد وإنما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفي لأن المستثنى منه مسكوت عنه والنفي عام إذ يلزم من نفي الإتيان مثلا نفي جميع الدوارض اللاحقة به ضرورة فكأنه لعمره مقرر بذكر المستثنى منه ولا كذلك الإتيان فإنه لا إشعار له بعموم الأحوال لأنه لا يتوقف إلا على أحدهما والله أعلم ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فإن يعقوب عليه السلام قال أولا في حق يوسف وأخاف أن يأكل الذئب فابتلى من ناحية هذا القول وقال دهنا ثانياً إلا أن يحاط بكم أي تغلبوا عليه فابتلى أيضاً بذلك وأحيط بهم وغلبوا عليه

ليعلم كونه من كلام يوسف لأن المعنى يقود إليه فتدبر (قوله كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة اشتهرهم) في الصحاح الشارة اللباس والهيئة وفيه اشتهر الأمر أي وضع ولفلان فضيلة اشتهرها الناس (قوله ليميز المحققون من أهل الحشو) إن كان مراده أهل السنة فهم يقولون تأثير العين من قبيل ربط الأسباب بالمسببات كربط النار بالإحراق فالسبب مؤثر في الظاهر والله هو الفاعل في الحقيقة قال النسفي وأنكر الجبائي العين اه وهو من مشايخ المعتزلة

اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوُّ عَلِيمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝
وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئُسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ
بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أُخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسِرْقُونَ ۝ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا
تَفْقِدُونَ ۝ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ۝ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمَا لِنُفْسِكُمْ

على أبيهم (الإحاجة) استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقتهم عليهم وإظهارها بما
قاله لهم ووصاهم به (وإنه لدو علم) يعنى قوله وما أغنى عنكم وعلمه بأن القدر لا يغنى عنه الحذر (آوى إليه أخاه) ضم إليه
بنيامين وروى أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسبتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأزلهم وأكرمهم ثم
أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبق بنيامين وحده فبكي وقال لو كان أخى يوسف حيا لأجسني معه فقال
يوسف بى أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال أتم عشرة فليزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لاثاني له
فيكون معى فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتقت أسماءهم من
اسم أخى هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك واسكنم بلدك يعقوب ولارا حبل
فبكي يوسف وقام إليه وعانقه وقال له (إنى أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى
فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف إليه وعن وهب إنما قال له أنا
أخوك بدل أخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تاتى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم وروى أنه قال له أنا لا أفارقك
قال قد علمت اعتمام والذى بنى فإذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يحمل قال لا أبالي فافعل
ما بدالك قال فأتى أدم صاعى فى رحلك ثم أمدى عليك بأنك قد سرقته ليتبألى رذك بعد تسريحك معهم قال افعل
(السقاية) مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها
ويكال بها وقيل كانت إناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه تشرب به الأعاجم وقيل
كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر (ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناد يقال
آذنه أعلمه وأذن أكثر الإعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى أنهم ارتحلوا وأمهاتهم يوسف حتى انطلقوا ثم أمر بهم
فأدر كوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك ۝ والعر الإبل التى عليها الاحمال لأنها تعير أى تذهب ونجى وقيل هي قافلة الحمير ثم
كثرت حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل بيض وعيد والمراد أصحاب العير
كقوله يا خيل الله ار كى ۝ وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل
السقاية فى رجلي أخيه أمهاتهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن ۝ وقرأ أبو عبد الرحمن السلى تفقدون من أفقدته إذا وجدته
فقيدا ۝ وقرئ صواع وصواع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة (وأنا به زعيم) بقوله المؤذن
يريد وأنا يحمل البعير كفيل أو ديه إلى من جابهه وأراد وسقى بعير من طعام جملا لمن حصله (تالله) قسم فيه معنى التعجب بما
أضيف إليهم وإنما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم فى كرتى مجيئهم ومدخلتهم لذلك
ولأنهم دخلوا أفواه رواحهم مكعومة لثلاث تناول زورا وطعاما لاحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها

(قوله فعل به ما فعل بيض وعيد) لعلة وغبد بإعجام الغين وهو جمع غداء أى ناعمة أو أغد بمعنى وستان مائل العنق
كذا فى الصحاح فليحتر لفظ المصنف (قوله وأفواه رواحهم مكعومة) يقال كعمت البعير إذا شددت فمه بالكمام
وهو شىء يجعل فى فم البعير عند هياجه كذا فى الصحاح

فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۚ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ۚ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ
كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۚ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا
لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ۗ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۗ

في رحلهم (وما كنا سارقين) وما كنا قاطن نو صف بالسرقة وهي منافية لحالنا (فما جزاؤه) الضمير للصواع أي فما جزاء سرقة (إن كنتم كاذبين) في جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أي جزاء سرقة أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسرق سنة المذالك استفتوا في جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه ذلك حقه أي فهو حقه لتقرر غاذا كرهته من استحاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر فيها مقام المضمرة والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخوزيد فيقول لك أخوه من يقعد إلى جنبه فهو هو يرجع الضمير الأول إلى من والثاني إلى الأخ ثم تقول فهو أخوه مقبلاً للمظهر مقام المضمرة ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه جزاؤه ثم أفوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتى في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمداً لجزاء مثل ما قتل من النعم (فبدأ بأوعيتهم) قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم إلى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لئني التهمة حتى بلغ وعاء فقال ما أظن هذا أخذ شيئاً فقالوا والله لا تركه حتى ننظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه ۗ وقرأ الحسن وعاء أخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبيرة إعا أخيه بقلب الواو همزة (فإن قلت) لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنته (قلت) قالوا رجع بالتأنيث على السقا - أو أنت الصواع لأنه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعاً فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل به صواعاً (كذلك كدنا) مثل ذلك الكيد العظيم كدنا (ليوسف) يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لأنه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ لأن يلزم ويستعبد (إلا أن يشاء الله) أي ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه (نرفع درجات من نشاء) في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتثنية (وفوق كل ذي علم عليم) فوقه أرفع درجة منه في علمه أو وفوق العلماء كاهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز و علا (فإن قلت) ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسناً فمن أي وجه حسن هذا الكيد وما هو إلا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله إنكم لسارقون فما جزاؤه إن كنتم كاذبين (قلت) هو في صورة البهتان وليس بهتان في الحقيقة لأن قوله إنكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم يوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لأن يوسف وقوله إن كنتم كاذبين فرض لا تنفاه براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكديباً على أنه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لأنهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لا يوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثاً ليتخلص من جلدتها ولا يحنث وكقول إبراهيم عليه السلام هي أختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقيها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلسلاً وذريعة إليها فكانت حسنة

(قوله من استحاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ) سيذكر أن حكم السارق في دين ملك مصر أن يغرم مثلي ما أخذ إلا أن يلزم ويستعبد (قوله ثم يقول ومن قتله منكم) لعله من بدون واو

قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّنْهَا لَهُمْ قَالِ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝ قَالُوا يَا أَبَا الْعَزِيزِ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ
مَعَاذَ اللَّهِ إِنْ نَأْخُذُ إِلَّا مِنَ وَجَدْنَا مَتَعَةً عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا أَظْلَمُونَ ۝ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ

جميلة وازاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا (أخله) أرادوا يوسف روى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين
نكس إخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم
بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنورا حيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصواع
في رحل الذي وضع البضاعة في رحالكم ۝ واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة فقبل كان أخذ في صباه صنما لجده
أبى أمه فسكره وألفاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل
كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت لإبراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكبر ولده فورثها
إسحق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب
أراد يعقوب أن ينزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة إسحق فانظر وامن
أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لي سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت (فأسرها) ۝
إضمار على شريطة التفسير تفسيره (أنتم شر مكاناً) وإنما أنت لأن قوله أنتم شر مكاناً جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة
من الكلام كلمة كأنه قيل فأسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله أنتم شر مكاناً والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكاناً لأن قوله قال
أنتم شر مكاناً بدل من أسرها وفي قراءة ابن مسعود فأسرها على الذكير يريد القول أو الكلام ومعنى أنتم شر مكاناً أنتم شر
منزلة في السرقة لأنكم سارقون بانصحة لسرقتكم أخاكم من أيكم (والله أعلم بما تصفون) يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخي سرقة
وليس الأمر كما تصفون ۝ فاستعطفوه بإذكارهم إياه حق أبيهم يعقوب وإنه شيخ كبير السن أو كبير القدر وأن بنيامين
أحب إليه منهم وكانوا قد أخبروه بأن ولداً له قد هلك وهو عليه شكلا ن وأنه مستأنس بأخيه (فخذ أحدها مكانه) فخذ بدله
على وجه الاسترهان أو الاستعباد (إنا نراك من المحسنين) أينا فأنتم إحسانك أو من عادتك الإحسان فاجر على عادتك
ولا تغيرها (معاذ الله) هو كلام موجه ظاهره أنه وجب على قضية فنواكم أخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده
فلو أخذ غيره كان ذلك ظلماً في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم وباطن إن الله أمرني وأرحى إلى بأخذ بنيامين واحتباسه
لمصلحة أو لمصالح جمه علمها في ذلك فلو أخذت غير من أمرني بأخذه كنت ظالماً وعاملاً على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله
(أن تأخذ) نمرود بالله معاذاً من أن تأخذ فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من و (إذا) جواب لهم وجزاء لأن
المعنى إن أخذنا بدله ظلماً (استياسوا) يسوا وزيادة السين والياء في المبالغة نحو مامر في استعصم ۝ والنجى على معنيين
يكون بمعنى الما جي كالشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقرنناه نجياً وبمعنى المصدر الذي هو التاجي
كقيل النجوى بمناء ومنه قيل قوم نجى كقيل وإذا هم نجوى تنزيلاً للمصدر منزلة الأوصاف ويجوز أن يقال هم نجى كقيل هم
صديق لأنه بزنة المصادر وجمع أنجى قال ۝ إني إذا ما ألقوم كانوا أنجيه ۝ ومعنى (خلصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس
خالصين لا يخاطبهم سواهم (نجياً) ذى نجوى أرفوجاً نجياً أى مناجياً لما جاء بعضهم بعضاً وأحسن منه أنهم تمحضوا تاجياً
لاستجابتهم لذلك وإفاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التاجي وحقيقته وكان تاجيهم في تدبير أمرهم على أى
صفة يذهبون وماذا يقولون لا يهم في شأن أخيهم كقوم تعابوا بمادهم من الخطب فاحتاجوا إلى التشاور (كبيرهم)

(قوله قد هلك وهو عليه شكلا ن) أى حزين أسيف على فقد ولده (وإذا جواب لهم وجزاء) أى لقولهم خذ أحدها مكانه

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي
 أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۖ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ تَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا
 عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۖ وَسئِلُ الْقَرْيَةِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۖ قَالَ بَلِ سَأَلْتُ
 لَكُمْ أَنفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ حَمِيلَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۖ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَافِرِي

في السن وهو رويل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والرأى وهو يهوذا (ما فرطتم في يوسف) فيه وجوه
 أن تكون ماصلة أي ومن قبل هذا تصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم وأن تكون مصدرية على أن محل المصدر الرفع
 على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفریطكم في يوسف أو النصب عطف على مفعول ألم تعلموا وهو أن
 أبائكم كأنه قيل ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفریطكم من قبل في يوسف وأن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه
 أي قدمتموه في حق يوسف من الجنابة العظيمة ومحل الرفع أو النصب على الوجهين (فلن أبرح الأرض) فلن أفارق أرض
 مصر (حتى يأذن لي أبي) في الانصراف إليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها أو بالاتصاف بمن أخذ أخى أو بخلاصه من
 يده بسبب من الأسباب (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يحكم أبداً إلا بالعدل والحق ۖ وقرئ سرق أي نسب إلى السرقة (وما
 شهدنا) عليه بالسرقة (إلا بما علمنا) من سرقته وتيقناه لأن الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا (وما كنا
 للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق أو ما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ سرق فعناه وما شهدنا
 إلا بقدر ما علمنا من التشريق وما كنا للغيب للأمر الخفي حافظين أسرق بالصحة أم دس الصاع في رحله ولم يشعر (القرية التي كنا
 فيها) هي مصر أي أرسل إلى أهلها فساهم عن كنه القصة (والعير التي أقبلنا فيها) وأصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من
 جيران يعقوب وقيل من أهل صنعاء ۖ معناه فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم ۖ (قال بل سوات لكم أنفسكم
 أمراً) أردتموه وإلا فما أدري ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة لولا فتواكم وتعليمكم (بهم جميعاً) بيوسف وأخيه

ۖ قوله تعالى وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (قال معناه وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمناه من سرقته الخ)
 قال أحمد إنما أن يكون مقتضى شرعهم حينئذ أن مجرد وجود الشيء يبدى المدعى عليه بعد إنكاره يوجب له أحكام السارق
 فيكون العلم على ظاهره إذا و إنما أن لا يكون كذلك فهذا القدر من مجرد وجوده في رحله لا يوجب علم كونه سارقاً وغايته
 أن يفيد ظناً بيناً فيكون المراد بالعلم هنا الظن وقد ورد مثله ويكون قولهم وما كنا للغيب حافظين تنبيهاً على أن مستندهم
 فيما قالوه ظن بمقتضى ظاهر الحال وأما كشف باطن الأمر الموجب للعلم فليسوا يدعون عليه ۖ عاد كلامه (قال وقولهم
 وما كنا للغيب حافظين) معناه وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق الخ) قال أحمد وإنما تلثم القراءتان على التأويل
 الذي ذكرته وهو أنهم إنما أضافوا إليه السرقة ظناً بمقتضى ظاهر الحال واحترزوا أن يعتقد أنهم علموا ذلك حقيقة فقالوا
 وما كنا للغيب حافظين فالقراءتان على التأويل المذكور يقتضيان تبرئتهم من دعوى العلم الجازم عليه وأما على غيره من التأويلات
 المذكورة فلا تنظم القراءتان لأن مقتضى الأولى الجزم عليه بالسرقة علماً ومقتضى الثانية التبري من الجزم والله أعلم
 ۖ قوله تعالى بل سوات لكم أنفسكم أمراً (قال معناه إن هذا شيء أردتموه الخ) قال أحمد وهذا من الزخشرى إسلاف
 جواب عن سؤال كأن قائل يقول هم في الواقعة الأولى سوات لهم أنفسهم أمراً بلا مرأ وأما في هذه الواقعة الثانية
 فلم يتعمدوا في حق بنيامين سوا ولا أخبروا أباهم إلا بالواقع على جليته وما تركوه بمصر إلا مغلوبين عن استصحابه فما
 وجه قوله ثانياً بل سوات لكم أنفسكم أمراً كما قال لهم أولاً وإذا ورد السؤال على هذا التقرير فلا بد من زيد بسيط
 في الجواب فنقول كانوا عند يعقوب عليه السلام حينئذ متهمين وهم قن باتهامه لما أسلفوه في حق يوسف عليه السلام

عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا

وروييل أو غيره (إنه هو العليم) بحالي في الحزن والأسف (الحكيم) الذي لم يتبلى بذلك إلا الحكمة ومصحة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (ياأسفى) أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه والآلف يدل من ياء الإضابة والتجانس بين لفظتى الأسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمد فيملح ويبدع ونحوه انما قلتم إلى الأرض أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون أنهم يحسنون من صبا بنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وإنما قال ياأسفى (فإن قلت) كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث والرزة الأحدث أشد على النفس وأظهر أثرا (قلت) هو دليل على تمادى أسفه على يوسف وأنه لم يقع فائت عنده موقمه وإن الرزة فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسى أوفى المصيبات بعده ولأن الرزة في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الأسف عليه أسفا على من لحق به (رايضت عيناه) إذا كثرت الاستعبار محنت العبرة سواد العين وقلته إلى بياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك إدراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ماجفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله سائة قط (فإن قلت) كيف جاز لنبى الله أن يبغ به الجزع ذلك المبالغ (قلت) الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن واقدم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده إبراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا تقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصباح والياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمرين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب (فهو كظيم) فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على مائه والكظم

وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتنوبها وهي أخذ الملك له في السرقة ولم يكن ذلك إلا من دين يعقوب وحمده لامن دين غيره من الناس ولا من عاداتهم وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى ما كان لياخذ أخاه في دين الملك تذيها من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم فعلم أن الملك إنما فعل ذلك بفتواهم له به وظن أنهم أفتوه بذلك بعد ظهور السرقة تعمد ليتخلف أخوهم وكان الواقع أنهم استفنوا من قبل أن يدعى عليهم السرقة فذكروا ما عندهم ولم يشعروا أن المقصود إلزامهم بما قالوا واتهام من هو بحيث تتطرق التهمة إليه لاجرح فيه وخصوصا فيما يرجع إلى الوالد من الولد ويحتمل والله أعلم أن يكون الوجه الذى شوغ له هذا القول فى حقهم أنهم جعلوا مجزدا وجود الصواع فى رحل من يوجد فى رحله سرقة من غير أن يجبلوا الحكم على ثبوت كونه سارقا بوجه معلوم وهذا فى شرعنا لا يثبت السرقة على من ادعت عليه فإن كان شرعهم مشر شرعنا فى ذلك ففتواهم إدا غير محررة وهو إشعار بأنهم كانوا حراصا على ثبوت السرقة عليه ويؤكد ذلك قولهم إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يؤكدون بذلك ثبوت السرقة عليه والله أعلم وقوله بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا واقع بمكانه من حالهم وإن كان شرعهم يقتضى ذلك بخالف الشرعنا فالعمدة على الجواب الأول والله المستعان

(قوله فهو مملوء من الغيظ) أى الغضب السكا من أفاده الصجاح (قوله على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم) أى لما صنعوا يوسف وأخيه

أَرْتَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكِينَ ۚ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيِّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ يَبْنِي أَذْهَبُوا
فَتَحْسَبُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِيَهُمْ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ۚ
فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَاةٍ فَارْفُ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا
إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۚ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُونُسَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ۚ قَالُوا أَغْنَىٰ عَنْكَ لَأَن يُوسَفَ

بفتح الظاء مخرج النفس يقال أخذ بأ كظامه (نفث) أراد لا نفث فحذف حرف النقي لأنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان
اثباتا لم يكن بدمن اللام والنون ونحوه ۚ فقلت بين الله أرح قاعدا ۚ ومعنى لا نفثوا لا تزال وعن مجاهد لا نفث من
حبه كأنه جعل الهتاء والفتور أخوين يقال ما فتيه يفعل قال أوس : فما فئت خيل ثوب رتدي ۚ ويلحق منها لاحق وتقطع
(حرضا) مشفيا على الهلاك مرضا وأحرضه المرض ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه مصدر والصفة
حرض بكسر الراء ونحوهما دنف وذنف جاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمه ونحوه في الصفات رجل
جنب وغرب ۚ البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره ومنه باثه أمره وأبته إياه ومعنى
(إنما أشكو) إني لأشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربي داعيا وملنجئا إليه نخلوني وشكائتي وهذا معنى
توليه عنهم أي فتولى عنهم إلى الله والشكاية إليه وقيل دخل على يعقوب جاره فقال يا يعقوب قد تهشمت وفيتت من السن
ما بلغ أبوك فقال هشمتي وأفتاني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله إليه يا يعقوب أشكوني إلى خالق قال يارب خطيئة
أخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكوا بنبي وحزني إلى الله وروى أنه أوحى إلى يعقوب إنما
وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام بينكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خالق إلى الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاما
وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (واعلم من الله ما لا تعلمون) أي أعلم
من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحسب وروى أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل
قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه ۚ وقرأ الحسن وحزني بفتحيتين وحزني بضميتين قتادة (فتحسبوا من
يوسف وأخيه) فتعزفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو
المعرفة فلما أحس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الإنسان الحواس والحواس (من روح
الله) من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وفتادة من روح الله بالضم أي من رحمته التي يجيا بها العباد (الضر) الهزال من
الشدّة والجوع (مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارها من أزجيتها إذا دفعته وطردته والريح تزجي
السحاب قيل كانت من متاع الأعراب صوفا وسنما وقيل الصنوبر وحب الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم
زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة (فأوف لنا الكيل) الذي هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمساحة والإغماض عن
رداءة البضاعة أوزدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لانزله صدقة لأن الصدقات محظورة على الأنبياء وقيل كانت
نحل لغير نبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد أنها كانت حلالا لهم والظاهر أنهم تمسكوا به
وطلبوا أن يتصدق عليهم ومن ثم رقى لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله (إن الله يجزي المتصدقين)
شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة المطية التي يتبغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق
عليّ إن الله تعالى لا يتصدق إنما يتصدق الذي يتبغى الثواب قل اللهم أعطني أو تفضل عليّ أو ارحمني (قال هل علمتم) أي
من جهة الدين وكان حليما موقفا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبيح الذي يجب أن يراعيه النائب فقال هل علمتم
قوله تعالى قال هل علمتم يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون (قال أنتم) من جهة الدين وكان حليما موقفا فكلمهم مستفهما عن
معرفة وجه القبيح الخ) قال أحمد ومن تطفئه بهم قوله إذ أنتم جاهلون كالأعتذار عنهم لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه

قبح (ما فعلتم يوسف وأخيه إذ أتم جاهلون) لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى النوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لامعانة وتثريا لإثارة الحق الله على نفسه في ذلك المقام الذي يتدفق فيه المكروب وينفث المصدر ويتدفق المغيظ المحقق ويدرك تأرته الموتور فله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسيحها والله حصا عقولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذا تم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أو أن الحلم والرزانة روى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه أرفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإننا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدى فشدت يدها ورجلاه ورمى به في النار ليحرق فبجأه الله وجعلت النار عليه برداً وسلاماً وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل فقدها الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أنسلي به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وأنت حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولأنك سارقاً فإن رددته على وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروى أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا (فإن قلت) ما فعلهم بأخيه (قلت) تعريضهم إياه للغم والشكل بإفراجه عن أخيه لأبيه وأمّه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحداً منهم إلا كلام الذليل العزيز وإيذاؤهم له بأنواع الأذى قرئ أنك على الاستفهام وأنت على الإيجاب وفي قراءة أبي أنك أو أنت يوسف على معنى أنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستنبات (فإن قلت) كيف عرفوه (قلت) رأوا في روايته وشماله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لأن بعض أعزاه مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرّفه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرته كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء (فإن قلت) قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه

أسهل من فعله على علم وهم لو ضربوا في طرق الاعتذار لم يلفوا عذراً كهذا إلا ترى أن موسى عليه السلام لما اعتذر عن نفسه لم يزد على أن قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين وروى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه أرفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاباً من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإننا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدى فشدت يدها ورجلاه ورمى إلى النار ليحرق فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأما أبي فوضعت المدينة في قفاه ليذبح فقدها الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أنسلي به فذهبوا به ثم رجعوا فقالوا إنه سرق وأنت حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولأنك سارقاً فإن رددته على وإلا دعوت عليك دعوة تبلغ السابع من ولدك والسلام فلما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر

(قوله وينفث المصدر ويتدفق المغيظ) المصدر الذي يشتكى صدره والمحقق المغيظ والموتور الذي قتل له قنيل فلم يدرك بدمه كذا في الصحاح (قوله ما أوطأها وأسيحها والله حصا عقولهم) أى ما أسهلها وما أرفقها أفاده الصحاح وفيه فلان ذو حصاة أى ذو عقل ولب فحصى عقولهم إضافة بيانية (قوله ولا يقدم عليه إلا جاهل) لعله عطف على المعنى لأن قوله لم يفعلوا الخ بمعنى فعلوا ما لا يقتضيه العلم (قوله قلت تعريضهم للغم والشكل) لعله تعريضهم إياه للغم والشكل فقدان المرأة ولدهما كافي الصحاح والمراد هنا الحزن (قوله قلت رأوا في روايته وشماله) بالضم أى منظره أفاده الصحاح (قوله لا عن بعض إغراه مصر) جمع غرو أى غير يجرب أفاده الصحاح

قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَقٍ وَيَصْبِرٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ۝ أَذْهَبُوا
بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقَوَّةُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ

على أن أخاه كان معلوما لهم (قلت) لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (من يتق) من يخف الله وعقابه (ويصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات (فإن الله لا يضيع) أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين (لقد آثرك الله علينا) أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين ۝ وإن شأنا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لاجرم أن الله أعزك بالملك وأذلا بالنسك بين يديك (لا تثريب عليكم) لا تأنيب عليكم ولا تعب وأصل الثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريرع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجز الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريرع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه (فإن قلت) بم تعلق اليوم (قلت) بالثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار أو يغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة الثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتداء فقال (يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم واليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بمضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ماتروني فاعلابكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى أن إخوته لما عرفوه وأرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحي منك لما فرط منا فبك قال يوسف إن أهل مصر وإن ملكك فيهم فإنهم ينظرون إلى العين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي وأنا من حفدة إبراهيم (أذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويد يوسف وكان من الجنة أمره جبريل عليه السلام أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا نسيم إلا عرفى (بأت بصيرا) بصير بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو بأت إلى وهو بصير وينصره قوله (وأتوني بأهلكم أجمعين) أي يأتني أبي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال أنا أحزنته بحمل الفميص ملطوخا بالدم إليه فأفرجه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من اللد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير (قال) لولد ولده ومن حوله من قومه

كما صبروا تظفروا كما ظفروا (قال فإن قلت بم تعلق اليوم في قوله لا تثريب عليكم اليوم الخ) قال أحد وهذا المعنى إنما يتوجه على الإعراب الأول وهو الأوجه الأخرى إلى قولهم بعد ذلك يا أبا ناس استغفرنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين وقوله سوف أستغفر لكم ربي دل على أنهم كانوا بعد في عهدة الذنب ولو كان متعلقا بيغفر الزم أن يقطعوا بغفران ذنوبهم حينئذ بأخبار النبي الصديق ويحتمل أن يقال إنما أراد مغفرة ما يرجع إلى حقه دون حق أبيه إذ الأثم كان مشتركا بينهما والله أعلم

(قوله والتقريرع إزالة الجلد والقرع) في الصحاح القرع بالتحريك بثر أبيض يخرج بالنصال والتقريرع معالجة الفصيل من القرع كأنه ينزع ذلك منه (قوله وهو حاف حاسر من مصر) أي لا مغفرله ولا درع أفاده الصحاح

رِيحِ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَهُ ۖ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ۖ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۚ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ قَالُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۚ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۚ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ مِصْرَ ۚ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ۚ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ هَذَا تَأْوِيلُ

(انى لاجد ريح يوسف) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان ٥ والتفئيد النسبة إلى الفند وهو الحرف وإنكار العقل من هرم يقال شيخ فند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن في شبيبها ذات رأى فتفند في كبرها والمعنى لولا تفئيدكم إياي لصدقتموني (انى ضلالك القديم) انى ذهابك عن الصواب قدما في إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره وربجائك للقائه وكان عندهم أنه قد مات (ألقاه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد بصيرا) فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده إذا ارتجعه (الم أقل لكم) يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف أو قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله (انى أعلم) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك أن توقعه عليه وتريد قوله إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروى أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة (سوف أستغفر لكم) قيل آخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة وقيل ليتعزف حالم في صدق التوبة وإخلاصها وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روى أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفرلى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما أتوا إلى أخيهم فأوحى إليه إن الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروى أنهم قالوا له وقد علمتم الكآبة ما يعنى عنا عفو كما إن لم يعف عنا ربنا فإن لم يوح إليك بالعفو فلا قرب لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاهوا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد موافقتهم بعدك على التوبة وقد اختلف في استنبأهم (فلسا دخلوا على يوسف) قيل وجه يوسف إلى أبيه جهازاً ومائتى راحلة ليتجهز إليه بمن معه وخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظام وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهدافرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل إن يوسف قال له ما التقيا يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون مابين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف (أرى إليه أبويه) ضمهما إليه واعتنقهما قال ابن أبى إسحق كانت أمه تحبى وقيل هما أبوه وخاله مانت أمه فتزوجها وجعلها أحدا لأبوين لأن الرابة تدعى أمّا لقيامها مقام الأم أولان الخالة أم كما أن العم أب ومنه قوله وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق (فإن قلت) ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر (قلت) كأنه حين استقبالهم نزل لهم في مضرب أو بيت ثم فدخلوا عليه وضم إليه أبويه ٥ ثم قال لهم (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفدهما على السرير (وخزوا له) يعنى الإخوة الأحد عشر والأبوين (سجدا) ويجوز أن يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التى تحمل على البغال فأمر أن يرفع إليه أبواه فدخلا عليه القبة فأواهما إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر ٥ (فإن قلت) بم تعلقت المشيئة (قلت)

(قوله كانت أمه تحبى وقيل هما أبوه وأخته) عبارة النسبى باقية (قوله نزل لهم في مضرب أو بيت) عبارة النسبى مضرب خيمة

رَبِّي مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ۝ وَمَا أَكْثَرَ

بالدخول. كيفاً بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكانه قيل لهم اسلبوا وأمنوا في دخولكم إن شاء الله ونظيره قولك للغازي أرجع سالماً غانماً إن شاء الله فلا تعاق المشيئة بالرجوع مطلقاً ولكن مقيداً بالسلامة والغنمة مكيفاً بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخاتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذو الحال ومن يدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وإن موضعهما ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربِّي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره (فإن قلت) كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله (قلت) كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقبل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخروهم سجداً ياباه وقيل معناه وخزوا لاجل يوسف سجداً لله شكراً وهذا أيضاً فيه نبوة ۝ يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه. وبه قال ۝ أسبى بنا أو أحسنى لاملومة ۝ (من البدو) من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع (نزغ) أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه (لطيف لما يشاء) لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يحيى على وجه الحكمة والصواب وروى أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الخلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائنة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسله قال جبريل عليه السلام الله تعالى أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلاخفتني وروى أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد ففاقت نفسه إليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقاً من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً واحداً وولده لإفرائيم وميشاو ولد لإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت القراعة من العهاليق بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم ۝ من في (من الملك) و (من تأويل الأحاديث) للتبويض لأنه لم يعط إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل (أنت ولي) أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وبوصل الملك الفاني بالملك الباقي (توفى مسلماً) طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن يختم له بالخير والحسن كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمناً للديوت على ما قيل (والحقني بالصلحين) من آباءي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للديوت فقال له صنع الله على يديك خيراً كثيراً أحيت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلاأ كون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفى مسلماً والحقني بالصلحين (فإن قلت) علام انتصب فاطر السموات (قلت) على أنه وصف لقوله رب

(قوله ليكونوا كلهم فيه نمرعاً واحداً) في الصحاح الناس في هذا الأمر شرع أي سواء يحرك ويسكن

النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۚ وَمَا تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۚ وَكَانَ مِنْ آيَاتِهِ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۚ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ۚ أَفَأَمَّنُّوا
أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۚ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى
بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ
مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ۚ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْدَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ

كقولك أجازيد حسن أو على الذراء (ذلك) إشارة إلى ما سبق من نبي يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومحله الابتداء وقوله (من أنباء الغيب نوحيه إليك) خبر إن ويجوز أن يكون اسما موصرا لا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته
ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو التناؤم
أخام في البئر كقولهم وأجمعوا أن يحملوه في غيابة الجلب ۚ وهذا هم بقريش وبين كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين
أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقص هذا
القصص العجيب الذي أعجز حكمة ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد
علمتم بما كبره أنه لم يكن مشاهداً لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر (وهم
يمكرون) يوسف ويبنون له الفوائل (وما أكثر الناس) يريد العموم كقولهم ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن
عباس رضي الله عنه أراد أهل مكة أي وما هم بمؤمنين (ولو حرصت) رتها لكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر
وعنادهم (وما تستأمنهم) على ما تحدثهم به وتذكروهم أن يذلوكم منفعة وجدوى كما يعطى حملة الأحاديث والأخبار (إن هو
إلا ذكر) عظة من الله (للعالمين) عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (من آية) من علامة ودلالة
على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (يمرون عليها) ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها ۚ وقرئ والأرض
بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدى والأرض بالنصب على ويطؤون الأرض يمررون عليها وفي مصحف
عبدالله والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من السير (وما يؤمن
أكثرهم) في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا هو ومشارك بعبادته الوثن وعن الحسن بن أحمد أهل الكتاب
معهم شرك وإيمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقهم (غاشية) نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم
من العذاب وبجملتهم وقيل الصواعق (هذه سبيلي) هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والوحيد سبيل والسبيل
والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا إلى الله على بصيرة) أي أدعوا إلى دينه مع حجة واضحة غير عماية
(أنا) تأكيد للمستتر في أدعو (ومن اتبعني) عطف عليه يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني ويجوز أن يكون أنا
مبتدأ وعلى بصيرة خبراً مقديماً ومن اتبعني عظماً على أنا إخباراً مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى
ويجوز أن يكون على بصيرة حالاً من أدعوا حالة الرفع في أنا ومن اتبعني (وسبحان الله) وأنزهه من الشركاء (إلا رجالات)
لاملائكة لأنهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد ليست فيهم امرأة وقيل
في سباح المذبذبة ۚ ولم تنزل أنبياء الله ذكرانا ۚ وقرئ نوحى إليهم بالنون (من أهل القرى) لأنهم أعلم وأحلم وأهل
البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة (ولدار الآخرة) ودار الساعة أو الحال الآخرة (سير الذين اتقوا) الذين خافوا

(قوله وأنزهه من الشركاء) لعلة عن (قوله وقرئ نوحى إليهم بالنون) منبياً للمعلوم فتكون القراءة الأصلية بالياء منبياً للجهول

سورة الرعد
وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝

سورة الرعد مدنية، وآياتها ۳۴ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَمَّا تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

الله فلم يشركوا به ولم يعصوه ۝ وقرئ أفلا تعقلون بالناء والياء (حتى) متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخي نصرهم حتى إذا استأسوا عن النصر (وظنوا أنهم قد كذبوا) أي كذبهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو رجاؤهم اقوالهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والغداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأمله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لأنصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرأ وتلاقوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهيج في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا أي أخلفوا أو وظن المرسل اليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أي كذبهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل هي وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصر إما على تأويل ابن عباس وإما على أن قومهم إذا لم يروا المرعدهم أثرأ قالوا لهم إنكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم أو وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل أن قومهم كذبوهم في وعدهم ۝ قرئ فتنجى بالتخفيف والتشديد من إنجاء وإنجاء وفتنجى على لفظ الماضي المنى للقبول وقرأ ابن محيصن فنجاه والمراد (من نشاء) المؤمنون لأنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجائهم وقد بين ذلك بقوله (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) الضمير في (قصصهم) للرسل وينصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقبل هو راجع إلى يوسف وإخوته ۝ (فإن قلت) فيلام يرجع الضمير في (ما كان حديثا يفترى) فيمن قرأ بالكسر (قات) إلى القرآن أي ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن) كان (تصدق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب السماوية (وتفصيل كل شيء) يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي يستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل وانتصاب مانصب بعد لكن للطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقامكم - ورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلها أهله وما ملكت يمينه مؤن الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً

(سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تلك) إشارة إلى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة أي تلك الآيات آيات السورة

۝ قوله تعالى حتى إذا استبشس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا (قال معناه يؤسوا من النصر وظنوا أن أنفسهم كذبهم الخ) قال أحمد ولا يلزم أن يكون الله وعدم النصر في الدنيا بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لآعن اخبار ووحى ۝ عاد كلامه (قال ونقل عن ابن عباس أنه قال فظنوا حين ضعفوا وغلبوا الخ) قال أحمد وهذا أيضا تأويل حسن

النَّاسَ لَا يُؤْمِنُونَ ۗ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
وَيَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يَدْبُرُ الْأُمُورَ ۗ يَفْصَلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۗ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ
وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۗ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَوْرٍ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ
يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفَّضًا بِغَيْرِ غَدِيٍّ ۗ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۗ وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ
قَوْلُهُمْ أَتَمَّا أَنْفِ خَلَقَ جَدِيدًا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ ۗ فِي آعْنَاقِهِمْ

الكاملة الهجية في بابها ثم قال (والذي أنزل اليك) من القرآن كله هو (الحق) الذي لا مزيد عليه لانه السورة وحدها
وفي أسلوب هذا الكلام قول الانبارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد الكملة (الله) مبتدأ و(والذي) خبره بدليل
قوله وهو الذي مدا الأرض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات خبر بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر
الآيات (رفع السموات بغير عمد ترونها) كلام مستأنف استشهد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة
أبي ترونه وقرئ عمد بضمين (يدبر الأمر) يدبر أمر ملكونه وربوبيته (يفصل) آياته في كتبه المنزلة (لعلكم توقنون)
بالجزء وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون (جعل فيها زوجين اثنين) خلق
فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدهما ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل أراد بالزوجين الأسود
والأبيض والخلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه
فيسير أسود مظلما بعد ما كان أبيض منيراً وقرئ يغشى بالتشديد (قطع متجاورات) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة
متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة وصالحة للزرع وللشجر إلى أخرى على عكسها مع انتظامها
جيدا في جنس الأرضية وذلك دليل على قادر مرید موقع لأفعاله على وجه دون وجه ۗ وكذلك الزروع والكروم
والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الأشكال
والألوان والطعوم الروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعاً متجاورات على وجعل ۗ وقرئ وجنات بالنصب
للدلف على زوجين أو بالجزء على كل الثمرات ۗ وقرئ وزرع ونخيل بالجزء عطفاً على أعناب أو جنات ۗ والصنوان
جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصاهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة أهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس
(تسقى) بالتاء والياء (ونفصل) بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعاً (في الأكل) بضم الكاف وسكونها
(وإن تعجب) يا محمد من قولهم في إنكار البعث قولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك
من الفطر العظيمة ولم يعي يخلقهن كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب (أتما
كنا) إلى آخر قولهم يجوز أن يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وأن يكون منصوبا بالقول وإذا نصب بما دل عليه
قوله أتما أنى خالق جديد (أولئك الذين كفروا برهم) أولئك الكاملون المتنادون في كفرهم (وأولئك الأغلال في أعناقهم)

ينظم بين القراءتين لأن ظان الامم كذب رسالهم تكذيب لهم فيؤدى مؤدى قراءة التشديد

(قوله الانبارية هم كالحلقة) أي في أولادها (قوله وكريمة إلى زهيدة وصلبة) في الصحاح واد زهيد قليل الأخذ للماء
وأرض زهاد أي لا تسيل إلا عن مطر كثير

سورة الرعد - وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ

وصف بالإصرار كقوله إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ونحوه ۝ لهم عن الرشد أغلال وأقياد ۝ أو هو من جملة الوعيد (بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية والإحسان إليهم بالإمهال وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأنبهم بالعذاب استنزاء منهم بإنذاره (وقد خلت من قبلهم المثلات) أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة بوزن الصمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من الممانلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضم الميم وسكون الهمزة وتخفيف المثلات بضم الميم وسكون الهمزة (لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحلها الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم وفيه أوجه أن يريد السيئات المكفرة ليجتنب الكبار أو الكبار بشرط التوبة أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال وروى أنها لما نزلت قال النبي عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزة ما هنا أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لانتكل كل أحد (لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآية المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فافترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا وإحياء الموتى ۝ فقبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت رجل أرسلت منذرا ونحو قولهم من سوء العاقبة وناصح كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بآية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطى كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها (ولكل قوم هاد) من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية وآية خص بها ولم يجعل الأنبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة (وجه آخر) هو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون فلا يهتدون ذلك إنما أنت منذر فساء عليك إلا أن تذكر لأن ثبت الإيمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالإلجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضايا حكمته أن إعطائه كل منذر آيات خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولوعلم في إجاباتهم إلى مقترحهم خيرا ومصلحة لأجابههم إليه وأما على الوجه الثاني فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العلم بأي طريق يهديهم ولا سبيل إلى ذلك غيره (الله يعلم) يحتمل أن يكون كلاما مستأنفا وأن يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه

(القول في سورة الرعد)

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ قوله تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (قال ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم الخ) قال أحمد والوجه الحق بقاء الوعد على إطلاقه إلا حيث دل الدليل على التقييد في غير الموحد فإن ظلمه أعنى شركه لا يغفر وما عدا الشرك فغفرانه في المشيئة والوحدانية يبنى على عقيدته التي وضع فسادها في استحالة الغفران لصاحب الكبرياء وإن كان موحدًا إلا بالتوبة فيقيد مطلقا ويحجر واسما والله الموفق ۝ قوله تعالى

(قوله بوزن الصمرة والمثلة لما بين) عبارة النسق والمثلة المقربة لما بين الخ (قوله لما يقال الصمرة والمثلات) لعلة الصمرة والسمرات (قوله جمع مثلة كركبة وركبات) في الصحاح الركبة معروفة وجمع العلة ركبات وركبات وركبات وفي هامشه عن مرتضى أبي بسكون الكاف وضمتها وفتحها والراء مضمومة فيمن (قوله ولم يجعل الأنبياء شرعا واحدا) أي سواء كذا في الصحاح

شَيْءٌ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ۝ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ

الآخر ثم ابتدئ فقيل (يعلم ما تحمّل كل أنثى) وما في ما تحمّل وما تغيض وما تزداد إمامو صولة وإما مصدرية فإن كانت موصولة فالمعنى أنه يعلم ما تحمّله من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتماج وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الأرحام أي تنقصه يقال غاض الماء وغضته أما ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده أي تأخذه زائدا تقول أخذت منه حتى وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فإنها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكا كان رابع أربعة في بطن أمه ومنه جسد الولد فإنه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة وإلى أربع عند الشافعي وإلى خمس عند مالك وقيل إن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقى في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فإنه يقل ويكثر وإن كانت مصدرية فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أن القليلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيوض أن تضع ثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر وعنه الغيوض الذي يكون سقطا غير تمام والازدياد ما ولد تمام (بمقدار) بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله إنا كل شيء خلقناه بقدر (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلى على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها (سارب) ذاهب في سربه بالفتح أي في طريقه ووجهه يقال سرب في الأرض سروباً والمعنى سواء عنده من استخفى أي طلب الخفاء في مخبئ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهر بالنهار يبصره كل أحد (فإن قلت) كان حق العبارة أن يقال ومن هو مستخف بالليل وإن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والإفقد تناول واحداً هو مستخف وسارب (قلت) في وجهان أحدهما أن قوله وسارب عطف على من هو مستخف لأعلى مستخف والثاني أنه عطف على مستخف إلا أن من في معنى الاثنين كقوله

تكن مثل من ياذب يصطحبان ۝ كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار ۝ والضمير في (له) مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعقب في حفظه وكلايته والأصل معقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعتذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه كما يقال قفاء لأن بعضهم يعقب بعضاً أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به

سواء منكم من أسر القول ومن جهره ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (قال فيه إن قلت كان من حق الكلام أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار الخ) قال أحمد فقضى السؤال الذي أورده الزحشرى أن تكون الواو عاطفة لإحدى الصفتين على الأخرى ومقتضى ما أجاب به أن يعطف أحد الموصوفين على الآخر وتحمّل الآية وجهاً آخر وهو أن يكون الموصول محذوفاً وصلته باقية والمعنى ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع وخصوصاً وقد تكرر الموصول في الآية ثلاثاً ومنه قوله تعالى وما أدري ما يفعل بي ولا بكم والأصل ولا ما يفعل بكم وإلا كان حرف النفي دخيلاً في غير موضعه لأن الجملة الثانية لو قدرت داخلية

(قوله وتماج وخداج وحسن) في الصحاح خدجت الناقة خدجا قامت ولدها قبل تمام الأيام فهي خادج وهو خديج وأخدجت إذا جاءت به ناقص الخلق فهي مخدج وهو مخدج اهـ

سورة الرعد
مَا يَقُومُ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بَانْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ ه وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ

فيكتبونه (يحفظونه من أمر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أى من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة على رضى الله عنه وابن عباس وزيد بن علي وجعفر ابن محمد وعكرمة يحفظونه بأمر الله أو يحفظونه من بأس الله ونعمته إذا أذنب بدعائهم له ومسئلتهم بهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكأؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلالوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أى من قضاياه ونوازله أو على التهكم به وقرئ له معاقب جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف إحدى القافين في التكسير (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الخال الجميلة بكثرة المعاصي (من وال) بمن يلى أمرهم ويدفع عنهم (خوفا وطمعا) لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلن إلا على تقدير حذف المضاف أى إرادة خوف وطمع أو على معنى إخافة وإطاعا ويجوز أن يكونا منتصبين على الخال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أى خائفين وطماعين ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال أبو الطيب
فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى ه يرحى الحيا منها ويخشى الصواعق

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جريته التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحياه (السحاب) اسم الجنس والواحدة سحابة و(الثقال) جمع ثقيلة لأنك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقيل كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهى الثقال بالماء (ويسبح الرعد بحمده) ويسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أى يضجرون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضى الله عنه سبحان من سبحته وإذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خاق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكأؤهم (والملائكة من خيفته) ويسبح الملائكة من هيئته وإجلاله ه ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة

في صلة الأول بواسطة العاطف لم يكن للنهي موقع وإنما صحب في الأول الوصول لا الصلة ومنه ه فن يهجو رسول الله منك ه ويمدحه وينصره سواء ه أى ومن يمدحه وينصره والله أعلم عاد كلامه (قال في معنى قوله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له الخ قال أحدو حقيقة هذا الوجه أنهم يحفظونه من الأمر الذي علم الله أنه يدفعه عنه بسبب دعائهم ولولا هذا السبب لكان في علم الله أن النعمة تحمل عليه لأن الله عز وجل يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون وسع ربنا كل شيء علما ه قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال الآية (قال خوفا وطمعا لا يصح أن يكون مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل الخ) قال أحد أو مفعولا لهما على أن المفعول له في مثل هذا الفعل فاعل في المعنى لأنه إذا أراهم فقد رأوا والأصل وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا أى ترقيونه وترأوه تارة لأجل الخوف

(قوله الحرس والجلالوزة حول السلطان) في الصحاح الجلاوز الشرطي والجمع الجلاوزة (قوله كالسحاب الجون) الجون الأبيض والأسود فهو من الأضداد والجمع جون بالضم كذا في الصحاح (قوله ومن له بيت يكف) وكف البيت يكف قطر يقطر كذا في الصحاح (قوله معه مخاريق من نار) في الصحاح المخراق مندبل يلف ليضرب به

الصَّوْعَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۗ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبْسَطُ كَذِبٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَسْلُغُهُ وَمَا دَعَا ۗ الْكٰفِرِينَ

ووحدايته ثم قال (وهم) يعنى الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته (يجادلون فى الله) حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم ويردون الوجدانية باتخاذ الشركاء والأنداد ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الوار للرجال أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم وذلك إن أربد أخاليد بن ربيعة العامرى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامراً بغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلوية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرنا عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (المحال) المماثلة وهى شدة المماكرة والمكايده ومنه تحمل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ما حلا مصدقا وقال الأعشى فرغ نبع يمش فى غصن الجوه د غزير الندی شديد المحال

والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه بأنهم بالملكية من حيث لا يحتسبون وقرأ الأعرج بفتح الميم على أنه مفعول من حال يحول محالا إذا احتال ومنه أحول من ذئب أى أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقر ويكون مثلا فى القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان إذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يهجز عنه غيره الأترى إلى قولهم فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه (دعوة الحق) فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه فى قولك كلمة الحق الدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمنزلة الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤاله إن كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدى دعاؤه والثانى أن تضاف إلى الحق الذى هو الله عز و علا على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق (إن قلت) ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله (قلت) أتماعلى قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكره من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأتماعلى الأول فوعيد للكفرة على مجادلهم رسول الله بحلول محاله بهم وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دعا عليهم فيهم (والذين يدهون) والآلهة الذين يدعوم الكفار (من) دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) من طلباتهم (إلا كباسط كفيه) إلا الاستجابة كاستجابة باسط كفيه أى كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يباغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن

وتارة لأجل الطمع والله أعلم ۗ قوله تعالى ۗ له دعوة الحق ۗ (قال محمود فى رجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الخ) قال أحمد دس تحت تأويل الأول نبذة من الاعتزال على وجه الاعتزال لغير واسم من لطف الله واستجابته أدعية عباده وحثم رعاية المصالح وجعل معنى إضافة الدعوة إلى الحق التباسها بالمصاحبة وقد انكشف الغطاء وتبين أن الله تعالى لا تمال أفعاله ولا تقف استجابته على الشرط المذكور وغرضنا إيقاظ المطالع لهذه المواضع من غفلة يتحيز بها إلى بدعة وضلالة والله الموفق

(قوله بغدة كغدة البعير) فى الصحاح غدة البعير طاعونه (قوله يمش فى غصن الجوه) فى الصحاح هشتت الورق هشا خبطته بعصا ومنه قوله تعالى وأدش بها على غمى . وهشتت إلى فلان هشاشة خففت إليه وارتحت له (قوله ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقر) فى الصحاح والمحال أيضا الفقارة وفيه الفقارة واحدة فقار الظهر (قوله اتصال هذين الوصفين بما قبله) عبارة النسفى واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله

إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۚ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۚ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَلْفَهُ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَهْرُ ۚ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّبِيلُ

يجيب دعاءه و يبلغ فاه و كذلك ما يدعو به جماد لا يحسد دعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم و قيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لألهتهم بمن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشر به فبسطها ما ناسراً أصابعه فلم تلق كفاء منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه ۚ و قرئ ندعون بالتاء كباسط كفيه بالتونين (الإل في ضلال) إل في ضياح لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبههم و إن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم (ولله يسجد) أي ينقادون لإحداث ما أراد فيهم من أفعاله شاؤا أو أبوا لا يقدر أن يمنعوا عليه ۚ و تقادله (ظلالهم) أيضاً حيث تصرف على مشيئته في الامتداد والنقص والنقص والنقص و قرئ بالغدو والإيصال من أصول إذا دخلوا في الإصيل (قل الله) حكاية لاعترافهم و تأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكى إقراره تزييراً له عليه واستيثاقاً منه ثم بقوله له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أي إن كعوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقنونه ولا يقدر أن ينكروه (أفاتخذتم من دونه أولياء) أبعداً علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فمعلم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الإشراف (لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً) لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يذفوا عنها ضرراً فكيف يستطيعون غيرهم وقد آثرتموه على الخالق الرازق الميثب المعاقب فما بين ضلالكم (أم جعلوا) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار و (خلقوا) صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه) عليهم خلق الله و خلقهم حتى يقولوا قدره هؤلاء على الخالق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذهم لشركاء و نعبدكم كما يعبدوا لافرق بين خالق و خالق و لكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدر أن يقدر على ما يقدر عليه الخالق فضلاً أن يقدر و اعلى ما يقدر عليه الخالق (قل الله

قوله تعالى ۚ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كلفه فتشابه الخالق عليهم قل الله خالق كل شيء ۚ (قال أم مقدره بيل والهمزة ومعناها ههنا الإنكار الخ) قال أحمد وفي قوله تعالى خلقوا كلفه في سياق الإنكار تمم بهم لأن غير الله لا يخلق خلقاً البتة لا بطريق المشابهة والمساواة لله تقدس عن التشبيه ولا بطريق الانحطاط والقصور فقد كان يكفي في الإنكار عليهم أو الشركاء التي اتخذوها لا يخلق مطلقاً ولكن جاء في قوله تعالى كلفه تمم يزيد الإنكار تأكيداً والزمخشري لا يطبق التشبيه على هذه السكينة مع كونه أفطن من أن تستر عنه لأن معتقده أن غير الله يخلق وهم العبيد يخلقون أفعالهم على زعمه ولكن لا يخلقون كخلق الله لأن الله تعالى يخلق الجواهر والأعراض والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم لا غير وفي قوله عز من قائل ۚ الله خالق كل شيء ۚ إقام لافواه المشركين الأولين ثم لافواه التابعة لهم في هذه الضلالة كالقدرة فإن الله تعالى بت هذه البتة أن كل شيء يصدق عليه أنه مخلوق جوهر أو كان أو عرضاً فعلاً لعيده أو غيره فالله خالقه فلا يبقى بقية يحتمل معها الاشتراك إلا عند كل أنهم أفانك يسمع آيات الله تلى عليه ثم بصر مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ فبشره بعذاب أليم فلا مر ما تقاصر لسان الزمخشري عند هذه الآية وقرن شفاشقه والله الموفق

(قوله أي إن كعوا عن الجواب) أي امتنعوا جبناً أو احتبسوا أفاده الصحاح

زَبَدًا رَّايًا وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ
فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ الَّذِينَ
اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مِثْلَ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ أَوْلَئِكَ
لَهُمْ سُوءُ الْحَسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ
أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ

خالق كل شيء) لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة (وهو الواحد) المتوحد
بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مر بوب ومقهور ه هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى
والبصير والظلمات والنور مثلها فمثل الحق وأهله بالمساء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع
المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ولولم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد
لكفى به وأن ذلك ما كثر في الأرض باق بقاء ظاهر أ ثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والثمار والجوب والثمار
التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله
وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمى به وبزبد الفلز الذي يطوف فوقه إذا أذيب (فإن قلت) لم نذكرت الأودية (قلت)
لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض (فإن قلت) فما معنى قوله (بقدرها)
(قلت) بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للمطور عليهم غير ضار الأثرى إلى قوله وأما ما ينفع الناس لأنه ضرب المطر مثلا
للحق فوجب أن يكون مطراً خالصاً للنفع خالياً من المضرة ولا يكون كعوض الأمطار والسيول الجراحف (فإن قلت) فما
فائدة قوله (ابتغاء حلية أو متاع) (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع
الناس لأن المعنى وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع مما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله وما
يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهوان به كما هو هجرى
الملوك نحو ما جاء في ذكر الأجر أو قدى ياها مان على الطين ومن لا ابتداء الغاية أى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للبعيض
بمعنى وبعضه زبد أرايا منتفخا مرتفعا على وجه السيل (جفاء) يحقوه السيل أى يرمى به وجفأت القدر بزبدها وأجفا السيل وأجفل
وفي قراءة روبة بن العجاج جفالا وعن أبي حاتم لا يقرأ بقراءة روبة لأنه كان يأكل الفأر ه وقرئ يوقدون بالياء
أى يوقد الناس (للذين استجابوا) اللام متعلقة بيضرب أى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا
وللكافرين الذين لم يستجيبوا أى هما مثلا الفريقين (الحسنى) صفة لمصدر استجابوا أى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله (لو
أن لهم) كلام مبتدأ فى ذكر ما عدلغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الأمثال وما بعده كلام مستأنف
والحسنى مبتدأ خبرد للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لومع ما فى حيزه (سوء
الحساب) المناقشة فيه وعن النخعي أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء ه دخلت همزة الإنكار على الفاء فى
قوله (أفمن يعلم) لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل فى أن حال من علم (إنما أنزل إليك من ربك الحق)
فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فاستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والأبريز (إنما يتذكر
أولوا الألباب) أى الذين عملوا على قضايا عقولهم فظنوا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ وأولئك لهم

(قوله وبالفلز الذى ينتفعون به) فى الصحاح الفلز بالكرم وتشديد الزاى ما ينفيه الكبير مما يذاب من جواهر الأرض اه
فليحترز ولعله ما يبقيه الكير الخ (قوله السيول الجراحف) فى الصحاح سيل جحاف بالضم إذا جرف كل شيء وذهب به

اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۝ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِقَابُ الدَّارِ ۝ جَنَّاتُ عَدْنِ

عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لأولى الأبواب والأول أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألتست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (ما أمر الله به أن يوصل) من الأرحام والقربات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وإفشاء السلام عليهم وعبادة مرضاهم وشهود جنازتهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجوة عن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أى يخشون وعيده كله (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والأموال ومشاق التكليف (ابتغاء وجه) الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل وللالثلا يعاب بالجزع واليلا يشمت به الأعداء كقوله ۝ وتجلدى للشامتين أربهم ۝ ولا لأنه لا طائل تحت الطلع ولا مرد فيه للفائت كقوله ما إن جزعت ولاهله ۝ ت ولا يرد بكأى زندا

وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوى منها ما به كان حسنا عند الله وإلا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلافعل (مما رزقناهم) من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله (سرا وعلانية) يتناول النواقل لأنها فى السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيًا للثمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره (عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهى الجنة لأنها التى أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها و(جنت عدن) بدل من عقبى الدار ۝ وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فمن كسر النون

۝ قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية الآية (قال المراد مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله تعالى) قال أحمد الحق إن لارازق إلا الله إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين كما أنه لا خالق إلا الله هل من خالق غير الله فإذا اقتضى العقل والسمع جميعاً أن لارازق إلا الله فأى مقال بعد ذلك يبقى للقدري الزاعم أن أكثر العبيد يرزقون أنفسهم لأن الغالب الحرام وهو مع ذلك مصمم على معتقده الفاسد لا يدعه ولا تكفه القوارع السمعية والعقلية وتردعه فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ۝ قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار (قال المراد عاقبة الدنيا ومرجع أهلها الخ) قال أحمد قد تكرر مجيء العاقبة المطلقة مثل وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار من تكون له عاقبة الدار والعاقبة للمتقين والمراد فى جميع ذلك عقبى الخير والسعادة والرخشى يستنبط من تكرر مجيء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير أنها هى التى أرادها الله فهى الأصل والعاقبة الأخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والأصل لم يكن من حقها أن يعبر عنها إلا بتقيد يفهمها كقوله وعقبى الكافرين النار كل ذلك من الرخشى تهالك على أن ينسب إلى الله إرادة مالم يقع ومشية مالم يكن مصادمة لما لالطق الله به السنة حملة الشريعة ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وليس

(قوله لأن الحرام لا يكون رزقا) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فيكون رزقا كالحلال

يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۝ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَمْتَمِعٌ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنَابِ ۝ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَثَابٌ ۝ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ

فلنقل كسرة العين إليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل ۝ وقرئ يدخلونها على البناء للفعول ۝ وقرأ ابن أبي عمير صلح بضم اللام والفتح أفصح علم أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة ۝ وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آباؤهم وأمهاتهم (سلام عليكم) في موضع الحال لأن المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين ۝ (فإن قلت) بم تعلق قوله (بما صبرتم) (قلت) بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملت من مشاق الصبر ومتاعه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبت في الدنيا لقد استرحمت الساعة كقوله ۝ بما قد أرى فيها أو انس بدنا ۝ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم (من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوا به من الاعتراف والقبول (سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدور جهنم وبسوتها عذابها (الله يبسط الرزق) أى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذى يبسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم (وفرحوا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يتأبلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفى عليهم أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزرأ يتمتع به كمجالة الركب وهو ما يتعجله من تمرات أو شربة سويق أو نحو ذلك ۝ (فإن قلت) كيف طابق قوله (لولا أنزل عليه آية من ربه) قوله (قل إن الله يضل من يشاء) (قلت) هو كلام يجرى بجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التى أوتىها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبى قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعاً للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة فى الكفر فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية (ويهدى إليه من) كان على خلاف صفتكم (أناب) أقبل إلى الحق وحقيقته دخل فى نوبة الخير (والذين آمنوا) بدل من من أناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على واحدانيته أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها (الذين آمنوا) مبتدأ و (طوبى لهم) خبره ويجوز أن يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف أى تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلنى ومعنى طوبى لك أصبت خيراً وطيباً ومحاماً النصب أو الرفع كقولك طيباً لك وطيب لك وسلاماً لك وسلام لك ۝ والقراءة فى قوله

فى مجىء ذلك على الإطلاق ما يعين أنه الاصل باعتبار الإرادة ففعله الاصل باعتبار الامر ونحن نقول إن المؤدى إلى حد العاقبة مأمور به والمؤدى إلى سوءها منهى عنه فمن ثم كانت عاقبة الخير هى الاصل والله الموفق

سورة الرعد
 قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ۚ وَلَوْ أَنْ قُرْءَانًا سِيرَتٌ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قَطَّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَئِنَّ اللَّهَ لَفِي أَمْرٍ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمُ

وحسن ما ب بالرفع والنصب كذلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقياك والواو في طوبى منقلبة عن ياملضة ما قبلها كوقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي طيبي لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة (كذلك أرسلناك) مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك لإرساله شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (في أمة قد خلت من قبلها أمة) أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمة كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء لتتلوا عليهم (الذي أوحينا إليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك (وهم يكفرون) وخال هؤلاء أنهم يكفرون (بالرحمن) بالبلغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فنه فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم (الرحمن) في إنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم (قل هو ربي) الواحد المتعالى عن الشركاء (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (ولإيه متاب) فيثيني على مصابرتكم ومجاهدتك (ولو أن قرآنا) جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو أنى قمت إليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا (سيرت به الجبال) عن مقارضا وزعزت عن مضاجعها (أو قطعت به الأرض) حتى تصدع وتزابل قطعاً (أو كلم به الموتى) فتسمع وتجبب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله هذا بعض ما فسرت به قوله لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك من إرادة تعظيم ما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به تسير الجبال وتقطع الأرض وتكلم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل أن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآناك الجبال عن مكة حتى تنسع لنا فتتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود عليه السلام إن كنت نبياً كما تزعم فليست بأهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لتركبها وتجر إلى الشام ثم ترجع في يومنا فقدشق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان عليه السلام وأبعث لنا به رجائين أو ثلاثة بمن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فزلت ومعنى تقطع الأرض لسليمان عليه السلام وأبعث لنا به رجائين أو ثلاثة بمن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فزلت ومعنى تقطع الأرض على هذا قطعها بالسير ومجاورتها وعن الفراء هو متعاقب بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس بعيد من السداد وقيل قطعت به الأرض شقق فجعلت أنهاراً وحيونا (بل الله الأمر جميعاً) على معنيين أحدهما بل الله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اترحوها إلا أن عليه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل الله أن ياجتهدهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه نبى أمر التكليف على الاختيار وبعضه قوله (أفلم يئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله) يعنى مشيئة الإلجاء والفسر (لهدى الناس جميعاً) ومعنى أفلم يئس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليأس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي أقول لهم بالشعب إذ يسروني ه ألم تياسوا أنى ابن فارس زهدم

ويدل عليه أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم يئس وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتى الإمام وكان متقلبا في أيدي أوائك الإعلام المحاطين في دين الله

(قوله أن لو يشاء الله يعنى مشيئة الإلجاء) هذا عند المعتزلة دون أهل السنة

بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۖ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۗ أَفَمَن هُوَ قَلْبًا مِّنكُمْ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُومًا أَمْ تَنْبُؤْنَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَهْرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا
مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۗ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَلَىٰ عَذَابِ الْآخِرَةِ

المهمنين عليه لا يغفلون عن جلالة ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله
فرية ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا على أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا ولهداهم (تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل
وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أوتحل) القارعة (قريبا) منهم فيفزعون ويضطربون
ويتطير بهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال كفر مكة
تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والنكذب قارعة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة ويختطف منهم وتصيب من مواشيهم أوتحل أنت يا محمد قريبا من دراهم يجيشك
كاحل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك بالإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من
الزمان في خفض وأمن كالبيمة يمل لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله
عليه وسلم استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في إشرأ بهم بالله يعني أفالله الذي هو قائم رقيب (على كل
نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خيرا
للبيد أو يعطف عليه وجعلوا وتمثله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحده (وجعلوا) له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده
(شركاء قل سموهم) أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبؤه بأسماهم ثم قال (أم تذبؤنه) على أم المنقطعة كقولك
للرجل قل لي من زيد أم هو قل من أن يعرف ومعناه بل أتذبؤنه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات
والأرض فاذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتذبؤن الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الأرض (أم بظاهر من القول) بل أتسموهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة
كقوله ذلك قولهم بأفراهم ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها
مناد على نفسه بلسان طلق ذاق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن الخالقين
وقرئ أتذبؤنه بالتخفيف (مكرم) كيدهم للإسلام بشرتهم (وصدوا) قرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن أبي إسحاق وصد
بالتنوين (ومن يضل الله) ومن يخذله لعله أنه لا يهتدى (فأله من هاد) فأله من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب في

قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الآية (قال ومعناه أتذبؤنه بشركاء الخ) قال أحمد وحقيقة هذا النفي
أنهم ليسوا بشركاء وأن الله لا يعلمهم كذلك لأنهم ليسوا كذلك وإن كانت لهم ذوات ثابتة يعدها الله إلا أنها مربوبة
حادثه لا آلهة معبودة ولكن مجيء النفي على هذا السنن المنلو بديع لانتكته بلاغته وبراعته ولو أتى الكلام على الأصل
غير محلي بهذا التصريف البديع لكان وجعلوا لله شركاء وما هم بشركاء فلم يكن بهذا الموقع التي اقتضته التلاوة عاده كلامه
(قال وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها الخ) قال أحمد هذه الخاتمة كلمة حق أراد بها باطلا لأنه يعرض
فيها بخلق القرآن فتنبه لها وما أسرع المطالع لهذا الفصل أن يمر على لسانه وقلبه ويستحسنه وهو غافل عما تحت لولا هذا
التنبيه والإيقاظ والله أعلم

أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۝ مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكَلُوهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا
تِلْكَ عِقَبِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعِقَبِي الْكُفْرِينَ النَّارُ ۝ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمِنَ
الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ۝ وَكَذَلِكَ
أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝

الحياة الدنيا) وهو ما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا (وما لهم من الله من واق) وما لهم من حافظ من عذابه أو ما لهم من جهته واق من رحمته (مثل الجنة) صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيويه أي فيما قصصناه عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر (تجري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة تجري من تحتها الأنهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما شاهد وقرأ على رضى الله عنه أمثال الجنة على الجمع أي صفاتها (أكلها دائم) كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثان وثلاثون بأرض الحبشة وثمانية من أهل اليمن هؤلاء (يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب) يعني ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفي بنجران وأشياهما (من ينكر بعضه) لا هم كانوا لا ينكرون الأفاضل وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حترفوه وبدلوه من الشرائع (فإن قلت) كيف اتصل قوله (قل إنما أمرت أن أعبد الله) بما قبله (قلت) هو جواب المنكرين معناه قل إنما أمرت فيما أنزل إلى بأن أعبد الله ولا أشرك به فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية أبي خليل ولا أشرك بالرفع على الاستئناف كأنه قال وأنا لا أشرك به ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به (إليه أدر) خصوصا لأدعو إلى غيره (وإليه) لا إلى غيره مرجعي وأتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب انتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يوافقهم عليها منها أن يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقبل له لئن تابعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر وأهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الإلهاب والتهيج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وأن لا يزال زال عند الشبهة بعد استمساك بالحجة وإلا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرًا مثله ذوى أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۚ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتُوفِينَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۚ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاللَّهُ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ
عَقِيَ الدَّارَ ۚ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ۚ

ما يقتضيه استصلاحهم (بمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بذله ما يرى المصلحة في إثباته أو يتركه غير
منسوخ وقيل يحو من ديوان الحفظه ما ليس بحسنه ولا سيئه لانهم مأمورون بكتابة كل قول وفعل (ويثبت) غيره وقيل
يحو كفر الثابتين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت إيمانهم وطاعتهم وقيل يحو بعض الخلائق ويثبت بعضها من الاناسي
وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال (وعنده أم الكتاب) أصل
كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه ۚ وقرئ ويثبت (وإن ما تريدك) وكيفما دارت الحال أربناك
مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك إلا التبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك
حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بهذابهم (أولم يروا أنا نأتي الأرض) أرض الكفر (ننقصها
من أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام وذلك من آيات النصر والغلبة
ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي
حماه ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيك وتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من
المصالح التي لاتعملها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد (لا معقب
لحكمتك) لارادة حكمتك والمعقب الذي يكثر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه أي يقفبه بالرد والإبطال ومنه قيل
اصحاب الحق معقب لأنه يقف غريمه بالاقضاء والطلب قال لبيد

طلب المعقب حقه المظلوم ۚ

والمعنى أنه حكم الإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس (وهو سريع الحساب) فعماد قليل بحسابهم
في الآخرة بعد عذاب الدنيا (فإن قلت) ما محل قوله لا معقب لحكمتك (قلت) هو جملة محلها النصب على الحال كأنه قيل
والله يحكم نافذاً حكمه كما تقول جاء في زيد لاعمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسراً (وقد مكر الذين من قباهم) وصفهم
بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال (فله المكر جميعاً) ثم فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس
وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار) لأن من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لأنه يأتيهم من حيث
لا يعلمون وهم في عفة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله والمراد بالكافر الجنس
وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من أعليه أي سيخبر (كفى بالله شهيداً) لما أظهر من الأدلة على رسالتي (ومن
عنده علم الكتاب) والذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفاتت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء
أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن
لا والله ما يعني إلا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة والذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو شهيداً بيني وبينكم وتعضده

ۚ قوله تعالى «كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» (قال محمود المراد والذي عنده علم القرآن الخ)
قال أحمد فيكون المراد حينئذ جنس المؤمنين (قال محمود وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم
يشهدون بنعته في كتبهم) قال أحمد فالكتاب على التأويل الأول مراد به القرآن خاصة وعلى الثاني جنس الكتب المتقدمة
عليه (قال محمود وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني إلا الله والمعنى كفى بالذي

سورة إبراهيم مكية

إلا آتى ٢٨ و ٢٩ فدينيتان وآياتها ٥٢ نزلت بعد سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الرُّكُوبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝
الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝

قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجائزة أى ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجائزة وعلم على البناء المفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب (فان قلت) بم ارتفع علم الكتاب (قلت) في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لأن الظرف إذا وقع صلة أو غل في شبه الفعل لا عتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطى من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من المؤمنين بعهد الله

(سورة إبراهيم عليه السلام مكية وهي إحدى وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (كتاب) هو كتاب يعنى السورة ۝ وقرئ ليخرج الناس ۝ والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى (بإذن ربهم) بتسهيله وتيسيره مستعار من الإذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق (إلى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل إلى أى نور فقيل إلى صراط العزيز الحميد وقوله (الله) تطف بيان للعزيز الحميد لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحقق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله ۝ الويل تقيض الوال وهو النجاة اسم معنى كالهلاك إلا أنه لا يشتق منه فعل وإنما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لإفادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (من عذاب شديد) بالويل (قلت) لأن المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضعجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا (الذين يستحبون) مبتدأ خبره وأولئك في ضلال بعيد ويجوز أن يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على النعم أو مرفوعا على أعنى الذين يستحبون أو هم الذين يستحبون والاستحباب الإيثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لأن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من الآخر ۝ وقرأ الحسن ويصتوبون بضم الياء وكسر الصاد يقال صدته عن كذا وأصدته قال :

من أصدوا الناس بالسيف عنهم ۝ والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتثقله من غير التعدى إلى التعدى وأما صدته فموضوع على التعدي كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لأن الفصحاء استغنوا بصدته ووقفه عن تكلف التعدي بالهمزة (ويبغونها

يستحق العبادة وبالذى لا يعلم ما في اللوح المحفوظ إلا هو شهيداً بينى وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجائزة) قال أحمد وإنما قدر الزمخشري في المعطوف عليه اسم الله بالذى يستحق البادة حذراً من عطف الصفة على الموصوف وعدولا إلى أنه عطف إحدى الصفتين على الأخرى تقديراً وإنما أخذ الحصر حيث يقول ومن لا يعلم علم الكتاب إلا هو من أنه قدم الخبر الذي هو عنده على مبتدئه وشأن الزمخشري أخذ الحصر من التقديم والله الموفق للصواب

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

عوجا) ويطلبون لسبيل الله زبغا واعوجاجا وأن يدلوا الناس على إلهامنا كفة عن الحق غير مستوية والأصل ويغنون لها فحذف الجار وأوصل الفعل (في ضلال بعيد) أي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل (فإن قلت) فإمعن في وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الإسناد المجازي والبعدي في الحقيقة للضلال لأنه هو الذي يتباع عن الطريق فهو وصف به فعله كما تقول جتجده ويجوز أن يراد في ضلال ذي بعد أو فيه بعد لأن الضلال قد يضل عن الطريق مكانا فريا وبعيدا (إلا بلسان قومه ليبيّن لهم) أي ليفقهواعنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا بقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (فإن قلت) لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعا قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا بل إلى الثقلين وهم على السنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وإن لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا (قلت) لا يخلو إمامان ينزل بجميع الآسنة أو بواحد منها فلا حاجة إلى نزوله بجميع الآسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي أن ينزل بلسان واحد فكان أولى الآسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه فإذا فهمواعنه وتبينوه وتنوف عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أم العجم مع ما في ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والأقطار المتنازحة والأمم المختلفة والأجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم أفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في إتعاب النفوس وكذا القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية إلى جزيل الثواب ولأنه أبعد من التعريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف ولأنه لو نزل باللسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصقة الإعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمة التي هو منها يتلوه عليهم معجزاً لكان ذلك أمراً قريبا من الإلجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة أو ساكنة وهو جمع لسان كههاد وعمدو عمدا على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وأن الكتب كلها نزلت بالعربية ثم إذا ما كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لأن قوله ليبيّن لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدى إلى أن الله أنزل النوراة من السماء بالعربية ليبيّن للعرب وهذا معنى فاسد (فيضل الله من يشاء) كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لأن الله لا يضل إلا من يعلم أنه لن يؤمن ولا يهدى إلا من يعلم أنه يؤمن والمراد بالإضلال التخليّة ومنع الألفاظ وبالهداية التوفيق واللفظ فكان ذلك كناية عن الكفر والإيمان (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل إلا أهل الخذلان

(القول في سورة إبراهيم عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم (قال أي ليفقهواعنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة الخ) قال أحمد جميع الفصل مرضى لسكن في هذه الخاتمة نظر لأن فيها إشعاراً بأن إعجاز القرآن من حيث اللغة العربية خاصة يتقاصر عن إعجازة لو قدره نزلا بكل لسان حتى أنه لو ينزل بجميع اللغات لبلغ من الوضوح إلى حد يكاد أن يكون إلهاماً إلى الإيمان به وهذا فيه نظر والقول به غير متعين لأن المعجز يفيد العلم بصدق من ظهر على يده ومتى حصل العلم لم يكن بين علم وعلم تفاوت ولا ترجيح فلو نزل القرآن بجميع اللغات لكان العلم الحاصل منه وقد نزل بلغة واحدة هو العلم الحاصل منه لو نزل بالجميع لا تفاوت ولا ترجيح بين العلمين هذا هو التحقق والله أعلم والزخمشري يبيّن في كثير من كلامه على أن العلوم تفاوت وتنقسم إلى جلي وأجلى وهو من الحق بمعزل وإنما ظن ذلك طائفة ظاهرية والله الموفق

(قوله والاقطار المتنازحة) أي المتباعدة جداً أفاده الصحاح (قوله والمراد بالإضلال التخليّة ومنع الألفاظ) هذا عند المعتزلة أمّا عند أهل السنة فخلق الضلال في القلب لأن الله لا يخلق الشر عند المعتزلة ويخلقهم عند أهل السنة

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَّرَهُمْ بِآيِمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِحُونَ أَيْسَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ

ولا يلفظ إلا بأهل اللطف (أن أخرج) بمعنى أي أخرج لأن الإرسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج ويحوز أن تكون أن الناصبة للفعل وإنما صلح أن توصل بفعل الأمر لأن الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والأمر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز أن تكون الناصبة للفعل قولهم أو عزاليه بأن أفعل فأدخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بأن أخرج قومك (وذكرهم بأيام الله) وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب الحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنه فعماؤه وبلاؤه فأما نعمائهم فإنه ظلال عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفاق لهم البحر وأما بلاؤه فإهلاك القرون (لكل صبار شكور) بصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء نلى الأمم أو أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل أراد لكل مؤمن لأن الشكر والصبر من سجاياهم تنبيهاً عليهم (إذ أنجاكم) ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت (فإن قلت) هل يجوز أن ينتصب بعليكم (قلت) لا يخلو من أن يكون صلة للنعمة بمعنى الإنعام أو غير صلة إذا أردت بالنعمة العطية فإذا كان صلة لم يعمل فيه وإذا كان غير صلة بمعنى إذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين أنك إذا قلت نعمة الله عليكم فإن جعلته صلة لم يكن كلاماً حتى تقول فائضة أو نحوها وإلا كان كلاماً ويجوز أن يكون إذ بدلا من نعمة الله أي إذكروا وقت إنجائكم وهو من بدل الاشتمال ۝ (فإن قلت) في سورة البقرة يذبحون وفي الأعراف يقتلون وههنا (ويذبحون) مع الواو فما الفرق (قلت) الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبيانا له وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر ۝ (فإن قلت) كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم (قلت) تمكينهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلك إشارة إلى الإنجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعاً قال تعالى ونبلوكم بالشرا والخير فتنه وقال زهير ۝ فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو ۝ (وإذ تأذن ربكم) من جملة ما قال موسى لقومه وانتصاه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم أذن ربكم ونظير تأذن وأذن توعد وأوعد تفضل وأفضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ أذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) أو أجرى تأذن مجرى قال لأنه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود وإذ قال ربكم لئن شكرتم أي لئن شكرتم يابني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم (ولئن كفرتم) وغمظتم ما أنعمت به عليكم (إن عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي (وقال موسى إن تكفروا أأنتم) يابني إسرائيل والناس كلهم فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وأتم اليه محابيح والله غني عن شكركم (حميد) مستوجب للحمد

(قوله ويتبين الفرق بين الوجهين) لعله وتبين (قوله وغمظتم ما أنعمت به عليكم) في الصحاح غمط الشيء بطره وحقره

إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَنِي شَكِّ
مَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ۚ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي إِلَهُ شَكَّ فَاطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ أَعْمَالَكُمْ مَن
ذُنُوبِكُمْ وَيُوخِّرَكُمْ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاءَنَا وَإِنَّا

بِكثرة نعمه وأياديه وإن لم يحمدوه الحامدون (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا
أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله
وعن ابن عباس رضى الله عنه بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبالا يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب
النسابون يعنى أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفي الله عنها عن العباد (فردوا أيديهم في أفواههم) فعضرها غيظا وضجرا
مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو ضجروا واستهزأوا كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه أو أشاروا
بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم (إنا كفرنا بما أرسلت به) أى هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا
لهم من التصديق الأترى إلى قوله فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوى أو وضعوها
على أفواههم يقولون للأنبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردتوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت أو وضعوها
على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الأيدى جمع يد وهى النعمة بمعنى الأيدى أى ردتوا نعم الأنبياء
التي هى أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحى إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم
يقبلوها فكأنهم ردتوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل (مما تدعوننا إليه) من الإيمان بالله
وقرئ تدعوننا بإدغام النون (مريب) موقع في الريبة أو ذوى ريبة من أرابه وأراب الرجل وهى قلق النفس وأن
لا تطمئن إلى الأمر (أنى الله شك) أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وأنه
لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أى يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم أو يدعوكم
لأجل المغفرة كقوله دعوته لينصرتى ودعوته ليأكل معى وقال دعوت لما نابى مسورا ه فلى فلى يدى مسورا
(فإن قلت) ما معنى التبعض في قوله من ذنوبكم (قلت) ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه
وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم . يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين : هل
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم ، وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك
للتفرقة بين الخطابين وثلا يسوى بين الفريقين في المعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين
العباد من المظالم ونحوها (ويؤخركم إلى أجل مسمى) إلى وقت قد سماه الله وبين مقداره يبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم
بالهلاك قبل ذلك الوقت (إن أنتم) ما أنتم (إلا بشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة

ه قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم (قال معناه عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل الخ)
قال أحمد وأقوى هذه الوجوه هذا الوجه الذى نبه المصنف على اختصاصه بالقوة وإنما كان كذلك لأن إقناطهم الرسل
من الإيمان قولا وفعلا بوضع اليد في الفم هو المناسب لحسدهم في الكفر وتصدير العبارة بالحرف المؤكد ومواجهة
الرسل بضائر الخطاب وإعادة ذلك مبالغة في التأكيد وليس السياق بمناسب للضحك ولا الغيظ ولا لتصميم الرسل
كناسبه لإقناطهم من القول الأترى أنهم لما أعادوا للرسل القول ولم ينكروا عليهم عودهم إلى المجادلة دل على أنهم
لم يسكتوه أو لا ولا كان غرضهم ذلك والله أعلم ه عاد كلامه (قال وقولهم إن أنتم إلا بشر مثلنا معناه فلم تخصون بالنبوة

سورة إبراهيم
 فَاتُونَا بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ ۝ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ اِنْ نَحْنُ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَمُنُّ عَلٰى مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ
 وَمَا كَانَ لَنَا اَنْ نَاتِيَكُمْ بِسُلْطٰنٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَعَلٰى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ ۝ وَمَا لَنَا اِلَّا تَتَوَكَّلَ عَلٰى اللّٰهِ
 وَقَدْ هَدٰنَا سَبَلَنَا وَلِنَصْبِرْنَ عَلٰى مَا اٰذَيْتُمُوْنَا وَعَلٰى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُوْنَ ۝ وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِرُسُلِهِمْ
 لَنْخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ اَرْضِنَاۤءٍ اَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِيْ مِلَّتِنَاۤءٍ اَوْ حٰجٰى اِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنْهْلِكَنَ الظّٰلِمِيْنَ ۝ وَلَنْسَكِّنَنَّكُمْ الْاَرْضَ مِنْ

دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة (بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم
 رسولهم بالبينات والحجج وإنما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتاً ولجاجاً (إن نحن إلا بشر مثلكم) تسليم
 لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا
 فضلهم تواضعاً منهم واقصروا على قولهم (ولكن الله يمين على من يشاء من عباده) بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك
 الكرامة إلا وهم أهل الاختصاص بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم (إلا بإذن الله) ارادوا أن الإتيان
 بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وما هو إلا أمر يتعاق بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر
 منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصد أولياء وأمرها به كأهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في
 الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ألا ترى إلى قوله (وما لنا أن لا نتوكل على الله) ومعناه وأي عذر
 لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا) وقد فعل بنا ما يوجب توكنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي
 يجب عليه سلوكه في الدين (فإن قلت) كيف كثر الأمر بالتوكل (قلت) الأول لاستحداث التوكل وقوله (فليتوكل
 المتوكلون) معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم (لنخرجنكم) أو لتعودن
 ليكون أحد الأمرين لا محالة إما إخراجكم وإما عودكم حالقين على ذلك (فإن قلت) كأهم كانوا على ملتهم حتى
 يعودوا فيها (قلت) معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم
 يستعملون صار ولكن عاد ماعدت أراه عاد لا يكلمني ماعد لفلان مال أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا
 في الخطاب الجماعة على الواحد (لنهلكن الظالمين) حكاية تقتضي إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجرى
 القول لأنه ضرب منه وقرأ أبو حيوه لهلكن وليسكننكم بالياء اعتباراً لأوحى وأن لفظه لفظ الغيبة ونحوه
 قولك أقسم زيد ليخرجن ولا يخرجن والمراد بالأرض أرض الظالمين وديارهم ونحوه وأورثنا القوم الذين
 كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره
 ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها ويؤذني فيه فمات ذلك
 العظيم وما كتني الله ضيعته فنظرت يوماً إلى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون

دوننا ولو ارسل الله إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة (قلت) قال أحمد ومن تهالكه على
 الانتصار لاعتقاده تفضيل الملائكة على الرسل من البشر يستعين حتى يحمل الكفار على أنهم كانوا يعتقدون كاعتقد
 القدرية في تفضيل الملك على الرسول لأنه يدعى ذلك أمراً ركوزاً في الطباع معلوماً ضرورة والله الموفق ۝ قوله تعالى وعلى الله
 فليتوكل المؤمنون الخ (قال إن قلت كيف كثر ذلك بعد قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ) قال أحمد وبهذا يخرج
 عن وادي من قتل قبيلة فله سلبه والله أعلم

(قوله لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة) هذا على مذهب المعتزلة أما عند أهل السنة فبعض البشر افضل (قوله
 وأما عودكم حالقين على ذلك) حال من فاعل قال وعبارة النسفي وحلفوا (قوله وأورثهم أرضهم وديارهم) لعله وأورثكم

بَعْدَهُمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ ۝ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَنْ وَرَّآهُ جَهَنَّمَ وَيَسْقَى
 مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرَّآهُ
 عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا

فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثهم به وسجدنا شكرا لله (ذلك) إشارة إلى ما قضى به الله من إهلاك
 الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أى ذلك الأمر حق (لمن خاف مقامى) موقفى وهو موقف الحساب لأنه موقف الله
 الذى يقف فيه عباده يوم القيامة أو على إقدام المقام وقيل خاف قيامى عليه وحفظى لأعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين
 كقوله والعاقبة للمتقين (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم : إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح . أو استحكموا الله
 وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكمة كقوله تعالى ربنا افتخ بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى
 إليهم وقرئوا واستفتحوا بلفظ الأمر وعطفه على لنهلكن أى أوحى إليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا
 (وخاب كل جبار عنيد) معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل
 ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورآه) من بين يديه قال
 عسى الكرب الذى أمسيت فيه ۝ يكون وراه فرج قريب

وهذا وصف حاله وهو فى الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله فى الآخرة حين يبعث
 ويوقف (فإن قلت) علام عطف (ويسقى) (قلت) على محذوف تقديره من ورآه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء
 صديد كأنه أشد عذابا فخص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت (فإن قلت) ما وجه قوله تعالى
 (من ماء صديد) (قلت) صديد عطف بيان لما قال ويسقى من ماء فأبهمه إبهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من
 جلود أهل النار (بتجرعه) يتكلف جرعه (ولا يكاد يسبيغه) دخل كاد للبالغة يعنى ولا يقارب أن يسبيغه فكيف تكون
 الإساءة كقوله لم يكدرها أى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) كأن أسباب الموت
 وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفضيحا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده
 حتى من إبهام رجله وقيل من أصل كل شعرة (ومن ورآه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أى فى كل وقت يستقبله يتلقى
 عذابا أشد مما قبله وأغظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها فى الأجساد ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا
 أى استمطروا والفتح المطر فى سنى القحط التى أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر
 سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى فى جهنم بدل سقيه ماء آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا
 على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأهمهم ۝ هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيديه تقديره وفيما يقص
 عليك (مثل الذين كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابية (وقوله أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال
 سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز أن يكون المعنى مثل أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبرا للبتدأ
 أى صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين
 كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد الخبر ۝ وقرئ (الرياح فى يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو
 الريح أو الرياح كقولك يوم ما طر وليلة ساكرة وإنما السكور لريحها وقرئ فى يوم عاصف بالإضافة وأعمال الكفرة

(قوله موقف الله الذى يقف فيه عباده) فى الصحاح يتمدى ولا يتعدى (قوله قد تألبت عليه) أى تجمعت أفاده الصحاح
 (قوله وأهمهم هو مبتدأ محذوف الخبر) أى مثل الذين كفروا بربهم وعبارة النسبى مثل الذين مبتدأ لعله وقرئ
 (قوله وإنما السكور لريحها) فى الصحاح سكرت الريح تسكر سكورا سكنت بعد الهبوب

كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا

المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر الإبل للأضياف وإغاثة الملهوفين والإجازة وغير ذلك من صنائعهم شبيها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف (لا يقدر من يوم القيامة) مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد) إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب (بالحق) بالحكمة والغرض الصحيح والأمر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة ۝ وقرئ خالق السموات والأرض (إن يشأ يذهبكم) أي هو قادر على أن يعدم الناس. ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم لإعلامانه باقتداره على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذبل هو حين عليه يسير لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدر ودون مقدور فإذا خلاص له الداعي إلى شيء واتفى الصارف تكون من غير توقف كتحرريك أصبعك إذا دعاك إليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآيات بيان لإبعادهم في الضلال وعظيم خطيئهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء (وبرزوا لله) ويبرزون يوم القيامة وإعجابهم به بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائرله ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرزه أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه ۝ (فإن قلت) لم كتب (الضعفاء) بواو قبل الهمزة (قلت) كتب على لفظ من يفهم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ونظيره علواه بنى إسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام ۝ والذين استكبروا ساداتهم وكبرأؤهم الذين استبعوهم واستغروهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم (تبعنا) تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعنا ۝ (فإن قلت) أي فرق بين من في (من عذاب الله) وبينه في (من شيء) (قلت) الأولى للنيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله ۝ (فإن قلت) فامعنى قوله (لو هدانا الله لهديناكم) (قلت) الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعنا بعلی استباعتهم واستغواهم وقولهم

۝ قوله تعالى ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز (قال معناه خلقها بالحكمة والغرض الصحيح الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الحق وقد تقدم أمثاله ۝ عاد كلامه (قال معناه وما ذلك على الله بعزيز أي حين عليه لأنه قادر بالذات الخ) قال أحمد وهذا اعتزال صراح لم يتقنع في إبرازه وما أبشع قوله عن الله جلّ جلاله تخلص له الداعي وأمضى الصارف وما أنباء عن سماع المحققين العارفين بأداب الله تعالى وبما يجب في حق جلاله وقد تقدم ما فيه كفاية ۝ قوله تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبع فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص (قال الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم الخ) قال أحمد لنا استشعر دلالة الآية لعقيدة السنة المشتملة على أن الله تعالى مهما شاء كان ومالم

(قوله خادم وخدم وغائب وغيب) في الصحاح وإنما ثبتت فيه الياء في التحريك لأنه شبه بصيد وإن كان جمعا وصيد

أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ۚ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قَضَى الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ

فهل أتم مغنون عنا من باب التبيكيت لأنهم قد عدلوا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هدام إلى الإيمان لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء . يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين « يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء » وإما أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فإلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان وقيل معناه لو هدا بنا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لاغنيانا عنكم وساكننا بكم طريق النجاة كما سلكننا بكم طريق الهدى (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصر والهزمة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وروى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفقهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (فإن قلت) كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله (قلت) اتصاله به من حيث أن عتابهم لهم كان جزعا ثم قام فيه فقالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوسيع ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمر من ذلك أطمأ أو لما قالوا لو هدا بنا الله طريق النجاة لاغنيانا عنكم وأنجيناكم أتبعوه الإقناط من النجاة فقالوا (مالنا من محيص) أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً كأنه قيل قالوا جميعاً سواء علينا كقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه والمحيص يكون مصدر أو كالمغيب والشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد (لما قضى الأمر) لما قطع الأمر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيباً في الأشقياء من الجن والإنس فيقول ذلك (إن الله وعدهم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على

بشأ لم يكن وأن هداية المشركين بما لم يشأ ولو شاءها لاهتدوا وإنما تنشأ هذه الدلالة من إيراد هذا الكلام عن الكفار في دار الحق حين حقت لهم الحقائق وانكشف الغطاء والمقصود من اقتصاصه إنذار أمثالهم في الدنيا وتحذيرهم من الحسرة والندم في الآخرة إذا حق عليهم العذاب واعترفوا بالحق وقالوا القول المذكور وهذا يرشد إلى أنه كلام صحيح المعنى فلما فطن الزمخشري لذلك شرع في تقرير تخطئتهم في هذا القول في الآخرة كما خطأهم في الدنيا لئتم له اعتقاد أن الله يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء ومن ذلك هداية الكفار فإن الله تعالى يشاءها في الدنيا لكنها لم تسكن وأنى له ذلك وسياق الآية يصبوب الكلام المذكور وينذر الغافلين عنه في الدنيا ويحذرهم من التورط فيما يؤدي إلى هذا الندم حيث لا ينفع ويجر إلى هذه الحسرة إذ لا ينفع كما أورد كلام الشيطان عقيب ذلك حين يعترف بالحق في دار الحق وحيث لا ينفعه إيمانه فيقول إن الله وعدهم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الخ وإنما سبق تحذيراً وإنذاراً اتفاقاً والله الموفق ۚ قوله تعالى « وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدهم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم » الخ (قال روى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيباً الخ) قال أحمد قد جعل قول الكفار في الآية الأولى على إبطال الاتجال لأنه لا يلائم معتقده واستشهد على أن الكذب حينئذ غير ممتنع ولا متعذر بقوله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم لما ظن أن قول الشيطان هذا يلائم معتقده اجتهد في الاستدلال على أصوبه وتصحيحه وإن كان قائله الشيطان كل ذلك منه اتباع للهوى حيثما توجه وأية سلك ونحن معاشر أهل السنة الملقين عنده بالمجبرة نقول إن الله تعالى إنما أورد هذا الكلام غير رادله ولا خطي فيه للشيطان كما اقتصر كلام الكفار في الآية الأولى كذلك ونحن نعتقد أن الملامة إنما تتوجه على المكلف

مصدر قولك بعير أصيد لأنه يجوز أن ينوي به المصدر (إماموز كين الذنب في ضلالهم) في الصحاح ورك فلارذبه على غيره أي قرنه به أي اتهمه به

وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ
وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا

الأعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) خلاف ذلك (فأخافتمكم وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلطوا بهر فأقسمكم على الكفر والمعاصي والجشك إليها (إلا أن دعوتكم) إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ماتحتيتهم إلا الضرب (فلا تلوهموني ولو هموا أنفسهم) حيث اغتررتهم بي وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكن ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجرة لقال فلا تلوهموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجرمكم عليه (فإن قلت) قول الشيطان باطل لا يصح التعاق به (قلت) لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الأتري إلى قوله إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتمكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (ما أنا بمصرخكم وما أنت بمصرخي) لا ينبغي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيبه والإصرار الإغاثة ۝ وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها بيت مجهول قال لها هل لك ياتاني ۝ قالت له ما أنت بالمرضى

وكانه قدر ياء الإضافة ساكنة وقبها ياء ساكنة فخر كما بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف في نحو عصا فباها وقبها ياء (فإن قلت) جرت الياء الأولى بحرف الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فخرت بالكسر على الأصل (قلت) هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تضاهل إليه القياسات ۝ ماني (بما أشركتموني) مصدرية و (من قبل) متعلقة بأشركتموني يعني كفرت اليوم بإشراكم إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بإشراكم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرننا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتموني وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فإذا نقلت بالهمزة قلت أشركنيه فلان أي جماعتي له شريكا ونحو ما هذه ماني قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى إشراكم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يربنه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا آخر قول إبليس وقوله (إن الظالمين) قول الله عز وجل ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله عز وجل ما سبقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول إليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا ويعملوا بما يخلصهم منه وينجيهم ۝ وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين هم ۝ وقرأ الحسن وعمر بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأدخل أنا

وأما الله تعالى فمقدس عن ذلك وحيثه البالغة وقضاؤه الحق وذلك أنا نعترف بما خلقه الله تعالى للعبد من الاختيار الذي يجده من نفسه عند تجاذب طرفي الأفعال الإرادية ضرورة وبذلك قامت الحجية له على خلقه وإن سلطنا عن قدرة الخلق تأثيرها في الفعل فلا تناقض إذا بين عقيدة السنة وبين صرف الملاحة إلى المكلف والله الموفق ۝ قوله تعالى ۝ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام ۝ (قال وقرأ الحسن وعمر بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم الخ) قال أحمد ۝ فإن قلت ما الذي صرف الزمخشري عن حمله

(قوله يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه) هذا مذهب المعتزلة وقوله المجرة يعني أهل السنة ومذهبهم أن الله

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ هَ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ه تَوْتَىٰ أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ه وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ

وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول إبليس (ياذن ربهم) متعلق بأدخل أي أدخلتم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره (فإن قلت) فم يتعلق في القراءة الأخرى وقرئك وأدخلهم أنا بإذن ربهم كلام غير ملتزم (قلت) الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله ياذن ربهم بما بعده أي (تحيتهم فيها سلام) ياذن ربهم يعني أن الملائكة يحبونهم بإذن ربهم ه قرئ الم تر سا كنه الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف (ضرب الله مثلاً) اعتمد مثلاً ووضعوا (كلمة طيبة) نصب بمضمر أي جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلاً كقولك شرف الأمير زيداً كساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن ينتصب مثلاً وكلمة بضرب أي ضرب كلمة طيبة مثلاً بمعنى جماعها مثلاً ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة (أصلها ثابت) يعني في الأرض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (في السماء) ويجوز أن يريد وفرعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها (فإن قلت) أي فرق بين القراءتين (قلت) قراءة الجماعة أقوى معنى لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة وإذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من قولك مررت برجل قائم أبوه لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالسديحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأما الشجرة فكل شجرة مشمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صديقا فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم وروى فنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إنها النخلة وعن ابن عباس رضى الله عنهما شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تبرد ارتفاعه وشموخه (توتى أكلها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لأثمارها (ياذن ربها) تيسير خالقها وتكريمه (لعلهم يتذكرون) لأن في ضرب الأمثال زيادة لفهام وتذكير وتصوير للمعاني (كشجرة خبيثة) كمثل شجرة خبيثة أي صفتها كصفتها ه وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الخنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله (اجتثت من فوق الأرض) في مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث

على الالتفات من التكلم إلى الغيبة وأجاء إلى تعليقه بما بعده وقد كانت له في ذلك مندرجة والالفتات على هذا الوجه كثير مستفيض ألا ترى إلى قوله تعالى ه طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ه ثم قال تنزيلا من خالق الأرض ولم يقل تنزيلا منا ه قلت لا مر ما صرف الكلام عن هذا الوجه وهو أن ظاهر أدخل بلفظ المتكلم يشعر بأن إدخالهم الجنة لم يكن بواسطة بل من الله تعالى مباشرة وظاهر الإذن يشعر بإضافة الدخول إلى الواسطة فيبينما تنافروا ولكن يحسن عندى أن يعلق بخالدين والخلود غير الدخول فلا تنافر والله أعلم

هو الخالق لأسباب السعادة وأسباب الشقاوة لكن العبد له فيها الكسب ومن هذا يتوجه عليه اليوم خلافا للمعتزلة في قولهم إن العبد هو الخالق لها وهو الذي يحصل لنفسه وتحقيقه في علم التوحيد (قوله كشجرة الخنظل والكشوث) في الصحاح الكشوث نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر: هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

مَا هَا مِنْ قَرَارٍ ۝ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ
وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قُرُوبَهُمْ دَارَ الْبُورِ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا
وَبئْسَ الْقَرَارُ ۝ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۝ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ

أخذ الجئة كلها (ماها من قرار) أي استقرار يقال قر الشيء قراراً كقولك ثبت ثباتاً شبه بالقول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى إنما بضمحل عن قريب إبطائه من قولهم الباطل لجالج ومن فتادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خيفة فقال ما أعلم لها في الأرض مستقراً ولا في السماء مضعداً إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة (القول الثابت) الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود والذين نشروا بالمنشير وهشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرها وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثابت عند سؤال القبر وعن البراء ابن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقرآن له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربني الله ودينني الإسلام ونبي محمد فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين لم يتمسكوا بحجة دينهم وإنما اقتصروا على تقايد كبارهم وشيوخهم كما قلده المشركون آباءهم فقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإضلالهم في الدنيا أنهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) أي ما توجه الحكمة لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأبيدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخاية بينهم وبين شأنهم عند زللهم (بدوا نعمة الله) أي شكر نعمة الله (كفراً) لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفراً فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه بتديلاً ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي شكر رزقكم حيث رضعتم التكذيب ووضعوه وجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفراً على أنهم لما كفروها سلبوها فقروا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر حاصلهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمة وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لا يلافهم الرحلتين فكفروا نعمة الله عليه ففرضهم بالفحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة كذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقاً في أعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الأجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فسكفيتهم وهم يوم بدر وأما بنو أمية فتعوا حتى حين وقيل هم متحصرة العرب جبلت بنو أمية وأصحابه (وأحلوا قلوبهم) مما تابعتهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك ۝ وعطف (جهنم) على دار البرار عطف بيان ۝ قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها (فإن قلت) الضلال والإضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الأنداد فما معنى اللام (قلت) لما كان الضلال والإضلال نتيجة اتخاذ الأنداد كما كان الأكرام في قولك جئتكم لشكر مني نتيجة الحجى دخلته اللام وإر لم يكن غرضاً على طريق التشبيه والتقريب (تمتعوا) إيذاناً بأنهم لا تمنعهم في التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه ما مورين به قدامهم أمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمر أدونه وهو أمر الشهوة والمعنى إن

(قوله من قولهم الباطل لجالج) في الصحاح الحق أبلج والباطل لجالج أي يردد من غير أن يفقد
(قوله القول الثابت الذي ثبت بالحجة) لما فسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد والخبيثة بكلمة الشرك فالنتيجة تفسير
القول الثابت بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وإضلال الظالمين بإيقاعهم على كلمة الشرك وأن الشرك لظلم عظيم وأما
التمسك بالحجة وتقليد الشيوخ فبعيد عن السياق وفيه رد على أهل السنة المكثفين بالتقليد في تحقق الإيمان

آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْتَلِفُ ۗ
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ
 الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْيَمِينَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ
 وَعَآئِكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ۗ وَإِذْ قَالَ

دهتم على ما أنتم عليه من الامتنال لأمر الشهوة (فإن مصيركم إلى النار) ويجوز أن يراد الخذلان والنخاية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ۗ المقول محذوف لأن جواب قل يدل عليه وتفديره (قل لعبادى الذين آمنوا) أقيموا الصلاة وأنفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا) وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وإنما جاز حذف اللام لأن الأمر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز ۗ (فإن قلت) علام انتصب (سراً وعلانية) (قلت) على الحال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى إنفاق سر وإنفاق علانية والمعنى إخفاء المنطوق به من الصدقات والإعلان بالواجب ۗ والخلال المخالفة (فإن قلت) كيف طابق الأمر بالإنفاق وصف اليوم بأنه (لا يبيع فيه ولا يخلل) (قلت) من قبل أن الناس يخرجون أموالهم فى عقود المعاوضات فيعطون بدلاً ليأخذوا مثله وفى المكارمات ومهاداة الأصدقاء ليستجروا بهداياهم أمثالها أرحمها وأما الإنفاق لوجه الله خالصاً كقوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى فلا يفعله إلا المؤمنون الخالص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله فى يوم لا يبيع فيه ولا يخلل أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالفة ولا بما ينفقون فيه أموالهم من المعاوضات والمكارمات وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله وقرئ لا يبيع فيه ولا يخلل بالرفع (الله) مبتدأ (الذى خلق) خبره و(من الثمرات) بيان الرزق أى أخرج به رزقاً وثمرات ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج و(رزقاً) حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لأنه فى معنى رزق (بأمره) بقوله كن (دائبين) يدايان فى سيرهما وإنارتها ودرثها الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات (وسخّر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفاً لمعاشكم وسباتكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) من التبويض أى آتاكم جميع ما سألتموه نظراً فى مصالحكم وقرئ من كل بالتثنية وما سألتموه

ۗ قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية (قال فى المقول محذوف الخ) قال أحمد وفى هذا الإعراب نظر لأن الجواب حينئذ يكون خبراً من الله تعالى بأنه إن قال لهم هذا القول امتثلوا مقتضاه فأقاموا الصلاة وأنفقوا لسكنهم قد قيل لهم فلم يمثل كثير منهم وخبر الله تعالى يحل عن الخلف وهذه النكتة هى الباعثة لكثير من المعربين على العدول عن هذا الوجه من الأعراب مع تبادره فيما ذكر بآدى الرأى ويمكن تصحيحه بحمل العام على الغالب لأعلى الاستغراق ويقوى بوجهين لطيفين أحدهما أن هذا الظم لم يرد إلا لموصوف بالإيمان الحق المنتوه بإيمانه عند الأمر كهذه الآية وكقوله «وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن الثانى تكرير مجيئه للموصوفين بأنهم عباد الله المشرفون بإضافتهم إلى اسم الله وقد قالوا أن لفظ العباد لم يرد فى الكتاب العزيز إلا مدحاً للمؤمنين وخصوصاً إذا انضاف إليه تعالى إضافة التشريف فالحاصل من ذلك أن المأمور فى هذه الآى من هو يصدد الامتنال وفى حين المسارعة للطاعة فالخبر فى أمثالهم حق وصدق أما على العموم إن أريد أو على الغالب والله أعلم ۗ عاد كلامه قال وجوزوا أن يكون يقيموا بمعنى ليقيموا ويكون هذا هو المقول الخ

(قوله بأنه لا يبيع فيه ولا يخلل) هذه القراءة بالبناء على الفتح

إِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَّحِيمٌ ۚ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُرَادًا غَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَهْلَهُ مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۚ

نفى ومحله النصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز أن تكون ماموصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم إلا به فكأنكم سأتموه أو طلبتموه بلسان الحال (لا تحصوها) لا تحصروها ولا تطبقوا عدها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال وأما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله (لظلم) يظلم النعمة باغتيال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وقيل ظلم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ۚ والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (هذا البلد) يعنى البلد الحرام زاده الله آمنا وكفاه كل باغ وظالم وأجاب فيه دعوة خياله إبراهيم عليه السلام (آمنا) ذا أمن (فإن قلت) أى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا (قلت) قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها ولا يخافون وفى الثانى أن يخرجهم من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمان كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني) وقرئى وأجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه وأجنبه فأهل الحجاز يقولون جنبني شره بالشديد وأهل نجد جنبني وأجنبني والمعنى ثبتنا وأدمننا على اجتناب عبادتها (وبني) أراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبت العرب الأصنام فقال ما عبد أحد من ولد إسماعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني (أن نعبد الأصنام) إنما كانت أنصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبها حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدرون بذلك الحجر ويسمونه الدور فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت (إنهم أضلوا كثيرا من الناس) فأعوذ بك أن تعصمني وبني من ذلك وإنما جعلنا مضلات لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهم أضلوا كما تقول فبنهم الدنيا وغزتهم أى افتنوا بها واغترروا بسببها (فمن تبعني) على ملنى وكان حنيفا مسلما مثلى (فإنه منى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بي وملاسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا أى ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم (ومن عصاني فإنك غفور رحيم) تغفر له ما سلف منه من عصياني إذا بداله فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك (من ذريتي) بعض أولادى وهم إسماعيل ومن ولدته (براد) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه إلا الاستقامة لا غير ۚ وقيل للبيت المحرم لأن الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أولانه لم يزل بمنعها عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذى حقه أن يجتنب أو لأنه محترم عظيم الحرمه لا يحل انتهاكها أولانه حرم على الطرفين أى منع منه كما سمي عتيقا لأنه أعتق منه فلم يستول عليه (ليقيموا الصلاة) اللام متعلقة بأسكنت أى ما أسكنتهم هذا الودى الخلاء البلقع من كل مرتفع ومرتقى إلا ليقوموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومنتعبداتك متبركين بالبقعة التى شرقتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم مقربين اليك بالعسكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستزلين الرحمة التى آتت بها سكان حرمك (أهدة من الناس) أهدة من أهدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روى عن مجاهد لو قال أهدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لولم يقل من لآزدهموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز أن يكون من للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبى فكأنه قيل أهدة ناس وإنما نكرت المضاف إليه فى هذا التمثيل لتسكير أهدة لأنها فى الآية نكرة

(قوله لمعاشكم وسباتكم) فى الصبح السبات النوم وأصله الراحة ومنه قوله تعالى « وجعلنا نومكم سباتا » (قوله

فأعوذ بك أن تعصمني) لعله أن لا تعصمني

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا

ليتناول بعض الأثمة وقرئ أفدة بوزن عافدة وفيه وجهان أحدهما أن يكون من القلب كقولك آدر في أدور والثاني أن يكون اسم فاعله من أفدت الرحلة إذا عجلت أي جماعة أو جماعات يرتحلون إليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان أن تطرح الحمزة للتخفيف وإن كان الوجه أن تخفف بإخراجها بين بين وأن يكون من أفد (تهوى إليهم) تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً ونزاعاً من قوله ۝ يهوى نخارها هوى الأجدل ۝ وقرئ تهوى إليهم على البناء للمفعول من هوى إليه وأهواه غيره وتهوى إليهم من هوى يهوى إذا أحب ضمن معنى تزع فعدي تعديته (وارزقهم من الثمرات) مع سكاهم واديامافيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد (لعلهم يشكرون) النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لاجرم أن الله عز وجل أجاب دعوته لجعله حرماً آمناً تجي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثماراً وفي أي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى العجوبة التي يريسيها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الأزمان من الربيعية والصفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكني حرمة ووفقنا لشكر نعمه وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة إبراهيم عليه السلام ورزقنا طرفاً من سلامة ذلك القلب السليم ۝ النداء المكرر دليل التضرع واللجأ إلى الله تعالى (إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن علماً لا تفارقت فيه لأن غيباً من الغيوب لا يحتاج عنك والمعنى أنك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وانت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها فلا حاجة إلى الدعاء والطلب وإنما بدعوك إظهاراً للعبودية لك وتخشعاً لعظمتك وتذلاً لعزتك وافقاراً إلى ما عندك واستعجالاً لنيل أياديك وولها إلى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في إصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم أنه رفع حاجته إلى كريم فأبطأ عليه النجاح فأراد أن يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته أن لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجود لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع إلى من تكلنا قال إلى الله آكلكم قالت آله أمرك بهذا قال نعم قالت إذن لا نخشى تركتنا إلى كاف (وما يخفي على الله من شيء) من كلام الله عز وجل تصديقاً لإبراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون أو من كلام إبراهيم يعني وما يخفي على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاسفراق كأنه قيل وما يخفي عليه شيء ما ه على في قوله (على الكبر) بمعنى مع كقوله إلى على ما ترين من كبرى ۝ اعلم من حيث تؤكل الكتف

وهو في موضع الحال معناه وهب لي وأنا كبير وفي حال الكبر روى أن إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روى أنه ولد له إسماعيل لأربع وستين وإسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لإبراهيم إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة وإنما ذكر حال الكبر لأن المنته بهبة الولد فيها أعظم من حيث أنها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم وأحلالها في نفس الظافر ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم (إن ربِّي لسميع الدعاء) كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما أكرمه به من إجابته (فإن قلت) الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أولم يجبه (قلت)

(قوله وقرئ أفدة بوزن عافدة) ليس في الصحاح عفت بالفاء فلعله بالقاف (قوله في واد يباب ليس فيه نجم) أي خراب والنجم نبات لاساق له كذا في الصحاح
(قوله وهي اجتماع البواكير والفواكه) البواكير أول الفواكه كما في الصحاح

وَتَقْبَلُ دُعَاءَهُ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ۝ وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظالمون إنما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الأبصار ۝ مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم

هو من قولك سمع الك كلام فلان إذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله من حمده وفي الحديث ما أذن الله لشيء كما أذن لشيء يتغنى
بالقرآن (فإن قلت) ما هذه الإضافة إضافة السميع إلى الدعاء (قلت) إضافة الصفة إلى مفعولها وأصله لسميع الدعاء
وقد ذكر سيديويه فعيلًا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيداً وضراب أخاه ومنحار إبله
وحذر أموراً ورحيم أباه ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله ويجعل دعاء الله سميعة على الإسناد المجازي والمراد
سماع الله (ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطفاً على المنصوب في اجعلني وإنما بعض لأنه علم بإعلام الله أن يكون في ذريته
كفار وذلك قوله لا ينال عهدى الظالمين (وتقبل دعاءي) أي عبادتي وأعتراكم وماتدعون من دون الله ۝ في قراءة أبي
ولأبوي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الأفراد يعني أباه وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ولوالدي يعني لإسماعيل
إسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كأسد في أسد وفي بعض المصاحف
ولذريتي (فإن قلت) كيف جازله أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين (قلت) هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه
إلا بالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الإسلام وبأباه قوله لا أقول إبراهيم لأبيه لا استغفرنك لأنه
لو شرط الإسلام لكان استغفاراً صحيحاً لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتى فيه بإبراهيم (يوم
يقوم الحساب) أي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه
قولهم ترجلت الشمس إذا أشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت على رجل ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسناداً
مجازياً أو يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وجعل
البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات وجعله إماماً وجعل في ذريته من يقيم الصلاة وأراه مناسكة وتاب عليه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال كانت الطائف من أرض فلسطين فلما قال إبراهيم ربنا إني أسكنت الآية رفعها الله فوضعها
حيث وضعها رزقا للحرم ۝ (فإن قلت) يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
أعلم الناس به غافلاً حتى قيل (ولا تحسبن الله غافلاً) (قلت) إن كان خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه وجهان
أحدهما التثيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلهاً آخر
كما جاء في الأمر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني أن المراد بالنهي عن حسبانته غافلاً الإيدان بأنه عالم بما
يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون
عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على
التقير والقطمير وإن كان خطاباً لغيره من يجوز أن يحسبه غافلاً لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلياً للظالم
وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه ۝ وقرئ يؤخروهم بالنون والياء (تسخص فيه الأبصار)
أي أبصارهم لا تقر في أمالكها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين إلى الداعي وقيل الاضطباع أن تقبل بصرك على المرتضى
تديم النظر إليه لا تطرف (مقنعي رؤوسهم) رافعياً (لا يرتد إليهم طرفهم) لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون
ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم ۝ الهواء الخلاء
الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل قلب فلان هوام إذا كان جباناً لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال الأحق أيضاً

(قوله كما أذن لشيء يتغنى بالقرآن) في الصحاح كما أذن لمن يتغنى الخ (قوله هو من مجوزات العقل) يعني على مذهب
المعتزلة أن العقل قد يدرك الحكم بدون شرع ومذهب أهل السنة أن لا حكم قبل الشرع حتى يدرك بدونه فافهم

هُوَ آءٌ ۝ وَأَنْذِرَ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ
وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۝ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
وَتَبِينَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ۝ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ
لِنَزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالِ ۝ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدَّهُ رَسُولَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ

قلبه هواء قال زهير ۝ من الظلمان جوؤه هواء ۝ لأن النعام مثل في الجبن والحق وقال حسان ۝ فأنت مجوف تحب هواء ۝ وعن
ابن جرير أمثمتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم (يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لأنذر
وهو يوم القيامة ومعنى (أخرنا إلى أجل قريب) ردنا إلى الدنيا وأمهلتنا إلى أمدها من الزمان قريب تدارك ما فرطنا
فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معدنين بشدة السكرات
ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب
فأصدق (أولم تكونوا أقسمتم) على إرادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة
الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديداً وأملوا بعيداً و (مالككم) جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب
لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقل مالنا (من زوال) والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت
والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت
يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) لأن السكنى من السكنون الذي
هو اللبث والأصل تعديه بقى كقولك قز في الدار وغنى فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكن خاص تصرف فيه
فقل سكن الدار كما قيل تبوأها وأوطئها ويجوز أن يكون سكنوا من السكنون أى قزوا فيها واطمأنوا طمى النفوس
سائر سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأتولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا
ويرتدعوا (وتبين لكم) بالإخبار والمشاهدة (كيف) أهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ وتبين لكم بالنون (وضربنا لكم
الأمثال) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرمهم) أى مكرمهم
العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم (وعند الله مكرمهم) لا يخلو إما أن يكون مضافاً إلى الفاعل كالأول على معنى ومكتوب
عند الله مكرمهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافاً إلى المفعول على معنى وعند الله مكرمهم الذى يمكرهم
به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون (وإن كان مكرمهم لنزول منه الجبال) وإن
عظم مكرمهم وتبالغ فى الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلاً لنفاقه وشدته أى وإن كان مكرمهم مسوى لإزالة الجبال
معداً لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم والمعنى ومحال أن نزول
الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل آيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتاً وتمكناً وتنصرة قراءة ابن مسعود
وما كان مكرمهم وقرئ لنزول بلام الابتداء على وإن كان مكرمهم من الشدة بحيث نزول منه الجبال وتنقلع من أركانها
وقرأ على وعمر رضى الله عنهما وإن كاد مكرمهم (مخلف وعده رسوله) يعنى قوله إنا لننصر رسلاً كتب الله لأغاب
أنا ورسلى (فإن قلت) هلا قيل مخلف رسوله وعده ولم قدم المفعول الثانى على الأول (قلت) قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف

۝ قوله تعالى وفلا تحسبن الله مخلف وعده رسوله ۝ (قال مجاهد إن قلت لم قدم المفعول الثانى على الأول الخ) قال أحمد وفيها

(قوله ويجوز أن يكون سكنوا من السكنون) لعله سكنتم (قوله وعند الله مكرمهم الذى يمكرهم به) الذى فى الصحاح
المكر الاحتيال والخديعة وقد مكر به والمكر أيضاً المغتره وقد مكره فامتكر أى خضبه فاخضب اه وهو يفيد أن

سورة إبراهيم
الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار . وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد . سرابيلهم من
أطران وتغشى وجوههم النار . ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب . هذا بلغ

الوعد أصلاً كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً وليس من شأنه إخلاف المواعيد
كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجزر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ
قتل أولادهم شركائهم (عزير) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لأولياته من أعدائه (يوم تبدل الأرض) انتصابه على البديل
من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة
وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بذات الدرهم دنانير ومنه بدلناهم جلوداً غيرها
وبدلناهم بجنيتهم جنتين وفي الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل
ومنه قوله تعالى « فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسرات » واختلاف في تبديل الأرض والسموات فقيل تبدل أو صافها فتسرعن
الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عرج ولا أمت وعن ابن عباس هي تلك الأرض وإنما تغير وأنشد
وما الناس بالناس الذين عهدتهم . ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً وقيل يخلق بدلها أرض وسموات
آخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضاً من
فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضاً من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم تبدل الأرض بالنون (فإن قلت) كيف قال
(الواحد القهار) (قلت) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لأن الملك إذا كان لواحد غلب لا يغالب ولا يعاز
فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار كان الأمر في غاية الصعوبة والشدة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع
الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أوجلهم مغلطين وقوله (في الأصفاد) إيمان يتعلق بمقرنين أي يقرون في الأصفاد وإيمان
لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود وقيل الأغلال وأنشد لسلامة بن جندل :

وزيد الخيل قد لاقى صفاداً . بعض بساعد وبعض ساق

القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسر هاء مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل
فيطبخ فتنبأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بجره وحدثه والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد
يستسرج به وهو أسود اللون من الریح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسراويل وهي القمص لتجتمع عليهم
الأربع لذع القطران وحررته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونبث الریح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
بين النارين وكل ما رعد الله أو أوعده في الآخرة فيينه وبين ما نشاء من جسسه ما لا يقدر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا الأسمى
والمسميات ثمة فبكره الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجزنا من عذابه وقرئ من قطران والقطر النحاس أو الصفر
العذاب والآتي المتناهي حره (وتغشى وجوههم النار) كقوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب . يوم يسحبون في النار
على وجوههم . لأن الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الأقدرة وقرئ وتغشى
وجوههم بمعنى تغشى . أي يفعل بالمجرمين ما يفعل (ليجزى الله كل نفس) بجرمة (ما كسبت) أو كل نفس من بجرمة ومطبعة

قاله نظر لأن الفعل متى تقيده بمفعول انقطع إطلاقه فليس تقديم الوعد في الآية دليلاً على إطلاق الفعل باعتبار الموعد
حتى يكون ذكر الرسل بائناً كالأجنبي من الإطلاق الأول ولا فرق في المعنى الذي ذكره بين تقديم ذكر الرسل وتأخيره

المكر بمعنى الاحتيال لا يتعدى بنفسه فتدبر (قوله وقرئ تبدل الأرض بالنون) لعله ونصب الأرض والسموات
فلتحذر القراءة

لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝

سورة الحجر مكية

إلا آية ٨٧ فمدنية وآياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ۝ رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المطيعين اطاعتهم (هذا بلاغ للناس) كفاية في الذكركبير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسن إلى قوله سريع الحساب (ولينذروا) معطوف على محذوف أي لينصحووا و لينذروا (به) بهذا البلاغ و قرئ و لينذروا بفتح الياء من نذره إذا فعله واستعدله (وليعلموا إنما هو إله واحد) لأنهم إذا خافوا ما نذروا به دعوتهم الخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد

(سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تلك) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات ۝ والكتاب والقرآن المبين السورة وتكثير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وآي قرآن مبين كأنه قبل الكتاب الجامع للكامل والغرابة في البيان ۝ قرئ ربما وربما بالشد يدور ربما بالضم والفتح مع التخفيف (فإن قلت) لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي (قلت) لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما و (فإن قلت) متى تكون و دادتهم (قلت) عند الموت أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا أيضاً باب من الودادة (فإن قلت) فامعنى التقليل (قلت) هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستقدم على فملك

ولا يفيد تقديم المفعول الثاني إلا الإيذان بالعناية في مقصود المتكلم والأمر بهذه المناسبة في الآية لأنها وردت في سياق الإنذار والتهديد للظالمين بما توعدهم الله تعالى به على السنة الرسل فالهمم في التهديد ذكر الوعيد وأما كونه على السنة الرسل فذلك أمر لا يقف التخويف عليه ولا بد حتى لو فرض التوعد من الله تعالى على غير لسان رسول لكان الخوف منه حسيباً كافياً والله أعلم

(القول في سورة الحجر)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قوله تعالى ۝ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ۝ (قال إن قلت ما معنى تقليل و دادتهم الخ) قال أحمد لا شك أن العرب تعبر عن المعنى بما يؤدى عكس مقصوده كثيراً ومنه قوله : ۝ قد أترك القرن مصفراً أنا له ۝ وإنما يتدح بالإكثار من ذلك وقد عبر بقدم المفيدة للتقليل ومنه والله أعلم وقد تعلمون أن رسول الله والمقصود توبيخهم على أذاهم ماوسى عليه السلام على توفير عابهم برسالاته ومناصحته لهم وقد اختلفت ترجمته علماء البيان لذلك فمنهم من وجهه بما ذكره الزمخشري أنهما من التنبية بالأدنى على الأعلى ومنهم من وجهه بأن المقصود في ذلك الإيذان بأن المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد أن يرجع إلى الضد وذلك شأن كل ما انتهى لنهايته أن يعود إلى عكسه وقد أفصح أبو الطيب ذلك بقوله : ولجأت حتى كدت تبخل حائلاً ۝ للمنتهى ومن السرور بكاء

وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الإيقاظ إليها والعمدة في ذلك على سياق الكلام لأنه إذا اقتضى مثلاً تكثيراً فدخلت فيه عبارة بشعر ظاهرها بالتقليل استيقظ السامع بأن المراد المبالغة على إحدى الطريقتين المذكورتين والله أعلم

(قوله من نذر به إذا علمه) في الصحاح نذر القوم بالعدو بكسر الذال إذا علموا

لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ۝ وَقَالُوا يَا سَاءَ الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأْسِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نُنزِلُ الْمَلَأْسِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ۝

وربما ندم الإنسان على ما فعل ولا يشكون في تدمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحززون من التعرض للغم المظنون كما يتحززون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة فبالحرى أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وإنما جئ بها على لفظ الغيبة لأنهم يخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعان ولو قيل - حلف بالله لأفغان ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيقرن مهوتين فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قال (ذرهم) يعني انقطع طمعك من أرواحهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصدعته بالندكرة والنصيحة وخلصهم (ياكلوا ويتمتعوا) بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم أملمهم وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة إلا خيرا (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم والغرض الإبدان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه وأنه لا زاجر لهم ولا وائظ إلا معاينة ما يندرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل إلى تعاضهم قبل ذلك فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وأن يبالح في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا اندما في العاقبة وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه وفيه تنبيه على أن إتيار التلذذ والنعيم وما يؤدي إليه طول الأمل وهذه هجرى أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين (ولها كتاب) جملة واقعة صفة لقربة والقياس أن لا يتوسط الوار بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون وإنما توسطت لنا كيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب (معلوم) مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح وبين الأ ترى إلى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) في موضع كتابها وأنت الأمة أولا ثم ذكرها آخرها حملا على اللفظ والمعنى وقال (وما يستأخرون) بحذف عنه لأنه معلوم قرأ الأعمش يا أيها الذي أتق عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وكيف بقرون ينزل الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس في كلامهم الاستهزاء والتهمك مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فيشرهم بعذاب أليم إنك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى إنك لتقول قول المجانين حين تدعى أن الله نزل عليك الذكر لو ركب مع لا وما المعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض وأما هل فلم تركب إلا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل

لو ما الحياء ولو ما الدين عبتكما ۝ ببعض ما فيكما إذ عبتا هوري

والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على إنذارك كقوله تعالى لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقا كما كانت تأتي الأمم المكذبة برسالتها قرئ تنزل بمعنى تنزل وتنزل على البناء للذم من نزل وتنزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة (إلا بالحق) إلا تنزلا بلنيسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم عيانا تشهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وقيل الحق الوحي

(قوله ويتمتعوا بدنياهم) في الصحاح سميت الدنيا لدنوها والجمع دني مثل الكبرى والكبرى والصغرى والصغرى
(قوله الذي أتق عليه الذكر) لعله إليه

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ مُسْحَرُونَ ۝

أو العذاب و (إذا) جواب وجزاء لأنه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخرج غداهم (إنا نحن نزلنا الذكر) رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال إنا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظ في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الرئين والأخبار فاختلّفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكمل القرآن إلى غير حفظه (فإن قلت) تخين كان قوله إنا نحن نزلنا الذكر رداً لإنكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله (وإنا له لحافظون) (قلت) قد جعل ذلك دليلاً على أنه منزل من عنده آية لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك (في شيع الأولين) في فرقه وطوائفهم والشيع الفرقة إذا انفقوا على مذهب وطريقة ومعنى أرسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم (وما يأتينهم) حكاية حال ماضية لأن ما لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال ۝ يقال سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكري مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكري (قلوب المجرمين) على معنى أنه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو أنزلت بثيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت كذلك أنزلها بالثام تعني مثل هذا الإزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله (لا يؤمنون به) النصب على الحال أي غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه (سنة الأولين) طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين كذبوا برسولهم وبالذكري المنزل عليهم وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم ۝ قرئ يعرجون بالضم والكسر و(سكرت) حيرت أو حيرت من الأبصار من السكر أو السكر وقرئ

۝ قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (قال هذا رد لإنكارهم واستهزائهم الخ) قال أحمد ويحتمل أن يراد حفظه بما يشبهه من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفرد وذلك أيضا من الدليل على أنه من عند الله كما قال تعالى في آية أخرى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ۝ قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب المجرمين (قال ممناء يلقيه في قلوبهم مكذبا به الخ) قال أحمد والمراد والله أعلم إقامة الحججة على المكذبين بأن الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم وأدخله في سويدائها كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين الصادقين فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم إهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الإعجاز كما فهمها من آمن فأعلمهم الله تعالى من الآن وهم في مهلة وإمكان أنهم ما كفروا إلا على علم معاندين باغين غير معذورين والله أعلم ولذلك عقبه الله تعالى بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحرون أي هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه إعجازه وولج ذلك في قلوبهم ووقر ولكنهم قوم يحجتهم العناد وشيمتهم اللدد حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاهم إلى الإيمان بضرورة المشاهدة وذلك بأن يفتح لهم بابا في السماء ويعرج بهم إليهم حتى يدخلوا منه نهارا وإلى ذلك أشار بقوله فظلوا لأن الظلول إنما يكون نهارا لقالوا بعد هذا الإيضاح العظيم المكشوف إنما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد وما هذه إلا خيالات لاحقات تحتها فأبجل عليهم بذلك أنهم لا عذر لهم في التكذيب من عدم سماع ووعي ووصول إلى القلوب وفهم كما فهم

(قوله وقرئ سكرات بالتخفيف) لعل هذا السكر بالفتح كما أن ما يأتي من السكر بالضم

سورة الحجر
 وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَةً لِلنَّظَرِ ۝ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ
 السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مَبِينٌ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقِينَا فِيهَا رُوسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونَ ۝
 وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ ۝ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝
 وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَنُنزَلْنَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقِينَاكُمْ بِهِ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ
 وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ لَأَنَّهُ

سكرت بالتخفيف أى حبست كما يحبس النهر من الجرى وقرئ سكرت من السكر أى حارت كما يحار السكران والمعنى
 أن هؤلاء المشركين باغ من غلومهم فى العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها
 ورأوا من العيان مارأوا لقالوا هو شىء تخايله لاحقيقة له وقلالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة أى
 لو أرىناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك ۝ وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين
 لما يرون وقال إنما يدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيراً للأبصار (من استرق) فى محل النصب على
 الاستثناء وعن ابن عباس أنهم كانوا لا يحبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد
 منعوا من السموات كلها (شهاب مبین) ظاهر للبصرين (موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح
 فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر فى أبواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد
 وغيرها (معايش) بيا صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فإن تصریح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة أو إخراج
 الياء بين بين وقد قرئ معاش بالهمز على التشبيه (ومن لستم له برازقين) عطف على معاش أو على محل لكم كأنه قيل
 وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو وجعلنا لكم معاش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال
 والمهالك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرزاق يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب
 وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق إلى ظمهم أنهم هم الرازقون ولا يجوز أن يكون مجروراً عطفاً على الضمير
 المجرور فى لكم لأنه لا يعطف على الضمير المجرور ۝ ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شىء ينتفع به العباد إلا ونحن
 قادرون على إيجادها وتكوينها والإععام به وما نعطيه إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له فغضب الخزائن مثلاً لا قدره
 على كل مقدور (لواقح) فيه قولان أحدهما أن الريح لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للى لاناى
 بخير ربح عقيم والثانى أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومخنبط مما تطيح الطوامح ۝ يريد المطاوح جمع مطيحة
 وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس (فأسقيناكموه) فجعلنا لكم سقياً (وما أنتم له بخازنين) نفي عنهم ما أثبتة لنفسه فى قوله
 وإن من شىء إلا عندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه
 بقادرين دلالة على عظيم قدرته وإظهاراً له جزمهم (ونحن الوارثون) أى الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وراث استعارة
 من وراث الميت لأنه يبقى بعد فناءه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعله الوارث منا (ولقد علمنا) من استقدم
 ولادة وموتاً ومن تأخر من الأولين والآخرين أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم فى
 الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين فى صفوف الجماعة والمستأخرين روى أن امرأة حسناء كانت
 فى المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر إليها وبعض يستأخر ليصيرها
 فنزلت (هو يحشرهم) أى هو وحده القادر على حشرهم والعالم يحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم (إنه

غيرهم من المصدقين لأن ذلك كله حاصل لهم وإنما بهم العناد واللدد والإصرار لا غير والله أعلم

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ وَالْجَبَّارِ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۝
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي
فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ يَا إِبْلِيسُ
مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ قَالَ فَأَخْرِجْ
مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۝ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝
إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ

حكيم علم (باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل مايفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد أحاط علماً بكل شيء .
الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو بخار قالوا إذا توهمت في صورته مدا فهو صلليل
وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن . والحما الطين الأسود المتغير . والمسنون المصنوع
من سنة الوجه وقيل المصنوع المفرغ أي أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في أمثلتها وقيل
المتن من سنت الحجر على الحجر إذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون إلا منتناً (من حماً) صفة لصلصال
أي خلقه من صلصال كائن من حماً وحق (مسنون) بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحما فصور منها
تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر (والجان) للجن كآدم للناس وقيل
هو إبليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجان بالهمز (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ من المسام قيل
هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من سموم النار التي خلق الله منها الجان (وإذ قال ربك) واذكر وقت قوله (سوته)
عدلت خلقته وأكتمتها وهياؤها لنفخ الروح فيها ومعنى (ونفخت فيه من روحى) وأحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ
وإنما هو تمثيل لتحصيل مايجب به فيه . واستثنى إبليس من الملائكة لأنه كان بينهم مأموراً معهم بالسجود فغلب اسم
الملائكة ثم استثنى بعد التغاب كقولك رأيتهم إلا هنداً و (أبى) استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد . فقيل أبى
ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن إبليس أبى . حرف الجر مع أن محذوف وتقديره (ما لك) في (ألا تكون مع
الساجدين) بمعنى أى غرض لك في إيابك السجود وأى داع لك إليه . اللام في (لا يسجد) لتأكيد النفي ومعناه لا يصح
منى وينافى حالى ويستحيل أن أن أسجد لبشر (رجيم) شيطان من الذين يرمجون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لأن
من يطرد يرمم بالحجارة ومعناه ملعون لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها . والضمير في منها راجع إلى
الجنة أو السماء أو إلى جملة الملائكة . وضرب يوم الدين حداً للجنة إما لأنه غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله
مبادمت السموات والأرض في التأيد وإما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعن في السموات والأرض إلى يوم
الدين من غير أن يعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه . ويوم الدين ويوم يعثون ويوم الوقت
المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة . وقيل إنما سأل الإنظار إلى اليوم
الذى فيه يعثون لئلا يموت لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف (بما أغويتنى)
الباء للقسمة وما مصدرية وجواب القسم (لأزوين) المعنى أقسم ياغوائك إياى لأزوين لهم ومعنى إغوائه إياه تسببه لغيره
بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى ذلك إلى غيه وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعرض للثواب بالتواضع

(قوله من سنة الوجه) في الصحاح سنة الوجه صورته

منهم المخلصين ۝ قال هذا صراط على مستقيم ۝ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من
الغاوين ۝ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ۝ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ۝ إن المتقين في جنات
وعيون ۝ أدخلوها بسلم آمنين ۝ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين ۝ لا يمسم فيها
نصب وما هم منها بمخرجين ۝ نبي عبادي أنا الغفور الرحيم ۝ وإن عذابي هو العذاب الأليم ۝ وننبئهم

والخضوع لأمر الله ولكن إبليس إختار الإباء والاستكبار فهلك والله تعالى برئ من غيه ومن إرادته والرضا به
ونحو قوله بما أغويتني لأزينن (لهم) قوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين في أنه إقسام إلا أن أحدها إقسام بصفته
والثاني إقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسماً ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيك
لإغوائى أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيح لإغوائهم بأن أزين لهم المعاصي وأرسوس إليهم ما يكون سبب
هلاكهم (في الأرض) في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد إلى الأرض واتبع هواه أو أراد أني أقدر على
الاحتيا لآدم والتزين له الأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزين لأولاده في الأرض أقدر أو أراد لأجعان
مكان التزين عندهم الأرض ولا وقعن تزيني فيها أي لأزينتها في أعينهم ولأحدثهم بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى
يستحبوها على الآخرة ويطمئنون إليها دونها ونحوه: يجرح في عراقيها نصلي ۝ استثنى المخلصين لأنه علم أن كيد لا يعمل
فيهم ولا يقبلون منه ۝ أي (هذا) طريق حق (على) أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من إختار
اتباعك منهم لغوايته وقرئ على وهو من علو الشرف والفضل (لموعدهم) الضمير للغاوين وقيل أبواب النار أطرافها
وأدراكها فأعلاها للوحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصائبين والخامس للجوس والسادس للمشركين
والسابع للنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنه إن جهنم لمن ادعى الربوبية واضى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام
وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصائبين والهاوية للوحدين ۝ وقرئ جزء بالتخفيف والنشيل وقرأ الزهري
جزءً بالتشديد كأنه حذف الهمزة وأتى حركتها على الزاى كقولك خب في خب ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل
ثم أجرى الوصل بجرى الوقف ۝ المتقى على الإطلاق من يتقى ما يجب انقاؤه مما نهى عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها (أدخلوها) على إرادة القول وقرأ الحسن أدخلوها
(بسلام) سالمين أو مسلماً عليكم تسلم عليكم الملائكة ۝ الغل الحقد الكامن في القلب من أنزل في جوفه وتغل أي زن
كان لأحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجواناً كون أنا
وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الأعور كنت جالسا عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له علي سرخبايك يا ابن أخي
أما والله إنى لأرجو أن أكون أنا وأبوك بمن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله أعدل
من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلن هذه الآية لأتمك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على
الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وأتى فيها التواتر والتحاب و(إخواناً) نصب على الحال و(على سرر متقابلين)
كذلك وعن مجاهد تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين ۝ لما أتم ذكر الوعد والوعيد
اتبعه (نبي عبادي) تقريراً لما ذكر وتمكينه في النفوس ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنه غمور لمن تاب وعذابه لمن
لم يتب وعطف (وننبئهم) على نبي عبادي ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه

(قوله والله برئ من غيه) هذا على مذهب المعتزلة أن الله لا يريد الشر ولا يخلقه ومذهب أهل السنة أن كل كائن فهو
مخلقه تعالى وإرادته خيراً كان أو شراً وإن كان لا يرضى الشر من العبد وتفصيله في التوحيد

عَنْ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ۖ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۚ
قَالَ أَبَشِّرْنِي بِنَجْوَىٰ عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ تَبَشِّرُونَ ۚ قَالُوا بَشْرُكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِنَ الْقَانِطِينَ ۚ قَالَ وَمَنْ
يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۚ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۚ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ۚ
إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۚ إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَرْنَا لَهَا مِنَ الْغَیْبِ ۚ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ۚ

من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم (سلاما) أي نسلم عليك سلاما أو سلمت سلاما (وجلون) خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الأكل وقيل لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت ۚ وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من أوجه يوجه إذا أخافه وقرئ لا تأجل ولا توجل من واجله بمعنى أوجهه ۚ وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف (إنا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أرادوا أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل ۚ يعني (أبشروني) مع مس الكبريان يولد أي أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر (فيم تبشرون) هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأي عجيبة تبشروني أراد أنكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لأن البشارة بمثل هذا بشاره بغير شيء ويجوز أن لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة ۚ وقوله (بشرك بالحق) يحتمل أن تكون الباء فيه صلة أي بشرك باليقين الذي لا لبس فيه أو بشرك بطريقة هي حق وهو قول الله ووعدته وأنه قادر على أن يوجد ولداً من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجز عاقرة ۚ وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرهما على حذف نون الجمع والأصل تبشرون وتبشرون بإدغام نون الجمع في نون العباد ۚ وقرئ من القنطين من قنط يقنط ۚ وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون أراد ومن يقنط من رحمة ربه إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطاً من رحمته ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها الله ۚ (فان قلت) قوله تعالى (إلا آل لوط) استثناء متصل أم منقطع (قلت) لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعاً لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلاً كأنه قيل إلى قوم قد أجزموا كلهم إلا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (فان قلت) فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين (قلت) نعم وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كما إرسال الحجر أو السهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل إنا أهلكتنا قوماً مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الإرسال مخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول (فان قلت) فقوله (إنا لمنجورهم) بهم يتعلق على الوجهين (قلت) إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون وإذا اتصل كان كلاماً

ۚ قوله تعالى ۚ إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجورهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين ۚ (قال محمود إن قلت هل الاستثناء الأول متصل الخ) قال أحمد وجعله الأول منقطعاً أولى وأمكن وذلك أن في استثناءهم من الضمير العائد على قوم منكرين بعداً من حيث أن موقع الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل المستثنى في حكم الأول وهذا الدخول متعذر من التنكير ولذلك قلنا نجد النكرة يستثنى منها إلا في سياق نفي لأنها حينئذ أعم فيتحقق الدخول لولا الاستثناء

(قوله وتبشرون) بكسر النون والتشديد قاله النسفي (قوله فلا يكون الإرسال مخلصاً) لهله مختصاً

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۚ قَالُوا بَلْ جِنَّتِكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَسْتَمْتِرُونَ ۚ وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۚ فَاسْرِبْ أَهْلَكَ بِقَطْعِ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۚ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ

مستأنفاً كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا إنا لمنجورهم ۚ (فإن قلت) فقوله (إلا امرأته) من استثنى وهل هو استثناء من استثناء (قلت) استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجورهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة وفي قول المقر لفلان على عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهما فأما في الآية فقد اختلف الحُكَّان لأن آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين وإلا امرأته قد تعلق بمنجورهم فأني يكون استثناء من استثناء ۚ وقرئ لمنجورهم بالتخفيف والتثقيب (فإن قلت) لم جاز تعلق فعل التقدير في قوله (قدرنا إنها لمن الغابرين) والتعليق من خصائص أفعال القلوب (قلت) لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم (فإن قلت) فلم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله (قلت) لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدير والامر هو الملك لا هم وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف (منكرون) أي تنكروكم نفسي وتنفر منكم فأخاف أن تطرقوني بشر بدليل قوله (بل جنتك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جنتك بما تنكرون لأجله بل جنتك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك (بالحق) باليقين من عذابهم (وإننا لصادقون) في الإخبار بنزوله بهم ۚ وقرئ فأسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الإقليد فسر من السير ۚ والقطع في آخر الليل قال :

افتحى الباب وانظري في النجوم ۚ كم علينا من قطع ليل بهم

وقيل هو بعدما يمضي شيء صالح من الليل (فإن قلت) ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيمهم عن الالتفات (قلت) قد بعث الله الهلاك

ومن ثم لم يحسن رأيت فوما إلا زيدا وحسن ما رأيت أحد إلا زيدا والله أعلم ۚ عاد كلامه (قال محمود فإن قلت لم جاز تعلق فعل التقدير في قوله قدرنا إنها لمن الغابرين الخ) قال أحد وهذه أيضاً من دقاته الاعتزالية في جحد القضاء والقدر واعتقاد أن الأمر أنف لأنهم لا يعتقدون أن الله تعالى مرید لاكثر أفعال عبيده من معصية ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبيد بمعنى أنه مرید ولكنه عالم بما سيفعلونه على خلاف مشيئته وإرادته فالتقدير عندهم هو العلم لا الإرادة ثم استدلل على أن التقدير هو العلم بتعليق فعله عن العمل وذلك من خواص فعل العلم وأخواته فانظر إلى بعد غوره ودقة فظنته في ابتغاء السنة بلفقها ويعاندها البراهين الواضح فلقها وفي كلامه شاهد على رده فإن التقدير عنده مضمن معنى العلم ومن شأن الفعل المضمن معنى آخر أن يبقى على معناه الأصلي مضافاً إليه المعنى الطارئ فيفيدها جميعاً فالتقدير إذاً كما أفاد العلم الطارئ يفيد الإرادة أصلاً ووضعاً والله أعلم على أن من الناس من جعل قوله تعالى قدرنا إنها لمن الغابرين من كلامه تعالى غير محكي عن الملائكة وهو ظاهر فإن الذي يجعله من قول الملائكة يحتاج في نسبتهم التقدير إلى تأويل ويجعله من باب قول خواص الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا وإنما يعنون دبر الملك وأمر وبذلك أوله الزمخشري وإن كان أصله لا يحتاج معه إلى التأويل لأنه إذا جعل قدرنا بمعنى علمنا إنها لمن الغابرين فلا غرو في علم الملائكة ذلك بإخبار الله تعالى إياهم به وإنما يحتاج إلى التأويل من جعل قدرنا بمعنى أردنا وقضينا وجعله من قول الملائكة والله أعلم ۚ قوله تعالى واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد (قال إن قلت ما معنى أمره باتباع أدبارهم الخ) قال أحد وبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حيث تقدم قومه فقال وما أعجلك عن قومك يا موسى ۚ والله أعلم ۚ

الامر ان دابر هـ ولاء مقطوع مصبحين هـ وجاء اهل المدينة يستبشرون هـ قال ان هـ ولاء ضيفي
فلا تفضحون هـ واتقوا الله ولا تخزون هـ قالوا اولم ننمك عن العالمين هـ قال هـ ولاء بناتي ان كنتم فعلمين هـ
لعمرك انهم اني سكرتهم يعمهون هـ فاخذتهم الصيحة مشرقين هـ فجعلنا عليها سافله وامطرنا عليهم حجارة

على قومه ونجاء واهله اجابة لدعوة عليهم وخرج مهاجراً فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وإدامة ذكره وتفرغ به لذلك
فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بن خلفه قلبه وليكون مطالعاً عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاماً منه ولا غيرها
من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة وائتلا يتخلف منهم أحد لغرض له في صيد العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي
يقدم سر به ويفوت به ونحوه عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل به وهم من العذاب فيروا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة
ويطوبوها عن مساكنهم ويمضوا فداً غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوى إليه أخاذه كما قال
تلقت نحو الحى حتى وجدتني هـ وجعت من الإصغاء لينا وأخذنا

أوجفل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والنوقف لأن من يتلفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة (حيث
تؤمرون) قيل هو مصر وعدي وامضوا إلى حيث تعديته إلى الظرف المهم لأن حيث مهم في الأمكنة وكذلك الضمير في تؤمرون
وعدي قضينا بآلى لأنه ضمن معنى أو حيناً كأنه قيل وأوحينا إليه مضمياً مبتوتاً وفسر (ذلك الأمر) بقوله (أن دابر هـ ولاء مقطوع)
وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له وقرأ الأعمش إن بالكسر على الاستئناف كأن قائلنا قال أخبرنا عن ذلك الأمر فقال
إن دبر هـ ولاء وفي قراءة ابن مسعود وقتلنا إن دابر هـ ولاء . ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (أهل
المدينة) أهل سدوم التي ضرب بقاضها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة (لا تفضحون) بفضيحة ضيفي لأن من أسى إلى ضيفه
أو جاره فقد أسى إليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم (ولا تخزون) ولا تذلون بإذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان
أو ولا تشوروا بي من الخزية وهي الحياء (عن العالمين) عن أن تجيرهم منهم أحداً أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا
يتعرضون لكل أحد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهى عن المنكر والحجر بينهم وبين المتعرض له فأوعده وقالوا ان لم تنته
بالوط لك كون من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وإنزالهم وكانوا منه وأن يضيف أحد أظ (هـ ولاء بناتي) إشارة إلى النساء
لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساءهم بناتهن فكانه قال لهم هـ ولاء بناتي فانكجهن واخلوا بناتي فلا تتعرضوا لهم (إن
كنتم فاعلمين) شك في قبولهم لقوله كأنه قال إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون وقيل إن كنتم تريدون قضاء الشهوة
فما أحل الله دون ما حرم (لعمرك) على إرادة القول أى قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك (انهم اني سكرتهم)
أى غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتميزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين
إلى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصفون إلى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله

عاد كلامه (قال وإنما نورا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب الخ) قال أحمد وأحمد شملت هذه الآية

(قوله وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيئوها عن مساكنهم) لعل فيه تقدماً والاصل على المهاجرة عن مساكنهم
ويطيئوها فليجزر (قوله ويمضوا فداً) في الصحاح مضى قدما بضم الدال لم يعرج ولم ينثن
(قوله وجعت من الإصغاء لينا وأخذنا) في الصحاح اللبت بالكسر صفحة العنق والأخذع عرق في موضع المحجمتين
وهو شعبة من الوريد وهما أخذعان (قوله لأن من يتلفت لا بد له في ذلك) لعله يلتفت كعبارة النسفي
(قوله ولا تشوروا بي من الخزية) في الصحاح الشوار فرج المرأة والرجل ومنه قيل شور به أى كأنه أبدى عورته

مَنْ يَجِبَلْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۚ وَإِنَّهَا لَبَسَبِيلٌ مُّقِيمٌ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ
الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ ۚ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۚ وَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۚ وَعَآتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا
فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۚ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۚ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۚ فَمَا أَغْنَىٰ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ
الْجَمِيلَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ۚ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ

عليه وسلم وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمتفوح لإيثار
الأتخف فيه وذلك لأن الحلف كثير الدور على السننم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمره كما أقسم به كما حذفوا الفعل
في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم (الصبيحة) صبيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين في الشروق
وهو بزور الشمس (من يجبل) قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك أي
معلمة بكتاب (للمتوسمين) للمتوسمين المتأملين وحققة المتوسمين الظار المنتبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء
يقال توسمت في فلان كذا أي عرفت وسمة فيه ۚ والضمير في عاليها سافلها القرى قوم لوط (وإنها) وإن هذه القرى يعني آثارها
(لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعدوهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وإنكم لتزرون
عليهم مصبحين (أصحاب الأيكة) قوم شعيب (وإنهما) يعني قرى قوم لوط والأيكة وقيل الضمير للأيكة ومدن لأن شعيبا
كان مبعوثا إليهما فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدني فجاء بضميرهما (لإمام مبين) لطريق واضح والإمام اسم لما يؤتم به
فسمى به الطريق ومظنر البناء واللوح الذي يكتب فيه لأنها لما يؤتم به (أصحاب الحجر) ثمود والحجر وادبهم وهويين
المدنية والشام (المرسلين) يعني يتكذبهم صالحا لأن من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن
معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير وأصحابه وعن جابر مررنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال
لما لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر النبي
صلى الله عليه وسلم راحلتا فأسرع حتى خلفها (آمنين) لوثاثة البيوت واستحكامها من أن تهدم ويتداعى بنيانها ومن
نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميمهم منه (ما كانوا يكسبون)
من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد (إلا بالحق) إلا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعثا أو بسبب العدل
والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال (وإن الساعة لآتية) وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك
وسياتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك (فاصفح) فأعرض عنهم واحتمل ما تاتي منهم لإعراضا جميلا
بحلم وإغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز أن يراد به المخالفة فلا يكون منسوخا (إن ربك هو الخلاق) الذي
خلفك وخلقهم وهو (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم أو إن ربك هو الذي خلقكم
وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح وفي مصحف أبي وعثمان إن ربك
هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب (سبع) سبع
آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنها في حكم سورة واحدة

على وجازتها آداب المسافرين لمهم ديني أو دنيوي من الأمر والمأمور والتابع والمتبوع ما فرطنا في الكتاب من شيء ۚ

(قوله يراد به المخالفة فلا يكون منسوخا) أي المعاملة بحسن الخلق وفي الصحاح يقال خالص المؤمن وخالق الفاجر اه

مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَقُلْ لِي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۚ كَمَا
أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۚ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۚ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْتَنَّهُمْ جَمْعِينَ ۚ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ فَاصْدَعْ

ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم أو سبع صحائف وهي الأسباع و(المثاني) من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة بما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتغالها أعلى ما هو ثناء على الله الواحددة مثناة أرمثنية صفة الآية وأما السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن إماما للبيان أو للتبويض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال والبيان إذا أردت الأسباع ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني لأنها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها (فإن قلت) كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو لإعطف الشيء على نفسه (قلت) إذا عني بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءه من ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى إلى قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف وإذا عنيت الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أى الجامع لهذين النعتين وهو الثناء أو التثنية والعظم أى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار (فإن قلت) كيف وصل هذا بما قبله (قلت) يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم قد أوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وإن عظمت فهى إليها حقيرة ضئيلة وهى القرآن العظيم فعليك أن تستغنى به ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا ومنه الحديث: ليس منا من لم يتغن بالقرآن. وحديث أبى بكر: من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظميا وعظم صغيرا. وقيل وافى من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البر والطيب والجوهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقويتنا بها ولا نفقناها فى سبيل الله فقال لهم الله عز و علا لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) أى لا تمنن أموالهم ولا تحزن عليهم إنهم لم يؤمنوا فيتقوى بكانهم الإسلام وينتفش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن إيمان الاغنياء والأقوياء (وقل) لهم (إنى أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم (فإن قلت) بم تعلق قوله (كما أنزلنا) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المفتسمون (الذين جعلوا القرآن عضين) حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للنوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لها فاقسموه إلى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من

قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم (قال إن قلت كيف وصل هذا بما قبله الخ) قال أحد وهذا هو الصواب فى معنى الحديث وقد حمله كثير من العلماء على الغناء وادعى هؤلاء أن تغنى إنما يبنى من الغناء الممدود لامن الغنى المقصور وإن فعله استغنى خاصة وقد وجدت بناء تغنى من الغنى المقصور فى الحديث الصحيح فى الخيل وأما التى هى ستر فرجل ربطها تغنيا وتعفا وإنما هذا من الغنى المقصور قطعاً واتفاقاً وهو مصدر تغنى فدل ذلك على أنه مستعمل من البناءين جميعاً على خلاف دعوى المخالف والله الموفق

(قوله وعضوه) فى الصحاح عضيت الشاة تعضية إذا جزأتها أعضاء وعضيت الشيء تعضية إذا فرقت

سورة الحجر
بِمَا تَوَمَّرُوا وَعَرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ إِذْ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ
رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝

الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق بقوله وقل إني أنا الذير المبين أي وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المفتسمين
يعنى اليهود وهو ماجرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما سيكون وقد
كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عشرين منصوباً بالذير أي أنذر المعصين الذين يمزون القرآن إلى سحر وشعر
وأساطير مثل ما أنزلنا على المفتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فعدوا في كل مدخل
متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر
ويقول الآخر كذاب والآخري شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بأفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود
ابن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا إلى الرهط الذين تقاسموا على أن يديوا صالحاً عليه السلام والاققسام بمعنى التقاسم
(فإن قلت) إذا علفت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن إلى آخره بينهما (قلت) لما كان ذلك
تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات
إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل بهجاءه على المؤمنين ۝ عشرين أجزاء جمع حضة وأصلها حضة
فعلته من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء قال رؤبة ۝ وليس دين الله بالمعضى ۝ وقيل هي فعلته من غضهته إذا بهته وعن
عكرمة العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر عاضه ولعن النبي صلى الله عليه وسلم العاضه والمستعضه فقصاصها عن الأهل وواو
وعلى الثاني هاء (انسئلهم) عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تفريع وعن أبي العالية يسأل العباد عن خلتين عما
كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً
كقولك صرح بها من الصديق وهو الفجر والصدع في الزجاج الإبانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر
والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله ۝ أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ۝ ويجوز أن تكون ما مصدرية
أي بأمرك مصدر من المبني للفعول ۝ عن عروة بن الزبير في المستهزين هم خمسة نهر ذوو أسنان وشرف الوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطالب والحريث بن الطلائع وعن ابن عباس رضى الله
عنه ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكمهم فلو ما إلى ساق الوليد فز
بنبال فتعاق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظماً لاخذه فأصاب عرقاً في عقبه فقطعه فمات وأوماً إلى أخص العاص بن وائل
فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار إلى عيني الأسود بن المطالب فعمى
وأشار إلى أنف الحريث بن قيس فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجبل ينطح
رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (بما يقولون) من أقارب الطاعنين فيك وفي القرآن (فسبح) فافزع
فما نابك إلى الله والفرع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ۝ ودم على عبادة ربك
(حتى يأتيك اليقين) أي الموت أي مادمت حياً فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر
فزع إلى الصلاة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين
والأنصار والمستهزين بمحمد صلى الله عليه وسلم

(قوله إذا بهته) أي اتهمته

سورة النحل مكية

إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها ۱۲۸ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۝ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ وَالْإِنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ

(سورة النحل مكية)

(غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكديبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه) روى أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئاً فنزلت اقتربت للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محم ما نرى شيئاً مما نتخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالناء والياء (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ عز وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشرافهم على أن ما موصولة أو مصدرية (فإن قلت) كيف اتصل هذا باستعجالهم (قلت) لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالناء والياء ۝ قرئ ينزل بالانخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أى تنزل (بالروح من أمره) بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد و (أن أنذروا) بدل من الروح أى ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أى بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو تكون أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا إله إلا أنا) أعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا (فاتقون) ۝ ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلح له وما لا بد له منه من خلق البهائم لا كله وركوبه وجر أقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلقاته ومثله متعال عن أن يشرك به غيره وقرئ تشركون بالناء والياء (فإذا هو خصيم مبين) فيه معنيان أحدهما فإذا هو منطبق مجادل عن نفسه مكافح الخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيى العظام وهي رميم وصفا للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتعادي في كفران النعمة وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قدرتم (الأنعام) الأزواج الثمانية وأكثر ما تقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز أن يعطف على الإنسان أى خلق الإنسان والأنعام ثم قال (خلقها لكم) أى ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان ۝ والدفء اسم ما يدفأ به كما أن الماء اسم ما يملأ به وهو الدفء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر وقرئ دف بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء (ومنافع) هى نسلها ودرها وغير ذلك (فإن

وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝

قلت) تقديم الظرف في قوله (ومنها تأكلون) مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (قلت) الاكل منها هو الاصل الذي يعتمد عليه الناس في معاشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتاد به وكالجارى بجرى النفاك ويحتمل أن طعمتكم منها لأنكم تحزنون بالبقر فالجب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بها كراه الإبل وتبعون تاجها وألبانها وجلودها ۝ من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشى بل هو من معازمها لأن الرعيان إذا روجوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينة بإراحتها وتسريحها الألفية وتجارب فيها الثغاء والرياء أنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون الناظرين إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سواكم وريشا (فإن قلت) لم قدمت الإراحة على التسريح (قلت) لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها ۝ وقرأ عكرمة حيناً تريحون وحيناً تسرحون على أن تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوم لا يجزى والد ۝ قرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد ۝ (فإن قلت) ما معنى قوله (لم تكونوا بالغية) كأنهم كانوا زماناً يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم (قلت) معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغية في التقدير لولم تخلق الإبل إلا ليجهد أنفسكم لأنهم لم يكونوا بالغية في الحقيقة (فإن قلت) كيف طابق قوله لم تكونوا بالغية قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها إليه (قلت) طابقه من حيث أن معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة فضلاً أن تحمّلوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغية بها إلا بشق الأنفس وقيل أثقالكم أجرامكم وعن عكرمة البلدة مكة (لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير) عطف على الأوزام أى وخلق هلالاً للركوب والزينة وقداحتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره في الأنعام ۝ (فإن قلت) لم انتصب (وزينة) (قلت) لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها (فإن قلت) فما لورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد (قلت) لأن الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة

(القول في سورة النحل)

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفاً ومنافع ومنها تأكلون (قال إن قلت لم قدم المجرور وأجاب بأن الأكل منها هو الأصل الخ) قال أحمد ومدار هذا التقرير على أن تقديم معمول الفعل يوجب حصره فيه فكأنه قال وإنما تأكلون منها ۝ قوله تعالى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغية إلا بشق الأنفس) قال إن قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغية قوله وتحمل أثقالكم الخ) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغية بها إلا بشق الأنفس واستغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها لأن العادة أن المسافر لا يستغنى عن أثقال يستصحبها والمعنى الأول أعلى والله أعلم ۝ قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة (قال إن قلت) هلاورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد الخ) (قال أحمد) يعنى فجاز أن ينصب مجرداً من لام التعليل لأنه فعل فاعل الفعل الأول ويعينه اقتران الركوب

(قوله وتجارب فيها الثغاء والرياء) الثغاء صوت الشاء والمعز وماشا كلهما والرياء صوت ذوات الخنزير كذا في الصحاح

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُمْ أَجْمَعِينَ ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

فعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبها زينة بغير واوى وخلقةها زينة لتركبها أو تجعل زينة حالاً منها أى وخلقتها لتركبها وهى زينة وجمال (ويخاق مالا تعلمون) يجوز أن يريد به ما يخاق فينا ولنا مما لانعلم كنهه وتفاصيله وبين علينا بذكره كما من بالأشياء المعلومه مع الدلالة على قدرته ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالأخبار بذلك وإن طوى عنا علمه لحكمة له في خطيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه ۝ المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف إليها القصد وقال ومنها جائر ۝ والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله (وعلى الله قصد السبيل) أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه كقوله إن علينا للهدى ۝ (فإن قلت) لم غير أسلوب الكلام فى قوله (ومنها جائر) (قلت) ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقبيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره والله يرى منه (ولو شاء لهداكم أجمعين) قسروا إجماعهم (لكم) متعلق بأنزل أو يشراب خبراً له

باللام لأنه فعل المخاطبين ومتى لم يتحدد الفاعل تعين لحاق اللام وفي هذا الجواب نظر فإن لقائل أن يقول كان من الممكن مجيئها مع باللام فيأتيان على سنن واحد ولاغرو في ذلك فالسؤال قائم والجواب العتيد عنه أن المقصود المعتبر الأصيل فى هذه الأصناف هو الركوب وأما التزين بها فأمر تابع غير مقصود قصد الركوب فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة للتعليل تنبها على أنه أهم الغرضين وأقوى السبيلين وتجرد التزين منها تنبها على تبعيته أو قصوره عن الركوب والله أعلم ۝ قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين (قال ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة الخ) قال أحمد ابن يذهب به عن تنمة الآية وذلك ۝ قوله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين ولو كان الأمر كما تزعم القدرية لسكان الكلام وقدهداكم أجمعين وما كأنهم إلا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فإن ذهبوا إلى تأويل الهداية بالقسر والإجماع فما كأنهم إلا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وأما المخالفة بين الأسلوبين فلأن سياق الكلام لإقامة حجة الله تعالى على الخلق بأنه بين السبيل القاصد والجائر وهدى قوما اختاروا الهدى وأضل قوما اختاروا الضلالة لأنفسهم وقد تقدم فى غير ما موضع أن كل فعل صدر على يد العبد فله اعتباران هو من حيث كونه موجوداً مخلوق لله تعالى ومضاف إليه هذا الاعتبار وهو من حيث كونه مقترناً باختيار العبد له وبناتيه له وتيسره عليه يضاف إلى العبد وأن تعدد هذين الاعتبارين ثابت فى كل فعل فناسب إقامة الحجة على العباد إضافة الهداية إلى الله تعالى باعتبار خلقه لها وإضافة الضلال إلى العبد باعتبار اختياره له والحاصل أنه ذكر فى كل واحد من الفعلين نسبة غير النسبة المذكورة فى الآخر ليناسب ذلك إقامة الحجة بالله البالغة والله الموفق للصواب

(قوله الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه) هذا مذهب المعتزلة ولا وجوب عليه تعالى عند أهل السنة بل ذلك فضل منه تعالى لكن الكريم يبرز الوعد بالخير فى صورة الواجب (قوله ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقبيل وعلى الله قصد السبيل) يعنى أهل السنة من أنه تعالى يخلق الشر كالخير . وقوله لقبيل الخ : الملازمة بموعه لأن الكريم يحب الخير دون الشر وإن كان كل منهما من عنده ۝ قل كل من عند الله (قوله ولو شاء لهداكم أجمعين قسراً وإجماعاً) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فإنه لو شاء لهدى الكل اختياراً وذلك أن المعتزلة أوجبوا على الله الصلاح وهداية الكل صلاح فظاهر الآية يخالف مذهبهم ولذا قالوا إنه أراد هداية الكل لكن إرادة لا تنافى تخيير العبد لئلا يبطل تكليفه وهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد وأهل السنة لم يوجبوا على الله تعالى شيئاً وكل ما أراد الله لا بد من وقوعه وهذه الإرادة لا تنافى اختيار العبد عندهم لما تقرر له من الكسب كما بين فى علم التوحيد

لَا يَأْتِي الْقَوْمَ بِتَفْكَرُونَ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ وَمَا ذَرَأْنَا بِكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا نَلْأَكُلُ مِنْهُ حَلًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُ مِنْهُ حَبْلَةً حَلِيبَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مِنْ آخِرِ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَعَلَّمَكُمْ تَشْكُرُونَ ۗ وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۗ وَعَلَّمَتْ بِالنُّجُومِ

والشراب ما يشرب (شجر) يعني الشجر الذي ثراه المواشي وفي حديث عكرمة لانا كلوا ثمن الشجر فإنه سحت يعني الكلاء (تسيمون) من سامت الماشية إذا راعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعى علامات في الأرض ۚ قرئ يثبت بالياء والنون ۚ (فإن قلت) لم قيل (ومن كل الثمرات) (قلت) لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة (بتفكرون) ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته ۚ والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم يثبت بالتحديد وقرأ أنى بن كعب يثبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب بالرفع ۚ قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أوعلى أن معنى تسخيرها للناس تصيرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره ويجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخراً كقولك سرحه مسرحاً كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ بنصب الليل والنهار ورفعهما ورفعهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال (إن في ذلك آيات لقوم يعقلون) فجمع الآية وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وما ذراً لكم) معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيات والمناظر (لحا طرياً) هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله خيفة الفساد عليه (فإن قلت) ما بال الفقهاء قالوا إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً فأكل سمكاً لم يحنك والله تعالى سماه لحماً كما ترى (قلت) منى الأيمان على العادة وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق أن لا يفهم منه السمك وإذا قال الرجل لغلामه اشتر بهذه الدراهم لحماً فجاء بالسمك كان حقيقاً بالإينكار ومثاله أن الله تعالى سمي الكافر دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف لابر كذب دابة فركب كافر لم يحنك (حلية) هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنما ذنبهم ولباسهم ۚ المخرشق الماء يحيزومها وعن الفراء هو صوت جرى الفلك بالرياح ۚ وابتغاء الفضل التجارة (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به إذا ركب البحر قيل خلق الله الأرض فجعلت نمر فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد

عاد كلامه إلى قوله لنا كلوا منه لحماً طرياً (قال هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه الخ) قال أحمد فكان ذلك تعليم لأكله وإرشاد إلى أنه لا ينبغي أن يتناول إلا طرياً والأطباء يقولون إن تناوله بعد ذهاب طراوته أضر شيء يكون والله أعلم ۚ عاد كلامه إلى قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها (قال الحلية هي اللؤلؤ والمرجان الخ) قال أحمد والله در مالك رضى الله عنه حيث جعل الزوج الحجر على زوجته فيما له بال من مالها وذلك مقدر بالزائد على الثلث لحفه فيه بالتجمل فانظر إلى مكنة حظ الرجال من مال النساء ومن زينتهن حتى جعل - بل المرأة من مالها وزينتها حلية له فعبر عن حظه في لبسها بلبسه كما يعبر عن حظها سواء مؤيدا بالحديث المروى في الباب والله أعلم ۚ قوله

(قوله ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه) في الصحاح طرو اللحم وطرى طراوة وطراوة وطراوة

هُم يَهْتَدُونَ ه أَفَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ه وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّا اللَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ه
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ه وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ه أَمْ هُم يُخْلِقُونَ
أَمْ هُم أَحْيَاءُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَمْ هُم يُعْبَتُونَ ه إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٍ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكِرَةٌ وَهُمْ

أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة م خلقت (وأناها) وجعل فيها أنهاراً لأن ألقى فيه معنى جعل الأثرى إلى قوله ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما استدلبه السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك ه والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نهم والجدي وفر الحسن وبالنجم بضمين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفاً (إذن قلت) قوله (وبالنجم هم يهتدون) مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فمن المراد بهم (قلت) كأنه أراد قريشاً كان لهم اهتداء بالنجوم في مسائرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا ه (فإن قلت) من لا يخلق أريد به الأصنام فلم جى بمن الذى هو لا أولى العلم (قلت) فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولى العلم الأثرى إلى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون والثانى المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعنى أن الآلهة حالهم منحة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لأنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا (فإن قلت) هو إلزام الذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفن لا يخلق كمن يخلق (قلت) حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبهها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفن يخلق كمن لا يخلق (لا تحصرها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلاً أن تطبقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عتد من نعمه تنبيهاً على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعقد (إن الله لغفور رحيم) حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أعمالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعونهم الكفار (من دون الله) وقرئ بالناء وقرئ يدعون على البناء للفعول ه نفى عنهم خصائص الإلهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى (أموات غير أحياء) أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أى غير جائز عليها الموت كالحى الذى لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير في يعشون للداعين أى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث أنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنعث والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء

تعالى أفن يخلق كمن لا يخلق الآية (قال إن قلت من لا يخلق أريد به الأصنام الخ) قال أحمد هو تحوم على أن العباد يخلقون أفعالهم وأن المراد إظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين الأصنام بطريق الأولى ولقد تمكن منه الطمع حتى اعتقد أنه يثبت خلق العبد لأفعاله بتنزيله الآية على هذا التاويل ويتمنى لو تم له ذلك ه وما كل ما يمتنى المرء يدركه ه عاد كلامه (قال إن قلت هو إلزام الذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله تعالى وكان من حق الإلزام الخ) قال أحمد وقد تقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى وليس الذكر كالأنى فجذبها عنها

مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الآواين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم إلا ساء ما يوزون قد مسكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول أين شركاءي الذين كنتم تشقون

يعنى أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبث بعده موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها (وما يشعرون أيان يبعثون) أي وما يعلم هؤلاء الآلهة التي تبث الأحياء تم كما بحالها لأن شعور الجراد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حتى إلا الحى القوم سبحانه ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أي لا يتكلم من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا تعلم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة (الحكم إله واحد) يعنى أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية غيره وأنها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأن ألوههم منكورة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها (لا جرم) حقا (أن الله يعلم) سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (إنه لا يحب المستكبرين) يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعنى المشركين ويجوز أن يعنى كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومهم (ماذا) منصوب بأنزل بمعنى أى شيء (أنزل ربكم) أو مرفوع بالابتداء بمعنى أى شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فعنى (أساطير الآواين) ما يدعون نزوله أساطير الآواين وإذا رفعت فالمعنى المنزل أساطير الآواين كقوله ماذا يتفقون قل العفو فيمزر رفع (فإن قلت) هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزلهم وأساطير (قلت) هو على السخرية كفر له إن رسولكم وهو كلام بعضهم البعض أرقول المسلمين لهم وقبل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مدخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أسألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الآواين وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم) أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا أوزار ضلالهم (كاملة) وبهض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريك هذا بضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر (بغير علم) حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل والقواعد أساطير البناء التي تبنى وقيل الأساس وهذا تمثيل يعنى أنهم سقوا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنو إنيانا وعمده بالأساطير فأتى البنيان من الأساطير بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبار قبل هو عمرو بن كنعان حين بنى الصرح بابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى إنيان الله إتيان أمره (من القواعد) من جهة القواعد (من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فأتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمين (يخزيهم) بذلهم بعذاب الخزي ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتهم يعنى هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة

(قوله لأن شعور الجراد محال) أى شعوره بما يشعر به الحيوان محال فكيف بشعره بما لا يعلمه حيوان وإنما يعلمه الحى القوم وهو وقت البعث ولعل في عبارة المصنف سقطاً تقديره شعور الجراد بما يشعر به الحيوان محال (قوله على السخرية كقوله إن رسولكم) لعله إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون (قوله ليمكروا بها الله ورسوله) لعل تعديبة فعل المكر إلى مفعول لتضمنه معنى الخديعة (قوله فائق بالبنيان من الأساطير) لعله البنيان بدون بناء الجتر كعبارة السمين

فِيهِمْ قَالِ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ه الَّذِينَ تَنَوَّفَهُمُ الْمَلَأَتْكَ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ
فَالْقُوا السَّلْمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ه فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
فَلَنْ تَسْمَوْا مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ه وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَلِدَارٌ أُخْرَىٰ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ه جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ه الَّذِينَ تَنَوَّفَهُمُ الْمَلَأَتْكَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ه هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَأَتْكَ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ه فَاصْبِرْ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ه

(شركائي) على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوهمهم بها على طريق الاستهزاء بهم (تشافقون فيهم) تعادون وتخاصمون
المؤمنين في شأهم ومعانهم وقرئ تشاقون بكسر التون بمعنى تشاقونني لأن مشاققة المؤمنين كأنها مشاققة الله (قال الذين أوتوا
العلم) هم الأنبياء والعلماء مرأهم الذين كانوا يدعوهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شتماً بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفاً لمن سمعه وقبلهم الملائكة ه قرئ توفاهم بالناء والياء وقرئ
الذين توفاهم بإدغام الناء في التاء (فألقوا السلم) فسالموا وأخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا
(ما كنا نعمل من سوء) وجددوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولوا العلم (إن الله عليم بما كنتم تعملون)
فهو يجازيكم عليه وهذا أيضاً من الشتمة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم ه خيراً) أنزل خيراً (فإن قلت) لم نصب هذا
ورفع الأتول (قلت) فصلا بين جواب المفترز وجواب الجاحد يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال
بيناً مكشوفاً مفعولاً للإيزال فما لوالخيراً أي أنزل خيراً وأوائك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين
وليس من الإيزال في شيء وروى أن أحياء العرب كانوا يعثون أيام المرسوم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا
جاء الوافد كفه المقتسمون وأمره بالانصراف وقالوا إن لم تلقه كان خيراً لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت إلى قري
دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم
الذين قالوا خيراً وقوله (الذين أحسنوا) وما بعده بدل من خيراً حكاية لقوله الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه
تسميته خيراً ثم حكاها ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ عدة للفاصلين ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه (حسنه)
مكافأة في الدنيا بإحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فأما الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعلم دار المتقين)
دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره و (جنات عدن) خير مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح
(طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمى أنفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل إذا أشرف العبد
المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ربي الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (أتيتهم الملائكة) قرئ بالناء
والياء يعني أن تأتيهم لقبض الأرواح و (أمر ربك) العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) أي مثل ذلك الفعل
من الشر والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) لأنهم فعلوا
ما استوجبوا به التدمير (سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم أو هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عتد
من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله استهزاء منهم به

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا لو شاء الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي أشركوا وحرموا حلال الله فلما نهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم (فهل على الرسل) إلا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان وبطلان الشرك وقبحه وبراهة الله تعالى من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم والله تعالى باعهم على جميلها ومرفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ۝ ولقد أمد لإبطال قدر السوء ومشية الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت (فمنهم من هدى الله) أي لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لأنه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير (فسيروا في الأرض فانظروا) ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبي في لكم شبهة في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالأشراك ثم ذكر عذاب قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وأنه

قوله تعالى ، وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ، إلى قوله ، ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة (قال يعني أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله الخ) قال أحمد قد تكبر منه مثل هذا العصل في أخت الآية المقدمة في سورة الأنعام وقد قدمنا حينئذ ما فيه مقنع إن شاء الله والذي زاده هنا يثبت معتقده على ما زعمه بقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ووجه تمسكه به أن الله تعالى قسم العبادة إلى قسمين مأمور به ومنهى عنه والأمر والنهي عند المصنف راجعان إلى المشيئة بناء على زعم القدرية في إنكار كلام النفس وحمل الإقضاء على الإرادة فالحاصل حينئذ من هذه التهمة أن الله شاء عبادة الخلق له وشاء اجتنابهم عبادة الطاغوت ولم يشأ منهم أن يشركوا به وأخبر بهذه المشيئة على لسان كل رسول بعثه إلى أمة من الأمم في التهمة مترجمة عن معنى صدر الآية مؤكدة بمقتضاها هذا هو الذي زاده المصنف وهنا وقد بينا أن مبناه على إنكار كلام النفس الثابت قطعا فهو باطل جزما والعجب أن الله تعالى أوضح في الآيتين جميعاً أن الذي أنكره من القائلين لو شاء الله ما أشركنا إنما هو احتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التي لا حجة لهم فيها مع ما خلق لهم من الاختيار بقوله وهنا فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وبقوله في آخر آية الأنعام فته الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فتبين فيما أنه هو الذي شاء منهم الإشراك والضلالة ولو شاء هدايتهم أجمعين لا هتدوا عن آخرهم وحصل من هذا البيان صرف الإنكار عليهم إلى غير نسبة المشيئة لله تعالى وذلك هو الذي قدمناه في إقامتهم الحجة على الله بمشيئته مع أن حججهم في ذلك داخضة والله عليهم الحجة البالغة الواضحة والله الموفق

(قوله وقالوا لو شاء الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه) يعني أهل السنة وليس كما قال بل قاله المشركون استهزاء وأهل السنة اعتقادا كما أفاده الذمفي وكل ما شاءه الله كان وما لم يشأ لم يكن شرا كان أو خيرا وكل أمر بقضائه تعالى وقدره شرا كان أو خيرا وهو الخالق لأفعال العباد وإن كانت بكسبهم واختيارهم خلافا للمعتزلة في جميع ذلك كما أطلال به فيما سيأتي هنا انتصارا للمعتزلة (قوله وركوه على ربهم) أي اتهموه به

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۚ إِنَّ تَحَرُّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ وَأَقْسَمُوا
بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ۝ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِأَجْرِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

(لا يهدي من يضل) أي لا يطفئ بمن يخذل لأنه عبث والله تعالى متعال عن العبث لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز
عليه وقرئ لا يهدي أي لا تقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله وقرله (وما لهم من ناصرين) دليل على أن المراد
بالإضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز أن يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدي وفي قراءة
أبي فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدي على البناء للفعول وفي قراءة عبد الله يهدي
يادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للأولى وقرئ يضل بالفتح ۝ وقرأ النخعي إن تحرص بفتح الراء وهي لغية (وأقسموا
بالله) معطوف على وقال الذين أشركوا إيدانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بأن تحكما وتدوناتورك
ذنوبهم على مشيئة الله وإنكارهم البعث مقسمين عليه و(بلى) إثبات لما بعد النبي أي بلى ببعثهم ۝ ووعد الله مصدر
مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعود من الله وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة (ولكن أكثر
الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله لأنهم يقولون لا يجب على الله شيء لاثواب عامل ولا غيره
من مواجب الحكمة (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للؤمنين
والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم) كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا
فيه وإنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب (قولنا) مبتدأ (أن نقول) خبره و(كن فيكون) من كان التامة التي
بمعنى الحدوث والوجود أي إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له يحدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل
لأن مرادا لا يمتنع عليه وأن وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الأمر المطاع إذا ورد على
المأمور المطيع الممثل ولا قول ثم المعنى أن إيجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من
شق المقدورات وقرئ فيكون عطفاً على نقول (والذين هاجروا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظلمهم أهل مكة
ففرروا بدينهم إلى الله منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة لجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر إلى المدينة وقيل هم
الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب
وخباب وعمار وعن صهيب أنه قال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم
بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله
لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخاف الله ناراً لأطاعه فكيف (في الله) في حقه ولوجهه (حسنة) صفة للمصدر أي
لنبؤأنهم تبوءة حسنة وفي قراءة على رضي الله عنه لثوبتهم ومعناه أثوة حسنة وقيل لنزلهم في الدنيا منزلة حسنة وهي

(قوله وقرئ لا يهدي) أي بالبناء المجهول كما أفاده النسفي (قوله وفي قراءة أبي فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل) ظاهره
أن هذه قراءة أخرى لأبي فليحذر (قوله توريتك ذنوبهم على مشيئة الله) أي نسبة ذنوبهم إلى مشيئة تعالى وانها ما بها
(قوله أو أنه وعد واجب على الله الخ) الكلام في الكفار وعرض فيه المصنف بأهل السنة تعصبا لله تنزلة في قولهم بوجوب
الصالح عليه تعالى فافهم (قوله لو لم يخاف الله ناراً لأطاعه فكيف) أي فكيف لا يطيعه وقد خافها من عصى

يَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝
أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
فِي تَقْلِبِهِمْ فَتَمُدَّ جُنُودَهُمْ عَلَيْهِمْ جُنُودًا عَلَيْهِمْ سُرُورًا ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
يَتَفَيَّؤُا ظَالِمًا لِّلْأَعْيُنِ مِنَ السَّمَاءِ لَوْلَا سُجُّدَ اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالسَّمَاءِ كُلِّهَا وَإِن لَّمْ يَسْجُدْ لِّلَّهِ لَمَّا كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ
مُتَبَعِينَ ۝ وَمَا يَرْتَدُّ لَدُنَّ عَذَابُ اللَّهِ حَتَّىٰ يُعْذَبَ بِهِمُ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَهُ قُدْرَةٌ عَظِيمٌ ۝

الغلبة على أهل مكة الذين ظلمهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وعن عمر رضى الله عنه أنه كان إذا
أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعد ربك في الدنيا وما ذكر لك في الآخرة أكثر
وقيل لبناهم مائة حسنة وهى المدينة حيث آوأم أهلها ونصروهم (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار أى لو علموا
أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين فى أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا فى دينهم ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين أى
لو كانوا يعلمون ذلك لزدوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على هم الذين صبروا أو أعنى الذين صبروا وكلاهما
مدح أى صبروا على العذاب وهلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط
رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الأرواح فى سبيل الله ۝ قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فقيل (وما
أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يوحي إليهم) على السنة الملائكة (فاستلوا أهل الذكر) وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم
يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً ۝ (فإن قلت) بهم تعلق قوله (بالبينات) (قلت) له متعلقات شتى فأما أن يتعلق بما
أرسلنا داخل تحت حكم الاستثناء مع رجالات أى وما أرسلنا إلا رجالات بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط
لأن أصله ضربت زيدا بالسوط وإما برجالاً صفة له أى رجالات ملتبس بالبينات وإما بأرسلنا مضمراً كأنما قيل بم
أرسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والأول على كلام واحد وإما بيوحى أى يوحي إليهم بالبينات وإما بلا تعلمون
على أن الشرط فى معنى التبيكيت والإلزام كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطينى حتى وقوله فاستلوا أهل الذكر
اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتذية للغافلين (منازل
إليهم) يعنى منازل الله إليهم فى الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا (ولعالمهم يتفكرون) وإرادة أن يصغوا
إلى تنبيهاته فيتنبهوا وبنأملوا (مكروا السيئات) أى المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم (فى قلبهم) منقلبين فى مسائرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم (على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قلبهم
فيتخوفوا فياخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته
وتخوته إذا تنقصته قال زهير
تخوف الرجل منها ما كقردا ۝ كما تخوف عود النبعة السفن

أى بأخذهم على أن يتنقصهم شيئاً بعد شيء فى أنفسهم وأولهم حتى يهلكوا وعن عمر رضى الله عنه أنه قال على المنبر
ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها
قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن
فيه تفسير كتابكم (فإن ربكم لرؤوف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم ۝ قرئ أو لم يروا ويتفؤوا
باليام والنساء ۝ وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شئ يتفؤوا ظلاله) ۝ واليمين بمعنى الإيمان و (سجداً) حال من الظلال

(قوله وما مكروا به رسول الله ﷺ) ضمن المكروا معنى الخدع فعدى إلى المفعول (قوله ناما كقردا كما تخوف عود النبعة السفن)
تمك السنم فهو نامك طال وارفع وقرد الصوف فهو قرد كحذر تلبو وتمعط وتقطع والسفن ما يفحت به الشئ كذا فى الصحاح

دَابَّةً وَالْمَلَكُوتُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ه يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ه وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا
إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَإِنِ يَفْرَهُبُونَ ه وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيَّرَ اللَّهُ

(وهم داخرون) حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيانها وشمالها أي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله غير متممة عليه فيما ينجزها له من النفیو والإجرام في أنفسها داخرة أيضاً صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع (من دابة) يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الأرض جميعا على أن في السموات مخلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناس في الأرض وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده ويراد بما في السموات الملائكة وكثر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهم وبقره والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم (فإن قلت) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (قلت) المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لإرادة الله وأنها غير متممة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد (فإن قلت) فهلاجيء بمن دون ما تغلبا للعقلاء من الدواب على غيرهم (قلت) لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغلب فكان متاولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم (يخافون) يجوز أن يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين وأن يكون لئني الاستكبار وتأكيذا له لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته (من فوقهم) إن علقته يخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وإن علقته برهبهم حالامنه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقولهم وهو القاهر فوق عباده وإنما فوقهم قاهرون وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء ه (فإن قلت) إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عنده رجل ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله إلهين اثنين (قلت) الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية

قوله تعالى والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة الآية (قال إن قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد الخ) قال أحمد وهذا ما يتمسك به لمن اختار تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازة شمولاً ولم ير ذلك متناقضا فإن السجود يتناول فعل المكلف حقيقة ويتناول حال غير المكلف بطريق مجاز التشبيه وقد أريد جميعا من الآية والزخشرى ينكر ذلك في مواضع مررت عليها من كتابه هذا وظاهر مراده ههنا أن السجود عبارة عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف وهو عدم الامتناع عند القدرة وغرضه من ذلك أن يكون اللفظ متواطئا فيهما جميعا ليسم من الجمع بين الحقيقة والمجاز لأنه بأبي ذلك ولا يتم له هذا المقصد في الآية والله أعلم لأن كونها آية سجدة يدل على أن المراد من السجود المذكور فيها منسوبا للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعا الذي يكون ذكره سببا لفعله سببية معتادة في عزائم السجود لا القدر الأعم المشترك والله أعلم ه قوله تعالى وهم لا يستكبرون يخافون (قال فيه يجوز أن يكون حالا من الضمير الخ) قال أحمد هذا هو الوجه الثاني ليس الأول وأما الحال فيعطى انتقالا ويومهم تقيد بعدم استكبارهم مع أن الواقع أن عدم استكبارهم مطابق غير مقيد بحال والله الموفق ه قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد (قال إن قلت ما فائدة قوله اثنين مع

تَقْرُونَ ۝ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا
مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَقْرُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَدَنُ سَبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۝ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ
بِالْإِنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتُورَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي

والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل
به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلهية
لا الوحدانية (فإياي فارهبون) نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم وجاز لأن الغائب هو المنتكلم وهو من طريقة الالتفات
وهو أبلغ في الترهيب من قوله وإياه فارهبوه ومن أن يجيء ماقبله على لفظ المنتكلم (الدين) الطاعة (واصبا) حال عمل
فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب
أى وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا أو وله الجزاء ثابتا دائما سرمد لا يزول يعنى والثواب العقاب
(وما بكم من نعمة) أى شىء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله (فإليه تجأرون) فإيا تنضرعون لإلايه والجوار
رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى يصف راهبا يراوح من صلوات المليك ۝ لك طور اسجودا وطورا جورا
وقرى تجرون بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم ۝ وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى
من كشف لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة ۝ (فإن قلت) فما معنى قوله (إذا فريق منكم برهبهم يشركون) (قلت) يجوز
أن يكون الخطاب فى قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن يكون الخطاب للشركين
ومنكم للبيان لا للتبويض كأنه قال فإذا فريق كافروهم أتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم إلى البر ففهم
مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة (فتمتعوا فسوف
تعلمون) تخلية ووعيد وقرئ فتمتعوا بالياء مبني للمفعول عطفًا على ليكفروا ويجوز أن يكون ليكفروا فتمتعوا من
الأمر الوارد فى معنى الخذلان والتخلية واللام لام الأمر (لما لا يعلمون) أى لألهتهم ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها
آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها أنها جاد لا يضر ولا ينفع فهم إذا جاهلوا بها
وقبل الضمير فى لا يعلمون للآلهة أى لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزرعهم أم لا
وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا إليهم (لتسئلن) ووعيد (عما كنتم تقفرون) من الإفك فى زعمكم أنها آلهة وأنها أهل للتقرب
إليها ۝ كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الوالد إليه أو تعجب من قولهم
(ولهم ما يشتهون) يعنى البنين ويجوز فى ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أى
وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور و(ظل) بمعنى صار كما يستعمل يات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ويجوز
أن يجيء ظل لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره معتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم)

إغناه الثنية عن ذلك الخ) قال أحد وهذا الفصل من حسناته التى لا يدافع عنها والله الموفق قوله تعالى وإذا بشر
أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم الخ) قال فيه ظل بمعنى صار قال أحد وجاز أن يراد الظلول نهاراً لقصد

(قوله راهبا يراوح من صلوات المليك) فى الصحاح المراوحة فى العملين أن يعمل هذا مرة وهذا مرة
(قوله ويجوز أن يجيء ظل الخ معتما مربد الوجه) أى يرد ويستعمل فى الآية بمعناه الأصيل وهو اتصاف الشىء
بصفة نهاراً فقط لأن أكثر الوضع الخ ومربد الوجه متعبسه من الغضب كما يفيد الصراح

الْتُرَابِ الَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الَّا عُلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝
 وَلَوْ يَوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
 لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السُّنْتَهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ
 لَا جُرْمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ۝ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ
 وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

علموه حنقا على المرأة (بتواري من القوم) يستخفي منهم (من) أجل (سوء) المبشر به ومن أجل تعبيرهم ويحدث نفسه
 وينظر أي مسك ما بشر به (على هون) على هوان وذل (أم يدسه في التراب) أم يثده ۝ وقرئ أي مسكها على هون أم يدسها
 على التأنيت وقرئ على هوان (الاساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من
 هو على عكس هذا الوصف (مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة إلى الاولاد الذكور وكرهه الإناث وأودهن
 خشية الإملاق وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ (ولله المثل الأعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين
 وهو الجراد الكريم (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) أي على الأرض (من دابة) قط ولاملكها كلها
 بشؤم ظلم الظالمين وعن أبي هريرة أنه سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله حتى أن الحباري
 لموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود إذا جعل يهلك في حجره بذنوب ابن آدم أو من دابة ظالمة وعن
 ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء (ويجعلون لله ما يكرهون)
 لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسائهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له أرذل أموالهم
 ولا صناعاتهم أكرهها (وتصف السنتهم) مع ذلك (أن لهم الحسنی) عند الله كقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده
 للحسنى . وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوى اليسار كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع إلى
 السلاطين وأعوامهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة وإذا قال هاتوا ما دفع إلى فيؤتى بالكسور والخرق
 ومالا يؤبه له أما استحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد إن لهم الحسنی هو قول قريش لنا البنون وإن لهم
 الحسنی بدل من الكذب ۝ وقرئ الكذب جمع كذوب صفة اللأسنه (مفراطون) قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففاً
 ومشدداً فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلانا وفزطته في طلب الماء إذا قدمته وقيل منسيون
 متروكون من أفرطت فلانا خافي إذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الإفراط في المعاصي والمشدد من التفريط
 في الطاعات وما يلزمهم (فهو وليهم اليوم) حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها أوفوه وليهم في الدنيا

المبالغة في وصفهم بالعناد والإصرار وأنهم لو عرجوا نهرا في الوقت الذي يتغابي على البصر فيه شيء إلى السماء لتمادوا
 على كفرهم وتكذيبهم والله أعلم ۝ قوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب أن لهم الحسنی (قال المراد
 بما يكرهونه البنات وشركاء في رياستهم واستخفاف برسائهم الخ قال أحمد ونقيض هؤلاء من إذا أعجبه شيء من ماله جعله
 لله بل إذا أحب أمه له أعتقها وإذا اشتهى طعاما قدم إليه تصدق به على حبه وإنما ينقل مثل هذا عن السلف الصالح من
 الصحابة كابن عمر ونظرائه ومن تابعهم فيها ويجعلون لله ما يشتهون اللهم إن لم تنل رتبة أوليائك فأنلنا محبتهم فمن
 أحب قوما حشر معهم

(قوله أم يثده وقرئ أي يدفنه في القبر حيا)

يُؤْمِنُونَ ۚ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۚ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِيبًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۚ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ

لجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين أو يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار أي فهو ناصرهم اليوم لناصر لهم غيرة نفيًا للناصر لهم على أبلغ الوجوه ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش أنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم (وهدي ورحمة) معطوفان على محل لتبين إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب ۚ ودخل اللام على لتبين لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل وإنما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل ۚ والذي اختلفوا فيه البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب وأشياء من التحريم والتحليل والإنكار والإقرار (لقوم يسمعون) سماع إنصاف ونذر لأن من يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع ۚ ذكر سيويه الإنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم ثوب أ كياش ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع ويجوز أن يقال في الأنعام وجهان أحدهما أن يكون تكثير نعم كأجبال في جبل وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كنعم فإذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه ۚ يلقحه قوم وتنتجونه

وإذا أنت فقيه وجهان أنه تكسير نعم وأنه في معنى الجمع ۚ وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقبل نسقيكم (من بين فرث ودم) أي يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتفانه ويذره ويذنها برزخ من قدرة الله لا ينبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قبل إذا أكلت البهيمة العاف فاستقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً والكبد مساطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل . وسئل شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سائغاً) سهل المرور في الحلق ويقال لم ينعص أحد باللبن قط وقرئ سائغاً بالتشديد وسائغاً بالتخفيف كهيبن ولين (فإن قلت) أي فرق بين من الأولى والثانية (قلت) الأولى للتبويض لأن اللبن بعض مافي بطونها كقولك أخذت من مال زيد ثوباً والثانية لابتداء الغاية لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبدأ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالاً من قوله لبناً مقدماً عليه فيتعاقب بمحذوف أي كائناً من بين فرث ودم الأثرى أنه لو تأخر فقبل لبناً من بين فرث ودم كان صفة له وإنما قدم لأنه موضع العبرة فهو قن بالتقديم وقد اجتج بعض من يرى أن المنى طاهر على من جعله نجساً لجريه في مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهراً ۚ (فإن قلت) هم تعلق قوله (ومن ثمرات النخيل والأعناب) (قلت) بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكرًا) بيان وكشف عن كنه الإسقاء أو يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من أرمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكرًا ووزقاً حسناً لأنهم يأكلون بعضها وتتخذون من بعضها السكر (فإن قلت) فالإلام يرجع الضمير في منه إذا جعلته ظرفاً مكثراً (قلت) إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير

(قوله كقولهم ثوباً كياس) غير موجود في الصحاح فليُنظر في غيره (قوله أن يكون تكثير نعم) لعله تكسير بالسين

أَنْ أُتَخَذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ه ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ

كارجع في قوله تعالى أوهم قائلون إلى الأهل المحذوف والسكر الخربسيت بالمصدر من سكر سكرأ وسكرأ نحو رشد رشدأ ورشدأ قال: وجاؤنا بهم سكر علينا ه فأجلى اليوم والسكران صاحي

وفيه وجهان أحدهما أن تكون منسوخة ومن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر للنيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشندوه وحلال عند أبي حنيفة إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية بقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة ولقد صنف شيخنا أبو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النيذ فلما شيخ وأخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تقوى به فأبى فقيل له فقد صفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمح في المروءة وقيل السكر الطعم وأنشد ه جعلت أعراض الكرام سكرأ ه أى نقلت بأعراضهم وقيل هو من الخروانه إذا أبترك في أعراض الناس فكأنه تخمر بها ه والرزق الحسن الخل والزب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز أن يحمل السكر رزقا حسنا كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن . الإيحاء إلى النحل إلهامها والقذف في قلوبها وتعليقها على وجه هو أعلم به لاسبيل لأحد إلى الوقوف عليه وإلا فقيتها في صنعها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كأولى أولى العقول عقولهم ه وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحل بفتحين وهو مذكر كالنخل وتأنيته على المعنى (أن اتخذى) هى أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول ه قرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تعسل فيها الضمير في يعرشون للناس (فإن قلت) ما معنى من في قوله أن اتخذى (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) وهلا قيل في الجبال وفي الشجر (قلت) أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها (من كل الثمرات) إحاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها أى ابني البيوت ثم كلت من كل ثمرة تشبهها فإذا أكلتها (فاسلكي سبل ربك) أى الطرق متى ألهمك وأفهمك في عمل العسل أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك أى في مسالكه التي يحبل فيها بقدرته النور المزعسلا من أجوافك ومنافذ ما كلك أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغنى أنها ربما أجذب عليها ما حوطا قسافر

ه قوله تعالى ه وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ه (قال قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها الخ) قال أحمد وبتزيين هذا المعنى الذي نه عليه الزمخشري في تبعض من المتعلقة باتخاذ البيوت بإطلاق الأكل كأنه تعالى وكل الأكل إلى شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه وإن حجر عليها في البيوت وأمرت باتخاذها في بعض المواضع دون بعض لأن مصلحة الأكل حاصلة على الإطلاق باستمرار مشتهاها منه وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها في كل موضع ولهذا المعنى دخلت ثم لتفارت الأمر بين الحجر عليها في اتخاذ البيوت والإطلاق لها في تناول الثمرات كما تقول راع الحلال فيما تأكله ثم كل أى شئ شئت فتوسط ثم لتفاوت الحجر والإطلاق فسبحان اللطيف الخبير

(قوله فأجلى اليوم والسكران صاحي) يتعدى ولا يتعدى كما في الصحاح (قوله فلما شيخ وأخذت منه السن العالية) في الصحاح شاخ الرجل يشيخ شيئا بالتحريك وشيخ تشيخا أى شاخ (قوله فقال تناولته الدعارة) في الصحاح الدعارة الفسق والخبث (قوله وقيل السكر الطعم) في الصحاح الطعم بالضم الطعام (قوله أى نقلت بأعراضهم) في الصحاح النقل بالضم ما يتنقل به على الشراب (قوله وإنه إذا أبترك في أعراض) في الصحاح أبترك أى أسرع في العدو وجد (قوله وإلا فقيتها في صنعها) أى تأنتها أفاده الصحاح (قوله بالثمرات التي تجرسها النحل) في الصحاح الجرس الصوت الخفي وجرست النحل العرفط إذا أكلته وفيه أيضا العرفط شجر من العضاء وفيه العضاء كل شجر يعظم وله شوك

زَلَّلَا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ لَوْنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
 ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمَنْ لَكُمْ مِنْ بَرْدِ إِلَى أَرْذَلِ الْعَمْرِ لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ وَاللَّهُ فَضْلُ بَعْضِكُمْ
 عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ قَسَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَّآدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفْبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝
 وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
 وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

إلى البلد البعيد في طلب الجمعة أو أراد بقوله ثم كلي ثم اقصدى أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك (ذلا) جمع
 ذلول وهي حال من السبل لأن الله ذللها لها ووطأها وسهاها كقوله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا أو من الضمير في فاسلكي
 أي وأنت ذلل منقادا لما أمرت به غير متمتعة (شراب) يريد العسل لأنه مما يشرب (مختلف ألوانه) منه أبيض وأسود وأصفر
 وأحمر (فيه شفاء للناس) لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه
 العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره إما بتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه
 بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء إليه فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اذهب
 واسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فأنفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله
 فبرأ كما أنشط من عقال وعن عبدالله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاء من
 القرآن والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدي إنما النحل بنو هاشم
 يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور
 فاتخذوه أضحية من أضاحيكم (إلى أزدل العمر) إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة وعن علي رضي الله عنه
 وتسعون سنة عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم (لكي لا يعلم بعد علم شيئا) ليصير إلى حالة شديدة بحال الطفولة في النسيان
 وأن يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه وقيل لثلاث يعقل من بعد عقله الأول شيئا وقيل لثلاث يعلم زيادة علم على دله أي
 جعلكم متفاوتين في الرزق فزرقتكم أفضل مما رزق مما ليحكم وهم بشر مثلكم وإخوانكم فكان ينبغي أن تردوا فضل
 ما رزقتهم عليهم حتى تتساووا في الملابس والمطعم كما يحكي عن أبي ذر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إنما هم
 إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما روى عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره
 من غير تفاوت (أفبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء
 فقال لهم أتم لاتسؤون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف
 رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى أن الموالى والمماليك أنا رازقتهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن
 الموالى أنهم يردون على مماليتكم من عندهم شيئا من الرزق فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم وقرئ يجحدون
 بالناء والياء من (أنفسكم) من جنسكم وقيل هو خاق حواء من ضلع آدم والحفدة جمع حافذ وهو الذي يحفد أي يسرع
 في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعي ونحفد وقال حفد الولائد بينهن وأسلبت بكافهن أزمة الأجمال
 واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل المعوى وجعل
 لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكرأ ورزقا حسنا
 كأنه قيل وجعل لكم من أولادهم بنون وهم حافدون أي جامعون بين الأمرين (من الطيبات) يريد بعضها لأن كل
 الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركاتها

(قوله فقيل هم الأختان على البنات) في الصحاح الحفدة الأعوان والخدم وفيه أيضا الحنن بالتحريك كل من كان من
 قبل المرأة كالأب والأخ وهم الأختان كذا عند العرب وأما عند العامة فحن الرجل زوج ابنته اه فلعل أيضا ضمن الأختان

يُؤْمِنُونَ وَبَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

وشفاعتها وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا أمانة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن ۝ ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذى عقل وتمييزهم كافرين بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم ۝ الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به (شيئا) كقوله أو إطعام يتبها على لا يملك أن يرزق شيئا وإن أردت المرزوق كان شيئا بدلالته بمعنى قليلا ويجوز أن يكون تأكيذا للإيتماع شيئا من الملك ۝ ومن السموات والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا أو صفة إن كان اسما لما يرزق والضمير في (ولا يستطيعون) لما لأنه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على الاضطرار ويجوز أن يكون للكفار بمعنى ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أو لو ألباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به (فإن قلت) ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما إلا شيء واحد (قلت) ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وإنما المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم أصلا لأنهم هوات إلا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة للتوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا ينأت ذلك منهم ولا يستقيم (فلا تضربوا الله الأمثال) تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به لأن من يضرب الأمثال مشبه حاله بحال وقصة بقصة (إن الله يعلم) كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يرازيه في العظم لأن العقاب على مقدار الإثم (وأنتم لا تعلمون) كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جرم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل لله عن الشرك ويجوز أن يراد فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ۝ ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في إشراككم بالله الأوثان من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قدر رزقه الله ما لا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء (فإن قلت) لم قال (مملوكا لا يقدر على شيء) وكل

قوله تعالى فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون (قال تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به الخ) قال أحمد وفعل تفسيره الأول يكون قوله لله متعلقا بالأمثال كأنه قيل فلا تمثلوا الله ولا تشبهوه وعلى الثاني يكون متعلقا بالفعل الذي هو تضربوا كأنه قيل فلا تمثلوا الله الأمثال فإن ضرب المثل إنما يستعمل من العالم لغير العالم ليبين له ما خفي عنه والله تعالى هو العالم وأنتم لا تعلمون فتمثيل غير العالم للعالم عكس للحقيقة والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال فإن قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء الخ) قال أحمد والقول بصحة ملكه هو مذهب الإمام مالك رضي الله عنه وفي هذه الآية له معنصم لأن الله تعالى مثل بالمملوك لأنه مظنة العجز وعدم الملك والتصرف غالبا ثم أفصح عن المعنى المقصود وهو أن هذا المملوك ليس بمن اتفق أن ملكه سيده فملك وقدر بل هو على الأصل المعهود في الممالك عاجز غير قادر ولو لم يكن ملك العبد متصورا ومعهودا شرعا وعرفا لكان قوله تعالى لا يقدر على شيء كالتكرار لما فهم من قوله عبدا مملوكا وقول القائل يقول إنه احتراز من المكاتب بعيد من فصاحة القرآن فإنه لو كان العبد لا يصح منه ملك البتة إلا في حال الكتابة لكانت إرادته حينئذ من إطلاق اللفظ كالإلغاز الذي لا يعهد مثله في بيان القرآن واستيلائه على صنوف البلاغة ومثل هذا أنكره الإمام أبو المعالي على من حمل قوله عليه السلام أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها على الكتابة لبعث القصد إليها على شذوذها وأما الاحتراز به عن المأذون له فينبغي على القول بأن المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف وإن لم يكن المأذون له مالكا عند هذا القائل وهذا بعيد عن مطابقة قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فإنها

لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ
بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُهُ
السَّاعَةَ إِلَّا كَلِمَةٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ

عبد مملوك وغير قادر على التصرف (قلت) أما ذكر المملوك فليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً لأنهما
من عباد الله وأما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد
هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه لا يصح له (فإن قلت) من في قوله (ومن رزقناه) ما هي (قلت) الظاهر أنها
موصوفة كأنه قيل وحرراً رزقناه ليطابق عبداً ولا يمتنع أن تكون موصولة (فإن قلت) لم قيل (يستون) على الجمع (قلت)
معناه هل يستوي الأحرار والعبيد ۚ الأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أي نقل
وعيال على من يلي أمره ويعوله (أبناء وجهه) حيثما يرسله ويصرفه في مطاب حاجة أو كفاية مهم لا ينفع ولم يأت بنجح
(هل يستوي هو ومن) هو سليم الحراس نفاعاً ذو كفايات مع رشد وديانة فهو (بأمر) الناس (بالعدل) والخير (وهو)
في نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده
ويشملهم من آثار رحمة وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأضنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع ۚ وقرئ أينما
يوجهه بمعنى أينما توجه من قرهلم أينما أوجه ألق سعداً وقرأ ابن مسعود أينما يوجه على البناء للفعول (والله غيب السموات
والأرض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على
أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم (إلا كليم البصر أو هو أقرب) أي هو عند الله وإن
تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقر بونه هو كليم البصر أو هو أقرب إذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله
ويستعجلونك بالعذاب وإن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون أي هو عنده دان وهو عندهم
بعيد وقيل المعنى أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين يكون في أقرب وقت وأوحاه
(إن الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده
ۚ قرئ أمهاتكم بضم الهمزة وكسرهما والهاء مزيدة في أمات كما زيدت في أراق فقيل أهراق وشدت زيادتها في الواحدة
قال ۚ أمهتي خذف والياس أبي (لا تعلمون شيئاً) في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم

توجب أن يكون المراد بقوله لا يقدر على شيء لا يملك شيئاً من الرزق كما تقول في الحر المفلس فلان لا يقدر على شيء
أي لا يملك شيئاً يقدر على التصرف فيه فتلخص من هذا البحث أن في الآية مجالاً لنصرة مذهب مالك وإن كان لقائل
أن يقول هذه الصفة لازمة كالإيضاح لفائدة ضرب المثل بالمملوك كأنه قيل وإنما ضربنا المثل بالمملوك لأن صفته
اللازمة له وسمته المعروفة به أنه لا يقدر على شيء أي لا يصح منه ملك وكثيراً ما يجيء الحال والصفة لا يقصد بواحد
منهما تقييد ولا تخصيص ولكن لإيضاح وتفسير ومن ذلك قوله تعالى ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا يبرهان له به فقوله
لا يبرهان له به لا يقصد به تمييز له سوى الله من إله لأن كل مدعق إلهاً غير الله تعالى لا يبرهان به وإنما أريد أن عدم
البرهان من لوازم دعاه إله غير الله تعالى فهذا أقصى ما يمكن أن ينتصر به للقائل بعدم صحة ملك العبد ولنا أن تقول في
دفعه أن الأصل في الصفة والحال وشبههما التخصيص والتقييد وأما الوارد من ذلك لازماً فنادر على خلاف الأصل والله الموفق

معنى الأعوان أو الخلفاء فعدها بعلى : وفي الخازن عن ابن مسعود : الحفدة أختان الرجل على بناته (قوله وأوحاه) أي

مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِئَاتًا إِلَىٰ حِينٍ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَسْلُبُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝

في البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة وقوله (وجعل لكم) معناه وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى إلى ما يسفدكم ۝ والأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة إذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير لجرت ذلك المجرى ۝ قرئ ألم يروا بالناء والياء (مسخرات) مدلالات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المتواتية لذلك والجوق الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو والسبك أبعده منه واللوح مثله (ما يمسكهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (إلا الله) بقدرته (من بيوتكم) التي تسكنونها من الحجر والمدر والأخبية وغيرها ۝ والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن إليه وينقطع من بيت أو ألف (بيوتا) هي القباب والأبنية من الأدم والأنطاع (تستخفونها) ترونها خفيفة الحمل في الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) أي يوم ترحلون خف عليكم حماتها ونقاها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها أو هي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعا على أن اليوم بمعنى الوقت (ومتاعا) وشيئا ينتفع به (إلى حين) إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يلبى وبقي أو إلى أن تموتوا ۝ وقرئ يوم ظعنكم بالسكون (مما خلق) من الشجر وسائر المستظلات (أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف (سراويل) هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والفظن وغيرها (تقيم الحز) لم يذكر البرد لأن الوقاية من الحز أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما بقي من الحز بقي من البرد فدل ذكر الحز على البرد (وسراويل تقيم بأسكم) يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره (لعالمكم تسلبون) أي تنظرون

قوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم (قال المراد يخف عليكم حماتها ونقاها الخ) قال أحد والتفسير الأول أولى لأن ظهور المنة في خفتها إنما يتحقق في حال السفر وأما المستوطن فغير مثقل وما أحسن قول الزمخشري في يوم إقامتكم أن المراد خفة ضربها وسهولة ذلك عليهم والله أعلم ۝ قوله تعالى وجعل لكم سراويل تقيم الحز وسراويل تقيم بأسكم (قال هي القمصان والثياب من الصوف والكتان وغيرها الخ) قال أحد يعني عند العرب وخصوصا قطان الحجاز وهم الأصل في هذا الخطاب ۝ عاد كلامه (قال وقيل إن ما بقي الحز بقي البرد فدل ذكره) قال أحد والأول أظهر الأثرى إلى تقديم المنة بالظلال التي تبقى من الضحاح في قوله تعالى جعل لكم مما خلق ظلالا فدل على أن الأهم عند المخاطبين وقاية الحز فإذن الله عليهم بأعظم نعمه موقعا عندهم وقول القائل إن ما بقي الحز بقي البرد مشهود عليه بالعرف فإن الذي يتقى به الحز من القمصان رقيقها ورفيعها وليس ذلك من لبوس البرد بل لولبس الإنسان في كل

وأسرعه أفاده الصحاح (قوله والأسباب المتواتية لذلك) في الصحاح آتيته على ذلك الأمر مؤاناة إذا وافقته والعامية تقول واتيته (قوله في سمت العلو والسبك أبعده منه) في الصحاح السبك والسبكاكة الهواء الذي يلاقى أعنان السماء وفيه أيضا أعنان السماء صفائحها وما اعترض من أقطارها والعنان بالفتح السحاب (قوله يريد الدروع والجواشن والسربال) في الصحاح الجوشن الصدر والجوشن الدرع

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ۝ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ
أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ
لَكَاذِبُونَ ۝ وَالْقَوْلَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ۝ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ

في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتتقادون له وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو تسلم قلوبكم
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فإن تولوا) فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أدبت ماوجب عليك
من التليخ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب (يعرفون نعمت الله) التي عددناها حيث يعترفون بها وأنها
من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعه آلهتنا وقيل إنكارهم قولهم ورثناها
من آباؤنا وقيل قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله وإنما لا يجوز التكلم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنها من الله
وأنه أجراها على يد فلان وجعله سببا في نياها (وأكثرهم الكافرون) أي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة
محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم (فإن قلت) ما معنى ثم (قلت)
الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر (شهدا) نبيها
يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق والتكفير والتكذيب (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل
بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن (ولاهم يستعجبون) ولهم يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا
ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل (فإن قلت) فما معنى ثم هذه (قلت) معناها أنهم يمتنون بعد شهادة الأنبياء بما هو أطم منها
وهو أنهم يمتنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إبداء بحجة ۝ وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم
نعت أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك إذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون)
كقوله بل تأتيهم بغتة فتنتهم الآية ۝ إن أرادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى (شركاؤنا) آلهتنا التي دعوناها شركاء وإن أرادوا
الشياطين فلائهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في النفي و (ندعوا) بمعنى نعبده (فإن قلت) لم قالوا (إنكم لكاذبون)
وكانوا يعبدونهم على الصحة (قلت) لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكانت عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول
الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لأنهم يقيم المعبودون دوننا أو كذبوهم في تسميتهم
شركاء وآلهة تنزيها لله من الشريك وإن أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكون كاذبين في قولهم إنكم لكاذبون كما يقول
الشیطان إني كفرت بما أشركتموني من قبل (والقوا) يعني الذين ظلموا وإلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد
الإباء والاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من الله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين
كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم ۝ وحملوا غيرهم على الكفر ۝ يضاعف الله عقابهم كضاعفوا كفرهم وقيل
في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تاسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها ختمها أربعين خريفاً وقيل
يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بصددهم

واحد من الفصلين القيظ والبرد لباس الآخر يعد من الثقل

(قوله معناها أنهم يمتنون بعد شهادة الأنبياء) في الصحاح منوته ومنيته إذا ابتليته (قوله فيجد صاحبها ختمها أربعين
خريفاً) حة العقرب بالتخفيف والهاء عوض عن اللام وهي سمها وأما حمة الحرف بالتشديد وهي معظمه أفاده الصحاح

شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

عن سبيل الله (شهِيداً عليهم من أنفسهم) يعني نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمر فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهِيداً على هؤلاء) على أمتك (تبيانا) بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر أوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن (فإن قلت) كيف كان القرآن تبيانا (لكل شيء) (قلت) المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نضاً على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثاً على الإجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته اتباع أصحابه والافتداء بأثارهم في قوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء ۝ العدل هو الواجب لأن الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعاً تحت طاعتهم (والإحسان) الندب وإنما علق أمره بهما جميعاً لأن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت أفلح إن صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فما يذبحي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل ۝ والفواحش ما جاوز حدود الله (والمُنْكَر) ما تنكره العقول (والبغى) طلب التناول بالظلم وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاحين على أمير المؤمنين على رضى الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها ولعمري إنها كانت فاحشة ومنكراً وبغياً ضاعف الله لمن سنها غضباً ونكالا

۝ قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية (قال العدل الواجب والإحسان الندب) قال أحمد وفي جمعها تحت الأمر ما يدل لمن قال إن صيغة الأمر أعني هذه المبنية من الهمزة والميم والراء لا صيغة أفعل تتناول القبيلين بطريق التواطؤ وموضعها الفذر المشترك بينهما من الطالب والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال وإنما كان الواجب عدلاً لأن الله تعالى عدل فيه على عباده الخ) قال أحمد وهذه وليجة من الاعتزال ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق لأنه ظلم وجور وذلك على الله محال والحق بالسنة أن كل قضاء الله عدل وأن تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه لا يستل عمياً يفعل وهم يستلون بل التسايف كلها على خلاف الاستطاعة على مقتضى توحيد أهل السنة المعتقدين أن كل وجود بقدره الله تعالى حدث ووجود لا شريك له في ملكه وكيف يكون شريكه عبداً مسخراً في قبضة ملكه هذا هو التوحيد المحض وإذا كان العبد مكلفاً بما هو من فعل الله فهذا عين التكليف بما لا يطاق ولكن ذلك عدل من الله تعالى وحجته البالغة قائمة على المكلف بما خلقه له من النأى واليسر في الأفعال الاختيارية التي هي محال التكليف والله الموفق ۝ عاد كلامه (قال وإنما قرنها في الأمر لأن الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب الخ) قال أحمد وهذه نكتة حسنة يجاب بها عن قول القائل لم يحكم عليه الصلاة والسلام بفلاح المصر على ترك السنن فيقال المحكوم بفلاحه لأجله إنما هو الصدق في سلامة الفرائض من خلل النقص والزيادة والله أعلم ۝ عاد كلامه (قال والفواحش ما جاوز حدود الله والمُنْكَر ما تنكره العقول) قال أحمد وهذه أيضاً لئمة إلى الاعتزال ولو قالوا المنكر ما أنكره الشرع لو وافق الحق ولتكنه لا يدع بدعة المعتزلة في التحسين والتقييح بالعقل والله الموفق ۝ عاد كلامه (قال والبغى طلب التناول بالظلم) قال أحمد وأصل موضوعه الطلب ومنه ابتغاء وجه الله ابتغاء مرضاة الله ولكن صار مطلقه خاصاً بطلب الظلم عرفاً ۝ عاد كلامه (قال وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاحين على أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه الخ) قال أحمد ولعل المعوض بهذه الآية عن تلك الهناة لاحظ التطبيق بين ذكر النهي عن البغى فيها وبين الحديث الوارد في أن المناصب

مَا تَعْمَلُونَ ۚ وَلَا تَكُونُوا كَأَتَى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ إِيمَانَكُمْ دَخَلَا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ
 أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
 لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّسْتُانَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا

وغزياً إجابة لدعوة نبيه وعادى من عاداه وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون ۚ عهد الله هي البيعة لرسول الله ﷺ على
 الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (ولأنه نقضوا) إيمان البيعة (بعد توكيدها) أي بعد توثيقها باسم الله وأكده
 وكد لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة تدل (كفيلاً) شاهداً ورقياً لأن الكفيل مراد لجال المسكوف لبه مهيمن
 عليه (ولا تكونوا) في نقض الإيمان كالمراة التي انحلت على غزها بعد أن أحكمتها وأبرمتها لجعلته (أنكأنا) جمع نكح
 وهو ما ينكح فثله قبل هي ريطه بنت سعد بن تيم وكانت شرقاء اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفسلكه
 عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواربها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون) حال
 و (دخلا) أحد مفعول اتخذ يعني ولا تقضوا إيمانكم متخذها دخلاً (بيكم) أي مفسدة ودغلاً (أن تكون أمة)
 بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش (هي أرى من أمة) هي أزيد عدد أو أرفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين (إنما
 يبلوكم الله به) الضمير لقوله أن تكون أمة لأنه في معنى المصدر أي إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء
 بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدهم من إيمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغفرون بكثرة قريش
 وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقيرهم وضعفهم (وليبيِّن لكم) إنذار وتحذير من مخالفة ملة الإسلام (ولو شاء الله
 لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة على طريق الإلجام والاضطرار وهو قادر على ذلك (ولكن) الحكمة اقتضت أن يضلَّ
 (من يشاء) وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه (ويهدى من يشاء) وهو أن يلفظ بمن علم أنه يختار
 الإيمان يعني أنه نبي الأمر على الاختبار وعلى ما يستحق به اللطف والحذيان والثواب والعقاب ولم يبينه على الإلجام
 الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله (وللستان عما كنتم تعملون) ولو كان هو المضطر إلى الضلال والاهتمام
 لما أثبت لهم عملاً يعملون عنه ۚ ثم كثر النهي عن اتخاذ الإيمان دخلاً بينهم تأكيداً عليهم وإظهاراً لعظم ما يركب

لعلى ما غ حيث يقول عليه الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب عليّ نقلك الله الباغية والله أعلم فقتل مع عليّ يوم صفين
 ۚ قوله تعالى ۚ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ۚ (قال محمود معناه على طريقة الإلجام والقسر) قال أحمد وهذا تفسير اعترافاً
 قد قدم أمثاله في أخوات هذه الآية وغرضه الفرار من الحق المستفاد من تعاقب المشيئة بلو الدالة على أن مشيئة الله تعالى
 لإيمان الخالق كلهم ما وقعت وأنه إنما شاء منهم الافتراق والاختلاف بإيمان وكفر وتصديق وتكذيب كما وقع منهم
 ولو شاء شمولهم بالإيمان لوقع فيصادم الرخصى هذا النصّ ويقول قد شاء جعلهم أمة واحدة حنيفة مسلمة ولكن
 لم يقع مراده فإذا قبل له فعلام يحمل المشيئة في الآية قال عليّ مشيئة إيمانهم قسراً لا اختياراً وهذه المشيئة لم تقع اتفاقاً
 عاد كلامه (قال محمود ويمأيدل على أن الله لم يبن الأمر على الإلجام وإنما بناء على الاختيار قوله تعالى «وللستان عما
 كنتم تعملون» ولو كان هو المضطر للهداية والضلال لما أثبت لهم ما يسألون عنه) قال أحمد أما أهل السنة يسميهم المصنف
 مجبرة فهم من الإلجام بمنزل لأنهم يثبتون للعبد قدرة واختياراً وأفعالاً وهم مع ذلك بوحدون الله حقّ توحيداً فيجعلون

(قوله أي مفسدة ودغلاً) في الصحاح الدغل بالنحر بك الفساد مثل الدخل (قوله وهو أن يخذل من علم أنه يختار
 الكفر) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فالإضلال خلق الضلال في القلب لأنه يجوز على الله خلق الشرّ عندهم
 دون المعتزلة كما بين في محله (قوله ولو كان هو المضطر إلى الضلال) على معنى اسم الفاعل أي الذي يضطر العباد ويلجئهم
 وقوله لما أثبت الخ مسلم وأمكنه لم يضطرهم ولم يلجئهم ولو كان هو الخالق لأعمالهم في الحقيقة لما لهم فيها من الكسب

إِيْمَانِكُمْ دَخَلًا يَدِينَكُمْ فَتَزُلْ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
بَاقٌ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمَلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنَجْزِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ
الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ

منه (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن حجة الإسلام بعد ثبوتها (رتذوقوا السوء) في الدنيا بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم من الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة. كان قرما بمن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وإيذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبئسهم الله (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضاً من الدنيا يسيراً وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا (إنما عند الله) من إظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة (خير لكم) ما عندكم من أعراض الدنيا (ينفذ وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد. وقرئ ليجزي بالنون والياء (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الإسلام (فإن قلت) لم وحدت القدم ونكرت (قلت) لاستمظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة (فإن قلت) (من) تناول في نفسه للذكر والآثي فما معنى تدينه بهما (قلت) هو مهم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله المذكور فقييل (من ذكر أو أنى) على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعاً (حياة طيبة) يعنى في الدنيا وهو الظاهر لقوله (ولنجزيهم) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فاتهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً فلا مقال فيه وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو الضاعة والرضا بقسمة الله وأما الفاجر فأمره على العكس إن كان معسراً فلا إشكال في أمره وإن كان موسراً فالحرص لا يبدء أن يتنأ بعيشه وعن ابن عباس رضى الله عنه الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعنى في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه. لما ذكر العمل الصالح ووعده عليه وصل به قوله (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) إيذاً بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بكقوله إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك إذا أكلت فسم الله (فإن قلت) لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل (قلت) لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوى وملايسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (ليس له

قدرته تعالى هي الموجدة والمؤثرة وقدره العبد مقارنة فحسب تمييزاً بين الاختيارى والقسرى وتقوم به حجة الله على عبده والله الموفق. قوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها (قال محمود إن قلت لم وحدت القدم ونكرت الخ) قال أحمد ومن جنس إفادة التكثير ههنا للتقليل إفادته له في قوله تعالى «وتعياها أذن واعية» وفي قوله عز وجل «انقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد» ففكر الإذن والنفس تقليلاً للواعى من الناس لما يقضى بسداده وللناظر من الخلق في أمر معاده والله الموفق

كما قرره أهل السنة في علم التوحيد فلينظر (قوله ينفذ وما عند الله) من خزائن رحمته أى يعنى كما فى الصحاح

هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ۚ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ۚ وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يُهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُم

سلطان) أى تسلط وولاية على أولياء الله يعنى أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته (إنما سلطانه) على من يتولاه ويطيعه (به مشركون) الضمير يرجع إلى ربهم ويجوز أن يرجع إلى الشيطان على معنى بسبه وغزوره ووسوسته ۚ تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصلح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة ۚ والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله (والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر) وجدوا مدخلا للطن فطعنوا وذلك لجهاهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون إن محمداً يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشق بالاهون والاهون بالاشق والاشق بالأشق لأن الغرض المصلحة لاهوان والمشقة (فإن قلت) هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن إنما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس (قلت) فيه إن قرأنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسجه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في إيجاب العلم فنسخه بها كمنسخه بمثله وأما الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها ۚ في ينزل ونزله وما فيهما من النزول شيئاً فشيئاً على حسب الحوادث والمصالح إشارة إلى أن التبديل من باب المصالح كالنزيل وإن ترك النسخ بمنزلة إنزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة و(روح القدس) جبريل عليه السلام أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجود وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها (بالحق) في موضع الحال أى نزله ملتبساً بالحكمة يعنى أن النسخ من جملة الحق (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب (وهدى وبشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير نثبتنا لهم وإرشاداً وبشارة فيه تعرض بحصول أصداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ۚ أرادوا بالبشر غلاماً كان لخويط بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومى كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن النوراة والإنجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مز وقف عليهم ما يسمع ما يقرأ فقالوا اعلما به فقيل لأحدهما فقال بل هو يعلني وقيل هو سليمان الفارسي ۚ واللسان اللغة ۚ ويقال ألد القبر ولحده وهو ملحد وملحد إذا مال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا ألد فلان في قوله وألد في دينه ومنه الملاحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمه عن دين إلى دين والمعنى لسان الرجل الذى يميلون قرلهم عن الاستقامة إليه لسان (أعجمي) غير بين (وهذا) القرآن (لسان عربي مبين) ذو بيان وفصاحة رداً لقولهم وإبطالا لظعنهم ۚ وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذى يلحدون إليه بتعريف اللسان (فإن قلت) الجملة التي هي قوله لسان الذى يلحدون إليه أعجمي ما محلها (قلت) لا محل لها لأنها مستأنفة جواب لقرلهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله وإذا جاءتهم آية قالوا ان تؤمن حتى تؤتى مثل ما أوتى رسل الله (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون (لا يهديهم الله) لا يلفظ بهم لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لامن أهل اللطف والثواب (إنما يفتري الكذب) رد لقولهم إنما أنت مفتر يعنى إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب

الْكٰذِبُونَ ۝ مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ بَعْدِ اِيْمَانِهٖ اِلَّا مَنْ اٰكْرَهٗ وَقَلْبِهٖ مُطْمَئِنٌّ بِالْاِيْمَانِ وَلٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ
صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّٰهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ۝ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ اسْتَجَبُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلٰى الْاٰخِرَةِ وَاِنَّ اللّٰهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكٰفِرِيْنَ ۝ اَوْلٰئِكَ الَّذِيْنَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ وَسَمِعْتُمْ اَبْصَارَهُمْ وَاَوْلٰئِكَ هُمُ الْغٰفِلُوْنَ ۝
لَا جْرَمَ اِنَّهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ۝ ثُمَّ اِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْنَ هَاجَرُوْا مِنْ بَعْدِ مَا قٰتَلْتُمْ اَنْ تَجْهَدُوْا وَصَبْرُوْا اِنَّ
رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ يٰجِدُلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يَرْجِعُوْنَ ۝

عقبا عليه (وأولئك) إشارة إلى قريش (هم الكاذبون) أي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو إلى الذين لا يؤمنون
أي أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب وأولئك هم الذين
عادتهم الكذب لا يباليون به في كل شيء لا تنحجبهم عنه مروءة ولادين أو أولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر
(من كفر) بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى
إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ۝ واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال (ولكن
من شرح بالكفر صدرا) أي طاب به نفسا واعتقده (فعلهم غضب من الله) ويجوز أن يكون بدلا من المبتدأ الذي
هو أولئك على ومن كفر بالله من بعد إيمانه هو الكاذبون أو من الحيز الذي هو الكاذبون على وأولئك هم من كفر
بالله من بعد إيمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد جوزوا أن يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لأن
جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعلهم غضب إلا من أكره و لكن من شرح بالكفر صدرا فعلهم
غضب روى أن ناسا من أهل مكة فتتوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر
على لسانه وهو معتقد الإيمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأقاسمية فقد ربطت
بين يعيرين ووجئ في قبلها بحربة قالوا إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار
فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكة فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا أملى إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط
الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك
إن عادوا لك فعدهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاة وأسلم وحسن إسلامهما وهاجرا
(بأن قلت) أي لا مريم أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه (قلت) بل فعل أبويه لأن في ترك النقية والصبر على القتل اعزازا للإسلام
وقد روى أن مسيلة أخذ رجلين فقال لاحدهما ماتقول في محمدا قال رسول الله قال فما تقول في قال أنت أيضا فخلاه وقال الآخر
ماتقول في محمدا قال رسول الله قال فما تقول في قال أبا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاله (ذلك) إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب
يلحقانهم بسبب استجابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم (وأولئك هم الغافلون) الكاملون في
الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنها (ثم إن ربك) دلالة على تباعد
حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه ومعنى إن ربك لهم أنه لهم لا عليهم بمعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم
وتخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعد ما قاتلوا) بالعذاب والإكراه على
الكفر وقرئ فتتوا على البناء للمفاعل أي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه (من بعدها) من بعد هذه الأفعال
وهي الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتي) منصوب برحيم أو بإضمار اذكر ۝ (فإن قلت) ما معنى النفس المضافة إلى النفس
(قلت) يقال لعين الشيء وأذنه نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَسْجَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ
لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۝

فكانه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لايهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها
كقوله هؤلاء أضلونا . ما كنا مشركين ونحو ذلك (وضرب الله مثلاً قرية) أي جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم
أنعم الله عليهم فأبترتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز أن تراد قدرية مقدره على هذه الصفة وأن
تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضرها الله مثلاً لمكة إذ داراً من مثل عاقبتها (مطمئنة) لا يزعجها خوف
لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف (رغداً) واسعاً ۝ والآنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالنعم
كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس وفي الحديث نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى لأنها أيام
طعم ونعم فلا تصوموا ۝ (فإن قلت) الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتها والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس
المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه (قلت) أما الإذاقة فقد جرت عذم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد
وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك
من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما
إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف لأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فأذاقهم ما غشهم
من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن فقدهما أحدهما أن
ينظروا فيه إلى المستعار له كما نظر إليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً ۝ غلقت لضحكته رقاب المال

استعارة الرداء المعروف لأنه يصلون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف
المعروف والنوال لاصفة الرداء نظر إلى المستعار له والثاني أن ينظروا فيه إلى المستعار كقوله :

ينازعني ردائي عبد عمر ۝ رويدك يا أخا عمر بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني ۝ ودونك فاعتجر منه بشرط

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشرط فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقليل فكساهم

قوله عز وجل فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (قال إن قلت الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحة إيقاع
الإذاقة على اللباس الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه يستحق على علماء البيان أن يكتبوه بذرب التبر لا بالخبر وقد
نظر إليهما جميعاً في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاستعير
الشراء لاختيارهم الضلالة على الهدى وقد كانوا متمكنين من اختياره عليها ثم جاء ملاحظاً للشراء المستعار قوله فما
ربحت تجارتهم فاستعمل التجارة والربح ليناسب ذلك لاستعارة الشراء ثم جاء ملاحظاً للحقيقة الأصلية المستعار لها
قوله وما كانوا مهتدين فإنه مجزء عن الاستعارة إذ لو قيل أولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين لكان الكلام حقيقة
معرى عن ثوب الاستعارة والنظر إلى المستعار في باب كتر شيع المجاز في باب ومنه ۝ إذا الشيطان قصع في قفاها ۝
تنفقاه بالحبل التوام ۝ فجعل الشيطان في قفاها قاصماً ثم باقماً ثم جعله مستخرجاً بالحبل المحكم المثني كما يستخرج الحيوان
من جحره والشروط في هذا العن البديع فطين والله المرفق ۝ قوله عز وجل إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً إلى قوله

(قوله بما يدرك من الطعم المر والبشع) عبارة غيره طعم المر والبشع ولعله المر البشع بدون واو (قوله ووصفه بالغمر الذي هو
وصف المعروف) في الصحاح الغمر الماء الكثير وفيه الاعتجار لف العمامة على الرأس وفيه الضافي السابغ

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلُ أُغْرٍ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَا تَقُولُوا
لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَّبِعْ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَغَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَاقَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا

لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضايف الرداء إذا تبسم ضاحكا (وهم ظالمون) في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين
تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فعوذ بالله من مفاجأة النعمة والموت على الغفلة ۝ وقرئ والخوف عطفاً على اللباس
أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع ۝ لما
وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله (فكلوا) صدم
عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر إنعامه
بذلك وقال (إن كنتم إياه تعبدون) يعني تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده
ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه
۝ وانتصاب (الكذب) بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرام في قولكم ما في بطون
هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس مستند إليه ۝ واللام
مثلها في قولك ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ويجوز أن يتعاق
بتصف على إرادته القول أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك أن تنصب
الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
لوصف ألسنتكم الكذب أى لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجوز فى أفواهكم لأجل حجة وبينة
ولكن قول ساذج ودعوى فارغة (فإن قلت) ما معنى وصف ألسنتهم الكذب (قلت) هو من فصيح الكلام وبلغه جعل
قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحيكته وصورته بصورته كقولهم : وجهها
يصف الجمال . وعينها تصف السحر ، وقرئ الكذب بالجزءة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب
كقوله تعالى « بدم كذب » والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرام وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة
الأسنة والنصب على اللشم أو بمعنى الكلم الكواذب وهو جمع الكذاب من قولك كذب كذا إذا ذكره ابن جنى ۝
واللام فى (لتفتروا) من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أى منفعتهم فيما هم عليه من
أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم (ما قصصنا عليك) يعنى فى سورة الأنعام (بجهالة) فى موضع الحال أى عملوا السوء
جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم (من بعدها) من بعد النوبة (كان أمة) فيه
وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم لكأله فى جميع صفات الخير كقوله

ثم أوحينا إليك (قال محمود فى قوله أمة وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم الخ) قال أحمد وبقوى هذا الثانى
قوله تعالى « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، أى كان أمة تؤمته الناس ليقبضوا منها الخيرات ويقبضوا بآثاره

لأنعمه اجتبه وهدته إلى صراط مستقيم . وعاتينيه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك

وليس لله مستحكر . أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار . والثاني أن يكون أمة بمعنى ماوم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله « قال إني جاءك للناس إماما » وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود أنه قال : إن معاذاً كان أمة قاتناً لله فقلت غلطت إنما هو إبراهيم . فقال : الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك . وعن عمر رضي الله عنه أنه قال حين قيل له ألا تستخاف لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته ولو كان معاذ جياً لاستخلفته ولو كان سالم حياً لاستخلفته فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى أي كان إماماً في الدين لأن الأئمة معلوم الخير . والقانت القائم بما أمره الله . والحنيف المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه . ونفى عنه الشرك تكديماً لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة إبراهيم (شاكراً لأنعمه) روى أنه كان لا يتغذى إلا مع ضيف فلم يجذذات يوم ضيفاً فأخر غداه فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فغلبوا له أن بهم جذاماً فقال الآن وجبت مواكبتكم شكراً لله على أنه عافاني وابتلاككم (اجتباؤه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهده إلى صراط مستقيم) إلى ملة الإسلام (حسنة) عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل الأهل والأولاد وقيل قول المصلي ما كاصليت على إبراهيم (لمن الصالحين) إن أهل الجنة (ثم أوحينا إليك) في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال محله والإيدان بأن أشرف ما أوتى خليل الله إبراهيم من السكرامة وأجل ما أوتى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أتت الله عليه بها (السبت) مصدر سبقت اليهود إذا عظمت سببها والمعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ (على الذين اختلفوا فيه) واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله مثلاً وغير ما ذكر وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والمخالعين ربة طاعته (فإن قلت) ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلين أو محرمين (قلت) معناه أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوماً للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت لإشراذمة منهم قدرضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت

المباركات حتى أنت على جلاله قدرك قد أوحينا إليك أن اتبع ملته ووافق سيرته والله أعلم . عاد كلامه (قال مجاهد في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة محمد صلى الله عليه وسلم الخ) قال أحمد وإنما تفيد ذلك ثم لأنها في أصل وضعها لتراخي المعطوف عليه في الزمان ثم استعملت في تراخيه عنه في علو المرتبة بحيث يكون المعطوف أعلى رتبة وأشخ محلاً مما عطف عليه فكانه بعد أن عدد مناقب الخليل عليه السلام قال تعالى وههنا ما هو أعلى من ذلك كله قدراً وأرفع رتبة وأبعد رفعة وهو أن النبي الأمي الذي هو سيد البشر متبع ملة إبراهيم مأمور باتباعه بالوحي متلو أمره بذلك في القرآن العظيم ففي ذلك تعظيم لها جميعاً لكن نصيب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا التعظيم أوفر وأكبر على ما هديناه والله الموفق للصواب

(قوله كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك) في الصحاح الرحلة بالضم الوجه الذي تريده وبالكسر الارتحال

لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۗ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ
مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۗ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ
مِمَّا يَمْكُرُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۗ

لأن بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله الراضون
بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فسخم الله دون أولئك وهو يحكم (بينهم يوم القيامة) فيجازى
كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ۗ ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ إنما جعل السبت
على البناء للفاعل وقرأ عبدالله إنا أنزلنا السبت (إلى سبيل ربك) إلى الإسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي
الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز
أن يريد القرآن أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة (وجادلهم بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن
طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف (إن ربك هو أعلم) بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل
والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه في حديد بارد ۗ سمي الفعل الأول باسم الثاني للزوجة
والمعنى إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه ۗ وقرئ وإن عاقبتم فعدقوا أي وإن قفتم
بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روى أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا
أحد غير مشول به إلا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقدم مثل به وروى فرآه مبقور البطن
فقال أما والذي أحلف به لئن أظفرتني الله بهم لأماتن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف
في تحريم المثلة وقد وردت الأخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقوره إمامان يرجع الضمير في (هو) إلى صبرهم وهو مصدر
صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون أي وأئن صبرتم اصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير أثناء من الله عليهم
بأنهم صارون على الشدائد أو وصفهم بالصفة التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة وإمامان يرجع إلى جنس الصبر وقد دل
عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كأنهم قبل وللصبر خير الصابرين ونحوه قوله تعالى «فمن عفا وأصلح فأجره على الله . وأن
تعفوا أقرب للتقوى» ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم (واصبر) أنت فزوم عليه بالصبر (وما صبرك إلا بالله) أي
بتوفيقه وتثيته وربطه على قلبك (ولا تحزن عليهم) أي على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين أو على المؤمنين
وما فعل بهم الكافرون (ولاتك في ضيق) وقرئ ولاتكن في ضيق أي ولا يضيقت صدرك من مكربهم والضيقت تخفيف
الضيقت أي في أمر ضيق ويجوز أن يكون الضيق والضيقت مصدرين كالقبيل والقول (إن الله مع الذين اتقوا) أي هو ولي الذين
اجتنبوا المعاصي (و) ولي (الذين هم محسنون) في أعمالهم وعن هرم بن حبان أنه قيل له حين احتضر أوص فقال إنما الوصية
من المال ولا مالي وأوصيكم بخواتم سورة النحل . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله
بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أوليته كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية

سورة الإسراء مكية

إلا الآيات ۲۶ و ۳۲ و ۳۳ و ۵۷ ومن آية ۷۳ إلى غاية آية ۸۰ فمدنية

وآياتها ۱۱۱ نزلت بعد القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي

(سورة الإسراء مكية وهي مائة وعشر آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان) تلم للتسبيح كعثمان الرجل وانتصابه بفعل ضمير متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسدده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله (أسرى) وسرى اغتان و (ليلاً) نصب على الظرف (فإن قلت) الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل (قلت) أراد بقوله ليلاً باقظ التنكير تقابل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أي بعض الليل كقوله «ومن الليل فتجد به نافلة» يعنى الأمر بالقيام في بعض الليل واختلاف في المكان الذي أسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم اليقظان إذ أتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل أسرى به من دار أم هاني بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروى أنه كان نائماً في بيت أم هاني بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشأت

(القول في سورة الإسراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم) سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (قال فإن قلت الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل الخ) قال أحد وقد قرن الإسراء بالليل في موضع لا يليق الجراب عنه بهذا كقوله بألك بقطع من الليل «فأسر» وكقوله تعالى «فأمر بعبادى ليلاً» فالظاهر والله أعلم أن الغرض من ذكر الليل وإن كان الإسراء يفيد تصوير السير بصورته في ذهن السامع وكأن الإسراء لما دل على أمرين أحدهما السير والآخر كونه ليلاً أريد أفراد أحدهما بالذكر تثبتاً في نفس المخاطب وتنبها على أنه مقصور بالذكر ونظيرة في أفراد أحد مادد عليه اللاهظ المتقدم مضموماً لغيره قوله تعالى وقال الله لاتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فالاسم الحامل للثنائية دل عليها وعلى الجنبية وكذلك المفرد فأريد التثنية لأن أحد المعنيين وهو الثنية مراد مقصود وكذلك أريد الإيقاظ لأن الوجدانية هي المقصودة في قوله إنما هو إله واحد ولو اقتصر على قوله إنما هو إله لاوهم أن المهم لإثبات الإلهية له والغرض من الكلام ليس إلا الإثبات للوحدانية والله أعلم

(قوله القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله) يريد بهم أهل السنة القائلين بأنه تعالى هو الخالق لجميع الحوادث من أفعال العباد وغيرها خيراً كانت أو شراً خلافاً للبعثرة في قولهم إن العبد هو الخالق لفعل نفسه حتى يكون مقدوراً له فيصح تكليفه به ولكن استند أهل السنة لمثل قوله تعالى الله خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون وهذا لا ينافي اختيار العباد في أفعالهم لأنهم أثبتوا لهم الكسب فيها كما تقمتر في علم التوحيد

بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ وَعَايِنَا مُوسَىٰ أَلْقَىٰ السِّكِّينَ وَجَعَلْنَاهُ هَدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ
 إِلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ۝ ذَرِيَّةً مِنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي
 الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ آوْلَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا

أم هانی بٹوبہ فقال مالك قالت اخشى أن يسكنذبك قومك إن أخبرتهم قال وإن كذبوني فخرج مجلس اليه أبو جهل بأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الإسراء فقال أبو جهل يامعشر بنى كعب بن لؤى دلم خدمتم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا وارند ناس بمن كان آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضى الله عنه فقال إن كان ذلك لقد صدق قالوا أنصدقه على ذلك قال لى لأصدقه على أبعده من ذلك فسمى الصديق وفيهم من سافر إلى مائتم فاستنعتوه المسجد فحلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعنه لهم فقالوا أمانا لنعنت فقد أصاب فقالوا اخبرنا عن غيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جبل أروق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثانية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جبل أروق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر مبين وقد عرج به إلى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى فى السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا فى وقت الإسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث واختاب فى أنه كان فى اليقظة أم فى المنام فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية إنما عرج بروحه وعن الحسن كان فى المنام رؤيا رأها وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك والمسجد الأقصى بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراه مسجد (باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى وهبط الوحي وهو مخوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة وقرأ الحسن ليريه بالياء واقصد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمنسكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم إنه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة (إنه هو السميع) لأقوال محمد (البصير) بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (الأتخذوا) قرئ بالياء على التثنية والتخذوا وبالتاء على أى لاتخذوا كقولك كتبت اليه أن أعدل كذا (وكيلا) ربان تكرر اليه أموركم (ذرية من حملا) نصب على الاختصاص ويقيل على الداء فيمن قرأ لاتخذوا بالتاء على النهى يعنى فلما لهم لاتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملا (مع نوح) وقد يجعل وكيلا ذرية من حملا. مفعولى تتخذوا أى لاتجعلوهم اربابا كقولهم ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والييين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم السلام وقرئ ذرية من حملا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه أنه قد فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة فى إنجاء آبائهم من الغرق (إنه) إن نوحا (كان عبدا شكورا) قيل كان إذا كل قال الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء أجا عنى وإذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء أظمأنى وإذا اكتسى قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء أعرانى وإذا احتذى قال الحمد لله الذى حذانى ولو شاء أحفانى وإذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه فى عافية ولو شاء حبسه وروى أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن وجدته محتاجا آثره به (فإن قلت) قوله إنه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله (قلت) كأنه قيل لاتخذوا من دونى وكيلا ولا تشر كوابى لأن نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آبائكم أسوتهم ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأملوا لذلك الاختصاص ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد (وقضينا إلى بنى إسرائيل) وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون فى الأرض لاحالة ويعلمون أى يتعظمون ويغنون (فى الكتاب) فى التوراة و (لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجرى

أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ۝ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأمول
وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ۝ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة
ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تذبيراً ۝ عسى ربكم أن يرحمكم
وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ۝ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين

القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لفسدن جواباً له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للفعل
ولتفسدن بفتح التاء من فسد (مرتين) أولاهما قتل زكريا وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن
زكريا وقصد قتل عيسى ابن مريم (عبادا لنا) وقرئ عبيدا لنا وأكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس : سنحاريب وجنوده
وقيل يختصر وعن ابن عباس جالوت . قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفاً (فإن قلت)
كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خائناً بينهم وبين ما فعلوا ولم تمنعهم على أن الله
عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون
وكقول الداعي وخالف بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم فتخريب المسجد وإحراق
التوراة من جملة الجوس المسند إليهم ۝ وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجسوا وخل الديار (فإن قلت) ما معنى
(وعد أولاهما) (قلت) معناه وعد عقاب أولاهما (وكان وعداً مفعولاً) يعني وكان وعد العقاب وعداً لا بد أن يفعل
(ثم رددنا لكم الكرة) أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل يختصر
واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم فقيل هي قتل داود جالوت (أكثر نفيراً) مما كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز ۝ أي الإحسان والإساءة كلاهما يختص بأنفسكم لا يتعدى
الذم والضرر إلى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها (فإذا جاء وعد) المرة (الآخرة)
بعشام (ليسوؤا وجوهكم) حذف للدلالة ذكره أولاً عليه ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بأدب آتار المساءة والكتابة
فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوؤوا وضمير الله تعالى أولو وعد أرببع وللنوء بالنون وفي قراءة على
لنساءن ولسوأن وقرئ لنسوان بالنون الخفيفة ۝ واللام في (ليدخلوا) على هذا متعلق بمحذوف وهو بعشام ليدخلوا
ولنسوان جراب إذا جاء (ما علوا) مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه أو تمنع مدذلوهم (عسى
ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي (وإن عدتم) مرة ثالثة (عدنا) إلى عقوبتكم

۝ قوله تعالى بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار (قال إن قلت كيف جاز أن يبعث الله
الكفرة الخ) قال أحمد هذا السؤال إنما يتوجه على قدرى بوجوب على الله تعالى بزعمه رعاية ما يتوهمه بعقله مصاحبة وأما
السني إذاسئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله لا يسئل عما يفعل والله الموفق

(قوله سنحاريب وجنوده) كان ملك بابل وبختصر هو ابن ابنه وكان من كتابه كذا في الخازن (قوله فإن قلت
كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك) مبنى على أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريد وهو مذهب المعتزلة وعند أهل
السنة كل كائن فهو فعله ومراده ولو شراً فلا سؤال (قوله فإذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعشام أي عبادنا وهم في
هذه المرة الفرس والروم بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خروش حتى دخل الشام بجنوده فقتل وسبي حتى
كاد يفنى بني إسرائيل وبقي منهم بقايا حتى كثروا وكانت لهم الرياسة في بيت المقدس إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ إِنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۖ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ وَيَدْعُ
الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۖ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا
آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلْنَاهُ تَفْصِيلًا ۖ

وقد عادوا فأعاد الله إليهم النعمة بتبسيط الأكامرة وضرب الأناوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا فهم يعطون
الجزية عن يدوم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحى من العرب فهم منهم في عذاب
إلى يوم القيامة (حصيراً) محبسا يقال للسجين محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول (اللى هى
أقوم) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها أو لليلة أو للطريقة وأيتها قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذى
تجده مع الحذف لما فى إبهام الموصوف بحذفه من غمامة تفقد مع إيضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف (فإن قلت)
كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر النسفة (قلت) كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما مشرك وإنما
حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك (فإن قلت) علام عطف (وأن الذين لا يؤمنون) (قلت) على أن لهم أجراً
كبيراً على معنى أنه بشر المؤمنين بشارتين اثنتين بشارتهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون
معدبون ۖ أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوهم بالخير كقوله ولو يجعل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير (وكان الإنسان عجولاً) يتسرع إلى طلب كل ما يقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتأني فيه تأني المتبصر
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيراً فأقبل ين بالليل فقالت له مالك تئن فشكا
أم القدر فأرخت من كتافه فلبسانامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال
صلى الله عليه وسلم اللهم أقطع يديها فرفعت سودة يديها فتوقع الإجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم إنى سألت الله أن يجعل لعنتى ودعائى على من لا يستحق من أهلى رحمة لآنى بشرأغضب كما يغضب البشر فلترد سودة
يديها ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة وكان
الإنسان عجولاً يعنى أن العذاب آتية لا محالة فاهذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحرث
قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه صبراً ۖ فيه وجهان أحدهما أن يراد أن الليل
والنهار آيتان فى أنفسهما فتكوز الإضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود أى فمحونا الآية التى هى
الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة والثانى أن يراد وجعلنا نرى الليل والنهار آيتين يربد الشمس والقمر فمحونا آية
الليل أى جعلنا الليل محو الضوء مظلماً لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان مافى اللوح المحور وجعلنا النهار مبصراً
أى تبصر فيه الأشياء وتستبان أو فمحونا آية الليل التى هى القمر حيث لم يخاق لها شعاعاً كشعاع الشمس فترى به الأشياء
رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوءها كل شيء (اتبغوا فضلاً من ربكم) لتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة
أعمالكم والتصرف فى معاشكم (ولعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين و) جنس (الحساب) وما تحتاجون إليه منه
ولولا ذلك لماعلم أحد حساب الأوقات وانعطت الأمور (وكل شيء) مما تفقدون إليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه)

فلمظ الله عليهم ططوس بن أسبيانوس الرومى نغرب بلادهم وطردهم عنها وبقى بيت المقدس خراباً إلى خلافة عمر بن
الخطاب فعمره المسلمون بأمره اه من الخازن (قوله كما يبسط الحصير المرمول) أى المنسوخ أفاده الصحاح
(قوله وإنما حدث أصحاب المنزلة) يعنى النسفة وإثبات الواسطة مذهب المعتزلة دون أهل السنة فإن الفسق لا يزال
الإيمان عندهم (قوله فشكا أم القدر) فى الصحاح القدر بالكسر سير يقدر من جلد غير مدبوغ

وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمْنِهِ لَطِيْفٌ ۖ فِي عُنُقِهِ وَنُخِرَ لَهٗ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۖ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ
الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۚ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَيَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَيَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۚ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

بيناه يانا غير ملتبس فأزحنا لملككم وماتر كما لكم حجة علينا (ظايره) عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو
من قولك طارله سهم إذا خرج يعني الزمانه ما طار من عمله والمعنى أن عمله لازم لزوم الفلادة أو الغل لا يفك عنه ومنه مثل
العرب تذلما طوق الحمامة وقولهم المريت في الرقاب وهذا رقيقة في رقبة وعن الحسن بن آدم بسطت لك صحيفة إذا بعثت فلذتها
في عنقك . وقرئ في عنقه بسكون الونء وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول
ويخرج من خرج والضمير للطائر أى يخرج الطائر كتاباً وانتصاب كتاباً على الحال . وقرئ يلقاه بالتشديد مبني للمفعول
و (يلقاه منشورا) صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه (اقرأ) على إرادة القول وعن قتادة يقرأ
ذلك اليوم ما لم يكن في الدنيا قارئاً و (بنفسك) فاعل كفى و (حسبياً) تمييز وهو بمعنى حاسب كضرب الفداح بمعنى ضاربها
وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيويه . وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون بمعنى الكافي وضع موضع
الشهيد فعدى بعلى لأن الشاهد يكفى المدعى ما أهمه (فإن قلت) لم ذكر حسبياً (قلت) لأنه بمنزلة الشهيد والقاضى والامير
لأن الغالب أن هذه الأمور يتولاها الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلاً حسبياً ويجوز أن يتأول النفس بالشخص كما يقال
ثلاثة أنفس وكان الحسن إذا قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسب نفسك . أى كل نفس حاملة وزر فإنما
تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كما معذبين) وماصح مناصحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قرماً إلا بعد أن (نبعث) إليهم
(رسولاً) فلزمهم الحجة (فإن قلت) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لأن معهم أدلة العقل التى بها يعرف الله وقد أغفلوا الظروف
متمكنون منه واستجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك بالإغفال الشرائع التى لا سبيل إليها إلا بالتوقيف
والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان (قلت) بعثة الرسل من جملة التنبه على النظر والإيقاظ من رقة الغفلة كالتأويل كذا غافلين
فلولا بعثت إلينا رسولا ينبهنا على النظر فى أدلة العقل (وإذا أردنا) وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان
إمهالهم إلا قليل أمرناهم (ففسقوا) أى أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم
افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صباً فجعلوها ذريعة إلى المعاصى واتباع

قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قال فيه معناه وماصح مناصحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوما حتى نلزمهم
الحجة يبعث الرسول الخ) قال أحمد وهذا السؤال أيضاً إنما يتوجه على قدرى يزعم أن العقل يرشد إلى وجوب النظر وإلى
كثير من أحكام الله تعالى وإن لم يبعث رسول فيكلف بعقله ويرتب على ترك أمثال التكليف استيجاب العذاب إذا العقل كاف
عندهم فى إيجاب المعرفة بل فى جميع الأحكام بناء على قاعدة التحسين والتقيح العقليين وأما السنى فلا يتوجه عليه هذا
السؤال فإن العقل عنده شرط فى وجوب عموم الأحكام ولا تكليف عنده قبل ورود الشرائع وبعث الأنبياء وحيث
يثبت الحكم وتقوم الحجة كما أنبأت عنه هذه الآية التى يروم الزمخشري تحريفها فتعاص عليه وتسد طرق الحيل بين يديه
لأنه الكتاب العزيز الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نعم العقل عمدة فى حصول المعرفة لافى وجوبها وبين
الحصول والوجوب بون بعيد والله الموفق . قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدميراً (قال حقيقة أمرهم أن يقول لهم افسقوا ولا يكون هذا فبقي أن يكون مجازاً الخ) قال أحمد نص

(قوله إلا قليل أمرناهم ففسقوا) فى النسق أمرنا مترفياً متعمها وجباريتها

فَدَمَّرْنَا بِهَا تَدْمِيرًا ۚ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۚ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۚ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ

الشهوات فكانهم مأمورون بذلك لئسب إيلاء النعمة فيه وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إثبات الطاعة على المعصية فأثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة المذاب فدمرهم (فإن قلت) هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا (قلت) لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما للدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام وقرائة ولو ذهبت فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم أمرته فعصاني أو فلم يتمثل أمرى لأن ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض الأمر مأثوراً به فكان محالاً أن يقصد أصلاً حتى يجعل دالاً على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوى لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينرى لأمره مأثوراً به وكأنه يقول كان منى أمر فلم تكن منه طاعة كما أن من يقول فلان يعطى ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد إلى مفعول (فإن قلت) هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالقصد والخير دليلاً على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا (قلت) لا يصح ذلك لأن قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيئاً وأنت تدعى إضمار خلافه فكان صرف الأمر إلى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء في أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لأحسن إليك ولو شاء لآسأ إليك تريد لو شاء الإحسان ولو شاء الإساءة فلو ذهبت تضمنت خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من أسندت إليه المشيئة أنه من أهل الإحسان أو من أهل الإساءة فترك الظاهر المنطوق به وأضمر مادلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم أمرنا بكثرتنا وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كشيئته فبشر وفي الحديث خير المال سكة مأثورة ومهرة مأثورة أى كثيرة التناج وروى أن رجلاً من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أرى أمرك هذا حقيراً فقال صلى الله عليه وسلم إنه سيأمر أى سيكثر وسيكبر ۚ وقرئ أمرنا من أمر وأمره غيره وأمرنا بمعنى أمرنا أو من أمر أماراة وأمره الله أى جعلناهم أمراء وسلطانهم (كم) مفعول (أهلكنا) و (من القرون) بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعنى عاداً وثموداً وقروننا بين ذلك كثيراً ونبه بقوله (وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) على أن الذنوب هى أسباب الهلكة لا غير وأنه عالم بها ومعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة تفضلاً عليه من منافعتها بما نشاء لمن يزيد فقيد الأمر تقيدين أحدهما تقييد المعجل بمشيئته والثانى تقييد المعجل له بإرادته وهكذا الحال ترى كثيراً من هؤلاء يتمنون ما يتمنون

حسن إلا قوله أنهم خلوا النعم ايشكروا فإنه فرع على قاعدة وجوب إرادة الله تعالى للطاعة والحق أنهم خولوها وأمروا بالشكر ففسقوا وكفروا على خلاف الأمر والأمر غير الإرادة على قاعدة أهل الحق والله الموفق ۚ قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد إلى قوله عز وجل ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً (قال أى من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة الخ) قال أحمد ومثل ذلك التقييد ورد فى الآية الأخرى وهى قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب فأدخل من المبعضة على حرث الدنيا ونحل الطالب حرث الآخرة مراده وزاد عليه

(ففعل كشيئته فبشر وفي الحديث خير المال سكة مأثورة) فى الصحاح ثبوت أى حبسته ، وفيه السكة الطريقة من النخل ، وفيه أبر نخله أى لقمه وأصلحه

وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۖ كَلَّا تَمَدُّهُمُ زُلْفَاهُ وَهُؤُلَاءِ مِمَّنْ عَطَا رَبُّكَ
وَمَا كَانَ عَطَا رَبِّكَ مَحْظُورًا ۖ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْضِيلًا ۖ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۖ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا إِمَّا يَبُغْنَ عِنْدَكَ الْأَكْبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

ولا يعطون إلا بعضاً منه وكثيراً منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما
المؤمن الذي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي أوتي حظاً من الدنيا أو لم يأت فإن أوتي فيها وإلا فربما كان
الفقر خيراً له وأعون على مراده وقوله (لمن يزيد) بدل من له وهو بدل البعض من الكل لأن الضمير يرجع إلى من
وهو في معنى الكثرة ۖ وقرئ يشاء وقبل الضمير لله تعالى فلا فرق إذاً بين القراءتين في المعنى ويجوز أن يكون للعبد
على أن للعبد ما يشاء من الدنيا وأن ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة
كالمنافق والمرأى والمهاجر للدنيا والمجاهدة للغنيمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله
فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه (مدحوراً) مطروداً من
رحمة الله (سعيها) حقها من السعي وكفائها من الأعمال الصالحة ۖ اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكوراً
إرارة الآخرة بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والإيمان الصحيح الثابت
وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ۖ وشكر
الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف إليه (تمد) هم يزيدهم من عطائنا ونجعل
الآنف منه مدداً للسالف لا يقطعه فترزق المطيع والعاصي جميعاً على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك) وفضله (محظوراً)
أى نموعاً لا يمنع من عاص لعصيانه (انظر) بعين الاعتبار (كيف) جعلناهم متفاوتين في التفضل ۖ وفي الآخرة التفاوت
أكبر لأنها ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروى أن قوماً من الأشراف فن دونهم اجتمعوا يباب عمر
رضي الله عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو إنما أتينا من قبلنا إنهم دعوا ودعينا
يعنى إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد
الله لهم في الجنة أكثر ۖ وقرئ وأكثر تفضيلاً وعن بعضهم أنها المباهى بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهة
بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل (فتقعد) من قولهم شخذ الشفرة حتى قعدت كأنها جربة بمعنى صارت يعنى
فصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكاً له
(وقضى ربك) وأمر أمراً مقطوعاً به (ألا تعبدوا) أن مفسرة ولا تعبدوا انتهى أو بأن لا تعبدوا (وبالوالدين إحساناً)
وأحسنوا بالوالدين إحساناً أو بأن تحسنوا بالوالدين إحساناً ۖ وقرئ وأوصى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ووصى
وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين بالإحسان لأن المصدر لا يتقدم عليه
صلته (إما) هي إن الشرطية زيدت عليها مائتاً كذا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت إن لم يصح
دخولها لا تقول إن تكرم من زيدا يكرمك ولكن إمامتك منه و(أحدهما) فاعل يلقن وهو فيمن قرأ يلقن بدل من ألف
الضمير الراجع إلى الوالدين و(كلاهما) عطف على أحدهما فاعلاً وبدلاً (فإن قلت) لو قيل إما يلقن كلاًهما كان كلاهما
توكيداً لبدلاً فمالك زعمت أنه بدل (قلت) لأنه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيداً للآخرين فانتظم في حكمه فوجب

(قوله لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك) في الصحاح دهماء الناس جماعتهم

وَإِخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ۝ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ

أن يكون مثله (فإن قلت) ما ضرك لوجعته تو كيداً مع كرن الماطوف عليه بدلا وعظفت التوكيد على البذل (قلت) لو أريد توكيد التثنية لقبل كلاهما فحسب فلما قبل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الأول (أف) صوت يدل على تضجر وقرئ أف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على أصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كذا (فإن قلت) ما معنى عندك (قلت) هو أن يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لها غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه وأشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لها إذا أضجرت ما يستقدر منها أو يستثقل من مؤنهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأنيف والنهر (قولا كريما) جيلا كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول يا أبتاه يا أمه كما قال إبراهيم لأبيه يا أبت مع كفره ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا (وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر) (فإن قلت) ما معنى قوله (جناح الذل) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فأضاهه إلى الذل أو الذل كما أضيف حاتم إلى الجورد على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول والثاني أن تجعل لذه أو لذه لهما جناحا خفيفا كما جعل لبيد للشمال يداً وللقوة زماما مبالغه في النذل والنواضع لهما (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس ولا تكف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمة الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتك عليك في صغرك وتربيتك لك (فإن قلت) الاسترحام لهما إنما يصح إذا كانا مسلمين (قلت) وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية والإرشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار ولو كان شيء أفضل منه لآهركم به في الآبين ولقد كثر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب أن البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وشكركم إلى رسول الله أباه وأنه يأخذ ماله فدعاه فإذ شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال إنه كان ضعيفا وأنا أقوى وفقيرا وأنا غني فكنت لأمنعه شيئا من مالي واليوم أنا ضعيف وهو أقوى وأنا فقير وهو غني ويخجل علي بما له فبكي رسول الله ﷺ وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك وشكا إليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال إنها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حين أرضعتك حين أرضعتك قال ما فعلت قال حججت بها على عاتق قال ماجزيتها ولو طلقة

(قوله وسوء الأدب وعادة الدعار) من الدعارة وهي الفسق والخبث والفساد كذا في الصحاح (قوله كما جعل لبيد الشمال يداً) في قوله . وغداة ربح قد كشفت ورقة ۝ إذ أصبحت بيد الشمال زمامها (قوله قال ماجزيتها ولو طلقة)

إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوْبَانِ غَفُورًا مَّعْرُوفًا وَآتَاكَ الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ
تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۝ وَإِنَّمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ أَوْتًا وَرَحْمَةً
مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهُمَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ

وعن ابن عمر أنه رأى رجلا في الطواف يحمل أمه ويقول

إني لها مطية لا نذمر ۝ إذا الركاب نفرت لا تنفر ماجلت وأرضعتني أكثر ۝ الله ربي ذو الجلال الإكبر
تظنني جازيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة توجد بجهد من
مسيرة ألف عام ولا يجدر بجهد عاق ولا فاطح رحم ولا شيخ زان ولا جاز إزاره خيلاء إن الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء
لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخرويا يأخذ الإناء منه إذا شربها وعن أبي يوسف إذا أمره أن
يوذ تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد وعن حذيفة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين
فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن لا ترفع
صوتك عليهما ولا تنظر شزرا إليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن ترحم عليهما ما عاشا وتدعولها إذا ماتا
وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل وذاويه (بما في نفوسكم)
بما في ضمائرهم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير (إن تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر
ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر أو لحماية الإسلام هنة تؤدي إلى أذاهما ثم أنبتم
إلى الله واستغفرتهم منها فإن الله غفور (للأوابين) للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل
إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير وعن سعيد بن المسيب الأواب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة ويجوز أن يكون هذا عاما لكل
من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه النائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى
حقه) وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما وأن يؤتوا حقههم وحقوقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد وفقراء
عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا أن ينفق عليهم عند أي حنيفة والشافعي لا يرى النفقة إلا على الولد والوالدين
لحسب وإن كانوا ميسرين أولم يكونوا محارم كأبناء العم فحقتهم صانتم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء
والضراء والمعاضدة ونحو ذلك (والمسكين وابن السبيل) يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على أن المراد بما
يؤتى ذوى القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل أراد بذى القربى أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ التبذير تفريق
المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وكانت الجاهلية تنحرب لها وتبأسر عليها وتبذروا لها في الفخر والسعة وتذكر
ذلك في أشعارها فأمر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويرلف وعن عبدالله هو إنفاق المال في غير حقه وعن مجاهد
لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف
في الخير وعن عبدالله بن عمرو مرسول الله صلى الله عليه وسلم بسعدوه ويتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أوفى الوضوء
سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار (إخوان الشياطين) أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لأنه لا شر من الشيطان
أرهم إخوانهم وأصدقائهم لأنهم بطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف أو هم قرنائهم في النار على سبيل الوعيد (وكان الشيطان
لربه كفورا) فما ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله وقرأ الحسن إخوان الشيطان ۝ وإن أعرضت عن ذى القربى
والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (فقل لهم قولا ميسورا) فلا تتركهم غير مجابين إذا سألك وكان النبي صلى الله عليه وسلم

في الصحاح الطلق وجع الولادة اه فالطاقة المرة منه (قوله تظنين جزيتها يا ابن عمر) لعله ثم قال تظنين (قوله لا يذهب بأبيه
إلى البيعة) في الصحاح البيعة بالكسر للنصاري (قوله ولا تنظر شزرا إليهما) هو نظر الغضبان بمؤخر العين كذا في الصحاح

مَلُومًا مَّحْسُورًا ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ لَّحَنَ نَزْوُفُهُمْ ۖ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتُمْ أَن تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ

إذ استبين شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء قوله ابتغاء رحمة من ربك إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أى فقل لهم قولاً سهلاً لنا وعدم وعداً جميلاً رحمة لهم وتطليبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أى ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم وإما أن يتعلق بالشرط أى وإن أعرضت عنهم أفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردم رداً جميلاً فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقدا الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسبباً عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز أن يكون معنى وإما أعرضت عنهم وإن لم تنفعهم ولم ترفع خصائصهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك لأن من أبى أن يعطى أعرض بوجهه . يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل نحس فهو مقبول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم يسر عليهم فقرهم كأن معناه قولاً ذامياً يسر وهو اليسر أى دعاء فيه يسر . هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير (فتقعد ملوماً) فتصير ملوماً عند الله لأن المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى فلانا وحرمنى ويقول المستغنى ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك إذا احتجت فقدمت على ما فعلت (محسوراً) منقطعاً بك لاشئ عندك من حسره السفر إذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أناه صبي فقال إن أبى تستكسيك درعا فقال من ساعة إلى ساعة يظهر فمد إلينا فذهب إلى أمه فقالت له قل له إن أبى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول :

أتجمل نهبى ونهب العيب ۚ د بين عينيهِ والأقرع ۚ وما كان حصن ولا حابس

بفوقان جدى فى مجمع ۚ وما كنت دون امرئٍ منهما ۚ ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا أبا بكر أقطع لسانه عنى أعطه مائة من الإبل فنزلت ۚ ثم سلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الإضاة بأن ذلك ليس له وان منك عليه ولا يخل به عليك ولكن لأن مشيئة فى بسط الأرزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز أن يريد أن البسط والقبض إنما هما من أمر الله الذى الخزان فى يده فأما العيب فعليهم أن يقتصدوا ويحتمل أنه عز وجل لا يبسط لعباده أو قبض فيه يراعى أوسط الحالين لا يبالغ بالمبسط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى مكرهه فاستنوا بسنته قتلهم أولادهم هو وأدم بناتهم كانوا يثدونهن خشية الفاقة وهى الإملاق فهنام الله وضمن لهم أرزاقهم ۚ وقرئ خشية بكسر الخاء ۚ وقرئ خطأ وهو الإثم يقال خطئ خطأ كإثم إثمًا وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ بالفتح والسكرن وعن الحسن خطأ بالفتح وحذف الهمزة كالحب وعن أبى رجاء بكسر الخاء غير مهموز (فاحشة) قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلاً) وبئس طريقاً طريقه وهو أن تعصب على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله (إلا بالحق) إلا بإحدى ثلاث

(قوله مثل سعد الرجل ونحس) فى الصحاح سعد الرجل بالكسر فهو سعيد مثل سلم فهو سليم وسعد بالضم فهو مسعود

(قوله قولاً ذامياً يسر وهو اليسر) فى الصحاح المعسور ضد الميسور وهما مصدران وقال سيديويه هما صفتان (قوله مائة من

الإبل وعيينة بن حصن) لعل هنا سقطاً تقديره مائة (قوله فى بسط الأرزاق وقدرها) أى تضيقها أفاده الصحاح (قوله هو

وأدم بناتهم) وأد البنات دفنها فى القبر وهى حية كفى الصحاح (قوله وهو الصهر الذى شرعه الله) أى الزوج أفاده الصحاح

سورة الإسرائ
قِي الْقَتْلُ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۖ وَلَا تَتْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۖ
وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۖ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ

إلا بأن تكفر أو تقتل أو تؤمننا عمدا أو تزني بعد احصان (مظلوما) غير راكب واحدة منهن (لوليه) الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فإن لم يكن له ولي فالسلطان ولية (سلطانا) تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه أو حجة يثب بها عليه (فلا يسرف) الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان إذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهامل حين قتل بجير بن الحزث بن عباد بؤبشسع نعل كلب وقال كل قتيل في كليب غرة ۖ حتى ينال القتل آل مرة

وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن بواء وقيل الإسراف المثلة وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على أنه خير في معنى الأمر وفيه مبالغة ليست في الأمر وعن مجاهد أن الضمير للقاتل الأول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي أو قاتل المظلوم وفي قراءة أبي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا (إنه كان منصورا) الضمير إما للولي يعني حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبأن الله قد نصره بمعونة السلطان بإظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبيع ما وراء حقه وإما للمظلوم لأن الله ناصره وحيث أوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة الثواب وإما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف (بالتى هي أحسن) بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسن وهي حفظه عليه وتمييره (إن العهد كان مسئولا) أي مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويبنى به ويجوز أن يكون تخيلا كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكي لنا كذا كما يقال للروثة بأى ذنب قتلت ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسئولا ۖ قرئ (بالقسطاس) بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر أو كبر من موازين الدراهم وغيرها (وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يؤل إليه (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا أثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أوفعل كمن يتبع مسلكا لا يدرى أنه يوصله إلى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لأنه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور

ۖ قوله تعالى وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا (قال أي يطلب من المعاهد أن يبنى به ولا ينكسه الخ) قال أحمد كلام حسن إلا لفظه التخييل فقد تقدم إنكارها عليه وينبغي أن يعرض بالتمثيل والظاهر التأويل الأول ويكون المجرور الذي هو عنه حذف تخفيفاً وقد ذكر في بقية الآي كل أولئك كان عنه مسئولا والله أعلم وبعضه تأويل سؤال العهد نفسه على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدي الله وسؤال الهافيعن وصلها وقطعها وقد ورد ذلك في الحديث الصحيح والله الموفق

(قوله بؤبشسع نعل كليب) في الصحاح يقال بؤبه أي كن بمن يقتل به وفيه البواء السواء وفيه الشسع واحد شسوع النعل التي تشد إلى زمامها وفيه الغرة العبد أو الأمة (قوله وبأن الله قد نصره) لعله أو أن (قوله بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون) أي القبان كذا في النسفي (قوله وقيل القفوشية بالعضية) في الصحاح العضية البيضة وهي الإفك والبهتان (قوله حسبه الله في ردة الخبال) في الصحاح الردة بالتحريك الماء الطين والوحل الشديد وكذلك الردة بالزكس وفيه الخبال والعناء والفساد وأما الذي في الحديث من قفا ۖ مؤمننا بما ليس فيه وقفه الله تعالى في ردة الخبال حتى يجيء بالخارج منه فيقال هو صديد أهل النار

مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝ ذَلِكَ نَمَاءُ
أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلَىٰ فِي جَهَنَّمَ لَوْلَا مَدْحُورًا ۝ أَفَأَصْفِكُمْ
رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا

وعن الحسن لا تقف أخاك المسلم إذا مر بك فتقول هذا بفعل كذا ورأيتك يفعل وسمعتك ولم تر ولم تسمع وقيل الففو
شبهه بالعضية ومنه الحديث من قفى مؤننا بما ليس فيه حبسه الله في ردة الجبال حتى يأتي بالخرج وأنشد

ومثل الدمى شم الغرائن ساكن ۝ بهن الحياء لا يشعن النفاقيا

أى التقاذف وقال الكعيت ولا أرمى البرى بغير ذنب ۝ ولا أفقوا الحواصن إن قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به (أولئك إشارة
إلى السمع والبصر والفؤاد كقوله ۝ والعيش بعد أولئك الأيام ۝ و(عنه) في موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان
مسؤولاً عنه فمسؤول مستند إلى الجارو لجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم . يقال للإنسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم
نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه ۝ وقرئ والفؤاد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واو بعد
الضمة في الفؤاد ثم استصحب الفاء مع الفتح (مرحاً) حال أى ذامر ح وقرئ مرحاً وفضل الأخص المصدر على اسم الفاعل
لما فيه من التأكيد (لن تخرق الأرض) لن تجعل فيها خرقاً يدرك لها رشدة وطأنك وقرئ لن تخرق بضم الراء (ولن تبلغ الجبال
طولاً) بتناولك وهو تهكم بالخمال ۝ قرئ سيئة وسيئه على إضافة سيء إلى ضمير كل وسياً في بعض المصاحف وسيات
وفي قراءة أبى بكر الصديق رضى الله عنه كان شأنه (فإن قلت) كيف قيل سيئه مع قوله مكروها (قلت) السيئة في حكم
الاسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بأنيته ولا فرق بين من قرأ سيئة وسياً الا تراك تقول
الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث (فإن قلت) فما ذكر من الخصال بعضها سيء
وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالإضافة فما وجه من قرأ سيئة (قلت) كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة
لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله إلهاً آخر إلى هذه الغاية ۝ وسماه حكمة
لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس هذه الثمانى عشرة آية كانت في ألواح أولها لا تجعل مع الله
إلهاً آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شىء موعظة وهى عشر آيات في التوراة ۝ ولقد جعل الله فاتحتها
وخاتمها النهى عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وإن بذفها
الحكام وحك ييا فوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم (أفأصفاكم) خطاب
للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار يعنى انخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم
البنون ولم يجعل فيهم نصيباً لنفسه واتخذ أدونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد
لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أرواها وأدونها للسادات (إنكم لتقولون قولا عظيماً) بإضافتكم

قوله عز وجل ولا تمس في الأرض مرحاً لئن تخرق الأرض لئن تبلغ الجبال طولاً (قال معناه لن يجعل فيها خرقاً الخ) قال
أحمد وفي هذا التهمم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية كفاية في الانزجار عنها ولقد حفظ الله عوام زماننا عن هذه المشية وتورط فيها
قراؤها وبقهاؤنا بيدنا أحدهم قد عرف مسهتين أو اجلس بين يديه طالبين أو شد اطراف من رياسة الدنيا إذا هو يتبختر في مشيه
ويترجع ولا يرى أنه يظاول الجبال ولكن يحك ييا فوخه عنان السماء كأنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون وماذا يفيد أرى

(قوله وإن بذفها الحكام) فى الصحاح بذه غلبه رفاقه

سورة الإسراء
 وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۚ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرْشِ سَيَلَامًا ۚ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۚ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَاطِبًا غَفُورًا ۚ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ماتكروهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خالق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الإناث (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يجوز يريد بهذا القرآن إبطال إضافةهم إلى الله البنات لأنه مما صرفه وكثر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقفنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك (ليذكروا) قرئ مشدداً ومخففاً أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يوجب به عليهم (فما يزيدهم إلا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة إليه وعن سفیان كان إذا قرأها قال زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً قرئ كما تقولون بالتاء والياء و (إذا) دالة على أن ما بعدها هو لا يتبعها جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى (لا يتفورا إلى ذي العرش سيلا) لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لتقربوا إليه كقوله أو أوثك الذين يدعون يتفون إلى ربهم الوسيلة (علوا) في معنى تعالياً والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد عما وصفوه به والمراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تتعلق بذلك وكأنها تنزه الله عز وجل مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها (فإن قلت) فما تصنع بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وهذا التسبيح مفقوه معلوم (قلت) الخطاب للمشركين وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يفقهوا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فإذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق (فإن قلت) من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والشفلان وقد عطفوا على السموات والأرض فما وجهه (قلت) التسبيح

القرآن أو يقرأ عليه وقلبه عن تدبره على مراحل والله ولي التوفيق قوله تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً (قال المراد تسبيحها بلسان الحال من حيث تدل على الصانع الخ) قال أحمد ولفائل أن يقول فما يصنع بقوله كان حليماً غفوراً وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم وكفرهم وإشراكهم وإنما يخاطب بهاتين الصفتين المؤمنون والظاهر أن المخاطب المؤمنون وأما عدم فقهننا للتسبيح الصادر من الجمادات فكأنه والله أعلم من عدم العمل بمقتضى ذلك فإن الإنسان لو تيقظ حق النيقظ إلى أن النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون تسبح الله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره وعمر خاطره بهذا الفهم لكاد ذلك يشغله عن القوت فضلاً عن فضول الكلام والافعال والعا كفى على الغيبة التي هي فاكهتا في زماننا هذا لو استشعر حال إفاضته فيها أن كل ذرة وجوه من ذرات لسانه الذي يلقاه في سخط الله تعالى عليه مشغولة مملوءة بتقديس الله تعالى وتسيحه وتخويف عقابه وإرهاب جبروته وتيقظ لذلك حتى النيقظ لكاد أن لا يتكلم بقية عمره فالظاهر والله أعلم أن الآية إنما وردت خطاباً على الغالب في أحوال الغافلين وإن كانوا مؤمنين والله الموفق فالحمد لله الذي كان حليماً غفوراً عاد كلامه (فإن قلت من فيهن يسبحون حقيقة وهم الملائكة الخ) قال أحمد وقد تقدم نقلي عنه أنه يأتي حمل اللفظ على حقيقته وبجازه دفعة واحدة عند آية السجدة في النحل ولكن ظهر من كلامه ثم جعل السجود عبارة عن الاتقياد وعدم الامتناع على القدرة ليكون متناولاً للمكلمين وغير المكلمين بطريق التواطؤ وقد يكون أرادتم المجاز والله الموفق

(قوله وهم أعلى خلق الله وأشرفهم) هذا على مذهب المعتزلة أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل من الملاك

بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۖ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ بِجَوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۚ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۚ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا أَهْنَأُ لِمَبْعُوثُونَ خَاقًا جَدِيدًا ۚ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۚ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قَوْلُ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۚ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۚ وَقُلْ لِعِبَادِي

المجازى حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز (إنه كان حلما غفورا) حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسيح وشرككم (حجبا مستورا) ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو إفهام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في أكِنَّة مما ندعوننا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال وإذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه أولان قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم أن يفقهوه ۚ يقال وحده يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة (وحده) من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدا وطاقتك في أنه مصدر ساد مستد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا أو حده ۚ والنفور مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يجبون أن تذكرهم آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا (بما يستمعون به) من الهزؤ بك وبالقُرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخطون عليه بالأشعار وبه في موضع الحال كما نقول يستمعون بالهزؤ أي هازئين و (إذ يستمعون) نصب بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (وإذ هم نجوى) وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى (إذ يقول) بدل من إذ هم (مسحورا) سحر لجن وقيل هو من السحر وهو الرثة أي هو بشر مثلكم (ضربوا لك الأمثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع ۚ لما قالوا أنذا كنا عظاما قبل لهم (كونوا حجارة أو حديدا) فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يحدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحى وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائرته فليس يبدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة ورطوبة الحى ومن جنس ماركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجسارة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) يعنى أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق لإحياؤه فإنه يحببه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والأرض (فسيغضضون) فسيحتركونها نجوك تعجبا واستمراء ۚ والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله (بحمده) حال منهم أى حامدين وهى مبالغة فى انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأنى ويتنعم سركبه وأنت حامد شاكر

يَقُولُوا الَّتِي هِيَ اَحْسَنُ اِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ اِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ الْاِنْسَانَ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝ رَبِّكُمْ اَعْلَمُ بِكُمْ
اِنْ يَشَاءُ يَرْحَمْكُمْ اَوْ اِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا اَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ۝ وَرَبُّكَ اَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ
وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَاَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ۝ قُلْ اَدْعُوا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُوْنَ
كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ اُولَئِكَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ يَتَّبِعُوْنَ اِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيْلَةَ اِيَّهِمْ اَقْرَبُ وَيَرْجُوْنَ

يعنى أنك تحمل عليه وتفسر قسرا حتى أنك تلين لين المسموح الراغب الحامد . عليه وعن سعيد بن جبير ينفذون
التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون) وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لشكم في الدنيا
الدنيا وتحسبونها يوما أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين
(يقولوا) للمشركين الكلمة (التي هي أحسن) والين ولا يخاشنهم كقوله وجادلهم بالتي هي أحسن وفسر التي هي أحسن
بقوله (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم) يعنى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل
النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغضبهم ويهيجهم على الشر وقوله (إن الشيطان ينزغ بينهم) اعتراض يعنى باقى
بينهم الفساد ويعرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة (وما أرسلناك عليهم وكيلاً) أى ربا موكولا إليك
أمرهم تقسرم على الاسلام وتجبرهم عليه وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك
المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضى الله عنه شتمه رجل فأمره الله بالدفء وقيل
أفرط إيذاء المشركين للمسلمين فشكروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا
يهديكم الله يرحمكم الله ۝ وقرأ طلحة بنزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون ۝ هورد على أهل مكة في إنكارهم
واستبعادهم أن يكون يتيم أى طالب نبياً وأن تكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن
يكون ذلك في بعض أكابرهم وصناديدهم يعنى وربك أعلم بمن في السموات والأرض وبأحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل
كل واحد منهم وقوله (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
(وآتينا داود زبوراً) دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب في زبور
داود وقال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمه (فإن قلت)
هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور (قلت) يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل
وفضل وأن يريد وآتينا داود بعض الزبور وهى الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور
فسمى ذلك زبوراً لأنه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآناً ۝ هم الملائكة وقيل عيسى ابن مريم وعزير وقيل
نفر من الجن عبدتهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا أى ادعواهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم
الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر أو يبدلوه (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفته
(ويتبعون) خبره يعنى أن آلهتهم أولئك يتبعون الوسيلة وهى القرية إلى الله تعالى (أيهم) بدل من واو يتبعون وأى
موصولة أى يتبعنى من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يتبعون الوسيلة معنى
يجر صون فكأنه قيل يجر صون أيهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويتخافون
كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (إن عذاب ربك كان) حقيقة بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي

(قوله حتى أنك تلين لين المسموح الراغب فيه) فى الصحاح أسمعته قروفته أى ذلك نفسه وتابعته على الأمر

(قوله وآتينا داود بعض الزبور) لعله الزبور

رَحْمَتُهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
الْأُولُونَ وَعَآتَيْنَا مُودَةَ النَّاقَةِ مَبْصُرًا فُظِّلُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ
بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ قَمَا يَزِيدُهُمْ

مرسل فضلا عن غيرهم (نحن مهلكوها) بالموت والاستئصال (أو معذبوها) بالقتل وأنواع العذاب وقيل الملاك للصالحه
والعذاب للظالمة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها أمامك فبخرها الحبشة وتملك المدينة
بالجوع والبصرة بالفرق والكوفة بالترك والجبيل بالصواعق والرواحف وأما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا
بلدا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة وأن الأولى منصوبة
والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا إرسال الآيات إلا لتكذيب الأولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا
ذهبا ومن إحياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها لم يؤمن أن يعاجل بعذاب
الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على
قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أوائلهم وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا
العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثه إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحتها
الأولون ثم كذبوا بها المأرسلت فأهلكوا واحدة وهي ناقه صالح لأن آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم
بصرها صادرهم وواردهم (بصرة) بيته وقرى مبصرة بفتح الميم (فظلوا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) إن أراد بها
الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (إلا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فإن لم يخافوا وقع عليهم
وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفا وإنذارا بعذاب الآخرة (وإذ
قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم
وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا متغلبون ونحشرون وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال
أحاط بالناس على عادته في إخباره وحين تراخى الفريقان يوم بدر والنبي صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر
رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم إني أسألك تهديك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم
الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني أنظر إلى
مصارع القوم وهو يرمي إلى الأرض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر يوم بدر وما أرى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون
ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم طعام الآثيم جعلوها سخية وقالوا إن سخيا يزعم أن الجحيم
تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدر الله حق قدره من قال ذلك وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من
جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دوية بلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا تسخت طرحت في النار فذهب
الوسخ وبقي المنديل سالما لأنه لا يعمل فيه النار وترى النعامه تبتلع الجمر وقطع الحديد الحز كالجمل بإحما النار فلا تضرها ثم

قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن الآية (قال افتتانهم بالشجرة
أنهم حين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم الخ) قال أحمد والعمدة في ذلك أن النار لا تؤثر إحراقا في شيء ولكن الله تعالى
أجرى العادة أنه خلق الحرق عند ملاقة جسم النار لبعض الأجسام فإذا كان ذلك من فعل الله لا من فعل النار ففقد تعالى

إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْبَدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا نَحْمِلُ صَدَقَاتِكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا تَحْتَسِبُ ۚ قَالَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ أَتَاكَ جِبَلٌ مِّنْ سَمَاءٍ فَسَجَدَ لِأُولَٰئِكَ مِن دُونِ اللَّهِ فَسَبَّحْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فَكَيْفَ يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا كُنتَ تَكْفُرُ ۚ قَالَ أَتَىٰ جَهَنَّمَ جَزَاءً مِّنْ قَبْلُ ۖ فَمَنْ أَجَلْبُ عَنِّي ۚ قَالَ أَتَىٰ جَهَنَّمَ جَزَاءً مِّنْ قَبْلُ ۖ فَمَنْ أَجَلْبُ عَنِّي ۚ قَالَ أَتَىٰ جَهَنَّمَ جَزَاءً مِّنْ قَبْلُ ۖ فَمَنْ أَجَلْبُ عَنِّي ۚ قَالَ أَتَىٰ جَهَنَّمَ جَزَاءً مِّنْ قَبْلُ ۖ فَمَنْ أَجَلْبُ عَنِّي ۚ

أقرب من ذلك أنه خالق في كل شجرة ناراً فلا تحرقها فمن أنكروا أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات إنما يرسل بها تخويفاً للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر ۖ فما كان ما (أرأيتك) منه في منامك بعد الوحي إليك (الإفئدة) لهم حيث اتخذوه سخرياً وخوفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال فيهم (ونخوفهم) أي نخوفهم بخواف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخريف (إلا طغياناً كبيراً) فكيف يخاف قوم هذه جاهلهم بإرسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسراء وبه تعلق من يقول كان الإسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل إنما سماها رؤياً على قول المكذبين حيث قالوا له أعلمها رؤياً رأيتها وخيال خيل إليك استبعاداً منهم كما سمي أشياء بأسمائها عند الكفرة نحو قوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائي ذق إنك أنت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام أن ولد الحكيم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة ۖ (فإن قلت) أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن (قلت) لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وإنما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن والإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعاد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب ليكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب المحروق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تتلوى بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل أبو جهل ۖ وقري والشجرة الملعونة بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك (طيناً) حال إمامن الموصل والعامل فيه أسجد على أسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع إليه من الصلة على أسجد لمن كان في وقت خلقه طيناً (أرأيتك) الكاف للخطاب و(هذا) مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا (الذي كرمته) (على) أي فضلت لم كرمته على وأناخير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتداء فقال (أئن آخرتي) واللام موطئة للقسم المحذوف (لاحتسب ذريته) لاستأصلهم بالإغواء من احتسب الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلاً وهو من الخنك ومنه ما ذكر سيديه من قولهم أحنك الشاةن أي أكلهما (فإن قلت) من أين علم أن ذلك يتسبل له وهو من الغيب (قلت) إما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به أو خرج من قولهم أنجول فيها من يفسد فيها أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه خالق شهواني وقيل قال ذلك لمأملت وسوسته في آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة (أذهب) ليس من الذهاب الذي هو تقيض الحجى وإنما معناه امض لشأنك الذي أخذته خذلاً ما وتخليه وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) كما قال موسى عليه السلام للسامري فإذهب فإنك في الحياة أن تقول لا مساس (فإن قلت) أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من تبعك (قلت) بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غاب المخاطب على الغائب فقبل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب (جزاء موفوراً) بما في فإن جهنم جزاؤكم

أن لا يفعل الحرق في الشجرة التي في أصل الجحيم ۖ عاد كلامه (قال) وأما الرؤيا فقبل الإسراء وتعلق من جعله مناماً بهذه الآية وقيل إنما سماها رؤياً على زعم المكذبين الخ) قال أحمد ويعد ذلك قوله تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) وقوله فإنهم (قوله) فلا تحرقها فما أنكروا أن يخلق في النار شجرة) عبارة النسفي فجاز أن يخلق (قوله) فقال نعم الطعام الملعون المقشب المحروق) الخلط الضار يمزج بالطعام أو الشراب كالسم والممحروق المذاب حتى يذهب عينه أفاده الصحاح وفيه الكشوث ثبت يتعاق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ۖ ولا نسيم ولا ظل ولا نهر

وَرَجَلِكْ وَشَاركُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ مَا بَعَدَهُمُ الْإِنْسَانَ إِلَّا غُرُورًا ۚ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۚ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۚ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَيْسَ بِنَجْمِكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۚ

من معنى تجاوزون أو بإضمار تجاوزون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استغزاه استغزه والفر الخفيف (وأجلب) من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقري ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لها يقال رجل رجل وقري ورجالك (فإن قلت) ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله (قلت) هو كلام ورد مورد التمثيل مثل حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستغزهم من أمالكهم ويقلقهم عن مراكمهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه إلى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العيث وقيل يجرز أن يكون لإبليس خيل ورجال وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحماهم عليها في بانهم كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في المسوق والإمراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهميد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة وغير ذلك (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شناعة الآلهة والكرامة على الله بالنسب الشريفة وتسريف التوبة ومغفرة الذنوب بدورها والانتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبار والخروج من النار بعد أن يصيروا حما وإيثار العاجل على الآجل (إن عبادي) يريد الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) أى لا تقدر أن تغويهم (وكفى ربك وكيلًا) لهم يتوكلون به في الاستمادة منك ونحوه قوله إلا عبادك منهم المخلصين (فإن قلت) كيف جاز أن يأمر الله إبليس بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا إلى النر صادقا عن الخير (قلت) هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخيلة كما قال للمصاة اعملوا ما شئتم (يزجى) يجرى ويسير والضرب خوف الفرق (ضل من تدعون إلا إياه) ذهب عن أوهاكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه ولا تدعون في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم أو لم يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوتين ويجوز أن يراد ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله

لا تكلون منها والله أعلم قوله تعالى ، وعدمهم وما بعدهم الشيطان إلا غرورا الآية (قال محمد المراد عدم المواعيد الكاذبة الخ) قال أحمد وهذا من تجزى المصنف على السنة ومتبعها فإنه جعل المغفرة المقرونة بالمشيئة وإن لم تكن توبة للمؤمنين من مواعيد الشيطان مع العلم بأنها ثابتة بقواطع القرآن رعاء من الرحمن وكذلك الشفاعة المنفق عليها بين أهل السنة والجماعة التي وعد بها الصادق الصدوق وميزه الله تعالى بها على كل مخلوق من مواعيد الشيطان الباطلة وأمانيه المساحلة اللهم ارزقنا الشفاعة واحشرنا في زهرة السنة والجماعة

(قوله من الجلبة وهي الصياح) فى الصياح جلب على فرسه وأجلب عليه صاح به من خلفه واستحبه للسبق اه (قوله مثل حدث وحدث وندس وندس) فى الصياح رجل حدث وحدث بضم الدال وكسرهما أى حسن الحديث وفيه رجل ندى وندس أى فهم (قوله وماش من أهل العيث) فى الصياح العيث الإفساد (قوله بعد أن يصيروا حما) فى الصياح الحم الرماد والفحم الواحدة حممة ثم ما أفاده من توقف المغفرة على التوبة وعدم الشفاعة فى الكبار وعدم خروج أهلها من النار بعد احتراقهم هو مذهب المعتزلة وأهل السنة على خلاف ذلك كما تفرد فى علم التوحيد

أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ه أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ه وَنَقَدْنَا لَكُمْ مَنَايِبَ آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ه

وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع (أفأمنتم) الهمة للإنكار والفاء للدطف على محذوف تقديره أنجزتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض ه (فإن قلت) بم انتصب (جانب البر) (قلت) يخسف مفعولا به كالارض في قوله نخسفنا به وباداره الارض ه وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقبله وأنتم عليه (فإن قلت) فما معنى ذكر الجانب (قلت) معناه أن الجراب والجبهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برأ كان أو بحرأ سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مخصصاً بذلك بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغيب تحت التراب كما أن الغرق تغيب تحت الماء فالبر والبحر عنده سياتن يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فبلى العاقب أن يستوى خوفه من الله في جميع الجراب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) وهي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصبا يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصبا يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر (وكيلا) من يتوكل بصرف ذلك عنكم (أم أمنتم) أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فيذقم منكم بأن يرسل (عليكم قاصفا) وهي الريح التي لها صيف وهو الصوت الشديد كأنه انقصف أي تنكسر وقيل التي لا تمر بشيء إلا قصفته (فيغرقكم) وقرئ بالياء أي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون التبع المطالب من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ ه كما لاذ الغريم من التبع ه يقال فلان على فلان تبع بحقه أي مصيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجرأ حراً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركا للنا من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقابها (بما كفرتم) بكفرانكم النعمة يريد إعراضهم حين نجاهم . قيل في تكريمة ابن آدم كثره الله بالعتل والنطق والتميز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيرهم وقيل كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلناهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردعا وأكل بأصابعه (على كثير ممن خلقنا) هو ما سوى الملائكة وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزاتهم عند الله منزلتهم والمعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى

ه قوله تع اله ولقد كرمنا بني آدم ه إلى قوله من خلقنا تفضيلا (قال المراد فضلناهم على ما سوى الملائكة الخ) قال أحمد وقد بالغ إلى حد من السفه يوجب الحدولست المساجلته إلا من حيث العلم لا من حيث السفه والقدر الذي تختص به هذه الآية أن حمل كثير على الجميع غير مستبعد ولا مستنكر ألا ترى أنه ورد حمل القليل على العدم والرخشري بخار ذلك في قوله تعالى قليلا ما يؤمنون وأشباهه كثير وقد ملح الشاعر بذلك في قوله ه قليل بها الأصوات إلا بغامها ه أي لأصوات بها ولنا أن نقيه على ما هو عليه ونقول إن المخلوق قسمان بنو آدم أحدهما وغيرهم من جميع المخلوقين القسم الآخر ولا شك أن غيرهم أكثر منهم وإن لم يكونوا أكثر منهم كثيرا فمعنى قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا أي على غيرهم من جميع المخلوقين وتلك الأغيار كثير بلا مرأ وذلك مرادف لقولك وفضلناهم على جميع من عداهم من خلقنا فظاهر الآية إذا مع الأشعرية الذين سماهم مجبرة وتمشدد في سبهم وشقق العبارات في ثلهم وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد والله ولي النوفيق والتسيد

(قوله ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده) كأنه تكرر وأسقطه الخازن في عبارته

(قوله والمعجب من المجبرة كيف عكسوا) يعني أهل السنة وقوله تفضيل الإنسان يعنون المؤمن ويبدل لئذ بهم : إن الذين آمنوا

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ انْسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۚ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۚ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ

جبرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك وذلك بعدما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكروهم وعلوا ابن أسكنهم وأنى قزيبهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أمهم ثم جزهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفظوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يا كلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قات له كن فكان ورووا عن أبي هريرة أنه قال لمؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلو حتى ساءوا الذوق فلم يحسروا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع من خلقتنا على أن معنى قولهم على جميع من خلقتنا أشيى خلقتهم وأقضى لهم يومهم واسكنهم لا يشعرون فانظر إلى تمجدهم وتشبثهم بالنأويلات البعيدة في عداوة الملائكة الأعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم . قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس على قلب الألف واو في لغة من يقول افعوا . والظرف نصب بإضمار اذ كرو يجوز أن يقال إنها علامة الجمع كافي وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لاها غير ضمير ليست إلا علامة (بإمامهم) بمن اتتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم وأن الحكمة في الدعاء بالأسماء دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا ونبت شعري أيها أبداع أصحمة أفضه أم بهاء حكته (فن أوتى) من هؤلاء المدعوتين (كتابه يمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) قيل أولئك لأن من أوتى في معنى الجمع (فإن قلت) لم يخص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم (قلت) بلى ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جنائياته والاعتراف بمساوية أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتبع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤن كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرأوا كتابيه (ولا يظلمون فتيلًا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئًا فلا يخاف ظلما ولا هضمًا معناه ومن كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى كذلك (وأضل سبيلا) من الأعمى والأعمى مستعار لمن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة أما في الدنيا فافقد النظر وأما في الآخرة ولأنه

قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه يمينه فأولئك يقرؤن كتابهم الآية (قال بإمامهم معناه بمن اتتموا به من نبي أو كتاب أو دين الخ) قال أحمد ولقد استبدع بدعا لفظا ومعنى فإن جمع الأمم المعروف أمهات أما رعاية عيسى عليه السلام بذكر أمهات الخلائق ليدكر بأمه فيسندعى أن خلق عيسى من غير أب غميرة في منصبه وذلك عكس الحقيقة فإن خلقه من غير أب كان له آية له وشرفا في حقه والله أعلم

وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . وأما الذين كفروا فهم شر البرية ودعوى العكس من فرط التعصب للمنزلة (قوله قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا) صدره كافي الخازن لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة وقوله خلقت بيدي في الخازن ونفخت فيه من روحي (قوله قال لمؤمن أكرم على الله من الملائكة) في الخازن المؤمن (قوله فلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم) في الصحاح السخيمة الضغينة والموجدة في النفس

عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا ۝ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرُكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝ إِذَا لَا ذُقْنَاكَ
ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝ وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ

لا ينفعه الاهتمام إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول عمالا والثاني مفعوما
لأن أفعال التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به
شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة ۝ روى أن ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا تدخل في أمرك
حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نعشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربنا لنا فهو لنا وكل ربنا علينا فهو
موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا تكسرنا بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره
فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني به وجاءوا بكتابهم فكذب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من
محمد رسول الله ثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجربون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب
اكتب ولا يجربون والكاتب ينظر إلى رسول الله فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا
يامعشر ثقيف أسعرت الله قلوبكم نارا فقالوا اسنا نكلم إياك إنما نكلم محمدا فنزلت وروى أن قریشا قالوا له اجعل آية
رحمة آية عذاب وآية عذاب وآية رحمة حتى تؤمن بك فنزلت (وإن كادوا ليفتنونك) إن مخفة من الثقبلة واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية والمعنى أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخذعوك فأتين (عن الذى أوحينا إليك) من أوامرنا
ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لنترى علينا) لنقول علينا ما لم نقل يعنى ما أداروه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا
وما اقترحتة ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزله عليه (وإذا لا تخذوك) أى ولو انبعت مرادهم لا تخذوك (خليل)
ولكنك لهم وليا وخرجت من ولايتي (ولولا أن ثبتناك) ولولا ثبتناك وعصمتنا (لقد كدت تركن إليهم) لقاربت أن تميل إلى
خدعهم ومكرهم وهذا تهيج من الله له وفضل تثبت وفي ذلك لطف للمؤمنين (إذا) لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة (لاذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات) أى لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر ضاعفين (فإن قلت) كيف حقيقة هذا الكلام (قلت) أصله لاذقناك
عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف

۝ عاد كلامه (قال وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل الخ) قال أحد أى لأنه من عمى القلب لاعمى البصر فجاز
أن ينبنى منه أفعال ۝ عاد كلامه (قال ومن ثم أمال أبو عمرو الأولى ونغم الثانية الخ) قال أحد ويحتمل أن تكون هذه
الآية قسمية الأولى أى فن أوتى كتابه بيمينه فهو الذى يبصره ويقرؤه ومن كان في الدنيا أعمى غير مبصر في نفسه
ولا ناظر في معاده فهو في الآخرة كذلك غير مبصر في كتابه بل أعمى عنه أو أشد عمى مما كان في الدنيا على اختلاف
التأويلين والله أعلم ۝ قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات (قال المراد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات الخ) قال أحد أمّا تقليل الكيدودة فالذى ينبغى أن يحمل
عليه كونه الواقع في علم الله تعالى لأن الله عز وجل يعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون فعلم تعالى أن الركون الذى
كاد يحصل منه عليه السلام وإن كان ما حصل أمر قليل وخطب يسير فذلك اخبار من الله تعالى عن الواقع في علمه تقديرا
فلا يليق أن يحمل على المبالغة والتشبيه فإن ذلك لا يكون في الاخبار الأخرى أنه لو كان الواقع كيدودة ركون كثير لكان

(قوله الواقعة في وسط الكلام) لعله الكلمة كعبارة النبي (قوله لا نعشر ونعشر ولا نجبي) في الصحاح التجبية أن يقوم
الإنسان قيام الراكع وقال أبو غبيدة تكون في حالين أحدهما أن يضع يديه على ركبتيه والآخر ينكب على وجهه
باركا وهو السجود وفيه وج بلد الطائف وفيه أيضا عضدت الشجر أى قطعت

مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝ أقيم

يوصف به نحو قوله فاتهم ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان أصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقبل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضعفنا لك العذاب المهجل للعصاة في الحياة الدنيا وما تؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبايح إلى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواية مضادة لله ونخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكفني إلى نفسي طرفة عين (وإن كادوا) وإن كاد أهل مكة (ليستفزونك) ليزجروك بعداوتهم ومكرهم (من الأرض) من أرض مكة (وإذا لا يلبثون) لا يبقون بعد إخراجك (إلا) زماناً (قليلاً) فإن الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهل كوا يدر بعد إخراجهم بقليل وقيل معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب وقيل من أرض المدينة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا إليه وقالوا يا أبا القاسم إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم فلو خرجت إلى الشام لآمننا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة وقيل بذى الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويراه الناس عازماً على الخروج إلى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع ه وقرئ لا يلبثون وفي قراءة أبي لا يلبثوا على إعمال إذا (فإن قلت) ما وجه القراءة تين (قلت) أما الشائبة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والعمل في خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراءة أبي ففيها الجملة رأسها التي هي إذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك ه وقرئ خلفك قال

عفت الديار خلفهم فكأنما ه بسط الشواطئ بينهم حصيراً

أى بعدهم (سنة من قد أرسلنا) يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة ه دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أتاني

تقليله خلفاً في الخبر ولا ينكر أن الذنب يعظم بحسب فاعله على ما ورد حسنات الأبرار سيئات المقربين وأما نقل الرخصى عن مشايخه استعظام نسبة الفواحش والقبايح إلى الله عز وجل فإذ استعظموها عظيماً حق على كل مسلم أن يستفظعه وليكنهم جهلوا باعتقاد القبح وصفا ذاتياً للقبيح فلزمهم على ذلك كل فعل استتبع من العبد استتبع من الله تعالى وهم غالطون في ذلك فعنى كون الفعل قبيحاً أن الله تعالى نهى عنه عبده وإن كان لله تعالى أن يفعله وهو حسن بالنسبة إليه لا يستل عما يفعله وهم يسئلون ألا ترى أن الملك يصح منه أن يستتبع من عبده أن يجلس على كرسى الملك ونهاه عن ذلك ولا يستتبع ذلك من نفسه بل هو منه حسن جميل ولقد كان لمشايخه شغل باستعظام ما لزمهم من الإشراف عن استعظام غيره مما هو توحيد محض وإيمان صرف وليكنهم زين لهم سوء اعتقادهم فراه حسناً والله الموفق

(قوله ومن ثم استعظم مشايخ العدل) يعنى المعزلة ويريد بالمجبرة أهل السنة حيث قالوا أن الخير والشر كلاهما من عند الله بخلقه وإرادته ولو كان من فعل العبد ظاهراً (قوله وقرئ خلفك قال عفت) كانت القراءة التي سبق تفسيرها خلفك

الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ
بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ۝ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝ وَنُنزِّلُ مِنَ

جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى في الظهر واشتقاقه من الدلك لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر إليها فإن كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وإن كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتنا وهي حجة على ابن علية والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن (مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليعلم الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد به) والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتخرج ويقال أيضا في النوم تهجد (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجد لأن التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيدك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم (مقاما محمودا) نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز أن يكون حالا بمعنى أن يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجب الحمد من أنواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقام يحمده في الآخرون والأخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فعتى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأقول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ليك وسعديك والشر ليس إليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانه رب البيت قال فهذا قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح أدخلني فادخل مدخل صدق أي أدخلني القبر مدخل صدق إدخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وأخرجني منه عند البعث إخراجا مرضيا ماتي بالكرامة آمنا من السخط يدن عنيه ذكره على أثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجه منه مؤدبا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (سلطانا) حجة تنصرتي على من خالفني أو ملكا وعزا قويا ناصرا للإسلام على الكفر مظهرا له عليه فأجيب دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفهم في الأرض ووعد ليذعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله فكان شديدا على المريب لنا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرايا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم إنى رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بملق الباب فقلقلها قلقلها

الْقُرْآنَ مَا هُوَ شِفَاءٌ لِرَحْمَةِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسِئًا ۝ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ فَإِذَا حُكِمَ بِكُمْ فَاعْلَمُوا بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ۝ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا

شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الإسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير ۝ كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما صنم كل قوم بجياهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون إليها وينحرون لها فشكا البيت إلى الله عز وجل فقال أي رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله إلى البيت إني سأحدث لك نوبة جديدة فأهلك خدودا سجدا يدفون إليك دفيف النسور يحنون إليك حنين الطير إلى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخضرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكث بالمخضرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فینكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على أرم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد صلى الله عليه وسلم وشكاية البيت والوحى إليه تمثيل وتخيل (وزهق الباطل) ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه إذا خرجت ۝ والحق الإسلام والباطل الشرك (كان زهوقا) كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت (ونزل) وقرئ بالتخفيف والتشديد (من القرآن) من للتبيين كقوله من الأوثان أو للتبويض أي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به إيمانا ويستصلحون به دينهم فوقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله ۝ ولا يزداد به الكافرون (إلا خسارا) أي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله تعالى فزادتهم رجسا إلى رجسهم (وإذا أنعمنا على الإنسان) الصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله كأنه مستغنى عنه مستبد بنفسه (ونأى بجانبه) تأكيد الإعراض لأن الإعراض عن الشيء أن يولييه عرض وجهه والأى بالجانب أن يلقى عنه عطفه ويولييه ظهره وأراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين (وإذا مسه الشر) من فقر أو مرض أو نازلة من الزوازل (كان يؤسأ) شديد اليأس من روح الله إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون ۝ وقرئ ونأى بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راه في رأي ويجوز أن يكون من نأى بمعنى نهض (قل لعل) أحد من بني على شاكلة أي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تشعب منه والدليل عليه قوله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي أسد مذهباً وطريقة ۝ الأكثر على أنه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه وعن ابن أبي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خاق عظيم روحاني أعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن (من أمر ربّي) أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أوسكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم (وما أوتيتهم) الخطاب عام وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مخضون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم تؤت من العلم إلا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة

(قوله يدفون إليك دفيف النسور) في الصحاح الدفيف الدبيب وهو السير اللين وفيه العجج رفع الصوت وقد عج يعج عجيجا

إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝ قُلْ لِّئِن أُجْتَمِعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا

مضافا إلى ماتحته فالحكمة التي أوتيتها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل في جنب علم الله (لنذهب) جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط ۝ واللام الداخلة على إن موطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثر أو بقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب (ثم لا تجد لك) بعد الذهاب (به) من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوفا مستورا (إلا رحمة من ربك) إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمة تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوفا بعد المنة العظيمة في تزييله وتحفظه فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين الممتنات والقيام بشكرهما ومما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولادين لهم وإن هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أنبتناه في قلوبنا وأنبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناءنا فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب (لا يأتون) جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله ۝ يقول لا غائب مالي ولا حرم ۝ لأن الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لجزوا عن الإتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثنائي القديم فلا يقال للقائل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز. وصف الله بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فإن رأس ما لهم

۝ قوله تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (قال العجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز الخ) قال أحمد وعما يدل على جيد المصنف عن سنن المتصنف أنه تدلس على الضعفة في مثل هذه المسئلة التي طبقت طبق الأرض ظهورا وشيوعا ومع ذلك يرضى لنفسه أن يتجاهل فيها عن معتقد القوم وذلك أن عقيدة أهل السنة أن مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات الباري تعالى يطلق عليها قرآن ويطلق أيضا على أدلتها وهي هذه الكلمات الفصيحة والآي الكريمة قرآن وأن المعجز عندهم الدليل لا المدلول لكنهم يتحرزون من إطلاق القول بأنه مخلوق لوجهين أحدهما أنه إطلاق موهوم والثاني أن السلف الصالح كفوا عنه فافتقروا آثارهم واقتبسوا أنوارهم وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية إيهام غيره بما لا يجوز اعتقاده فلا ربط بين الاعتقاد والإطلاق ولا كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بالزمام والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(قوله النوابت) في الصحاح النوابت من الأحداث الأغمار وفيه رجل غمر لم يجرب (قوله القرآن قديم) يريد بهم أهل السنة حيث يقولون أن القرآن قديم لكن لا بمعنى اللفظ الذي يسمعه معجز بعضنا من بعض فإن هذا حادث بل بمعنى كلام الله الذي هو صفة له قائمة بذاته تعالى فهذا هو القديم كعلمه تعالى وإرادته (قوله فإن رأس ما لهم المكابرة) ليس كما قال غفر الله له بل رأس ما لهم التمسك بالكتاب والسنة وتحزى الحقائق

لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خَلْفَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كَسْفًا أَوْ تَأْتِي بِنُورٍ أَوْ تَأْتِي بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ كَيْبَلًا ۝ أَوْ يُكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زَخْرَفٍ أَوْ تَرُقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ

المكابرة وقلب الحقائق (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه ۝ والكفور الجحود (فإن قلت) كيف جاز (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) ولم يجوز ضربت إلا زيدا (قلت) لأن أبي متأول بالنبي كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا ۝ لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخرى والبيئات ولزمهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المنعثر في أذيال الخيرة فقالوا لن تؤمن لك حتى وحتى (تفجر) تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف (من الأرض) يعنون أرض مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع يفعل من نبع الماء كيعبوب من عب الماء (كما زعمت) يعنون قول الله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ۝ قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسفرة وسدرو بفتح (قبيلة) كقبيلة بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلة وبالملائكة قبلا كقوله كنت منه ووالدي بر يا ۝ فإني وقيارها لغريب

أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (من زخرف) من ذهب (في السماء) في معارج السماء فحذف المضاف ۝ يقال رقى في السلم وفي الدرجة (ولن تؤمن لرقيك) ولن تؤمن لأجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا) من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن أبي أمية لن تؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج ولوجاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولونزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم لم يكن إلى تبصرتهم سبيل (قل سبحان ربي) وقرئ قال سبحان ربي أي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه (هل كنت إلا) رسولا كسائر الرسل (بشرا) مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلا بما هو إلى الله فبالكم تخييرها على ۝ أن الأولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له و(الهدى) الوحي أي وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في (أبعث الله) للإنكار وما أنكروه بخلافه هو المنكر عند الله لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء ثم قرر ذلك بأنه (لو كان في الأرض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشى الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا

۝ قوله تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (قال معناه لو كانوا يمشون مشى الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء الخ) قال أحمد وقد اشتمل كلامه هذا على جواب حسن عن سؤال مقدر وهو قول القائل إن مجرد وجود الملائكة في الأرض يناسب إرسال الملك إليهم فما فائدة هذه الزيادة فيكون جوابه ما تقدم والله الموفق

مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۖ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا
بَصِيرًا ۖ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُم أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَيَحْشُرُهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا ۖ وَإِنَّمَا صِغَارُ تَمْرِهِمْ لَهَيِّبَةٌ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا
أَعِزُّنَا كَرَامًا وَرُفَّتْنَا ۗ إِنَّا لَمَجْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۚ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ
عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُم أَجَلًا لَّارْتِيَابٍ فِيهِ ۚ فَبِئْسَ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۚ قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ

من أهلها ويهدوا ما يجب عليه (مطمئنين) ساكنين في الأرض قادرين (انزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم
الخير ويهديهم المرشد فأما الإنس فقام بهذه المثابة إنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوذة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم
وإرشادهم (فإن قلت) هل يجوز أن يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا (قلت) وجه حسن والمعنى له
أجوب (شهدا بيني وبينكم) على أنى بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتهم وعاندتم (إنه كان بعباده) المذنبين والمذنبين
(خبيرا) عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهدا تمييز أحوال
(ومن يهد الله) ومن يوفقه ويلطف به (فهو المهتدي) لأنه لا يلفظ إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه (ومن يضل)
ومن يخذل (قلن تجد لهم أولياء) أنصارا (على وجوههم) كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم
(عميا وبكيا وصما) كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك
لا يبصرون ما يقتر أعينهم ولا يسمعون ما يبلد مسامعهم ولا يتعلقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة
أعمى ويجوز أن يحشروا مؤفى الحواص من الموقف إلى النار بعد الحساب فقد أخبر عنهم في موضع آخر أنهم يفرزون
ويتكلمون (كلما خبت) كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفتها فسكن لها وبدا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كأهم
لما كذبوا بالإعادة بعد الإفاء جعل الله جزاءهم أن ساط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على
الإفاء والإعادة ليزيد ذلك في تحشرهم على تكذيبهم البعث ولأنه أدخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله
(ذلك جزاؤهم) إلى قوله (أنا مبعوثون خلقا جديدا) (فإن قلت) علام عطف قوله وجعل لهم أجلا (قلت) على قوله
(أولم يروا) لأن المعنى قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثلهم من الإنس
لأنهم ليسوا بأشد خلقا ممن كما قال أنتم أشد خلقا أم السماء (وجعل لهم أجلا لارتب فيه) وهو الموت أو القيامة فأبوامع
وضوح الدليل لإلجوداً (لوحةها) أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها في (لو أنتم تملكون) وتقديره
لو تملكون تملكون فأضمر تلك إضماراً على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المنضل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم
لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتلك تملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب فأما
ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتباعد ونحوه قول
حاتم (لو ذات سوار لطمتني) وقول المتكلمين (ولو غير أخو إلى أرادوا نقيصتي) وذلك لأن الفعل الأول لما سقط
الاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر (ورجحة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه) واقدم بلغ هذا الرصف بالشح
الغاية التي لا يباغها الوهم وقيل هو لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها وأنهم لو ملكوا

(قوله ولا يسمعون ما يبلد مسامعهم) الذي في الصحاح لذت الشيء بالكسر وجدته لذينا

خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۗ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ
يَبِينُتُ فَمَسَّئِلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۗ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا أَنْزَلْنَا
هُؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَبِأَنَّ لَظَنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَشْبُورًا ۗ فَارَادَ أَنْ يَسْتَفْزِمَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۗ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ

خزائن الارزاق ليدخلوا بها (قتورا) ضيقاً بخيلاً (فإن قلت) هل يقدر لامسكت مفعول (قلت) لا لأن معناه ليدخلتم
من قولك للبخيل ممسك ۗ عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر
والطور الذي تنقه على بني إسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن
عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه إلا هكذا أخرج
ياغلام ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فإذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة
وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله إلى موسى أن قل لبني
إسرائيل لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تأكلوا
الربا ولا تمشوا بغيري إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تقفروا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في
السبت (فاستل بني إسرائيل) فقلنا له سل بني إسرائيل أي سلمهم من فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل أو سلمهم
عن إيمانهم وعن حال دينهم أو سلمهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك وتدلل عليه قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأل بني إسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسئل يارسول الله المؤمنين
من بني إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن الآيات ليزدادوا يقيناً وطمأنينة قلب لأن الأدلة إذا أظاهرت
كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم ولكن ليطمئن قلبي (فإن قلت) بم تعلق (إذ جاءهم) (قلت) أماعلى الوجه الأول
فبالقول المخدوف أي فقلنا له سلمهم حين جاءهم أو بسال في القراءة الثانية وأماعلى الأخير فبآتيننا أو بإضمار اذكر أو
يخبروك ومعنى إذ جاءهم (مسحورا) سحرت مخلوط عقلك (لقد علمت) يافرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات
إلا الله عزوجل (بصائر) بينات مكشوفات ولستك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً
وقرئ علمت بالضم على معنى إنى لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر ۗ وأن هذه الآيات منزهة رب السموات
والأرض ۗ ثم قارع طنه بظنه كأنه قال إن ظننتي مسحوراً فأما أظنك (مشوراً) هالكاً وظنى أصح من ظنك لأن له
أماره ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك
مع علمك بصحة أمرى إنى لظنك مسحوراً قول كذاب وقال الفراء مشوراً مصروفاً عن الخير مطبوعاً على قلبك من قولهم
ما تبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك وقرأ أبي بن كعب وإن أخالك يافرعون لمشوراً على إن المخففة واللام الفارقة (فاراد)
فرعون أن يستخف موسى وقومه من أرض مصر ويخرجهم منها أو ينقيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال فحاق به
مكره بأن استغزه الله بإغراقه مع قبلة (اسكنوا الأرض) التي أراد فرعون أن يستفزكم منها (فإذا جاء وعد الآخرة) يعني
قيام الساعة (جئنا بكم لقيفاً) جمعاً غنطين إياكم وإياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات

(قوله سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس) لعله العقدة التي كانت بلسانه فخلها كما عده الخازن وأما الطمس
فهو إجابة دعائه في قوله ربنا اطمس على أمواههم ، ويشير إلى ذلك ذكر ما في الجواب (قوله وجوز مكسور وفوم
وحمص وعدس) في الصحاح القوم التوم ويقال له الخنطة (قوله سل بني إسرائيل أي سلمهم من فرعون) يعني اطمس منه

أَفِيضًا ۖ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْتٍ وَنُزُلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۚ قُلْ ءَامَنُوا بِهِ ءَآوَلَاتُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لِلذَّقَانِ سَجْدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۖ وَيَخِرُونَ لِلذَّقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۗ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ

من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما نزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله وما نزل إلا ملتبسًا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظًا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظًا بهم من تخليط الشياطين (وما أرسلناك) إلا لتبشرهم بالجنة وتذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من إكراه على الدين أو نحو ذلك (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) وقرأ أبي فرقناه بالتشديد أي جعلنا نزوله مفرقًا منجما وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأه مشدداً وقال لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعني أن فرق بالتخفيف يدعى فصل متقارب (على مكث) بالفتح والضم على مهل وتؤدة وثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولاتؤمنوا) أمر بالإعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وأن لا يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك ۚ فإن خيرا منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموها ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم فإذا تلى عليهم خروا سجداً وسبحوا الله تعظيماً لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشربه من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله (إن كان وعد ربنا لمفعولا ۖ ويزيدهم خشوعاً) أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين (فإن قلت) إن الذين أوتوا العلم من قبله تعليل لماذا (قلت) يجوز أن يكون تعليل لقوله آمنوا به أولاتؤمنوا أن يكون تعليلاً لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطيب نفسه كأنه قيل تسلى عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء وعلى الأول إن لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم (فإن قلت) ما معنى الخرور للذقن (قلت) السقوط على الوجه وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لأن الساجد أول ما ياتى به الأرض من وجهه الذقن (فإن قلت) حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه . قال ۖ فخر صريحا للدين وللهم ۖ (قلت) معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لأن اللام الاختصاص (فإن قلت) لم كثر يخررون للأذقان (قلت) لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين ۖ عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه أبو جهل يقول يا الله يارحم فقال إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو لها آخر وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن وقدأكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى إلى مفعولين تقول دعوتك زيداً ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيداً والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأول التخيير فمضى (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا ما هذا وإما هذا . والتنوين في (أيا) عوض من المضاف إليه و(ما) صلة الإبهام المؤكد لما في أي أي هذين الاسمين سميتهم وذكرتهم (فله الأسماء الحسنى) والضمير في قوله ليس يرجع إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى مسماهما وهو ذاته تعالى لأن التسمية للذات لا للاسم والمعنى أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذا الاسم لأنهما منها ومعنى كونهما أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والنعظيم (بصلواتك) بقراءة صلواتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس من قبل أن الجهر والخفاة صفتان تعقبان على الصورت

(قوله لقد آمن به من هو خير منكم) لعله فقد

بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ
الذُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ۝

سورة الكهف مكية

إلا آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠ نزلت بعسد العاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا

لاغير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون اغوا وسبوا فأمر بأن
يخفف من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين) الجهر المخافتة (سبيلا)
وسطاً وروى أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول أنا جئ ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي
الله عنه يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوظف الوسنان فأمر أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفف قليلاً وقيل معناه
ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك
بدعائك وذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل الانتحاء الوجه الوسط
في القراءة (ولي من الذل) ناصر من الذل ومانع له منه لا عزازه به أو لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بمواليه
هـ (فإن قلت) كيف لاق وصفه بنبي الولد والشريك والذل بكلمة التمجيد (قلت) لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر
على إيلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من بني عبدالمطلب عليه
هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قطار في الجنة
والقطار ألف أوقية ومائتا أوقية رزقنا الله بفضل العيم وإحسانه الجسم

﴿سورة الكهف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ هـ لقن الله عباده وفتهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعماته عليهم وهي نعمة
الإسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم (ولم يجعل له عوجاً)
ولم يجعل له شيئاً من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه
وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه هـ (فإن قلت) بما انتصب (قيماً) (قلت) الأحسن أن ينتصب بمضمرو ولا يجعل
حالاً من الكتاب لأن قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل في حين الصلة فجاءه حالاً من الكتاب فاصل بين
الحال وذو الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عرجاً جعله قيماً لأنه إذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة (فإن
قلت) ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر (قلت) فائدته التأكيد قرب مستقيم
مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيماً على سائر الكتب مصداقاً لها شاهد بصحتها
وقيل قيماً بمصالح العباد ومالا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيماً هـ أنذر متعد إلى مفعولين كقوله إنا أنذرناكم عذاباً

هـ قوله تعالى وقول الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل (قال إن قلت كيف
لاق وصفه بنبي الولد والشريك الخ) قال أحمد وقد لاحظ الزمخشري ههنا ما أغفله عند قوله تعالى الحمد لله الذي خلق
السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد رددت هذا الوجه فيما تقدم بأن هذه
الجملة لا يليق اقترانها بكلمة التمجيد ولا تناسبها فإنك لو قلت ابتداء الحمد لله الذي كفروا به يعدلون لم يكن مناسباً والله أعلم

شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ مَّكِينِينَ فِيهِ أَعْدَاءٌ وَيُنذِرُ
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ
إِلَّا كَذِبًا ۗ فَلَعَلَّكَ بَخْعَ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِن لَّمْ يَأْمُرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أُسْفَا ۗ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ
زِينَةً لِّهَا لِنَسْبُلُوهُمْ أَيَّهَا أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۗ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ

قريباً فاقصر على أحدهما وأصله (لينذر) الذين كفروا (بأساً شديداً) والبأس من قوله بعذاب بئس وقد بؤس العذاب
وبؤس الرجل بأساً وبأسه (من لدنه) صادراً من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون (ويبشر)
بالتحفيف والتثقل (فإن قلت) لم اقتصر على أحد مفعولى أنذر (قلت) قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق اليه فوجب
الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) متعلقاً بالمنذرين من غير ذكر
المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله أن لهم أجراً حسناً استغناء بتقدم ذكره ۗ والأجر الحسن الجنة (ما لهم به من علم) أى بالولد
أو باتخاذها يعنى أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد الآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله
(فإن قلت) اتخذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم (قلت) معناه ما لهم به من علم لأنه ليس بما يعلم لاستحالة وانتفاء
للعلم بالشيء إمّا للجهل بالطريق الموصل اليه وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به ۗ قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب
على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة (وتخرج من أفواههم) صفة
للكلمة تفيد استعظاماً لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان في قلوب
الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا ينال الكون أن يتفوقوا به ويطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه تشوراً من
إظهاره فكيف يمثل هذا المنكر ۗ وقرئ كبرت بسكون الباء مع إشمام الضمة (فإن قلت) لإلام يرجع الضمير في كبرت
(قلت) إلى قولهم اتخذ الله ولداً وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها ۗ شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله
من الوجد والأسف على توليهم برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حبرات على آثارهم ويبخع نفسه ووجداً عليهم
وتلهفاً على فراقهم ۗ وقرئ باخع نفسك على الأصل وعلى الإضافة أى قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ إن
لم يؤمنوا أو للبضى فيمن قرأ إن لم يؤمنوا بمعنى لأن لم يؤمنوا (بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفرط الحزن
ويجوز أن يكون حالاً والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل أسف وأسيف (ما على الأرض) يعنى ما يصلح
أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) وحسن العمل الزهد فيها
وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل إليها بقوله (وإننا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيداً جرزا) يعنى مثل أرض
بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة بهجته وإماطة حسنه وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان

﴿القول في سورة الكهف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وينذر الدين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم قال فيه إن قلت
اتخذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل لهم الخ) قال أحمد قد مضى له في قوله تعالى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً
أن ذلك وارد على سبيل التهمك وإلا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل ونظيره ۗ ولا ترى الضب بها ينحجر ۗ وقد قدمت
حينئذ أن الكلام وارد على سبيل الحقيقة والأصل وأن نفي إنزال السلطان تارة يكون لاستحالة إنزاله ووجوده وتارة

(قوله وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان) لعله اشتملته بإصمال السين وسكون الميم (قوله بل يكظمون عليه تشوراً من
إظهاره) أى تباعداً من إظهاره كأنه عورة وفي الصحاح الشرار الفرج ومنه قيل شؤر به كأنه أبدى عورته

وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۖ إِذْ أَوْىُّ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا
 مِنْ أَمْرِنَا ۗ نَارِشِدَابًا ۚ فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۚ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا ۚ وَرَأَيْنَا أَصْحَابَ الْأَنْبِيَاءِ
 لَبِثُوا أَمْدَادًا ۚ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۚ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

وتجفيف النبات والأشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات السكوية تزيين الأرض بما خلق فرقتها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال (أم حسبت) يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة ۚ والكهف الغار الواسع في الجبل (والرقيم) اسم كلهم قال أمية بن أبي الصلت
 وليس بها إلا الرقيم بجاورا ۚ وصيدهم والقوم في الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل إن الناس رقموا حديثهم تقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين (كانوا) آية (عجبا) من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب (من لذنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وهي لنا من أمرنا) الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا (فضربنا على آذانهم) أي ضربنا عليها حجبا من أن تسمع يعني أنهم إنامة ثقيلة لا تسمع فيها الأصوات كما ترى المستقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة (سنين عددا) ذوات عدد فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة لأن الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وقال الزجاج إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعد وإذا كثرت احتاج إلى أن يعد أي يتضمن معنى الاستفهام فدلت عنه لتعلم فلم يعمل فيه ۚ وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد يعلم إليه وقاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول نعلم (أي الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم و (أحصى) فعل ماض أي أيهم ضبط (أمداء) لأوقات لبثهم (فإن قلت) فما تقول فيمن جعله من أفعال التفضيل (قلت) ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجزء ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذاق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممنوع فكيف به ولأن أمداء لا يخلو إما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل وإما أن ينصب بلبثوا فلا يستدعيه المعنى فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله ۚ وأضرب منا بالسيوف القوانسا ۚ على نضرب القوانس فقد أبدت المتناول وهو قريب حيث آيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا إلى تقديره وإضماره (فإن قلت)

يكون لأنه لم يقع وإن كان ممكنا والله أعلم ۚ قوله عز وجل لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداء (قال أعرب أحصى فعلا ماضيا أي لنعلم أيهم ضبط أمداء الخ) قال أحمد وقد جعل بعض النحاة بناء أفعال من المزيد فيه الهمز قياسا وادعى ذلك مذهبا لسيدويه وعلمه بأن بناءه منه لا يغير نظم السكامة وإنما هو تعويض همزة بهمزة ۚ عاد كلامه (قال وأيضا فلو كان للتفضيل لم يخل إن تنصب أمداء إما بأفعل الخ) قال أحمد ولقائل أن ينصبه على التمييز كأن تنصب العدد تمييزا في قوله تعالى وأحصى كل شيء عددا ويعضد حمله على أفعال التفضيل وروده في نظير الواقعة واختلاف الأحزاب في مقدار اللبث وذلك في قوله تعالى إذ يقول أمثالهم طريقة إن لبثتم إلا يوما فأمثالهم طريقة هو أحصاهم لما لبثوا عددا وكلا الوجهين جائز والله أعلم

(قوله تزيين الأرض بما خلق فوقها) لعله بما (قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا) في الصنحاح القونس أعلى البيضة من الحديد والقونس عظم نامى بين أذنى الفرس

إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ نَدَعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ه هَوْلًا
 قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ لَإِظْلَمَ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ه وَإِذْ
 اتَّخَذْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ه
 وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
 مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ الْفُلَّ فَالْمُهْتَدِينَ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يُجَدِّدَهُ وَلِيَا مُرْشِدًا ه وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتِنَا

كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم (قلت) الله عز وجل لم يزل عالما بذلك وإنما أراد ما يتعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا ويكون لطفًا للمؤمنين زمانهم وآية بيته لكفاره (وزدناهم هدى) بالتوفيق والتثبيت (وربطنا على قلوبهم) وقوبناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والنظام بالإسلام (إذ قاموا) بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم (فقالوا ربنا رب السموات والأرض ه شططا) قولًا إذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط إذا بعد ومنه أشط في السوم وفي غيره (هولام) مبتدأ و(قومنا) عطف بيان (واتخذوا) خبر وهو إخبار في معنى إنكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم لخذف المضاف (بسطان بين) وهو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من الحججة حتى يصح ويثبت (افتري على الله كذبا) بنسبة الشريك إليه (وإذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير يعني وإذ اعتزلتموهم واعتزائم معبوديهم (إلا الله) يجوز أن يكون استثناء متصلًا على ما روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة وأن يكون منقطعًا وقيل هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفئة أنهم لم يعبدوا غير الله (مرفقا) قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به أي ينتفع إيمانًا يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوح يقينهم وإيمانًا يخبرهم به نبي في عصرهم وإيمانًا يكون بعضهم نبيًا (تزاور) أي تمايل أصله تزاور تخفف بإدغام التاء في الزاى أو حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تجمر وتحمز وكلاهما من الزور وهو الميل ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (تقرضهم) تقطعهم لا تقرهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة

إلى ظعن يقرضن أفواز مشرف ه شمالا وعن إيمانن الفوارس

(وهم في فجوة منه) وهم في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معترض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني أن ما كان في ذلك سمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبناث نعش فهم في مقناة أبدًا ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجرههم فلفظ بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك

(قوله يقرضن أفواز مشرف شمالا) جمع قوز وهو الكتيب أي التل من الرمل أفاده الصحاح

(قوله فهم في مقناه أبدا) في الصحاح قال أبو عمرو المقناة والمقنوة الذي لا تطلع عليه الشمس وقال غير مقناة

ومقنوة بغيرهمز نقيض المضحة

وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ۝ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ

الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله (وتحسبهم) بكسر السين وفتحها خطاب لكل أحد والايقاظ جمع يقظ كأنكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء ۝ وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم أيقاظا كأنه قيل وترى وتشاهد تقلبهم ۝ وقرأ جعفر الصادق وكالبهم أى وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضى وإضافته إذا أضيف حقيقة معرفة كغلام زيدا إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية ۝ والوصيد الفناء وقيل العتبه وقيل الباب وأنشد

أرض فضاء لا يسد وصيدها ۝ على ومعروفى بها غير منكر ۝ وقرئ وللئت بتشديد اللام المبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقبلها ياء و (رعبا) بالتخفيف والتثقيب وهو الخوف الذى برعب الصدر أى يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهية وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمز بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً فقال معاوية لا أنتهى حتى أعلم عليهم فبعث ناساً وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو (وكذلك بعثناهم) وكما آمنناهم تلك النومة كذلك بعثناهم إذ كآراً بقدرته على الإنامة والبعث جميعاً ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقيناً ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) جواب مبنى على غائب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وأنه لا يكون كذباً وإن جاز أن يكون خطأ (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) إنكار عليهم من بعضهم وأن الله أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد فعلوا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان ابتباهم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك (فإن قلت) كيف وصلوا قولهم (فابعثوا) بتذاكر حديث المدة (قلت) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شئ آخر مما بهمكم ۝ والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث أن عرجة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفاً من ورق فأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتخذ أنفاً من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده ۝ وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصاح المسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتكفين على الاتفاقات وعلى ما فى أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضى الله عنها لمن سأها عن محرم يشد عليه هميانه أوثق عليك نفقتك وما حكى عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله وتعلم منه ذلك فكانت

(قوله وإن الله أعلم بمدة لبثهم) لعله بمعنى أن (قوله أن عرجة أصيب أنفه يوم الكلاب) في وقعة الكلاب وهو بالضم اسم ماء كانت عنده الوقعة أفاده الصحاح (قوله عن بعض صعاليك العلماء) أى فقرائهم

سورة الكهف
 أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ه إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
 أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا ه وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَإِنَّ السَّاعَةَ
 لَأَرِيبٌ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرٌ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَبِّهِمْ أَعْلَمِ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ

مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج أتوه فبدلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر إليهم ويحمد إليهم بذلم
 فإذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر إلا شيان شدا لهميان والتوكل على الرحمن (أيها) أي أهلها فحذف الأهل كما
 في قوله واسئل القرية (أزكى طعاماً) أحل وأطيب وأكثر وأرخص (وليتلطّف) وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره
 من أمر المداينة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف (ولا يشعرون بكم أحداً) يعني ولا يفعلن ما يؤذى من غير قصد
 منه إلى الشعور بنا فسمى ذلك إشعاراً منهم لأنه سبب فيه الضمير في (إنهم) راجع إلى الأهل المقدر في أيها (برجومكم)
 يقتلوكم أخبت القتل وهي الرجم وكانت عادتهم (أو يعيدوكم) أو يدخلوكم (في ملتهم) بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها
 والعود في معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل (وان تفلحوا إذا أبداً)
 إن دخلتم في دينهم (وكذلك أعتراهم عليهم) وكما أمتناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ه ليعلم الذين اطلعناهم
 على حالهم (أن وعد الله حق) وهو البعث لأن حالهم في نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث و (إذ يتنازعون)
 متعاقباً أي أعتراهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث
 الأرواح دون الأجساد وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث حية
 حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفي الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بيوتاً) أي على باب كهفهم
 لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بترتيبهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (قال الذين
 غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لتتخذن) على باب الكهف (مسجداً) يصلى فيه
 المسلمون ويتركون بمكانهم وقيل لإذ يتنازعون بينهم أمرهم أي يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم
 وما أظهر الله من الآية فيهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يستدون الطريق
 إليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بيوتاً روى أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام
 وأكروا على عبادتها ومن شدد في ذلك دقيانوس فأراد قتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات
 على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومزوا بكلب فتبعهم نظردوه فأنطقه الله فقال ما تريدون مني أنا أحب
 أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مزوا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم
 ضرب الله على آذانهم وقيل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين
 فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم
 فهدم ما سده فم الكهف ليتخذة حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتداع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب
 دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله
 على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم
 وتوفي الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلهم من الساج
 وبنى على باب الكهف مسجداً ه ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم

(قوله ولتتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره) أي الإتيان
 (قوله وقيل مزوا براع معه كلب فتبعهم على دينهم) لعل هنا سقطاً تقديره وتبعهم الكلب كما في الخازن

لَسْتَخَذْنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۖ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ

ومدة لبثهم فلما لم يبتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب (سيقولون) الهمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخبر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخباراً بما سيجرى بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه أما من أوائل القليل وروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم يجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبياً كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطورياً كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم بليخا ومكشلتيا ومثليفا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره منوش ودبرنوش وشادنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي واقفهم حين هربوا من ما كهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير (فإن قلت) لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين (قلت) فيه وجهان أن تدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قدأ كرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً وأن تريد يفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له (رجماً بالغيب) رجم بالخبر الخفي وإتيانابه بقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو ووضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الأتري إلى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم أي المظنون . وقرئ ثلاث رابعهم بإدغام التاء في تاء التانيث وثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم (فإن قلت) فهاهذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأولين (قلت) هي الواو التي تدخل الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » وقادتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرمجوا بالظن كما غيرهم والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله رجماً بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم إلا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة أي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا

قوله تعالى « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل » (قال إن قلت لم دخلت الواو في الجملة الأخيرة الخ) قال أحد وهو الصواب لاكن يقول إنها واو الثمانية فإن ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم ويعدون من هذه الواو في قوله في الجنة وفتحت أبوابها بخلاف أبواب النار فإنه قال فيها فتحت أبوابها قالوا لأن أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وهب أن في اللغة واو تصحب الثمانية فتختص بها فإن ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي إلى الثامن فتصحبه الواو وربما عدوا من ذلك والناهون عن المنكر وهو الثامن من قوله التائبون وهذا أيضاً مردود بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة لترابط بينها وبين الأولى التي هي الأمور بالمعروف لما بينهما من التناسب والربط ألا ترى اقترانها في جميع مصادرهما ومواردها كقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله ثبات وأبكاراً لأنه وجدها مع الثامن وهذا غلط فاحش فإن هذه واو التقسيم ولو ذهبت تحذفها فتقول ثبات أبكاراً لم يستدل الكلام فقد

سبعة وثامنهم كلهم قل ربى اعلم بعديهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مرآة ظهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل

لأهل الكتاب خاصة أى سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا فى قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا يجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن نقص عليهم ما أوحى الله اليك لحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم فى الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن (ولا تستفت) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشيء) ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه (إنى فاعل ذلك) الشيء (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (إلا أن يشاء الله) متعلق بالنهى لا بقوله إنى فاعل لأنه لو قال إنى فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهى وتعلقه بالنهى على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثانى ولا تقولن إلا بأن يشاء الله أى إلا بمشيئة الله وهو فى موضع الحال يعنى إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إن شاء الله فى معنى كلمة تأييد كأنه قيل ولا تقولن أبدا ونحوه قوله وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله لأن عودهم فى ملتهم مما إن يشاءه الله وهذا نهى تأديب من الله حين قالت اليهود اقربش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال اتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبت قريش (واذكر ربك) أى مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضى الله عنه ولو بعد سنة مالم تحنك وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه مادام فى مجاسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له فى الأحكام مالم يكن موصولا ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضى الله عنه فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالإيمان أفترضى أن يخرجوا من عنك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه

وضح أن الواو فى جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء والله الموفق قوله تعالى ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله (قال كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله الخ) قال ندى لابتد من حمل الكلام على أحد الوجهين المذكورين ولولا ذلك لكان المعنى على الظاهر يادى الرأى ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله أن تقول هذا القول وليس الغرض ذلك وإنما الغرض النهى عن هذا القول إلا مقرونا بقول المشيئة وليت شعرى ما معنى قول الزمخشري فى تفسير الآية كأن المعنى إلا أن تعترض المشيئة دونه معتقدا أن مشيئة الله تعالى لا تعترض على فعل أحد فكم شاء من الأفعال فتركت وكم شاء من التروك ففعلت على زعم القدرية فلا معنى على أصلهم الفاسد لتعليق الفعل بالمشيئة قولا وهو غير متعلق بها وقوعا حتى أن قول الفائل لأفعل كذا إلا أن يشاء الله أن أفعله كذب وخلف بتقدير فعله إذا كان من قبيل المباح لأن الله تعالى لا يشاؤه على زعمهم الفاسد فما أبعد عدهم من قواعد الشرع فسحقا سحقا عاد كلامه (قال وقوله واذكر ربك إذا نسيت أى كلمة الاستثناء ثم تنهت لها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة مالم تحنك إلى قوله وعند عامة الفقهاء الخ) قال أحمد أما ظاهر الآية فقضاء الأمر بتدارك

(قوله وهو أن يكون إن شاء الله فى معنى كلمة التأيد) لعله أن يشاء (قوله هو على ثنياه) فى الصحاح الثنيا بالضم

الاسم من الاستثناء

عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَذَا رَشَدًا ۖ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ۖ قُلِ اللَّهُ
 أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمِعَ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ
 أَحَدًا ۖ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ۖ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ
 مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ

ورضى عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديداً في البحث على الاهتمام
 بها وقيل واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره إذا اعتراك النسيان ليدرك المنسى وقد حمل على
 أداء الصلاة المنسية عند ذكرها و (هذا) إشارة إلى نبي أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البيئات والحجج
 على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشداً من نبي أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث أتاه من قصص
 الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم عن ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئاً فاذا ذكر ربك وذكر ربك عند
 نسيانه أن تقول عسى ربى أن يهدى لى آخر بدل هذا المنسى أقرب منه (رشداً) وأدنى خيراً ومنفعة ولعل النسيان
 كان خيرة كقوله أو نسيها نأت بخير منها (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم هذه
 المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضرنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ومعنى قوله (قل الله أعلم بما لبثوا) أنه أعلم
 من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك الله به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رده عليهم
 وقال في حرف عبدالله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلاثمائة وقرئ ثلاثمائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع
 الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالاً وفي قراءة أبى ثلاثمائة سنة ۖ تسعاً تسع سنين لأن ما قبله بدل عليه وقرأ
 الحسن تسعاً بالفتح ۖ ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها
 وأنه هو وحده العالم به ۖ وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في
 الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك أطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها
 حجماً وأكثفها جرماً ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر (ما لهم) الضمير لأهل السموات والأرض (من تولى) من متول
 لا مورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضائه (أحداً) منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالثناء والجزم على النهى ۖ كانوا
 يقولون له أنت بقرآن غير هذا أو بدله فقبل له (واتل ما أوحى إليك) من القرآن ولا تسمع لما يهدون به من طلب
 التبديل فلا تبدل لكلمات ربك أى لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده وإذا بدلنا آية
 مكان آية (ولن تجد من دونه ملتحداً) ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك ۖ قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم نخ هؤلاء الموالى الذين كأن ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين
 حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك إلا ردلون فنزلت (واصبر نفسك) راحبها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب
 فصبرت عارقة لذلك حزة ۖ ترسو إذا نفس الجبان تطلع

(بالغداة والعشى) دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغداة وبالغداة أجدولان
 غدوة علم في أكثر الاستعمال وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم ۖ

المشيئة متى ذكرت ولو بعد الطول وأما حلها لليمين حينئذ فلا دليل عليه منها والله أعلم (قال ويجوز أن يكون المعنى واذكر
 ربك بالتسبيح الخ) قال أحمد ويؤيد هذا التأويل بقوله تعالى أول القصة أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من
 آياتنا عجبا فافتتح ذكر القصة بتقليل شأنها وإنكار عدده من عجائب آيات الله ثم ختمها بأمره عليه الصلاة والسلام بطلب ما هو

مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ۖ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ

يقال عداه إذا جاززه ومنه قولهم عدا طوره وجاءى القوم عدا زيد وإنما عدى بعن انضمام عدا معنى نبا وعلا فى قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به (فإن قلت) أى غرض فى هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدم عينك أو لا تعمل عينك عنهم (قلت) الغرض فيه إعطاء مجموع معينين وذلك أقوى من إعطاء معنى قد ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك ولا تقتحمهم عينك مجاوزتين إلى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم أى ولا تضموها إليها آكلين لها وقرئى ولا تعد عينك ولا تعد عينك من أعداء وعداء نقلا بالهمزة وتثقل الحشو ومنه قوله ۖ فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له ۖ لأن معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقره المؤمنين وأن تنبو عينه عن رثاثة زيمهم طموحا إلى زى الأغنياء وحسن شارتهم (تريد زينة الحياة الدنيا) فى موضع الحال (من أغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه كقولك أجبنته وأحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو من أغفل لبه إذا تر بها بغير سمة أى لم نسمة بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا فى قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله (واتبع هواه) ۖ وقرئى أغفلنا قلبه بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من أغفلته إذا وجدته غافلا (فرطا) متقدما للحق والصواب نابذاله وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدما للخيل (وقل الحق من ربكم) الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاغت العليل فلم يبق إلا الاختيار كم لا نفسكم ماشئتم من الأخذ فى طريق النجاة أو فى طريق الهلاك وجئ بلفظ الأمر والتخير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكانه مخير مأمور بأن يتخير ماشاء من النجدين ۖ شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التى تكون حول القسواط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم

أرشد وأدخل فى الآية والله أعلم ۖ قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (قال معناه جعلنا قلبه غافلا عن الذكر الخ) قال أحمد هو يشمر للهرب من الحق وهو أن المراد خلقنا له وجدير به أن يشمر فى اتباع هواه فإن حمل أغفل على بابيه صرفه إلى الخذلان وإلا أخرجه بالكلية عن بابيه إلى باب أفعال للمصادقة ولا يتجرا على تفسير فعل أسنده الله إلى ذاته بالمصادقة إلى تفهيم وجدان الشيء بغتة عن جهل سابق وعدم علم ۖ عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المعنى من أغفل لبه إذا الخ) قال أحمد وهذا التأويل فيه رقة حاشية ولطافة معنى وغرضه منه الخلاص مما قدمناه لأنه وإن أبى خالق الله للغفلة فى القلب فلا يأتى عدم كتب الإيمان وإنما غرضنا التنبيه على أن مقصد الرخشى الحيد عن القاعدة المتقدمة والتأويل إنما يصار إليه إذا اعتاص الظاهر وهو عندنا ممكن فوجب الاعتصام به والله الموفق ۖ عاد كلامه (قال وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه) قال أحمد قد تقدم فى غير ماموضع أن أهل السنة يضيفون فعل العبد إلى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا له وإلى العبد من حيث كونه مقرونا بقدرته واختياره ولا تنافى بين الإضافتين فبراهين السنة تتبعه أينما سلك وأية توجه فلا يحصى له عنها بوجه

(قوله إلى زى الأغنياء وحسن شارتهم) فى الصحاح الشوار والشارة اللباس والهيئة (قوله غافلا عن الذكر بالخذلان) يتحاشى بذلك عن خلق الغفلة فى قلبه لأن الله لا يخلق الشر عند المهتلة وأهل السنة على خلاف ذلك كما أشار إليه بقوله توهم المجبرة ثم إن اتباعه هواه لا ينافى خلق الله الغفلة فى قلبه لجواز أن يكون ذلك ناشئا عن الغفلة (قوله كقولك أجبنته وأحمته) فى الصحاح أحمته وجدته مفحما لا يقول الشعر (قوله ولم نجعلهم) لعله نجعله (قوله متقدما للحق والصواب) أى سابق له ومجاوزه له وفى الصحاح أمر فرط أى مجاوز فيه الحد ومنه قوله تعالى «وكان أمره فرطا» (قوله والمعنى جاء الحق وزاغت العليل) فى الصحاح زاح الشيء بعد وذهب وأزحت علته فراحت (قوله وقيل حائط من نار يطيف بهم الذى يفيد الصراح طاف يطوف حول الشيء دار حوله وطاف يطيف بالشيء جاءه وألم به فتدبر

شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي
الْوُجُوهُ بِثَسِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ
عَمَلًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا
خَضْرَاءَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَثِرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعِيمٌ أَلْوَابٌ وَحَسَنَةٌ مُرْتَفَقًا ۚ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا
رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۚ كَانَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَاتٍ أَكْلَهُمَا

(يغاثوا بماء كالمهل) كقوله: فأعتبوا بالصليم. وفيه تهكم والمهل ما أذيب من جواهر الأرض وقيل دردى الزيت (يشوى الوجوه) إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلارتفاق لأهل النار ولا اتكأ إلا أن يكون من قوله

إني أرقفت فبت الليل مرتفقا ۚ كأن عيني فيها الصاب مذبوح

(أولئك) خبر إن وإنا لأنضيع اعتراض ولك أن تجعل إنا لأنضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل أولئك كلاما مستأنفا بياناً للأجر المبهم (فإن قلت) إذا جعلت إنا لأنضيع خبراً فأين الضمير الراجع منه إلى المتبداً (قلت) من أحسن عملاً والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينظمنهما معنى واحد فقام من أحسن مقام الضمير أو أردت من أحسن عملاً منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم ۚ من الأولى للابتداء والثانية للتيين ۚ وتشكير أساور لإبهام أمرها في الحسن ۚ وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعاً بين النوعين ۚ وخص الاتكأ لأنه هيئة المنعمين والملوك على أسرته (واضرب لهم مثلاً رجلين) أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قاتل منهم إني كنت لى قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فدشاطراها فاشتري الكافر أرضاً بألف فقال المؤمن اللهم إن أخى اشترى أرضاً بألف دينار وأنا اشترى منك أرضاً في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه داراً بألف فقال اللهم إني اشترى منك داراً في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأه بألف فقال اللهم إني جعلت ألفاً صداقاً للهور ثم اشترى أخوه خدماً ومثلاً بألف فقال اللهم إني اشتريت منك الولدان المخدنين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فتربه في حشمة فتعرض له فطرده ووبخه على التصديق بماله وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبدالله بن عبد الأشد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الأسود بن عبد الأشد (جنتين من أعناب) بستانين من كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه إذا أطافوه وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزیده الباء مفعولاً ثانياً كقولك غشيه وغشيته به (وجعلنا بينهما زرعاً) جعلناهما أرضاً جامعةً للأقوات والفواكه ووصف العبارة بأنها متواصلة متشابهة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما الشكل الحسن والترتيب اللين ونعتها بوفاء الثمار وتتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب

(قوله كأن عيني فيها الصاب مذبوح) في الصحاح الصاب عصارة شجر مروفيه ذبحك الذن بزله وفيه بزلت الشراب وشبهه بازلة سالدها (قوله وهذا مما يؤثره الدهاقين) واحده دهقان

وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ۚ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِسَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ
 نَفَرًا ۚ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۚ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ
 إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۚ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ مِمَّنْ
 نُطَقَ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۚ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ

فجعله أفضل ما يسقى به وهو السبيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف (ولم تظلم) ولم تنقص و آت حمل على اللفظ لأن
 كلنا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آت على المعنى لجازه و قرئ وجرنا على التخفيف و قرأ عبد الله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل
 (و كان له ثمر) أى أنواع من المال من ثمره إذا كثره و عن مجاهد الذهب والفضة أى كانت له إلى الجنتين الموصوفين الأموال
 الدائرة من الذهب والفضة وغيرهما وكان وافرًا ليسار من كل وجه متمكنًا من عمارة الأرض كيف شاء (وأعز نفرا) يعنى أنصارا
 وحشما و قيل أولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث و يحاوره يراجع الكلام من حار يحور إذا رجع وسألته فأحار كلمة
 و يعنى قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه
 (فإن قلت) فلم أفرد الجنة بعد الثنية (قلت) معناه ودخل الجنة ماله جنة غيرها يعنى أنه لا نصيب له فى الجنة التى وعد
 المؤمنون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما (وهو ظالم لنفسه) وهو معجب بما أوتى
 مفتخر به كافر انعمه ربه معزز بذلك نفسه لسخط الله وهو أخش الظلم و إخباره عن نفسه بالشك فى يدودة جنته لطول
 أمه واستيلاء الحرص عليه وتمادى غفلته واعتدائه بالمهلة وإطراحه النظر فى عواقب أمثاله وترى أكثر الأغنياء من
 المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا السنهم فإن السنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه (ولئن رددت إلى ربى) إقسام منه على أنه
 إن ردت إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدنى فى الآخرة خيرا من جنته فى الدنيا تطمعا وتمنيا على الله
 وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئماله وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله
 إن لى عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا و قرئ خيرا منها رداً على الجنتين (منقلا) مرجعا وعاقبة واتصابه على التمييز
 أى منقلب تلك خير من منقلب هذه لأنها فانية وتلك باقية (خلقك من تراب) أى خلق أصلك لأن خلق أصله سبب
 فى خلقه فكان خلقه خلقاً له (سواك) عدلك وكذلك إنسانا ذكرنا بالغاً مبلغ الرجال و جعله كافراً بالله جاحداً لانعمه
 لشكه فى البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافراً (لكن هو الله ربى) أصله لكن أنا فحذفت الهمزة
 وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام ونحوه قول القائل

وترمينى بالطرف أى أنت مذنب و تقليبنى لكن إياك لا ألقى

أى لكن أنا لا أقلبك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربى والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر بإثبات ألف
 أنا فى الوصل والوقف جميعاً وحسن ذلك وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها إلا فى الوقف وعن أبى عمر
 وأنه وقف بالهاء لكنه و قرئ لكن هو الله ربى بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبى بن كعب لكن أنا على الأصل وفى
 قراءة عبد الله لكن أنا لا إله إلا هو ربى (فإن قلت) هو استدراك لماذا (قلت) لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله

(قوله أى أنواع من المال من ثمر ماله) الذى فى الصحاح أن الثمر جمع ثمار ككتب وكتاب وأن الثمر أيضا المال
 المثمر ويخفف ويثقل وأثر الرجل إذا كثر ماله وثمر الله ماله أى كثره وعبارة الخازن وكان له ثمر قرئ بالفتح جمع ثمرة
 و قرئ بالضم وهو الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما وفى النسبى له ثمر وأحيط بثمر
 بفتح الميم والثاء وبضم الثاء وسكون الميم وبضمهما (قوله الأموال الدثرة من الذهب والفضة) الكثيرة أفاده الصحاح

سورة الكهف

اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرْنَ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَوْلَادًا فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا
مِّنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ۖ أَوْ يُصْبِحُ مَاءً غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۖ وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ
يَقْلَبُ كَفْيِهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۖ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ
يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۖ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۖ وَأَضْرِبْ لَهُم

لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمراً حاضر ماشاء الله يجوز أن تكون ماموصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ماشاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى أى شىء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لوفى قوله ولو أن قرآننا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ماشاء الله اعترافاً بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها وقلت (لا قوة إلا بالله) إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته وتأييده إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء وكان إذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج ۖ من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلاً ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولاً ثانياً لترنى وفي قوله (وولداً) نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله وأعز نفراً والمعنى إن ترنى أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة (خيراً من جنتك) ويسلبك لكفرتك نعمته ويحزب بستانك ۖ والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أى مقداراً قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حساناً مرادى الواحدة حسبانة وهى الصواعق (صعيداً زلقاً) أرضاً بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقاً و (غوراً) كلاهما وصف بالمصدر (وأحيط) به عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله تعالى إلا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتى عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعلباً عليهم ۖ وتقلب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقرط في اليد ولأنه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أى أنفق في عمارتها (وهى خاوية على عروشها) يعنى أن كرومها المعروشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم قيل أرسل الله عليها ناراً فأكلتها (ياليتنى) تذكرو عظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندماً على ما كان منه ودخولاً في الإيمان ۖ وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئته تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم (فإن قلت) ما معنى قوله (ينصرونه من دون الله) (قلت) معناه يقدرون على نصرته من دون الله أى هو وحده القادر على نصر لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل (وما كان منتصراً) وما كان ممتنعاً بقوته عن انتقام الله (الولاية) بالفتح النصرة والنولى وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ يهما والمعنى هنالك أى في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله ولم يكن له فئته ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعنى أن قوله ياليتنى لم أشرك برى أحداً كلمة ألجئ إليها فقلها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أوليائه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشقى صدورهم من أعدائهم يعنى أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربى أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله (خير ثواباً وخيراً عقباً) أى لأولياته وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة

مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْغَيْثِ إِذَا سُقِيَ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝ وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۝ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا

أى فى تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم ۝ وقرئ الحق بالرفع والجزر صفة الولاية والله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهى قرارة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم ۝ وقرئ عقباً بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة (فاختلط به نبات الأرض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضهم بعضاً وقيل نجح فى النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفاً وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته أن كل مختلطين موضوع كل واحد منهما بصفة صاحبه ۝ والهشيم ماتهم وتحطم الواحدة هشيمة ۝ وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من أذرى شبه حال الدنيا فى نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن (وكان الله على كل شيء) من الإنشاء والإفناء (مقتدراً ۝ الباقيات الصالحات) أعمال الخير التى تبقى ثمرتها للإنسان وتبقى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله (خير ثواباً) أى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة ۝ قرئ تسير من سيرت وتسير من سيرنا وتسير من سارت أى تسير فى الجوار ويذهب بها بأن تجعل هباءً منبثاً ۝ وقرئ وترى الأرض على البناء للمفعول (بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها (وحشرناهم) وجمعناهم إلى الموقف ۝ وقرئ فلم تغادر بالنون والياء يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل ۝ وشبهت حالهم بحال الجنود المعروضين على السلطان (صفاً) مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يجيب أحداً أحداً (لقد جئتمونا) أى قلناهم لقد جئتمونا وهذا المضمرة هو عامل النصب فى يوم نسير ويجوز أن ينصب بإضمار إذ كروا المعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم (أول مرة) وقيل جئتمونا عراة لاشئ معكم كما خلقناكم أولاً كقوله ولقد جئتمونا فرادى (فإن قلت) لم جئتمونا ما ضياً بعد نسير وترى (قلت) للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظام كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (موعداً) وقأ لإنجاز ما وعدتم على السنة الأنبياء من البعث والنشور (الكتاب) للجنس وهو صحف الأعمال (يا ويلتنا) ينادون هلكتهم التى

۝ قوله تعالى « هنالك الولاية لله الحق » (قال قرئ بالرفع والجزر صفة للولاية والله تعالى الخ) قال أحمد وقد تقدم الإنكار عليه فى مثل هذا القول فإنه يوم أن القراءات موكولة إلى رأى الفصحاء واجتهاد البلغاء فتفاوتت فى الفصاحة لتفاوتهم فيها وهذا منكر شنيع والحق أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه متصلاً بقلق فيه صلى الله عليه وسلم منزلاً كذلك من السماء فلا وقع لفصاحة الفصيح وإنما هو ناقل كغيره ولكن الرخشى لا يفوته الشاء على رأس البدعة ومعدن الفتنة فإن عمرو بن عبيد أول مصمم على إنكار القدر وهلم جراً إلى سائر البدع الاعتزالية فمن ثم أتى عليه

(قوله حتى روى ورف رفيفاً) فى الضحاح رفته لونه رفاً ورفيفاً برق وتاللاً وشجر رفيف إذا تدت أوراقه (قوله بحال النبات يكون أخضراً وارفاً) فى الضحاح ورف النبات أى اهتز من نضارته فهو وارف أى ناضر رفافاً شديداً الخضرة

مَاعْمَلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۗ مَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخَذِينَ لَهُمْ عَضُدًا ۗ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ

ملكوها خاصة من بين الهلكات (صغيرة ولا كبيرة) هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة يعني لا يترك شيئاً من المعاصي إلا أحصاه أى أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلاً ولا كثيراً لأن الأشياء إما صغار وإما كبار ويجوز أن يريد وإما كان عندهم صغار وكبار وقيل لم يحتذوا الكبار فكثرت عليهم الصغار وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة الفقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا والله من الصغار قبل الكبار (إلا أحصاها) إلا ضبطها وحصرها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) في الصحف عتداً أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقاب المستحق أو يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم (كان من الجن) كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلها قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن (فسق عن أمر ربه) والفاء للتسيب أيضاً جعل كونه من الجن سبباً في فسقه لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومة والنبتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام المعتبر تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكاً ورئيساً على الملائكة فعصى فلعن ومسح شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود قاله فواسقا عن قصدتها جوارها أو صار فاسقا كافراً بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم (أفتتخذونه) الهمزة الإنكار والتعجب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه (وذريته أولياء من دوني) وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته (ما أشهدتهم) وقرئ ما أشهدناهم يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية ففي مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض لا اعتضد بهم في خلقها (ولا خلق أنفسهم) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذ المضلين) بمعنى وما كنت متخذهم (عضدا) أى أعواناً فوضع المضلين موضع الضمير ذمماً لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعترض بهم وقرأ على رضى الله عنه وما كنت متخذ المضلين بالتنوين على الأصل وقرأ الحسن عضداً بسكون الضاد ونقل ضميتها إلى العين وقرئ عضداً بالفتح وسكون الضاد وعضداً بضمين وعضداً بفتحين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده إذا قواه وأعانه (يقول) بالياء والنون وإضافة الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم وأراد الجن والموبق المهلك من بوق يبق وبوقا وبوقا وبوق يوق وبقا إذا هلك وأوبقه غيره ويجوز أن يكون مصدراً كالمورد والمرعد بمعنى وجعلنا بينهم وادياً من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب

قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه (قال قوله تعالى كان من الجن مستأنف تعليل لفسوقه الخ) قال أحمد والحق معه في هذا الفصل غير أن قوله تعمده الله تعالى لفظة لا تروق ولا تليق فإن التعمد إنما يوصف به عرفان يفعل في بعض الأحيان خطأ وفي بعضها تعمداً فاجتنابها في حق الله تعالى واجب والله الموفق

(قوله كما يزعم من ظلم الله) لعله بالتشديد أى نسب إليه الظلم (قوله ومسح شيطانا ثم وركه) أى اتهمه به (قوله لا اعتضد بهم في خلقها) أى لا استعين بهم

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ۝ وَرَعَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا
وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝
وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
قَبْلًا ۝ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجْعَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحَضُوا بِهِ الْحَقَّ وَيَأْتِخَذُوا
آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هَزْوًا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَىٰ مَا قَدِمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا إِذَا أَبَدَا ۝ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ
ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ۝ وَتِلْكَ
الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أُبْرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ بَيْتَ
الْحَرَامِ فَمَا أَتَىٰهُ يَوْمَئِذٍ الْمَلَائِكَةُ وَأَنزَلُوا عَلَيْهَا الْبُرْجَانَ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ تَحِبُّونَ لِيَجِزِيَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ الَّذِي

الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعاً وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة حتى في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك
كافاً ولا بغضك تلفاً وقال الفراء البين الوصل أى وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة ويجوز أن يريد الملائكة
وعزيراً وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أى وجعلنا بينهم أمداً بعيداً تهلك فيه الأشواط لفرض بعده لأنهم في
قعر جهنم وهم في أعلى الجنان (فظنوا) فأيقنوا (مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (مصرفاً) معدلاً قاله أزهير هل
عن شبيهة من مصرف (أكثر شئاً جدلاً) أكثر الأشياء التي يتأني منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد خصومة
ومما رآه بالباطل وانتصاب جدلاً على التمييز يعنى أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شئ ونحوه فإذا هو خصم مبین ۝ أن
الأولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره (وما منع الناس) الإيمان والاستغفار (إلا) إنتظار (أن تأتيهم
سنة الأولين) وهى الإهلاك (أو) إنتظار أن (تأتيهم العذاب) يعنى عذاب الآخرة (قبلاً) عياناً وقرئ قبلاً أنواعاً
جمع قبيل وقبلاً بفتحيتين مستقبلين (ليدحضوا) ليزيلوا ويبطلوا من إحاض القدم وهو إزلافها وإزالتها
عن موطنها (وما أنذروا) يجوز أن تكون ماموصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفاً أى وما أنذروه من العذاب
أومصدرية بمعنى وإنذارهم ۝ وقرئ هزواً بالسكون أى اتخذوها موضع استهزاء ۝ وجدلهم قولهم للرسول ما أنتم إلا بشر
مثلنا ولو شاء الله لآنزل ملائكة وما أشبه ذلك (بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع إليها الضمير مذكراً في قوله أن يفقهوه
(فأعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسى) عاقبة (ما قدمت يداؤه) من الكفر والمعاصى غير مفكر فيها ولا ناظر
في أن المسىء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علة إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الإفراد حلاً
على لفظ من ومعناه (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم (أبداً) مدة التكليف كلها ۝
وإذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء
سبباً في انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله ما لى لأدعوهم حرصاً على إسلامهم فقيل وإن تدعهم إلى
الهدى فلن يهتدوا (الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذه أهل مكة
عاجلاً من غير إهمال مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من
دونه مَوْثِقًا) منجى ولا ما جأ ۝ يقال وأل إذا نجا وأل إليه إذا لجأ إليه (وتلك القرى) يريد قرى الأولين من ثمود

(قوله قبلاً عياناً وقرئ قبلاً أنواعاً) هذه القراءة بكسر ففتح والثانية بضمين كما يفيد الصراح

الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَى حُقُبًا ۖ فَلَمَّا بَلَغَا بِمَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيًا حَوْتَهُمَا فَتَأخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ

وقوم لوط وغيرهم أشار لهم إليها ليعتبروا تلك مبتدأ والقرى صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس و(أهلكناهم) خبر ويجوز أن يكون تلك القرى نصبا بإضمار أهلكناهم على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضرينا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أى هلاكهم أو وقت هلاكهم والموعود وقت أو مصدر (لفناه) لعبدوه وفي الحديث ليقل أحدكم فتاى وفتاى ولا يقل عبدى وأمتى وقيل هو يوشع ابن نون وإنما قيل فناه لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم (فإن قلت) (لا أبرح) إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر (قلت) هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعى ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لا يبرح مسيرى حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى أزم المسير والطلب ولا أنزكه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان ومجمع البحرين المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحرى فارس والروم بمائلى المشرق وقيل طنجة وقيل أفريقيا ومن بدع التفسير أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم وقرئ بمجمع بكسر الميم وهى فى الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل (أو أمضى حقباً) أو أسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة وروى أنه لما ظهر موسى على مصر مع بنى إسرائيل واستقرتوا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيباً فذكر نعمة الله وقال إنه أصطنى نبيكم وكله فقالوا له قد علمنا هذا فأى الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله فأوحى إليه بل أعلم منك عبدى عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر فى أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذى القرنين الأكبر وبقى إلى أيام موسى وقيل إن موسى سأل ربه أى عبادك أحب إليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى الذى يقضى بالحسنى ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم الذى يبتغى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان فى عبادك من هو أعلم منى فادلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتاً فى مكتل فخيت فقدته فهو هناك فقال لفناه إذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهباً يمسيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغذاء طلب موسى الحوت فأخبره فناه بوقوعه فى البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعزفه نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا فلما ركب السفينة جاء عصفور فوق على حرفها فنقر فى الماء فقال الخضر ما ينقص على وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر (نسيا حوتهما) أى نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمانة على الظفر بالطلبة وقيل نسى يوشع أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل إن يوشع حمل الحوت والخبز فى المكتل فنزل ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت وروى أنهما أكلتا منها وقيل توضع يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع فى الماء (سرباً) أمسك الله جرية الماء على الحوت فصارع عليه مثل الطائر وحصل منه فى مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر (فلما جاوزا) الموعود وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت

(قوله وحصل منه فى مثل السرب معجزة) فى الصحاح السرب بيت فى الأرض تقول منه انسرب الوحشى فى سربه

وانسرب الثعلب فى جحره

لَفَتَهُ إِتَانًا غَدَاً نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝

وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وأتى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله (من سفرنا هذا) إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة (فإن قلت) كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لها على الطلبة التي تناهضا من أجلها وكونه معجزتين ثنتين وهم الحياة السمكة المملوحة الماء كونه أمارة لها على الطلبة التي تناهضا مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلف الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت (قلت) قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الألف على قلة الاهتمام (أرأيت) بمعنى أخبرني (فإن قلت) ما وجه التثام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت و (إذ أوتينا) و (فإن نسي الحوت) لا متعلق له (قلت) لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ماذا أتينا إلى الصخرة فإن نسي الحوت فذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت و (أن أذكره) بدل من الهاء في أنساني ذكره إلا الشيطان وفي قراءة عبد الله أن أذكره و (عجبا) ثانياً مفعولاً اتخذ مثل سرياً يعني واتخذ سبيله سيلاً عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا في آخر كلامه تهجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنساني إلا الشيطان أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل إن عجبا حكاية التعجب موسى عليه السلام وليس بذلك (ذلك) إشارة إلى اتخاذ سيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام وقرئ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعاً لحظ المصحف (فارتدا) فرجعا في إدراجهما (قصصا) يقصان قصصاً أي يتبعان آثارهما اتباعاً أو فارتدا مقتصين (رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوة (من لدنا) مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب (رشداً) قرئ بفتحين وبضمة وسكون أي علماً ذارشد أو رشد به في ديني (فإن قلت) أما دلت حاجته

ه قوله تعالى «قال أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فإن نسي الحوت» (قال إن قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى الخ) قال أحمد وقد ورد في الحديث أن موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا إلا منذ جاوز الموضع الذي حذره الله تعالى له فلعل الحكمة في إنساء الله تعالى ليوشع أن يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر في طاعة وطلب علم بالتيسير عليه وحمل الأعباء عنه وتلك سنة الله الجارية في حق من صحته له نية في عبادة من العبادات أن يسرها ويحمل عنه مؤنتها ويتكفل به مادام على تلك الحالة وموقع الإيقاظ أنه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته بوناينا والله أعلم وإن كان موسى عليه السلام متيقظاً لذلك فالمطلوب إيقاظ غيره من أمته بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام إذ قص عليهم القصة فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس ولكن ليذكر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها ومنافعها عجلوا وأجلوا والله أعلم

(قوله فأعان الألف على قلة الاهتمام) لعل المراد ألف يوشع لرؤيته العجائب عند موسى (قوله فرجعا في إدراجهما قصصاً) الدرج الطريق والجمع الأدراج ومنه قولهم رجعت أدراجي أي رجعت في الطريق الذي جئت منه كذا في الصحاح

قَالَ سَتَجِدُنِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۖ

إلى التعلم من آخر في عمده أنه كما قيل موسى بن ميثا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين (قلت) لاغضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وإنما يفض منه أن يأخذه من دونه وعن سعيد بن جبيرة قال لابن عباس إن نوحا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميثا فقال كذب عدو الله ۖ نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها بما لا يصح ولا يستقيم وعمل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها من أكبر والرجل الصالح فكيف إذا كان نبياً لا يتألمك أن يشتمز ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار و (خبراً) تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر (ولأعصى) في محل نصب عطف على صابراً أي ستجدني صابراً وغير عاص أو لاقى محل عطفاً على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع معه صبراً بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر فوعده بالصبر معلقاً بمشيئة الله علماً منه بشدة الأمر وصعوبته وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافة إليه واتباعه واقتباسه العلم منه برئ من أن يباشر ما فيه غمزة في الدين وأنه لا بد لما يستسمع ظاهره من باطن من جميل فكيف إذا لم يعلم ۖ قرئ فلا تستلني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غي عليك وجه صحته لحميت وأنكرت في نفسك أن لا تفانحنى بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من آداب المنعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهالها هما من اللصوص وأمر وهما بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما ليجزوا أخذ الخضر المأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثبابه ويقول (أخرقتها لتغرق أهلهما) وقرئ لتغرق بالتشديد ولتغرق أهلهما من غرق وأهلهما مرفوع (جئت شيئاً إمراً) أتيت شيئاً عظيماً من أمر الأمر إذا عظم قال داهية دهياء إذاً أمراً (بما نسيت) بالذي نسيت أو بشيء نسيت أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذه على الناسي أو إخراج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذه بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار وهو من معاريض الكلام التي يتق بها الكذب مع النوصل إلى الغرض كقول إبراهيم هذه أختي وإني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة ۖ يقال رهقه إذا غشبه وأرهقه إياه أي ولا تغشني (عسراً) من أمرى وهو اتباعه إياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة وقرئ عسراً بضمين

ۖ قوله تعالى قال إنك لن تستطيع معي صبراً (قال نفي الاستطاعة على وجه التأكيد الخ) قال حين أخذ وعما يدل على أن موسى عليه السلام إنما حمله على المبادرة بالإنكار الالتهاب والحمية للحق أنه قال حين خرق السفينة أخرقتها لتغرق أهلهما ولم يقل لتغرقنا فنسى نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي لا يلوى على مال ولا ولد وتلك حالة الغرق فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرافة بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(قرئ أن يشتمز ويمتعض ويجزع) في الصحاح المضطرو جمع المصيبة (قرئ لحميت وأنكرت في نفسك) في الصحاح حميت عليه بالكسر غضبت

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ زَكَاةٍ يُضْفَوُهَا قَالَ أُولَئِكَ نَكْرًا ه قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ
 إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ه قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ه فَاَنْطَلَقَا
 حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمُوا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ

(فقتله) قيل كان قتله قتل عنقه وقيل ضرب رأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجمه ثم ذبحه بالسكين (فإن قلت) لم
 قيل حتى إذا ركبا في السفينة خرقتها بغير فاء وحتى إذا لقيا غلاماً فقتله بالفاء (قلت) جعل خرافها جزاء للشرط وجعل
 قتله من جملة الشرط معطوفاً عليه والجزاء قال أقتلت (فإن قلت) فلم خولف بينهما (قلت) لأن خرق السفينة لم يتعقب
 الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام ه وقرئ زكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة عنده لأنه
 لم يرها قد أذنبت وإما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) يعني لم تقتل نفساً فيقتص منها وعن ابن عباس أن
 نجدة الحر، رى كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه إن
 علمت من حال الولدان ما عليه عالم موسى فلك أن تقتل (نكرا) وقرئ بضمين وهو المنكر وقيل النكر أقل من الأمر
 لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة وقيل معناه جئت شيئاً أنكرا من الأول لأن ذلك كان خرقاً يمكن
 تداركه بالسدر وهذا لا سبيل إلى تداركه ه (فإن قلت) ما معنى زيادة لك (قلت) زيادة المكافأة بالعتاب على رفض الوصية
 والوسم بقلة الصبر عند الكثرة الثانية (بعدها) بعده هذه الكثرة أو المسئلة (فلا تصاحني) فلا تقاربني وإن طلبت صحبتك فلا تتابعني على
 ذلك وقرئ فلا تصحبنى فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبنى أي فلا تصحبنى إياك ولا تجعلني صاحبك (من لذي عذرا) قد
 أعذرت وقرئ لذي بتخفيف النون ولذي بسكون الدال وكسر النون كقوله في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم رحم الله أخى موسى استجيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى أخى موسى لو لبث مع صاحبه لا بصر أعجب
 الأعاجيب (أهل قرية) هي أنطاكية وقيل الأبله وهي أبعد أرض الله من السماء (أن يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما يقال
 ضافه إذا كان له ضيفاً وحقيقته مال إليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الأزورار وأضافه وضيفه
 أنزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لثاماً وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف
 لابن السبيل حقه (يريد أن ينقض) استعيرت الإرادة للبدانة والمشاركة كما استعير الهمم والهزم لذلك قال الراعى

في مهمه قلقت به هاماتها ه قاق القوس إذا أردن نصولا

يريد الرمح صدر أبي براء ه ويعدل عن دماء بني عتيل

إن دهرأ يلف شملى بحمل ه لزمان يمـم بالإحسان

وقال حسان
 وسمعت من يقول عزم السراج أن يطفأ وطلب أن يطفأ وإذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب

والسكوت والتمرد والإباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجهاد ولما لا يعقل فما بال الإرادة قال
 إذا قالت الأنساع للبطن الحق ه تقول سنى للواء طنى ه لا ينطق اللهو حتى ينطق العود
 وشكا إلى بعبرة وتحمحم ه فإن يك ظنى صادقاً وهو صادق ه ولماسكت عن موسى الغضب
 تمرد مارد وعز الأباتى ه ولبعضهم بأبي على أجنافه إغفاؤه ه هم إذا انقاد الممرم تمردا
 أبت الروادف والثدى لقمصها ه مس البطون وأن تمس ظهوراً

قالنا أتينا طامنين ولقد بلغنى أن بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للنخضر لأن ما كان فيه من

(قوله تمرد مارد وعز الأباتى) مارد والأباتى حصنان الأول حصن درمة الجنادل والثانى للسموال بن عادياء بأرض
 قبياء قصدتهما الزباء ملكة الجزيرة فلما لم تقدر عليهما قالت ذلك فضرب مثلاً كذا في الصحاح

لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۗ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۗ
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۗ
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ نُحْشِنَا لَهُ أَنْ يَرهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۗ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا

آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل إيرده إلى ماء وعنده أصح وأفصح وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز وانقض إذا أسرع سقوطه من انقضا الطائر وهو يفعل مطاوع قضضته وقيل أفعل من النقص كاحتر من الحرمة وقرئ أن ينقض من النقص وأن ينقص من انقصت السن إذا انشقت طولاً قال ذو الرمة منقاص ومنكشب بالصاد غير معجمة (فأقامه) قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناءه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزمها الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدوا مواسياً فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن (قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً) وطلبت على عمك جعلاً حتى نلتعش ونستدفع به الضرورة وقرئ لاتخذت والناء في نخذ أصل كما في تبع واتخذ فتل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء (فإن قلت) (هذا) إشارة إلى ماذا (قلت) قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار إليه وجعله مبتداً وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن أبي عملة فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به (لمساكين) قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمني وخمسة يعملون في البحر (وراهم) أمامهم كقوله تعالى ومن وراءهم برزخ وقيل خلفهم وكان طربقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندي (فإن قلت) قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه (قلت) النية به التأخير وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها المساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم (وقيل في قراءة أبي وعبدالله كل سفينة صالحة (وقرأ الجحدري وكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن (نحشينا أن يرهقهما طغيانا وكفراً) نحشينا أن يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهم وكفراً لنعمتهما بعقوبه وسوء صنيعه ويلحق بهما شر أو بلاء أو يقربن بإيمانهم طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد

قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (قال إن قلت قوله أردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها الخ) قال أحمد وكأنه جعل السبب في اعتبارها كونها لمساكين ثم بين مناسبة هذا السبب للمسبب بذكر عادة الملك في غصب السفن وهذا هو حد الترتيب في التعليل أن يرتب الحكم على السبب ثم بوضع المناسبة فيما بعد فلا يحتاج إلى جعله مقدما والنية تأخيره والله أعلم ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الأسلوب عجبا الأتراه في الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة بقوله فأردت أن أعيبها وأسنده في الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله فأردنا أن يبدلهم ربهما ونحشينا أن يرهقهما ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى لأن المراد ثم عيب فتأدب بأن نسب الإغابة إلى نفسه وأما إسناد الثاني إلى الضمير المذكور فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا أو دبرنا كذا وإنما يعنون أمر الملك ودبر ويدل على ذلك قوله في الثالثة أراد ربك أن يبلغا أشدهما فانظر كيف تغايرت هذه الأساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر بجها السمع وينبوعها ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة فسبحان اللطيف الخبير

(قوله وهو جلندي فإن قلت) في الخازن وكان اسمه الجلندي الأزدي وكان كافراً وقيل كان اسمه حرد بن برد

زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيُخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ وَيَسْتَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكْنَانُهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيحًا ۖ فَاتَّبَعَ سَبِيحًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ

مؤمنان و طاغ كافر أو يهديهم ما بدانه ويضلهم ما بضلاله فيرندابسيه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما خشي الخضر منه ذلك لأن الله تعالى أعلم بحاله وأطلع على سرائره وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي تخاف ربك والمعنى ففكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن يكون قوله نفخنا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرها كقوله لأهب لك ۖ وقرئ يبدلها بالتشديد ۖ والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب ۖ والرحم الرحمة والعطف وروى أنه ولدت لها جارية تزوجها نبي فولدت نبياً هدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبياً وقيل أبدلها ابناً مؤمناً مثلها قيل اسمها الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف اندنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها إلا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لإطلاقه أنه مال وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمتم الغنيمة عليهم وأحللت لنا أراذله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة (وكان أبوها صالحاً) اعتداداً بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد الصادق كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظ فيه سبعة آباء وعن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما حفظ الله الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فإني وجدني خيراً منه فقال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون (رحمة) مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه في معنى رحمهما (وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن امرئ) عن اجتهادي ورأيت وإنما فعلته بأمر الله ۖ ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا وقيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحولت الظلمة من ورائه وقيل نبياً وقيل ملكاً من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفر أمارضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتهم بأسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وشئ عنه فقال أحب الله فأحبه وسأله ابن الكوا: ماذا القرنين أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيجيبه الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي صغيرتان وقيل انقراض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لأنه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشاً لأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره ۖ والسائلون هم اليهود سألوهم على جهة الامتحان وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في (عليكم) لأحد الفريقين (من كل شيء) أي من أسباب كل شيء وأراد من أغراضه ومقاصده في ملكه (سبياً) طريقاً وصلوا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة ۖ فأراد بلوغ المغرب (فاتبع سبياً) يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سبياً وأراد بلوغ السدين فاتبع سبياً وقرئ فاتبع ۖ قرئ حمئة من حمات البر إذا صار فيه الحياة وحامية بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال يا أبا ذر أتدرى أين تغرب هذه فقلت الله ورسوله أعلم

عندها قوما قلنا يذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم
يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وإما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا
ثم أتبع سيبا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد
أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سيبا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون

قال فإنها تغرب في عين حامية وهي قرارة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمة وكان
ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ
أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروى في ناط
فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع

فراى مغيب الشمس عند ما بها ه في عين ذى خلب و ناط حرمه

أى في عين ماء ذى طين وحما أسود ولاتنافى بين الحمة والحامية لجائر أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا ه كانوا
كفرة فخره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام فاختر الدعوة والاجتهاد في استمالتهم ه فقال أما من دعوته
فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذى هو الشرك فذلك هو المعذب فى الدارين (وأما من آمن وعمل) ما يقتضيه الإيمان
(فله جزاء الحسنى) وقيل خيره بين القتل والأسر وسماه إحسانا فى مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله أن يجازى المثوبة
الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى أى فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة
كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه (من أمرنا يسرا) أى لأن أمره بالصعب الشاق
ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والحراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمين ه
وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر ه والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله ه كأن مجز الرامسات ذبولها ه
يريد كأن آثار مجز الرامسات (على قرم) قيل هم الزنج ه والستر الأبنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب
فإذا طلعت الشمس دخلوها ه فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت
عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعنى صاحب يعرف
لسانهم فقالوا له جئنا ننظر كيف تطلع الشمس قال فبيننا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على ثم أقفت وهم
يمسحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار
خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرخونه فى الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس
الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه
نعظما لأمره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبرا) تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها
سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف
وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أى كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى أنهم كفرة مثلهم
وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم (بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد
ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خالق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد

(قوله كأن مجز الرامسات ذبولها) فى الصحاح الرواس الرياح التى تثير التراب وتدفن الآثار (قوله إذ سمعنا كهيئة الصلصلة)
فى الصحاح الصلصلة واحدة الصلال وهى القطع من الأمطار المتفرقة يقع منها الشئ بعد الشئ وصلصلة اللجام صوته إذ ضوعف

قَوْلًا ۚ قَالُوا يَا قَرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ مُمْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خُرْجًا عَلَيَّ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا
سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ۚ فَمَّا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ
وَمَّا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۚ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۚ وَتَرَكَنَا

بالضم فعل بمعنى مفعول أى هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على أنه
مفعول به مبلوغ كما انجز على الإضافة في قوله هذا فراق بينى وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لأنه من الظروف
التي تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع أرض الترك بمائلي المشرق (من دونهما قوما) هم الترك (لا يكادون
يفقهون قولاً) لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون أى لا يفهمون السامع
كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة (يا جوج وما جوج) اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقرئنا مهموزين
وقرأ روية آجوج وما جوج وهما من ولد يافث وقيل يا جوج من الترك وما جوج من الجليل والديلم (مفسدون
في الأرض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً
إلا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلاً وأذى شديداً وعن النبي صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف
ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفروطو الطول وقصار مفروطو القصر قرئ خرجا
وخرجا أى جعلنا يخرجهم من أموالنا ونظيرهما النول والنوال قرئ سدا وسدا بالفتح والضم (ما مكنتي فيه ربي خير)
ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي إليه كما قال سليمان صلوات
الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالإدغام وبضمه (فأعينوني بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلات
(ردما) حاجزا حصينا وثقا والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر الأساس حتى
بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين
الجليلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافيح حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاخاطب والنصق
بعضه ببعض وصار جبلا صلداً وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ قرئ سوى وسوى وعن رسول الله ﷺ أن
رجلا أخبره به فقال كيف رأيت قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيت ه والصدفان بفتحين جانبا
الجليلين لأنهما يتصادفان أى يتقابلان وقرئ الصدفين بضمين والصدفين بضمه وسكون والصدفين بفتحهم وضمة ه والقطر
النحاس المذاب لأنه يقطر . و (قطرا) منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا الخذف الأول لدلالة الثاني
عليه قرئ قال آتوني أى جيئوني (فما استطاعوا) بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فمما استطاعوا
بقلب السين صاداً وأما من قرأ بادغام التاء في الطاء ففلاق بين ساكنين على غير الحد (أن يظهره) أى يعلوه أى لاجلة
لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخاثة (هذا) إشارة إلى السد أى هذا السد نعمة من الله (رحمة)
على عباده أو هذا الإقذار والتمكين من تسويته (فإذا جاء وعد ربي) يعنى فإذا دنا مجي يوم القيامة وشارف أن يأتي ه
جعل السد (دكا) أى مدكوكا مبسوطة مسوى بالأرض وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك
المنبسط السنام وقرئ دكا بالمد أرضا مستوية (وكان وعد ربي حقا) آخر حكاية قول ذي القرنين (وتركنا) وجعلنا

(قوله وما جوج من الجليل والديلم) كذا عبارة النسفي أيضاً ولعله من جيل الديلم وفي الصحاح جيل من الناس أى
صنف الترك جيل والروم جيل وفيه الديلم جيل من الناس (قوله قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء) لعله للأساس
(قوله من زبر الحديد بينهما الحطب) لعله بينها

بعضهم يومئذ يموج في بعض وتفخ في الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً ألسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني آلياً إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءته خبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي هزواً إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبعثون عنها خولاً قل لو كان البحر

(بعضهم) بعض الخلق (يموج في بعض) أى يضطربون ويختلطون إنهم و جهنم حيارى ويجوز أن يكون الضمير إيا جوج وما جوج وأنهم يموجون حين يخرجون من أوراء السد مزدحمين في البلاد وروى يأتون البحر فيشربون مائه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفاً في أبقائهم فيدخل في آذانهم فيموتون (وعرضنا جهنم) وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها (عن ذكرى) عن آياتى التى ينظر إليها فاذا ذكر بالنعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بهم عمى (وكانوا لا يستطيعون سمعاً) يعنى وكانوا صمائه إلا أنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صبح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (عبادى من دونى أولياء) هم الملائكة يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانه أنت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود أفطن الذين كفروا وقرآءة على رضى الله عنه لحسب الذين كفروا أى إفكا فيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لأن الاسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل كقولك أقام الزيدان والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهى قرآءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزول وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (ضل سعيهم) ضاع وبطل وهم الرهبان عن على رضى الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن على رضى الله عنه أن ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبى سعيد الخدرى يأتى ناس بأعمال يوم القيامة هى عندهم فى العظم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئاً (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) فيزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقيم لهم ميزان لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء (فان قلت) الذين ضل سعيهم فى أى محل هو (قلت) الأوجه أن يكون فى محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لأنه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جراً على البدل (جهنم) عطف بيان لقوله جزاؤهم الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادنى حيا عودا يعنى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانهم وهذه غاية الوصف لأن الإنسان فى الدنيا فى أى نعم كان فهو طامع الطرف إلى أرفع منه ويجوز أن يراد نفى التحول وتأكيد الخلود والمداد اسم ماتمته به الدواة من

(قوله ثم يبعث الله نغفاً فى أبقائهم) نغفاً أى دوداً أفاده الصحاح (قوله كأنهم أصميت أسماعهم) فى الصحاح فى مادة صم أصم الله فصم وفى مادة صم بالألف أصميت الصيد إذا رميته فقتلته فقوله أصميت لعله بمعنى أهلكت بالمره بحيث لا يمكن أن تسمع (قوله عطف بيان لقوله جزاؤهم الحول) كذا فى النسفى أيضاً لكن المتجه أنه بيان لقوله ذلك الذى هو إشارة لما مر فى قوله إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً

مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ
إِلَىٰ أُمَّةٍ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدٌ قَمَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا

سورة مريم مكية

إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فمدنيات وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كَهَيْعَصَ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيبًا ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ

الخبير وما يمد به السراج من السليط ويقال السجاد مداد الأرض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها والمراد بالبحر الجنس (لنفذ البحر قبل أن تنفذ) الكلمات (ولو جئنا) بمثل البحر مداداً لنفذ أيضاً والكلمات غير نافذة و (مدداً) تمييز كقولك لي مثله رجلاً والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وقرئ ينفذ بالياء وقيل قال حي بن أخطب وقرأ الأعرج مدداً بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفذ بالياء وقيل قال حي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ثم تقرؤون وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء أو أفمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة أن لا يرائي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصاً لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال للنبي صلى الله عليه وسلم إني أعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرفي فقال إن الله لا يقبل ما شورك فيه وروى أنه قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك إذا قصد أن يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم كان له من مضجعه نوراً ينال إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له نوراً ينال إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله أعلم

(سورة مريم مكية وهي تسعون وثمان أو تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (كهيعص) قرأ بفتح الهاء وكسر الهمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الأمر راعي سنة الله في إخفاء دعوته لأن الجهر والإخفاء عند الله سيات فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص وعن الحسن نداء لارباب فيه وأخفاه اثلاً يلام على طلب الولد في إبان الكبرة والشيخوخة أو أسرته من مواليه الذين خافهم أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل

(قوله كهيعص قرأ بفتح الهاء) عبارة النسفي قرأ على ويجي بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما وقوله وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك أي هذا الخ يحتاج إلى تحرير فإن الرفع قراءة الجمهور وقوله ذكر على الأمر أي ورحمة ربك بالنصب (قوله في إبان الكبرة والشيخوخة) في الصحاح الكبر في السن والاسم الكبرة بالفتح وفيه أيضاً شاخ الرجل يشيخ وشيخاً بالتحريك جاء على أصله وشيخوخة أه وأيس فيه شيوخة وفيه أيضاً إبان الشيء بالكسر والتشديد وقته وأوانه

رَبِّ إِي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ه وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي
وَكَانَتْ أُمَّرَأَى عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ه يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ه يَزَكِّرْ يَا
إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ يَلْمِ بِأَسْمِهِ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ه قَالَ رَبِّ إِنِّي يَسْأَلُكَ لِي غُلَامًا وَكَانَتْ أُمَّرَأَى عَاقِرًا

ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون ه قرئ وهن بالحركات الثلاث وإنما ذكر العظم
لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان
ما وراءه أو هن ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام
وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن
كلها ه إدغام السين في الشين عن أبي عمرو . شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه
وأخذه منه كل ما أخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس
وأخرج الشيب ميمزاً ولم يصف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها
بالبلاغة ه توسل إلى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم أن محتاجاً سأله وقال أنا الذي أحسنت إلى
وقت كذا فقال مرحباً بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته ه كان مواليه وهم عصبته إخوته وبنو عمه شرار بنو إسرائيل
خافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقباً من صلبه صالحاً يقتدى به في إحياء
الدين ويرتسم مراسمه فيه (من ورائي) بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق
بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلاقهم من
ورائي أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي
من ورائي وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائي بمعنى خافي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي أي قلوا وعجزوا
عن إقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني أن يكون بمعنى قدامى فيتعلق بخفت ويريد أنهم
خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوى واعتضاد (من لذنك) تأكيد لسكونه ولياً مرضياً بكونه مضافاً إلى الله تعالى
وصادراً من عنده وإلا فهب لي ولياً يرثني كاف أو أراد اختراعاً منك بلا سبب لأنني وأمرأى لانصالح للولادة (يرثني
ويرث) الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه رداً يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب
نصب على الحال وعن الجحدري أويرث علي تصغير وارث وقال غليم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث
من آل يعقوب أي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالإرث إرث الشرع والعلم لأن الأنبياء لا تورث
المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبراً ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من التبويض
لالتعدية لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو
يعقوب بن مانان أخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود (سمياً) لم يسم أحد
بيحي قبله وهذا شاهد على أن الاسمي السنع جديرة بالآثرة وإياها كانت العرب تنتجى في التسمية لكونها أنبه وأنوه
وأنزه عن التبرحتى قال الفائل في مدح قوم سنع الاسمي مسبلي أزر ه حمرتمس الأرض بالهدب
وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه أنا بن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلاً وشيها عن مجاهد كقوله
هل تعلم له سمياً وإنا قيل للثل سمي لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والظنير فكل
واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في أسمائهم يعمر ويعيش إن كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت أيضاً وهو يموت

(قوله على أن الاسمي السنع جديرة) جمع أسنع كحمر في جمع أحمر من السناعة وهي الجمال أفاده الصحاح أي الأسماء الحسنی

وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۚ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتِكِ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۚ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا أَنْ تَكَلَّمَ النَّاسُ لَيْلًا سَوِيًّا ۚ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ

ابن المزرع قالوا لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهيم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصوراً أي كانت على صفة العقر حين أنشأه وكهل فصار رزقت الولد لاختلال أحد السنين ألخين اختل السبان جميعاً أرزقه (فإن قلت) لم طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب (قلت) ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون إيقاناً ويرتدع المبطلون وإلا فاعتقد زكريا أولاً وآخرأ كان على منهاج واحد في أن الله غني عن الأسباب ۚ أي بلغت عتياً وهو اليبس والجسورة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عنا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتياً وقرأ ابن وثاب وحزرة والسكتاني بكسر العين وكذلك صلياً وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ أبي ومجاهد عسياً (كذلك) الكاف رفع أي الأمر كذلك تصديق له ثم ابتداء قال ربك أو تصب يقال وذلك إشارة إلى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو على هين ولا يخرج هذا إلا على الوجه الأول أي الأمر كما قلت وهو على ذلك هون على ووجه آخر وهو أن يشار بذلك إلى ما تقدم من وعد الله لا إلى قول زكريا وقال محذوف في كلنا القراءتين أي قال هو على هين قال وهو على هين وإن شئت لم تنوه لأن الله هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعدته وقوله الحق (شيثاً) لأن المعدوم ليس بشيء أو شيئاً يعتد به كقولهم عجبت من لاشيء وقوله ۚ إذا رأى غير شيء ظنه رجلاًه وقرأ الأعمش والسكتاني وابن وثاب خلقناك ۚ أي اجعل لي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح سوى الخلق ما بك خرس ولا بكم ۚ دل ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام وليالهن ۚ أوحى أشار عن مجاهد ويشهد له الإلزام وعن ابن عباس كتب لهم على الأرض

(القول في سورة مريم)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فهب لي من لدنك ولياً إلى قوله وقد بلغت من الكبر عتياً (قال إن قلت لم طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العتي الخ) قال أحمد وفيما أجاب به نظر لانه التزم أن زكريا استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه ولا يجوز للنبي النطق بما لا يسوغ لمثل هذه الفائدة التي عينها الزمخشري ويمكن حصولها بدونه فالظاهر في الجواب والله أعلم أن طلبة زكريا إنما كانت ولداً من حيث الجملة وبحسب ذلك أجيب وليس في الإجابة ما يدل على أنه يولده وهو هرم ولأنه من زوجته وهي عاقر فاحتمل عنده أن يكون الموعود وهما بهذه الحالة واحتمل أن تعادلهما قوتها وشبابهما كما فعل الله ذلك لغيرهما أو أن يكون الولد من غير زوجته العاقر فاستبعد الولد منهما وهما بحالهما فاستخبراً يكون وهما كذلك فقيل كذلك أي يكون الولد وأتما كذلك فقد انصرف الإبعاد إلى عين الموعود فزال الأشكال والله أعلم ۚ قوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً (قال إنما قيل ذلك لأن المعدوم ليس بشيء أو شيئاً يعتد به الخ) قال أحمد فسر أولاً على ظاهر النفي الصرف وهو الحق لأن المعدوم ليس بشيء أو شيئاً يعتد به الخ) قال الممكن شيء ومن ثم كافح الزمخشري عن البقاء على التفسير الأول إلى الثاني بوجه من التأويل يلائم معتقد المعتزلة فجعل المنفي الشيثية المعتد بها وإن كانت الشيثية المطلقة ثابتة عنده للمعدوم والحق بقاء الظاهر في نصابه

(قوله كالعود القاحل) أي اليبس كذا في الصحاح (قوله وكذلك صلياً وابن مسعود بفتحهما) لعله بفتحها (قوله فيهما وقرأ أبي ومجاهد عسياً) في الصحاح عسى الشيخ يعسوعسياً ولي وكبر مثل عتا

أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۚ يَبِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِهَيۜوةٍ وَعَاتِدِنَهُ الْحُكْمَ صَيًّا ۚ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكۜوةً وَكَانَ
تَقِيًّا ۚ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۚ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۚ وَأُذۜكِرُ
فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِن أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۚ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا
فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۚ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا ۚ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ
غُلَامًا زَكِيًّا ۚ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلِمَ الْبَغِيًّا ۚ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيۜوَةٍ

(سبحوا) صلوا أو على الظاهر وأن هي المفسرة ۚ أي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (الحكم) الحكمة ومنه
واحكم حكم فتاة الحى يقال حكم حكما حكلم وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقبل دعاه الصبيان إلى اللعب
وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى إليه (حنانا)
رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفاً وشفقة أنشد سيويه ۚ وقالت حنان ما أتى بك ههنا ۚ أذونسب أم أنت بالحى عارف
وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرافة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل
الاستعارة ۚ والزكاة الطهارة وقيل الصدقة أي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم ۚ سلم الله عليه في هذه الأحوال قال
ابن عيينة إنها أوحش المواطن (إذ) بدل من مريم بدل الأشمال لأن الإحياء مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر
مريم ذكر وقتها لهذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه ۚ والانتباز الاعتزال والانفراد نخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي
بيت المقدس أو من دارها معزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجة بحائط أو بشى يستترها
وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها فإذا طهرت عادت إلى المسجد فينهاى في مغتسلها أنها الملك
في صورة آدمى شاب أمرد وضى الوجه جعد الشعر سوى الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً أو حسن الصورة
مستوى الخلق وإنما مثل لها في صورها الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم
تقدر على استماع كلامه ۚ ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثله
على تلك الصفة ابتلاء لها وسبراً لعفتها وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا
إذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلى رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء
الجبل فأنها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل إن النصرى اتخذت
المشرق قبلة لانتباز مريم مكاناً شرقياً ۚ الروح جبريل لأن الدين يحيا به وبوحى أو سماه الله روحه على المجازحة له وتقريراً
كما تقول لحبيبتك أنت روحى وقرأ أبو حنيفة روحنا بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد وإصابة الروح عند الله الذى
هو عدة المقربين في قوله فأما إن كان من المقربين فروح وريحان أولانه من المقربين وهم الموعودون بالروح أى مقربنا
وذا روحنا ۚ أرادت إن كان يرجى منك أن تتق الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عاتذة به منك كقوله تعالى بقية
الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ۚ أى إنما أنا رسول من استعذت به (لاهب لك) لا كون سيباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع
وفي بعض المصاحف إنما أنا رسول ربك أمرنى أن أهب لك أو هى حكاية لقول الله تعالى ۚ جعل المسّ عبارة عن النكاح
الحلال لأنه كناية عنه كقوله تعالى من قبل أن تمسوهن أو لمستم النساء والزنا ليس كذلك إنما يقال فيه فخر بها وخبث بها
وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب والبغى الفاجرة التى تبغى الرجال وهى فعول عند المبرد بغوى

(قوله بالنفخ في الدرع) فى الصحاح درع المرأة قميصها

وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝ فَمَلَّتْهُ فَوَافَتْهُ فَوَافَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۝ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۝ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ

فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جنى في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقليل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر (ولنجعله) آية لتعليل معلوم محذوف أي ولننجعله آية للناس فعلا لذلك وهو معطوف على تعليل مضمرة أي لتبين به قدرتنا ولننجعله آية ونحوه وخاق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك كدنا أي يوسف في الأرض ولنعله (مقضيا) مقدرًا مسطورًا في اللوح لا بد لك من جريه عليك أو كان أمرًا حقيقًا بأن يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سببًا في قوة الاعتقاد والنوصل إلى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوير عن ابن عباس فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعيش مولود وضع ثمانية إلا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كحملته نبذته وقيل حملته وهي بذت ثلاث عشرة سنة وقيل بذت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل وقالوا ما من مولود إلا يستهل غيره (فانتبذت به) أي اعتزلات وهو في بطنها كقوله ۝ تدوس بنا الجاجم والتربيا ۝ أي تدوس الجاجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن أي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال (قصيا) بعيدا من أهلها وراه الجبل وقيل أقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها فأناه جبريل فقال إنه من روح القدس فلا تقتلها فتركها (فأجاءها) أجاء منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإجماع الأتراك لا تقول جئت المكان وأجاءني زيد كما تقول بلغته وأبلغني ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء ولم تقل أتيت المكان وآتانيه فلان ۝ قرأ ابن كثير في رواية (المخاض) بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تخض الولد في بطنها ۝ طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل وإما أن يكون تعريف الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبرا على البرد وثمارها إنما هي من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وأجأها إليها قرئ (مت) بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات ۝ النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كحرقه الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح في قوله تعالى وفديناه يذبح عظيم وعن يونس العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أي الشيء اليسير نحو العصا والقدرح والشظاظ تمت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشوق من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أولشدة التكليف عليها إذا بهتوا وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرئت به من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام لأنه مقام دحض قلبا ثبت عليه الأقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح

(قوله ما من مولود إلا يستهل غيره) في الصحاح استهل الصبي أي صاح عند الولادة (قوله وهو تخض الولد في بطنها) في الصحاح تخض اللبن واستخض أي تحرك في الممخضة وكذلك الولد إذا تحرك في بطن الحامل (قوله نحو العصا والقدرح والشظاظ) في الصحاح الشظاظ العود الذي يدخل في عروة الجواق وفيه الجواق رعاء (قوله من فرط الحياء والتشوق من الناس) خوف إظهار العورة أفاده الصحاح (قوله إذا بهتوا وهي عارفة الخ) أنهم وهابا ليس فيها وقرئت اتهمت

تَحْتَك سَرِيًّا ۖ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۖ فَكَلِمَىٰ وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَمَا تَرَيْنَ مِنَ
الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ لِيَوْمَ إِنْسِيًّا ۖ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمَلُهُ قَالُوا يَسْمُرِيْمُ
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ۖ يَاخْتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ۖ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا

ولستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها وقرأ
ابن وثاب والاعمش وحمزة وحفص نسيا بالفتح قال الفراء هما الغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز أن يكون مسمى
بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظي نسا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته نزارته وقرأ الاعمش نسيا
بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمختر (من تحتها) هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة
عاصم وأبي عمرو وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله تجرى من تحتها الأنهار وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها لا تحزني
وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرأ زر
وعلقمة فخاطبها من تحتها ۖ سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول قال لبيد
فوسطا عرض السرى فصدا ۖ مسجورة متجاوزا قلامها

وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبداً سرياً (فإن قلت) ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى
تسلى بالسرى والرطب (قلت) لم تقع التسلية بهما من حيث أنهما طعام وشراب ولكن من حيث أنهما معجزتان تريان الناس
أنها من أهل العصمة والبعد من الريسة وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل وأن لها أموراً إلهية خارجة عن العادات
خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فح ليس يدع من شأها (تساقط) فيه تسع قراآت تساقط
بإدغام التاء وتساقط بإظهار التاء وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وإدغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط
ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز أو مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزى وليس بذلك
والباء في جذع النخلة صلة للآ كيد كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو على معنى أفعلى الهز به كقوله يجرح
في عراقها نصلي قالوا التمر للفسام عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للفسام خير
من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ۖ عن طلحة بن سليمان (جنيا)
بكسر الجيم للاتباع أي جمعنا لك في السرى والرطب فائدتين إحداهما الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما
معجزتين وهو معنى قوله فكلمى وأشربى وقرى عينا أي وطبى نفسا ولا تغتمى وأرفضى عنك ما أحزنك وأهمك ۖ وقرى
(وقرى) بالكسر لغة نجد (فأما ترين) بالهمز ابن الرومي عن أبي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلات
السويق وذلك لتأخ بين الهمز وحرف اللين في الإبدال (صوما) صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن أنس بن مالك مثله
وقيل صياما إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صباهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لأنه نسخ
في أمته أمرها الله بأن تنذر الصوم لثلاث تشريع مع البشر المتهمين لها في الكلام المعنيين أحدهما أن عيسى صلوات الله
عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن السفه واجب ومن
أذل الناس سفهه لم يجد مسافها قيل أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة وقيل سوغ لها ذلك بالطاق (إنسيا) أي أكلم
الملائكة دون الإنس ۖ القرى البديع وهو من فرى الجلد (ياخت هرون) كان أخاها من أبيها من أمثل بنى إسرائيل
وقيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنوا هرون النبي وكانت من أعقابها في طبقة

(قوله متجاوزا قلامها) في الصحاح القلام بالتشديد القائل وهو من الحمص (قوله وقيل هو من السرق والمراد) في الصحاح
السرقة سخاء في مروءة (قوله يقول لبأت بالحج وحلات السويق) والكثير لبيت بالحج وحليت السويق أي جعلته حلوا

كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۖ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۖ وَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا

الإخوة بينها وبينه ألف سنة وأكثر وعن السدي كانت من أولاده وإنما قيل يا أخت هرون كما يقال يا أخت همدان أي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها به أي كنت عندما مثله في الصلاح أو شتموها به ولم ترد إخوة النسب ذكر أن هرون الصالح تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرأ عمر بن لجا النيمي (ما كان أباك امرؤ سوء) وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلها عيسى في الطريق فقال يا أمه أنشري فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكبوا وقالوا ذلك وقيل هو ابرجها حتى نكح عيسى عليه السلام فتركوها (فأشارت إليه) أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن السدي لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها وروى أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وقيل كلهم بذلك ثم لم يتكلم حتى باغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان (كان) لا يقع مضمون الجملة في زمان ماضٍ منهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه مبنى الكلام وأنه مسوق للتعجب ووجه آخر أن يكون نكح حكاية حال ماضية أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا في المهديا سلف من الزمان حتى نكح هذا أنطقه الله أولا بأنه عبد الله ردأ لقول النصارى (والكتاب) هو الإنجيل واختلقوا في نبوته فقيل أعطيها في طفولته أكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الآية وقيل معناه إن ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لاحالة كأنه قد وجد (مباركا أينما كنت) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وقرئ (وبرا) عن أبي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره أو نصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلفني لأن أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد (والسلام على) قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلى والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه أن اللام للجنس فإذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام منكرة وعاد فهو مشنة لنحو هذا من التعريض وقرأ عاصم وابن عامر (قول الحق) بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الأنعام قوله الحق والقول والقول بمعنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعة على أنه خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف وأما انتصابه فعلى المدح إن فسر بكلمة الله وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله حقوا الحق لا الباطل وإنما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة أب تسمية للسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسما والشحم بالندا ويحتمل إذا أريد بقول الحق عيسى أن يكون الحق اسم الله عز وجل وأن يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون أي أمره حق يقين وهم فيه شاكون (يمترون) يشكون والمرية

(قوله حتى تعلت من نفاسها) في الصحاح تعلت أي علا في مهلة وتعلت المرأة من نفاسها أي سلبت وتعلت الرجل من علته

صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ
يَوْمَ يَأْتُونََنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
نَبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ يَسَابُغَ لَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝ يَسَابُغَ لِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ

الشك أو يتبارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله ثالث ثلاثة وقرأ على بن أبي طالب رضى الله عنه يمترون على الخطاب وعن أبي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون ۝ كذب النصارى وبكتمهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه إذ من المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين إحالة ذلك بأن من إذا أراد شيئاً من الأجناس كلها أوجده بكن كان منزهاً من شبه الحيوان الوالد ۝ والقول ههنا مجاز ومعناه أن إرادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبّه ذلك بأمر الأمر المطاع إذا ورد على المأمور الممثل ۝ وقرأ المدنيون وأبو عمرو بفتح أن ومعناه ولا تهرى وربكم فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً والأستار وأبو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف أبي إن الله بالكسر بغير واو وبأن الله أى بسبب ذلك فاعبدوه (الأحزاب) اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزيبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس (من مشهد يوم عظيم) أى من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه وهو الموقوف أو من وقت الشهود أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمال أو من مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدابه في عيسى وأمه ۝ لا يوصف الله تعالى بالتعجب وإنما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا أصماً وعمياناً في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون ويصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم ۝ أوقع الظاهر أعنى الظالمين موقع الضمير إشعاراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين إغفال النظر والاستماع (قضى الأمر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه أى عن قضاء الأمر فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران وإذا بدل من يوم الحسرة أو منصوب بالحسرة (وهم في غفلة) متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وأنذرهم اعتراض أو هو متعلق بأنذرهم أى وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ۝ يحتمل أنه يمتهم ويخرب ديارهم وأنه يفنى أجسادهم ويفنى الأرض ويذهب بها ۝ الصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسول أى كان مصدقاً بجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبياً في نفسه كقوله تعالى بل جاء بل بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغاً في الصدق لأن ملاك أمر النبوة الصدق ومصداق الله بآياته ومعجزاته حرى أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله أعنى إبراهيم (إذ قال) نحو قولك رأيت زيداً ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق إذ بكان أو بصديقاً نبياً أى كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبايعه إياهم كقوله واتل

(قوله أو يمتارون يتلاحون) لعله يتبارون والتلاحى بمعنى التنازع كما في الصحاح وعبارة النسفي أو يختلفون من المراء فقالت اليهود الخ (قوله وبأن الله أى بسبب ذلك) لعله أى بأن الله ويمكن أنه عطف على أن الله ويكون في حرف أبي القرامتان

عليهم نبأ إبراهيم وإفائه عز وجل هو ذا كره ومورده في تنزيله ه التاء في (يا أبت) عوض من ياء الإضافة ولا يقال يا أبتى لكلا يجمع بين العوض والمعوّض منه وقيل يا أبتا لكون الألف بدلا من الياء وشبه ذلك سبويه بأبى وتعوّض الياء فيه عن الواو الساقطة ه أنظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللفظ والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصفاً في ذلك بنصيحة ربه عزّ وعلا حدث أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام إنك خلقتني حسن خلقك ولومع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كنتي سبقت لمن حسن خلقه أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جوارى . وذلك أنه طلب منه أو لا الهة في خطئه طلب منه على تماديه موقظاً لإفراطه وتناهيه لأن المعبود لو كان حياً مميّزاً سميّاً بصيراً مقتدراً على الثواب والعقاب نافعاً ضاراً إلا أنه بعض الخلق لاستخفاف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالرؤية واسجل عليه بالغنى المبين والظلم العظيم وإن كان أشرف الخلق وأعلام منزلة كالملائكة والنبين قال الله تعالى ه ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبين أرباباً يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ه وذلك أن العبادة هي غاية العظم فلا تحقق إلا لمن له غاية الإنعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها فإذا وجهت إلى غيره وتعالى علواً كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن إلا ظلاماً وعتواً وغياً وكفراً وجحوداً وخروجاً عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا غابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيات خضوعك وخشوعك له فضلاً أن يغنى عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكما ه ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترقياً به متلفظاً فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولسكته قال إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب أنى وإياك في مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك من أن تضلّ وتيه ه ثم ثنت بتثيظه ونبيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كلّ هلاك وخزى ونكال وعدوّ أهلك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان إلا أن إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنائبي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذريته كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه ه ثم ربيع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجزه ملهوفيه من التبعة والوبال ولم يخجل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لا يصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمسّ ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشيائه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله يا أبت توسلا إليه واستعظافاً ه مافى ما لا يسمع ومالم يأتك يجوز أن تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسى غير منوى كقولك ليس به استماع ولا إبصار (شيئاً) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون في موضع المصدر أى شيئاً من الغناء ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني أن يكون مفعولاً به من قولهم أغنى عنى وجهك (إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك) فيه تجدد العلم عنده ه لما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة

(قوله في أحسن اتساق وساقه أرشق) في الصحاح الاتساق الانتظام وفيه أيضاً رجل رشيق أى حسن القدر لطيفه (قوله وبما يجزه ملهوفيه من التبعة) لعله وما يجزه فيكون عطفاً على سوء العاقبة (قوله وسماه الله تعالى المشهود له) لعله مشهود له بأن رضوانه أكبر من الثواب فليحزر

الْعَلْمَ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۖ يَا بَتَّ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ الرَّحْمَنَ عَصِيًّا ۖ
يَا بَتَّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءِلهِي
يَسْأَلِينَ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَارْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ۖ قَالَ سَلِمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۖ
وَأَعْتَزَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۖ فَلَمَّا اعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ

العجيبة مع تلك الملاحظات أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر و غاظظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا بتي وقدم الخبر على
المبتدأ في قوله (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعني وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته
عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثاج لصدور رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقي من
مثل ذلك من كفار قومه (لأرجمنك) لأرجمنك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجم المرعى باللعن أو لاقتلنك من رجم
الزاني أو لا طردنك رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمي بالرجم (مليا) زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عنى والهجران
قبل أن أثنى بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح يقال فلان ملى بكذا إذا كان مطيقا له مضطعا به (فإن قلت) علام عطف
وأهجرني (قلت) على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أى فاحذرنى وأهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع
(قال سلام عليك) سلام توديع و مشاركة كقوله تعالى لنا سألنا أولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وقوله وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز مشاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعاه بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه
وعده الاستغفار (فإن قلت) كيف جازله أن يستغفر للكافرو أن يعده ذلك (قلت) قالوا أرادوا شرط التوبة عن الكفر كما ترد
الأوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة وبراد اشتراط
الوضوء والنصاب وقالوا إنما استغفر له بقوله واغفر لآبى إنه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا عليه بقوله
تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ولقائل أن يقول إن الذى منع من الاستغفار للكافر إنما هو
السمع فأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل
والذى يدل على صحته قوله تعالى لإقول إبراهيم لأبيه لا أستغفرن لك فلو كان شارطا للإيمان لم يكن مستنكرا ومسنئي عما
وجبت فيه الأسوة وأما عن موعدة وعدها إياه فالواعد هو إبراهيم لا آزر أى ما قال واغفر لآبى إلا عن قوله لا أستغفرن لك
وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم (حفيا) الحفى البليغ فى البر والإلطف حفى به وتحفى به (وأعتزلكم) أراد
بالاعتزال المهاجرة إلى الشام المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسأطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة
ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلتم وما يعبدون من دون الله ويجوز أن يراد الدعاء الذى حكاه الله فى سورة الشعراء عرض بشقاوتهم
بدعاء آلهتهم فى قوله (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) مع التواضع لله بكلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله
أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه أولاداً مؤمنين أنبياء (من رحمتنا) هى النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال

قوله تعالى «سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا» (قال إن قلت لم استغفر لأبيه وهو كافر الخ) قال أحمد وهذه لفظ من
الاعتزال مستطيرة من شرر قاعدة التحسين والتقييع والحق أن العقل لا مدخل له فى أن يحكم بحكم الله تعالى قبل ورود
الشرع به ثم لم يوف الزمخشري بها فإنه جعل العقل يسوغ الاستغفار وجعل الشرع مانعا منه ولا يتصور هذا على قاعدتهم المهذمة
كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل فى الإلهيات نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافاً مما يظهر العقل خلافاً فلا

(قوله وأصل الرجم الرمي بالرجم) أى الحجارة الضخام كذا فى الصحاح

عَالِيًّا ۖ وَادَّكُرَ فِي الْكِتَابِ ۖ وَسَيِّئًا إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ۖ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۖ وَنَدَيْنَاهُ مِنَ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ وَادَّكُرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ ۖ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ۖ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ وَادَّكُرَ فِي الْكِتَابِ
إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ

والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي أو توه . لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر
باليد عما يطاق باليد وهي العطية قال ۖ إني أنتى لسان لأسر بها ۖ يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله
دعوتهم واجعل لى لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الأديان كلهم وقال عز وجل ملة أبراھيم وملة
إبراھيم حنيفا ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراھيم حنيفا وأعطى ذلك ذرية فاعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما على ذكره وأثنى عليه ۖ
المخلص بالكسر الذى أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح الذى أخلصه الله . الرسول
الذى معه كتاب من الأنبياء والنبي الذى ينهى عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيشع . الأيمن من اليمين أى من
ناحية اليمنى أو من اليمين صفة للطور أو للجانب شبهة من قربه بعض العظام للنجاة حيث كلفه بغير واسطة ملك وعن أبى العالية
قربه حتى سمع صريف القلم الذى كتبت به التوراة (من رحمتنا) من أجل رحمتنا وترأفنا عليه وهبنا له هرون أو بعض رحمتنا
كافى قوله ووهبنا لهم من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيد أو كان هرون
أكبر من موسى فوعدت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضى الله عنه . ذكر إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد
وإن كان ذلك موجودا في غيره من الأنبياء تشريفا له وإكراما كالنقيب بنحو الحليم والأقواه والصديق ولأنه المشهور
المتواصف من خصاله عن ابن عباس رضى الله عنه أنه وعد صاحباه أن ينتظره فى مكان فانتظره سنة وناهىك أنه وعد فى نفسه
الصبر على الذبح فر فى حيث قال مستجدي إن شاء الله من الصابرين كان يبدأ بأهله فى الأمر بالصالح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن
وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس وأندر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم نارا لا ترى أنهم
أحق بالصدق عليهم فالإحسان الدنى أولى وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وغيرهم لأن أمم النبيين فى عداد أهاليهم وفيه
أن من حق الصالح أن لا يألوا نصحا للأجانب فضلا عن الأقارب والمتصلين به وأن يحفظهم بالفوائد الدينية ولا يفرط
فى شيء من ذلك ۖ قبل سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل وكان اسمه أخوخ وهو غير صحيح لأنه لو كان
أفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية فكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجبة وكذلك
إبليس أعجمى وليس من الإبلان كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا إسرائيل بأسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق
ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى إدريس فى تلك اللغة قريبا من ذلك فحبه
الراوى مشتقا من الدرس ۖ المكان العلى شرف النبوة والزنى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من
خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكأوا يلبسون الجلود وعن أنس بن مالك
رضى الله عنه يرفعه إنه رفع إلى السماء الرابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما إلى السماء السادسة وعن الحسن رضى
الله عنه إلى الجنة لاشيء أعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي أنه لما أنشد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذى آخره

ياغنا السماء مجددنا وسناؤنا ۖ وإنا لبرجو فوق ذلك مظهرا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أين يا باليلي قال إلى الجنة (أولئك) إشارة إلى المذكورين فى السورة من لدن ذكرىا
إلى إدريس عليه السلام ۖ ومن فى (من النبيين) للبيان مثلها فى قوله تعالى فى آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن جميع الأنبياء منعهم عليهم ومن الثانية للتبويض وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه

وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجُودًا وَبُكِيًّا ۗ تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاةً إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۗ جَنَّاتٌ عِدْنُ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ۗ لَا يُسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ ۗ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي

لأنه جد أبي نوح وإبراهيم عليه السلام من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ذرية سام بن نوح وإسماعيل من ذرية إبراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية إسرائيل وكذلك عيسى لأن مريم من ذريته (ومن هدينا) يحتمل العطف على من الأولى والثانية ۗ إن جعلت الذين خبرا لا أولئك كان (إذا تلى) كلاما مستأنفا وإن جعله صفة له كان خبرا قرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لأن التأنيك غير حقيقي مع وجود الفاصل ۗ البكي جمع بك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وأبكروا فإن لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري رضى الله عنه قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي هذه القراءة يا صالح فأين البكاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما إذا قرأتهم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن القرآن أنزل بحزن فإذا قرأتموه فتهجزوا وقالوا يدعوني في سجدة التلاوة بما يليق بآبائها فإن قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وإن قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبدك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك ۗ خلفه إذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعد في ضمان الشر عن ابن عباس رضى الله عنه هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت من الأب وعن إبراهيم ومجاهد رضى الله عنهما أضاعوها بالتأخير وينصر الأول قوله إلا من تاب وآمن يعني الكفار وعن علي رضى الله عنه في قرله واتبعوا الشهوات من بنى الشدبد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قيادة رضى الله عنه هو في هذه الأمة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك رضى الله عنهم الصلوات بالجمع ۗ كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال المرقش

فمن يلق خيرا تحمد الناس أمره ۗ ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وعن الزجاج جزاء غي كقوله تعالى يلق أناما أي مجازاة أنام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيز منه أوديتها وقرأ الأخفش يلقون ۗ قرئ يدخلون ويدخلون أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعون به بل يضاعف لهم بيان لأن تقدم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من ذلك من قولك ما ظلمك أن تفعل كذا بمعنى ما منعك أو لا يظلمون البتة أي شيئا من الظلم ۗ لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها كقولك أبصرت دارك الفاعة والعلالي وعدن معرفة علم بمعنى عدن وهو الإقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما لمعاني الفينة والسحر والأمس فخرى مجرى عدن لذلك أو هو علم الأرض الجنة لكونها مكان إقامة ولولا ذلك لما ساغ الإبدال لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصولة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء ۗ أي وعدا وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها أو بتصديق الغيب والإيمان به ۗ قيل في (مأتيا) مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى إليه إحسانا أي كان وعده مفعولا منجزا ۗ اللغز فضول

(قوله لمعاني الفينة والسحر والأمس) في الصحاح لقيته الفينة بعد الفينة أي الحين بعيد الحين وإن شئت حذف

الألف واللام فقلت لقيته فينة كما قالوا لقيته الندرى وفي ندرى

سورة مريم
نُورٌ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ

الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه. حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله سبحانه وإذ امروا باللغو مروا كراما وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين فعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا ۝ أي إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تساميم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا إلا ذلك فهو من وادى قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ۝ بين فلول من قراع الكتاب أو لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع أولان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغياها فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام ۝ من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل حتى وجدوهي عادة المنهزمين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثمليل ولا نهار ولكن على التقدير ولأن المتعم عند العرب من وجد غدا وعشاء وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا يريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين (نورث) وقرئ نورث استعارة أي نبقى عليه الجنة كما نبقى على الوارث مال المورث ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا (وما تنزل) حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أنه احتبس أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك قال إني كنت أشرق ولكني عبد ما مور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست وأنزل الله سبحانه هذه الآية وسورة الضحى والنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق كقوله . فلست لأنسى ولكن لملاك ۝ تنزل من جو السماء يصوب ۝ لأنه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدرج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في الأحايين وقناغب وقت ليس إلا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدمنا (وما خلفنا) من الجهات والأماكن (وما بين ذلك) وما نحن فيها فلا تتمالك أن تنتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حرلة وسكون وما يحدث ويتجدد من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأني لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا رأى ذلك مصالحة وحكمة وأطلق لنا الإذن فيه وقيل ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما غير منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد قفائنا وقيل الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين

۝ قوله تعالى «لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما» (قال يجوز أن يكون من قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ۝ بين فلول من قراع الكتاب

وأن يكون استثناء منقطعاً) قال أحمد والفرق بين الوجهين أنه جعل الفلول عيباً على سبيل التجوز بتأني العيب بالكلية كأنه يقول إن كان فلول السيوف من القراع عيباً فإنهم ذور عيب معناه وإن لم يكن عيباً فليس فهم عيب البتة لأنه لا شيء سوى هذا فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل ۝ عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون متصلاً على أن يسكن السلام هو الدعاء بالسلامة الخ) قال أحمد وهذا يجعله من المتصل على أصل الحقيقة لا كالأول الناشئ عن المجاز وفي هذا الباب بعد لأنه يقتضي البت بأن الجنة يسمع فيها لغو وفضول وحاش لله فلا غول فيها ولا لغو

(قوله من الناس من يأكل الوجبة) أي يأكل كل يوم وليلة مرة وقد وجب نفسه توجيباً إذا عودها ذلك كذا في الصحاح

رَبِّكَ نَسِيًّا ۚ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۚ وَيَقُوْلُ الْاِنْسَانُ
اِذَا مَاتَ لَسَوْفَ اُخْرَجْ حَيًّا ۚ اَوْلَا يَذْكُرُ الْاِنْسَانُ اَنَا خَلَقْنٰهُ مِنْ قَبْلٍ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا ۚ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ

السماء والأرض والمعنى أنه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف تقدم على فعل
نجدته إلا صادرا عما توجهه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه ۚ وقيل معنى (وما كان ربك نسيا) وما كان تاركا لك
كقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى أى ما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به وأما احتباس الوحي فلم يكن
عن ترك الله لك وتوديعه إياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هى حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أى
وما نزل الجنة إلا بأن من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمتروكة
والحاضرة اللطيف فى أعمال الخير والموفق لها والمجازى عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لأعمال
العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذى ملكوت السماء والأرض وما بينهما ۚ ثم قال
لرسوله صلى الله عليه وسلم حين عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل وعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين وقرأ
الأعرج رضى الله عنه وما ينزل بالياء على الحكاية عن جبريل عليه السلام والضمير للوحي وعن ابن مسعود رضى الله
عنه إلا بقول ربك ۚ يجب أن يكون الخلاف فى النسي مثله فى البغى (رب السموات والأرض) بدل من ربك ويجوز
أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو رب السموات والأرض (فاعبده) كقوله ۚ وقائلة خولان فانكح فئاتهم ۚ
وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة (فإن قلت) هلا عدى
(اصطبر) بعلى التى هى صلته كقوله تعالى واصطبر عليها (قلت) لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن فى قولك المحارب
اصطبر لقرنك أى أثبت له فيما يورد عليك من شدته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فأنبت لها ولا تن
ولا يضيئ صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك إلا غايط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين
بك ۚ أى لم يسم شىء بالله قط وكانوا يقولون لا أصنامهم آلهة والعزى إله وأما الذى ءؤض فيه الألف واللام من
الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسمى أحد الرحمن غيره ووجه
آخر هل تعلم من سعى باسمه على الحق دون الباطل لأن التسمية على الباطل فى كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا
وشبها أى إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العباد العبادة إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها
وتكاليفها ۚ يحتمل أن يراد بالإنسان الجنس بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة (فإن قلت) لم جازت إرادة
الإناسى كلهم وكلهم غير قائمين ذلك (قلت) لما كانت هذه المقالة موجودة فىمن هو من جنسهم صح إسناده إلى جميعهم
كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل رجل منهم قال الفرزدق

فسيف بنى عبس وقد ضربوا به ۚ نبايدى ورقاء عن رأس خالد

فقد أسند الضرب إلى بنى عبس مع قوله نبايدى ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى ۚ (فإن قلت) بم
انتصب إذا وانتصابه بأخرج ممنوع لأجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم (قلت) بفعل مضمر يدل عليه المذكور
(فإن قلت) لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال فكيف جاءت حرف الاستقبال (قلت) لم تجتمع إلا لخصلة
للتوكيد كما أخلصت الهمزة فى يا الله للتعويض واضمحلت عنها معنى التعريف ومافى إذا ما للتوكيد أيضا فكأنهم قالوا أحقا
أنا منخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الأرض أو من

قوله تعالى ويقول الإنسان أنذا ماتت لسوف أخرج حيا ۚ (قال محمود إن قلت كيف اجتمعت اللام وهى للحال مع
حرف الاستقبال الخ) قال أحمد والاعتقاد تناقض الحرفين منع الكوفيين اجتماعهما وإنما جردت اللام من معناها
لأنهم سوف دون أن تجرد سوف لتلائم اللام لأنه لو عكس هذا للفت سوف إذ لا معنى لها سوى الاستقبال وأما اللام

وَالشَّيْطَانِ ثُمَّ لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ه ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ه ثُمَّ لَنَحْنُ

حال الفناء أو هو من قولهم خرج فلان عالماً وخرج شجاعاً إذا كان نادراً في ذلك يريد سأخرج حياً نادراً على سبيل الهزؤ وقرأ الحسن وأبو حنيفة لسوف أخرج وعن طلحة بن مصرف رضى الله عنه سأخرج كقراءة ابن مسعود رضى الله عنه وأسيعطيك وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن مابعد الموت هو وقت كون الحياة منكراً ومنه جاء إنكارهم فهو كقولك للشيء إلى المحسن أحيان تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه الواو عطف لا يذكر على يقول ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى فإن تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود ثم أوقع التأليف مشحوناً بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعاً وإبداعاً من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها ووردها إلى ما كانت عليه بمجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله تعالى ولم يك شيئاً دليل على هذا المعنى وكذلك قوله تعالى وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في بحر معانده وكشفاً عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد إلا نافعاً وابن عامر وعاصم رضى الله عنهم فقد خففوا وفي حرف أبي يتذكر (من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه في إقسام الله تعالى باسمه تقدمت أسماؤه مضافاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله تعالى « ف ورب السماء والأرض إنه الحق » والواو في (والشياطين) يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغروهم بقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة (فإن قلت) هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة فإن أريد بالإنسانى على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين (قلت) إذا حشر جميع الناس حشراً واحداً وفيهم الكفرة مقرنين بالشياطين

إذا جردت من الحال بقي لها التوكيد فلم تلغ فتعين والله أعلم (قوله تعالى « أولاد بكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ») قال مجاهد ذكر الله الإنسان النشأة الأولى ليعترف بالأخرى (الخ) قال أحمد مذهب أهل السنة أن إعادة المعدوم جائزة عقلاً ثم واقعة نقلاً والمعتزلة وإن وافقت على ذلك إلا أنها تزعم أن المعدوم له ذات ثابتة في العدم يقضى عليها بأنها شيء فليس عندهم عدم صرف ونفى محض قبل الوجود ولا بعده فكأنهم لو لا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة الذين هم مختصرهم ولا نكروا إعادة المعدوم كما أنكروه القدماء وعقيدة أهل السنة هي المطابقة الآلية لأن النشأة الأولى لم يتقدمها وجود ولأن المنشأ ابتداء لم يكن شيئاً قبل ذلك وأما النشأة الثانية فقد تقدمها وجود وكان المنشأ قبلها شيئاً في زمان وجوده ثم عدمه وبطلت شبيثته فظهر فرق ما بين النشأتين كما نطق به القرآن وأما المعتزلة فإن قالوا إن الأجسام يعدمها الله ثم يوجد لها فقد قالوا الحق لكن لا يتم على أصلهم فرق بين النشأتين لأن المعدوم فيهما كان شيئاً قبل النشأة فإن قالوا لا تنعدم الأجسام وإنما تفرق ثم تجمع كما صرح به الرزخسرى لأنه تفتن لأن القول بأن الأجسام تنعدم ثم يوجدها الله تعالى مع القول بأن المعدوم شيء يبطل الفرق بين النشأتين ولم يطق ذلك وقد نطق به القرآن فالنرم أن الأجسام لا تنعدم لئتم له الفرق بين النشأة الثانية وإنما هي على هذا التقرير جمع وتأليف لموجود وبين النشأة الأولى التي هي إيجاد معدوم فتنبه لبعده وورده ولكن هرب من القطر فوقع تحت الميزاب فهو والحالة هذه كالمستغيث من الرمضاء بالنار والله وليّ النوفيق ومعنى تفريق الله تعالى بين النشأتين أن الجاحد متماقت لأنه اعترف بالأولى وهي أصعب بالنسبة إلى قياس العقل وأنكر الثانية وهي أسهل وأهون لأن ذلك راجع إلى قدرته تعالى فإن الكل لدى قدرة الله تعالى هي على سواء ه عاد كلامه (قال والإنسان يحتمل أن يراد به العموم الخ) قال أحمد

(قوله فقد خففوا وفي حرف يتذكر) فيه سقط وأصله وفي حرف أبي يتذكر كما تفيدته عبارة النسفي

أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ثُمَّ تَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ

فقد حشر و امع الشياطين كما حشروا مع الكفرة (فإن قلت) هلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء (قلت) لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فزادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسرورا إلى سرور و يشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فزاد مساعتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشما تهمهم (فإن قلت) ما معنى إحضارهم جنيا (قلت) أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جنيا على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والناقلات من تجاثى أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحيا وخلاف الطمأنينة ولما يداهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جنيا حال مقدرأ كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب والمراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواية قال الله تعالى إن الذين فزقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف النقي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب تقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم أو أراد بالذين هم أولى بها صلوا المنتزعين كما أنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلى من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضللا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحمان أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم واختلف في إعراب (أهم أشد) فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تفديره لنزعت الذين يقال فيهم أهم أشد وسيدويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جى به لأعرب وقيل أهم هو أشد ويجوز أن يكون النزوع واقعا على من كل شيعة كقوله سبحانه وهو جنابهم من رحمتنا أي لنزعت بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل أهم أشد عتيا وأهم أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ ابن مسلم الهرام أستاذ الفراء (فإن قلت) بم يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه (قلت) هما اللبيان لالصلة أو يتعلقان بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن وصلبهم أولى بالنار كقولهم هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا (وإن منكم) التفات إلى الإنسان بعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهما وإن منهم أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها ومنى جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس

التبست عليه إرادة العموم وبينهما بون ومن ثم خلت عبارته هذه عن التحرز والصون فصرح بأن الله تعالى أراد بالإنسان العموم ومعنى إرادة العموم أن يريد الله تعالى نسبة كلمة الشك والكفر إلى كل فرد من أفراد الإنسان ومعاذ الله وقد صرح الزمخشري بأن النطق بكلمة الشك بعض الجنس ففي العبارة خلل كما ترى والعبارة الصحيحة أن يقال يحتمل أن يكون التعريف جنسيا فيكون عهدا فيكون اللفظ من أول وهلة خاصا والله أعلم (قوله تعالى وإن منكم إلا واردة) قال يحتمل أن يكون استئناف خطاب للناس ويحتمل أن يكون التفاتا قال أحمد احتمال الالتفات مفرع على إرادة العموم من الأول فيكون المخاطبون أولاهم المخاطبين ثانيا. إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة والثاني بلفظ الحضور وأما إذا بنينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعا فالثاني ليس التفاتا وإنما هو عدول إلى خطاب العامة عن خطاب خاص لقوم معينين والله أعلم

(قوله إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم) العتل الجذب العنيف أفاده الصحاح (قوله وفتية الطائفة التي شاعت) في الصحاح شاعه شياعا تبعه

الظالمين فيها جثياً ۝ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينت قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً
وأحسن ندياً ۝ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن إنشأ ورعباً ۝ قل من كان في الضلالة فليمدد له

رضي الله عنه بردونها كأنها إهالة وروى دواية وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وودتموها وهي جامدة وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبق بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن النار ضجيجاً من بردها وأما قوله تعالى أو أملك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولا يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورده المؤمن النار هو مس الحى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحى من فيح جهنم وفي الحديث الحى حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حرها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين ۝ الحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الأمير أى كان ورودهم واجبا على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره ۝ قرئ (تنجى) وتنجى وينجى وينجى على ما لم يسم فاعله إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر وإن أريد الكفرة وحدهم فعنى ثم تنجى (الذين اتقوا) إن المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار لأنهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي لبيلى ثم تنجى بفتح الهمزة أى هناك وقوله (ونذر الظالمين فيها جثياً) دليل على أن المراد بالورود الجثو حوالها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد تجائبهم وتبقى الكفرة في مكانهم جائين (بينات) ثلاث الألفاظ لمنهات المعاني مبيات المقاصد إما محركات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحركات أو بتبيين الرسول قولاً أو فعلاً أو ظاهرات الإعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججاً وبراهين والوجه أن تكون حالاً مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقاً لأن آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججاً (للذين آمنوا) يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يفوهون به لأجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً مما سبقونا لآله ۝ قرأ ابن كثير (مقاماً) بالضم وهو موضع الإقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندى المجلس ومجتمع القوم وحيث يتندون والمعنى أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أو فرحاً من الدنيا حتى يجعل ذلك عياراً على الفضل والنقص والرفعة والوضعة وبرى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون وتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم (كم) مفعول (أهلكنا) و(من) تبيين لإبهاهما أى كثيراً من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم و(هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم الأترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بدم من نصب أحسن على الوصفية ۝ الأثاث متاع البيت وقيل هو ما جرد من الفرش والخزنى ما لبس منها وأنشد الحسن بن على الطوسى تقادم العهد من أم الوليد بنا ۝ دهراً وصاراً أثاث البيت خريثاً

قرئ على خمسة أوجه (رثياً) وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت ورثياً على القلب كقولهم راه فى رأى ورثياً على قلب الهمزة ياء والإدغام أو من الرى الذى هو النعمة والترفة من قولهم ريثان من النعم ورثياً على حذف

(قوله كأنها إهالة وروى دواية) فى الصحاح الإهالة الودك وفيه أيضاً الدواية الجليدة التى اللبن والمرق

(قوله ومجتمع القوم وحيث يتندون) فى الصحاح ندرت أى حضرت الندى وانتدبت مثله

الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَابُوعِدُونَ إِلَّا الْعَذَابَ وَإِنَّمَا السَّاعَةُ فَسِيَعْلَمُونَ مَزَّ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ه
وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةَ الصَّالِحَاتِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ه أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ
بِبَآئِنَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ه أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ه كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ

الهمزة رأساً ووجهه أن يخفف المقلوب وهو ربنا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة قبها وزيا واشتقاقه من الزى وهو الجمع لأن الزى محاسن بجمرة والمعنى أحسن من هؤلاء ه أى مد له الرحمن يعنى أمهله وأملى له فى العمر فأخرج على لفظ الأمر إيدانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكرة أو كقوله تعالى إنما نملى لهم ليزدادوا إثمًا أو من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدًا فى معنى الدعاء بأن يمهل الله وينفس فى مدة حياته ه فى هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التى هى رابعها والآيتان اعتراض بينهما أى قالوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (حتى إذا رآوا ما بوعدون) أى لا يبرحون يقولون هذا القول ويتواعون به لا يتكفون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود زأى عين (إما العذاب) فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرًا وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم وإما يوم القيامة وهو ما ينالهم من الخزي والشكال فيئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانًا وأضعف جندًا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم والثانى أن تتصل بما يليها والمعنى أن الذين فى الضلالة بمدود لهم فى ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبأن الاطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها والمراد بالضلالة مادعاهم من جهلهم وغلوهم فى كفرهم إلى القول الذى قالوه ولا ينفكون عن ضلالتهم إلى ما يعينوا نصرته الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها (فإن قلت) حتى هذه ما هى (قلت) هى التى تحكى بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها هى قوله إذا رآوا ما بوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانًا وأضعف جندًا) فى مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومههم وأعدائهم وأنصارهم والجند هم الأنصار والأعدوان (ويزيد) معطوف على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مدًا أو يمد له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أى هى (خير ثوابا) من مفاخرات الكفار (وخير مردًا) أى مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الأمر مرد ه وعمل يرتد بكأى زندًا ه فإن قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه (قلت) كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا بالصليم وقوله

شجعاء جزتها الزميل تلوكه ه أصلا إذا راح المطى غرائنا

وقوله ه تحية بينهم ضرب وجيع ه ثم نبى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهمك الذى هو أغبط للمتهدد من أن يقال له عقابك النار (فإن قلت) فما وجه التفضيل فى الخير كان لمفاخرهم شركافيه (قلت) هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحزن من الشتاء أى أبلغ فى حزنه من الشتاء فى برده ه لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحة الخبر عنها استعملوا رأيت فى معنى أخبر والقاء جاءت لإفادة معناها الذى هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضاً بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك (أطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية قال جرير ه لاقيت مطلع الجبال وعورا ه ويقولون مر مطلعاً لذلك الأمر أى عالياً له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة

(وطلع الثنية) فى الصحاح طلعت الجبل بالكسر علوته

من العذاب مداً ونزثه ما يقول ويأتينا فرداً واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلاً سيكفرون
بعبادتهم ويكفون عليهم ضداً ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم

شأن يقول أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى غيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى أن مادعى أن يؤتاه
وتألى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين إما علم الغيب وإما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل إلى ذلك قرأ
حزرة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولداً بالكسر
وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله إليه أنه
يؤتيه ذلك . عن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاصي بن وائل قال خباب بن الارت
كان لي عليه دين فاقضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً ولا حين تبعث
قال فإني إذا مت بعثت قلت نعم قال إذا بعثت جئتني وسبكرن لي ثم مال وولد فأعطيك وقبل صاغ له خباب حلياً
فاقتضاه الأجر فقال أنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً فأنا أقتضيك ثم فإني أرتقي ما لا وولداً
حينئذ (كلاً) ردع وتذبه على الخطأ أي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فيرتدع عنه (فإن قلت) كيف قيل
(سكتب) بسين التشويق وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (قلت)
فيه وجهان أحدهما منظر له وتعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله إذا ما انتسبنا لم تلدن لثيمة أي تبين وعلم
بالانتساب أني لست بابن لثيمة والثاني أن المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول
به الزمان واستأخر فجزد ههنا لمعنى الوعيد (ونمذله من العذاب مداً) أي نطوّل له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع
الذي يعذب به الكفار المستمزون أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وأمده بمعنى وتدل عليه قراءة
علي بن أبي طالب ونمذله بالضم وأكّد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله فعوذ به من التعرض لما نستوجب
به غضبه (ونزثه ما يقول) أي نزوى عنه ما زعم أنه بناله في الآخرة ونطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى
ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل أنا أملك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه
الله في الدنيا ما لا وولداً وبلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك في قوله لا وتين لأنه جواب قسم مضمرة ومن يألى على
الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب أنا أعطيناه ما اشتهاه إما نرثه منه في العاقبة (ويأتينا فرداً) غداً بلا مال ولا ولد
يكفوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجردى عليه نمنيه وتألبه ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله مادام حياً
فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضاً له منفرداً عنه غير قائل له أولاً ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في
صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به (ويأتينا) على فقره ومسكنه (فرداً) من المال والولد لم نوله سؤاله ولم
نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعه قوله ووباله وفقد المطموع فيه فرداً على الوجه الأول حال مقدرة نحو فادخلوها
خالدين لأنه وغيره سواء في إتيانه فرداً حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك أي ليتعززوا بأهلهم حيث يكفون لهم عند الله
شفعاء وأنصاراً ينقدونهم من العذاب (كلاً) ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلاً (سيكفرون بعبادتهم)
أن سيجدون كلاً سيكفرون بعبادتهم كقولك زيداً مررت بغلامه وفي محتسب ابن جنى كلاً بفتح الكاف والتثوين
وزعم أن معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلاً ولقائل أن يقول إن صحّت هذه الرواية فهي كلاً التي هي للردع قلب
الواقف عليها ألفها نونا كما في قراريرا والضمير في سيكفرون للآلهة أي سيجدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله
ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى وإذا رأى الذين أشركوا شركاهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من

(قوله وبلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك) في الصحاح أشعب اسم رجل كان طماعاً وفي المثل أطمع من أشعب أه ومنه
أخذت الأشعبية بمعنى خصلة أشعب وهي الطمع

إِنَّمَا نَعَدُّ لَهُمْ عَذَابَهُ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا هـ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا هـ لَا يَمْلِكُونَ

دونك فآلقوا إليهم القول إنكم لكاذبون أو المشركين أي ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (عليهم ضدا) في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا أو يكونون عليهم عونا وال ضد العون يقال من أضافكم أي أعوانكم وكان العون سمي ضداً لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانتة لك عليه (فإن قلت) لم وحد (قلت) وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وأنهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلة عونا عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولأنهم عبدوا بسبب عبادتها وإن رجعت الواو في نيكفرون ويكونون إلى المشركين فإن المعنى ويكونون عليهم أي أعداءهم ضداً أي كفره بهم بعد أن كانوا يعبدونها هـ الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها التبيح وشدة الازعاج أي تغريمهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوسواس وانتسويلات والمعنى خائبا بينهم وبينهم ولم تمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تهجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العناء والمردة من الكفار وأقوالهم وملاحظتهم ومعادتهم للرسول واستمزاؤهم بالدين من تماديتهم في النفي وإفراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهما كهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسؤل لهم هـ عجائب عليه بكذا إذا استعجلته منه أي لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الأرض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لوعدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقراها فقال إذا كانت الأنفاس بالعداء ولم يكر لها مدد فما أسرع ما تنفد هـ نصب (يوم) بمضمر أي يوم (نحشر) ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو اذكر يوم نحشر ويجوز أن ينتصب بلا يملكون هـ ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوق رجالها ذهب وعلى نجائب سروجها يا قوت هـ وذكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء هـ والورد العطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا العطاش وحقيقة الورد المسير إلى الماء قال

ردى ردى ورد قطاة صما كدرية أعجبا بردا لما

فسمى به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون هـ الواو في (لا يملكون) إن جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتى في أكلوني البراغيث

هـ قوله تعالى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (يحتمل أن تكون الواو في لا يملكون ضميرا الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه تعسف من حيث أنه إذا جعله علامة لمن فقد كشف معناه وأفصح بأنها متناولة جمعا ثم أعاد على لفظها بالإفراد ضمير اتخذ فقيه الإعادة على لفظها بعد الإعادة على معناها بما يخالف ذلك وهو مستنكر عندهم لأنه إجمال بعد إيضاح وذلك تعكيس في طريق البلاغة وإنما محجتها الواضحة الإيضاح بعد الإجمال والواو على إعرابه وإن لم تكن عائدة على من إلا أنها كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد له فتنبه لهذا العقد فإنه أزوج من النقد هـ وفي عنق الحساء

(قوله والمعنى خلتنا بينهم وبينهم) هذا هو الموافق لمذهب المعتزلة من أنه تعالى لا يفعل الشر أما على مذهب أهل السنة من أنه تعالى يفعل الشر كالأخيار فالمناسب سلطانهم عليهم

الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ وَقَالُوا آخِذْ بِالْحَمَنِ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۖ تَكَادَ السَّمَوَاتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۖ أَنْ دَعَوْا الرَّحْمَانَ وَلَدًا ۖ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۖ

والفاعل من اتخذ لأنه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل أو على الفاعلية ويجوز أن يتصب على تقدير حذف
المضاف أي لإشفاعته من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالإيمان والعمل وعن ابن مسعود
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف
ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن
لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وأنت إن تكلمت إلى نفسي تقرني من الشر وتباعدني من
الخير وأني لا أتق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفيه يوم القيامة إنك لا تتخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع
ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عهد عند الرحمن عهد فدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة
أو يكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمر به أي لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في
التنزيل وروى من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ۖ ولا تنفع الشفاعة عنده
إلا من أذن له ۖ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ۖ قرئ (إذا) بالكسر والفتح قال ابن خالويه
الإد والاد العجب وقيل العظيم المنكرو والإددة الشدة وأدنى الأمر وأدنى أنقلني وعظم على إذا (يكاد) قراءة الكسائي ونافع
بالياء ۖ وقرئ (ينفطرن) الانفطار من فطره إذاشقه والنفطر من فطره إذاشقه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن
أي تهد هذا أو مهدودة أو مفعولة أي لاها تهد (فإن قلت) ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرورجبال
ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن الله سبحانه يقول كدت أفعل هذا بالسموات
والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري وإني لا أعجل بالعقوبة كما قال
إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولن زالتنا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا والثاني أن يكون
استعظاما للكلمة وتهويلا من فضاءاتها وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها لأركانها وقواعده وأن مثال ذلك الأثر
في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم
وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض
لسخطه وتنبه على عظم ما قالوا ۖ في (أن دعوا) ثلاثة أوجه أن يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله :

يستحسن العقد ۖ وقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (قال بعناه كدت أهد السموات
وأفطر الأرض الخ) قال أحمد ويظهر لي ورامها معنى آخر والله أعلم وذلك أن الله تعالى قد استعار لدلاتها على وجوده
عز وجل موصوفا بصفات الكمال الواجبة له أن جعلها تسبح بحمده قال تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن
فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده وما دلت عليه السموات والأرض والجبال بل وكل ذرة من ذراتها أن الله تعالى
مقدس عن نسبة الولد إليه . وفي كل شيء آية ۖ تدل على أنه واحد . فالمعتقد نسبة الولد إلى الله تعالى قد عطل دلالة هذه
الموجودات على تنزيهه الله وتقديسه فاستعير لإبطال ما فيها من روح الدلالة التي خلقت لأجلها إبطال صورها بالهد
والانفطار والانشقاق فسبحان من قسم عباده فجعل العباد تسنذ تسبح بتسبيح داود يكاد ينهد لمفاله من هو عن باب
التوفيق مطرود مردود

(قوله وقرئ ينفطرن) يفيد أن القراءة المشهورة يتفطرن بالناء (قوله وتصويرها لأثرها في الدين) لعله وتصويرا
لأثرها كما في عبارة الخارن

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۚ فَإِنَّمَا يُسِرُّنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ

على حالة لو أن في القوم حاتماً ۚ على جوده لضن بالماء حاتم

ومصوباً بتقدير سقوط اللام وإفشاء الفعل أي هذا لأن دعوا على الخروباً لهد والهد بدعاء الولد الرحمن ومرفوعاً بأنه فاعل هذا أي هتادعاء الولد الرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مررات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل أن أصول النعم وفروعها منه خالق العالمين وخالق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فليتكشف عن بصرك غطاؤه فأت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف إليه ولداً فقد جملة كعبض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعاء بمعنى سمي المتعدي إلى مفعولين فاقصر على أحدهم الذي هو الثاني طلباً للعموم والإحاطة بكل ما دعى له ولداً أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى إلى غير مواليه وقول الشاعر ۚ إنا بنى نهشل لاندعى لأب ۚ أي لانتسب إليه ۚ أنبغى مطاوع بنى إذا طلب أي ما يتأني له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلاً لأنه محال غير داخل تحت الصحة أما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها وأما التبنى فلا يكون إلا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً (من) موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله ۚ رب من أنضجت غيظاً صدره ۚ وقرا ابن مسعود وأبو حيوة (أت الرحمن) على أصله قبل الإضافة ۚ الإحصاء الحصر والضبط يعني - صرهم بعلمه وأحاط بهم (وعدهم عدداً) الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كافرين أحدهما القول بأن الرحمن يصح أن يكون وابدأ والثاني إشارك الذين زعموا لله أولاداً في عبادته كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لأبائهم فهدم الله الكفر الأول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والأرض من الملائكة ومن الناس إلا هو يأتي الرحمن أي يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبداً منقاداً مطيعاً خاشعاً خاشعاً راجياً كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى أو أئتك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متفابون في ملكوته مقهورون بقهره وهو هو يمن عليهم محيط بهم ويحمل أمورهم وتفصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم برآء منهم ۚ قرا جناح بن حبيش (وداً) بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض الأسباب التي توجب الود ويكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع بميرة أو غير ذلك وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصاً صامناً لا ولياته بكرامة خاصة كما ينفذ في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظاماً لهم وإجلالاً لما كانهم ۚ والسين إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ يفتنون بين التكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك إذا دجا الإسلام وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر مذيوان أعمالهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني يحببهم الله ويحببهم إلى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قدا حببت فلاناً فاجبه فيجبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فاجبه فيجبه أهل السماء ثم يضع له المحبة في أهل الأرض وعن قتادة ۚ أقبيل العبد إلى الله إلا أقبيل الله بقلوب العباد إليه ۚ هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فإنما أنزلناه (بلسانك) أي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسملناه وفصلناه (لتبشره) وتنذر ۚ واللذ الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد أي في كل شق من

(قوله واجعل في صدور المؤمنين) لعله واجعل لي في صدور الخ

بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتَنْذِرُ بِهِ قَوْمًا لَدُنَّا ۖ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ يُحْسِبُ مِنْهُمْ مَّنْ أَحَدٌ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۖ

سورة طه مكية

إلا آيتي ١٣ و ١٣١ فدينيتان

طه ۖ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۖ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَى ۖ تَنْزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۖ

المراء والحدال انفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله (وكم اهلكنا) تخويف لهم وانذار ۖ وقرئ (تحس) من حسه إذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات ۖ وقرأ جنظلة (تسمع) مضارع اسمعت ۖ والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكربا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وإبراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون وإسماعيل وإدريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

(سورة طه مكية وهي مائة وأربع وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (طه) أبو عمرو ونخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء ونخمها ابن كثير وابن عامر على الأصل والباقون أمالوها وعن الحسن رضى الله عنه طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على إحدى رجله فأمر بأن يطاء الأرض بقدميه معاً وأن الأصل طأ فقلت همزته هاء أو قلت ألفاً في يطاء فيمن قال لاهناك المرتع ثم بنى عليه الأمر والهاء للسكت ويجوز أن يكتب بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله أعلم بصحة ما يقال إن طاهما في لغة عك في معنى يارجل ولعل عك تصرفوا في ياهذا كأنهم في لغتهم قالون الياء طاه فقالوا في ياطا واختصروا هذا فاقصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به
إن السفاهة طاهما في خلثكم ۖ لا قدس الله أخلاق الملاعين

والاقوال الثلاثة في الفوايح أعنى التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يقول عليها الألباء المتقنون (ما أنزلنا) إن جعلت طه تعديد الأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها وهي في موضع المبتدأ (القرآن) ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن وأن يكون جواباً لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن (لتشقى) لتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا بك قوله تعالى لعلك باخع نفسك والشقاء يحىء في معنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهرأى ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل إن أبا جهل والنضر بن الحرث قالاه إنك شقى لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في ذلك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة يعينها وروى أنه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى استغدت قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وكل واحد من تشقى وتذكرة هلة للفعل إلا أن الأول وجب بحيثه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلى فقاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط (فإن

(سورة طه)

(قوله إن طاهما في لغة عك في معنى يارجل) في الصحاح عك بن عدنان أخو معد وهو اليوم في اليمن (قوله بالليل حتى استغدت) بالغين المعجمة أي تورمت أفاده الصحاح

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۚ وَإِنْ تَجْهَرُ بِالْقَوْلِ

قلت) أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله تعالى أن تحبب أعمالكم (قلت) بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه وأما النصبة في تذكرة فهي كالتى في ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها (فإن قلت) هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى (قلت) لا لاختلاف الجنس ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي إلفيه بمعنى لكن ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلناه عليك القرآن لنحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الاسلام ومقابلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة على هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالاً ومفعولاً له (لمن يخشى) لمن يؤول أمره إلى الخشية ولمن يعلم الله منه أنه يدل بالكفر إيمانا وبالقسوة خشية ۚ في نصب (تنزيلا) وجوه أن يكون بدلا من تذكرة إذا جعل حالاً إذا كان مفعولاً لأن الشيء لا يعقل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرًا وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بخشى مفعولاً به أى أنزل الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن وإعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ۚ ما بعد تنزيلا إلى قوله له الأسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذا أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه إما تنزيلا نفسه فيقع صلته وإما محذوفا فيقع صلته (فإن قلت) ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب (قلت) غير واحدة منها إعادة الافتتان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات إنما سردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولاً أنزلنا فقبحم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقتين ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه ۚ وصف السموات بالعلو دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها ۚ قرئ (الرحمن) مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لأنه إما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن وإما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق ۚ (فإن قلت) الجملة التي هي (على العرش استوى) ما محلها إذا جررت الرحمن أوردته على المدح (قلت) إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للبتداء ۚ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك كما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة وقالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت حتى أن من لم يبسط يده قط بالزوال أو لم تكن له يدرأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم هو جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة أى هو بخيل بل يده مبسوطة أى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتحج للثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام (وما تحت الثرى) ماتحت سبع الأرضين عن محمد بن كعب وعن السدى

(القول في سورة طه)

(بسم الله الرحمن الرحيم) طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى (قال ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن لنحتمل الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه الثاني بعد فإن فيه إثبات كون الشقاء سببا في نزوله عكس الأول وإن لم تكن اللام سببية فكانت للصيرورة مثلا ولم يكن فيه ما جرت عادة الله تعالى به مع نبيه صلى الله عليه وسلم من نبيه عن الشقاء والحزن عليهم وضيق الصدر بهم وكان مضمون هذه الآية متباينا عن قوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج فلعلك باجع نفسك على آثارهم ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر وأمثاله كثيرة فالظاهر والله أعلم هو التأويل الأول

(قوله بالنعمة والتحج للثنية) لعله للثنية

فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۚ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۚ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ۚ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ۚ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۚ وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۚ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ

هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة ۚ أي يعلم ما أسررته إلى غيرك وأخفي من ذلك وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته في نفسك (وأخفي) منه وهو ما أسرته فيها وعن بعضهم إن أخفي فعل يعنى أنه يعلم أسرار العباد وأخفي عنهم ما يعلمه هو كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذلك (فإن قلت) كيف طابق الجزاء الشرط (قلت) معناه وإن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غنى عن جهرك فيما أن يكون نهيًا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول وإماتعلما للعباد أن الجهر ليس لاسماع الله وإنما هو لغرض آخر (الحسنى) تأتي الأحسن وصفتها الأسماء لأن حكمها حكم المأثور كقولك الجماعة الحسنى ومثلها تأرب أخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به أسماؤه في الحسن سائر الأسماء دلالتها على معاني التقديس والتعظيم والربوبية والأفعال التي هي النهاية في الحسن ۚ ففاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود ۚ يجوز أن ينتصب (إذ) ظرفا للحديث لأنه حدث أو لمضمر أي حين (رأى نارا) كان كيت وكيت أو مفعولا لإذ ذكر استأذن موسى شعبيا عليهما السلام في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولاماه عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة (امكثوا) أقيموا في مكانكم ۚ الإيناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشيء والإيناس لظهورهم كإقيل الجن لاستنارهم وقيل هو إبصار ما يؤنس به ۚ لما وجد منه الإيناس فكان مقطوعا متيقنا حقيقه لهم بكلمة أن ليوطن أنفسهم ۚ ولما كان الإيناس بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع وقال (لعلي) ولم يقطع فيقول (إني) (آتيكم) لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به ۚ القبس النار المقتبسة في رأس عود أو قبيلة أو غيرها ومنه قيل المقتبسة لما يقتبس فيه من سعة أو نحوها (هدى) أي قوما يهدونني الطريق أو ينفعونني بهداهم في أبواب الدين عن مجاهد وقناة وذلك لأن أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع أحوالهم لا يشغلهم عنها شغل والمعنى ذوى هدى أو إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيديويه في مرث بزيد أنه لصوق يقرب من زيد أو لأن المصطلين بها والمستمتعين بها إذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الأعشى

ۚ وبات على النار الندى والمخلق ۚ قرأ أبو عمرو وابن كثير (أنى) بالفتح أي نودي بأنى (أنا ربك) وكسر الباقون أي نودي فقيل يا موسى أو لأن النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في إني أنا ربك لتوكيد الدلالة

قوله عز وجل فإنه يعلم السر وأخفى (قال هو أفعل التفضيل ومنهم من قال لمن أخفى فعل ماض الخ) قال أحد لا يخفى أن جعله فعلا قاصر لفظا ومعنى أما لفظا فإنه يلزم منه عطف الجملة الفعلية على الإسمية إن كان المعطوف عليه الجملة الكبرى أو عطف الماضى على المضارع إن كان المعطوف عليه الصغرى وكلاهما دون الأحسن وأما معنى فإن المقصود الحض على ترك الجهر بإسقاط فائدته من حيث أن الله تعالى يعلم السر وما هو أخفى منه فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر وأما إذا جعل فعلا فيخرج عن مقصود السياق وإن اشتمل على فائدة أخرى وليس هذا كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما لأن بين السياقين اختلافا والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله وقدح فصلد زنده) في الصحاح صلد الزند إذ اصوت ولم يخرج نارا

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۚ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَعُ ۝

وتحقيق المعرفة وإمارة الشبهة روى أنه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال له الله عز وجل إني أنار بك وأن إبليس وسوس إليه فقال لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأنى أسمع من جميع جهاتي الست وأسمعه بجميع أعضائي وروى أنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء تنقد وتسمع تسييح الملائكة ورأى نوراً عظيماً يخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عويجة وروى كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن إسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس في نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلمه قيل أمر بخلع النعلين لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل لياشر الوادي بقدميه متبركاً به وقيل لأن الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان إذا نذر منه الدخول منتعلاً تصدق والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى أنه خلع نعليه وألقاها من وراء الوادي (طوى) بالضم واليكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى أى نودي نداءين أو قدس الوادي كرة بعد كرة (وأنا اخترتك) اصطفتيك للنوة وقرأ حمزة وإنما اخترناك (لما يوحى) للذى يوحى أو الوحي تعاق اللام باستمع أو باخترتك (لذكرى فإن ذكرى أن عبدو يصلح لي أولئك ذكرى فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار عن مجاهد أولانى ذكرتها في الكتب وأمرت بها أولان أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق أو لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى أو لإخلاص ذكرى وطلب وجهى لائترائى بها ولا تقصد بها غرضاً آخر أولئك كون لي ذا كراً غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل همهم وأفكارهم به كما قال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكرائه أو لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة كقوله تعالى إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى ياليتى قدمت لحياتى وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكرها ومن يتمحل له يقول إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أى لذكر صلاتى أو لأن الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى أى أكاد أخفيها فلا أقول هى آتية لفرط إرادتى إخفاءها ولولا ما فى الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسى ولادليل فى الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لادليل عليه مطرح والذي غزهم منه أن فى مصحف أبى أكاد أخفيها من نفسى وفى بعض

قوله تعالى إن الساعة آتية أكاد أخفيها (قال محمود معناه قاربت أن لا أقول هى آتية الخ) قال أحمد ولا يقنع فى رد هذا التأويل بالهوبنا فإنه بين الفساد وذلك أن إخفاءها عن الله تعالى محال عقلاً فكيف يوصف المحال العقلى بقرب الوقوع وأحسن ما فى محامل الآية ما ذكره الاستاذ أبو على حيث قال المراد أكاد أزيل إخفاءها أى أظهرها إذا إخفاء العظام وهو أيضاً ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها ثم تقول العرب أخفيته إذا أزلت إخفاءه كما تقول أشكيتته وأعتبته إذا أزلت شكابته وعتبه وحينئذ يلىتم القراءتان أعنى فتح الهمزة وضمها والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله كأنها نار بيضاء تنقد) عبارة الخازن أطافت بهانار الخ وعبارة النسفي بدل قوله رأى شجرة الخ وجد ناراً بيضاء تنقد فى شجرة خضراء من أعلاها إلى أسفلها وكانت شجرة العناب أو العوسج (قوله وقيل مرتين نحو ثنى) فى الصحاح وقال يعنى بعضهم فى قوله تعالى بالوادي المقدس طوى طوى أى قدس وفيه أيضاً الثنى مقصور الأمر يعاد مرتين أى فعل أصل عبارة أيضاً وقيل طوى مرتين يعنى قدس وطهر مرتين وظاهر العبارة أن طوى مثل ثنى بمعنى مرتين أى نودي موسى مرتين أو قدس الوادي مرتين فهو منصوب بنودي أو بالمقدس

فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ۝ وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ
أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا ۝ وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ آخَرِي ۝ قَالَ أَقَهَا يَا مُوسَى ۝ فَالْقَمَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ

المضاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاء إذا أظهره
أى قرب إظهارها كقوله تعالى اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس
فإن تدفنوا الدماء لا تخفوه ۝ وإن تبعثوا الحرب لا تنقعد

فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين (لتجزى) متعلق بآية (بما تسعى) بسعيها ۝ أى لا يصدنك عن تصديتها والضمير للتيامة ويجوز
أن يكون للصلاة (فإن قلت) العبارة لنهى من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره
بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود (قلت) فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن التصديق بهاسبب
للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد الكافر مسبب عن رخارة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر
المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك هنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرتة وذلك سبب رؤيته إياه فكان
ذكر المسبب دليلاً على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع
في صدك عما أنت عليه يعنى أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجهم الغفير إذ لا شيء أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيراً من
البعث فلا يهولك وفور دهماهم ولا عظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة
فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار
بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله (وما تَلَكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى) كقوله تعالى وهذا بعلى شيخاً في انصباب الحال بمعنى
الإشارة ويجوز أن تكون تلك اسماً موصولاً صلته يمينك إنما سأله ليريه عظم ما اخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية
فضناضة وليقتدر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وبنيها على قدرته الباهرة ونظيره أن يريك الزراد
زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوساً مسرداً فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى
من عجيب الصنعة وأنيق السرد وقرأ ابن أبي إسحق عصى على لغة هذيل ومثله يابشرى أرادوا كسر ما قبل ياء المنكلم فلم يقدرُوا
عليه فقلبو الألف إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن (عصاى) بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخى
وعن ابن أبي إسحق سكون الياء (أتوكأ عليها) أعتمد عليها إذا أعيت أو وقفت على رأس الفطير وعند الظفرة ۝
هش الورق خبطه أى أخبطه على رؤس غنمى تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نخب
وسيلا ذفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفي قراءة
النخمي أهش وكلاهما من هش الخبز يش هش إذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين أى أنحى عليها زاجراً لها
والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه
الله تعالى فقال ما هي (العصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكان تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقاً للغرض الذى فهمه من فحوى
كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التى علقها بالعصا ويستكثرها وبمعظمها ثم يريه على عقب ذلك
الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد
بها وتحفل بشأها وقالوا إنما سأله ليبيسط منه ويقال هيئته وقالوا إنما أجمل موسى يسأله عن تلك المأرب فيزيد في إكرامه
وقالوا انقطع لسانه بالهيبه فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المأرب كانت ذات شعبتين ومحبجن فإذا طال الغصن حناه
بالمحبجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها

(قوله صليب المعجم) فى الصحاح عجمت العود إذا عضضته لتعلم صلابته من خوره ورجل صلب المعجم إذا كان عزيز النفس
(قوله من قلبها حية فضناضة) أى تحرك لسانها فى فمها أفاده الصحاح (قوله وعند الظفرة هش الورق) أى الوثبة

تَسْعَى ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ۝ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ
سُرَّةٍ آيَةٌ أُخْرَى ۝ لِئُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ۝ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۝ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي

وإذا كان في البرية ركزها و عرض الزندين على شعبتها و ألقى عليها الكساء و استظل و إذا قصر رشاؤه و وصله بها و كان يقاتل بها السباع عن غنمه و قيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فطول بطول البئر و تصير شعبتها دلو أو تكونان شعبتين بالليل و إذا ظهر عدو حاربت عنه و إذا اشتبهى ثمرة ركزها فأورقت و أثمرت و كان يحمل عليها زاده و سقاهه فجعلت تماشيه و يركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب و كانت تقيه الهوام ۝ السعى المشى بسرعة و خفة حركة (فإن قلت) كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية و الجان و الثعبان (قلت) أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر و الأنثى و الصغير و الكبير و أما الثعبان و الجان فيبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات و الجان الدقيق و في ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتوزم و يتزايد جرمها حتى تصير ثديانا فأريد بالجان أول حالها و بالثعبان ما لها و الثاني أنها كانت في شخص الثعبان و سرعة حركة الجان و الدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان و قيل كان لها عرف كعرف الفرس و قيل كان بين لحبيها أربعون ذراعا ۝ لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل ملكه من الفزع و النفار ما يملك البشر عند الأهوال و المخاوف و عن ابن عباس انقلبت ثديانا ذكرا يبتلع الصخر و الشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف و نفر و عن بعضهم إنما خافها لأنه عرف ما لقي آدم منها و قيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها و أخذ بلحيمها ۝ السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب و الطريقة و قيل سير الأولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أى سعيدها في طريقها الأولى أى في حال ما كانت عضا و أن يكون أعاد منقولا من عاده بمعنى عاد إليه و منه بيت زهير ۝ و عادك أن تلاقها عدا ۝ فيتعدى إلى مفعولين و وجه ثالث حسن و أن يكون سعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عضا ثم ذهبت و بطلت بالقلب حية فسعيدها بعد ذهابها كما أنشأها أولا و نصب سيرتها بفعل مضمرة أى تسير سيرتها الأولى بمعنى سعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها و لك فيها المآرب التي عرفتها ۝ قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه و جناحا الإنسان جنباه و الأصل المستعار منه جناحا الطائر سما جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران و المراد إلى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج ۝ السوء الرداءة و القبح في كل شيء فكفى به عن البرص كما كفى عن العورة بالسوأة و كان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكفوا عنه بالأبرص و البرص أبغض شيء إلى العرب و بهم عنه نفرة عظيمة و أسماعهم لاسمه بحاجة فكان جديراً بأن يكنى عنه و لا نرى أحسن و لا الطف و لا أحر المفاصل من كنيات القرآن و آدابه يروى أنه كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يعشى البصر ۝ بيضاء آية حالان معاً و من غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء و في نصب آية وجه آخر وهو أن يكون يا ضمير نحو خذ دونك و ما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام و قد تعلق بهذا المحذوف (ليريك) أى خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية ليريك بها بين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو ليريك بها الكبرى من آياتنا أو ليريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك ۝ لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغى لعنه الله عرف أنه كلف أمراً عظيماً و خطباً جسماً يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط و صدر فسيح فاستوهب ربه

(قوله و عرض الزندين على شعبتها) في الصحاح الزند العود الذي يقدح به النار و هو الأعلى و الزند السفلى فيها ثقب و هي الأنثى فإذا اجتمعوا قيل زندان و لم يقل زندتان و الجمع زند و أزند و أزنداد (قوله و كان جذيمة صاحب الزباء أبرص) جذيمة ملك الحيرة و الزباء ملكة الجزيرة كذا في الصحاح (قوله فكفوا عنه بالأبرص) في الصحاح البرص في الفرس نقط صفار تخالف سائر لونه و الفرس أبرص (قوله ما لا يحتمله إلا ذو جأش) في الصحاح يقال فلان رابط الجأش أى يربط نفسه

صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝
هُرُونَ أَخِي ۝ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي ۝ كَتَبْتُ نَسَبَكَ كَثِيرًا ۝ وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ

أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حلماً حولاً يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر
بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاطم
الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب (فإن قلت) لي في قوله (أشرح لي صدري ويسر لي أمري) ماجدواه والكلام بدونه
مستتب (قلت) قد أهدم الكلام أولاً فقليل أشرح لي ويسر لي فعمل أن ثم مشروحا ويسراً ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما
فكان آكد اطلب الشرح والتيسير لصدرة وأمره من أن يقول أشرح صدري ويسر أمري على الإيضاح الساذج
لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريق الأجمال والتفصيل ۝ عن ابن عباس كان في لسانه رثة لما روى من حديث الجرة
ويروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتمه في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أي رب ندعوتني قال إلى الذي أرا
يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم إنهم لم تبرأ يده أثلا يدخلها مع قرعون في قصعة واحدة فتعقد بينهما حرمة
المواكلة واختلف في زوال العقدة بكما لها فقليل ذهب بعضها وبقي بعضها لقوله تعالى وأخي هرون هو أفصح مني
لسانا وقوله تعالى ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثها من عمه موسى وقيل زالت بكما لها لقوله تعالى قد أوتيت سؤلوك يا موسى وفي تنكير العقدة وإن لم يقل عقدة
لساني أنه طلب حل بعضها إرادة أن يفهم عنه فهما جيداً ولم يطلب الفصاحة الكاملة و (من لساني) صفة للعقدة
كأنه قيل عقدة من عقد لساني. الوزير من الوزر لأنه يتحمل عن الملك أوزاره وهوثة أو من الوزر لأن الملك
يعتصم برأيه ويلجئ إليه أموره أو من الماؤزرة وهي المعاونة عن الأصمعي قال وكان القياس أزيراً فقلت الهمة إلى
الواو ووجه قلبها أن فعلاً جاء في معنى مفاعل مجاً صالحاً كقولهم عشير وجليس وقعيد و خليل وصديق ونديم فلما قلبت
في أخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزير ونظر إلى يوازر وإخوته وإلى الموازرة ۝ وزيراً وهرون مفعولاً
قوله اجعل قدم ثنهما على أولها عناية بأمر الوزارة أولى وزيراً مفعولاً وهرون عطف بيان للوزير و(أخي) في
الوجهين بدل من هرون وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن ۝ قرؤا جميعاً أشدداً وأشركه على الدعاء وابن عامر
وحده أشدداً وأشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود أخي وأشدداً وعن أبي بن كعب أشركه في أمري وأشدداً به
أزري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعل أخي مرفوعاً على الابتداء وأشدداً به خبره وبوقف على هرون ۝ الأزر
القوة وأزره قواه أي اجعله شريكاً في الرسالة حتى تتعاون على عبادتك وذكرك فإن التعاون لأنه ما يوجب الرغبات

قوله تعالى رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري (قال إن قلت ما فائدة لي والكلام مستتب بدونها الخ) قال أحمد ويحتمل عندي
والله أعلم أن تكون فائدتها الاعتراف بأن منفعة شرح الصدر راجعة إليه وعائدة عليه فأن الله عز وجل لا ينتفع بإرساله ولا
يستعين بشرح صدره تعالى وتقدس على خلاف رسول الملك إذا طلب منه أن يرجع عليه فإنما يطلب منه ما يعود نفعه على
مرسله ويحصل له غرضه من رسالته والله أعلم .

عن الفرار لشجاعته (قوله والكلام بدون مستتب) في الصحاح استتب الأمر تهيأ واستقام (قوله كان في لسانه رثة)
في الصحاح الرثة بالضم المعجمة في الكلام وحديث الجرة أن موسى كان يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب فضرب
به رأسه فغضب وهم بقتله فقالت له امرأته إنه صبي لا يعقل وجزبه إن شئت بفتات بطشتين في أحدهما جمر وفي
الآخر جوهر فمد موسى يده إلى الجوهر فحولها جبريل إلى الجمر فوضع جمره في فمه فاحترق لسانه (قوله الوزير
من الوزر) أي الثقل وقوله أو من الوزر أي الملجأ أفاده الصحاح

كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۝ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ۝ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ۝ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ
مَا يُوحَىٰ ۝ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ
مَحْبَةٌ مَنِيٌّ وَلِتَضَعُ عَلَىٰ عَيْنِي ۝ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ

يتزايد به الخير ويتكاثر (إنك كنت بنا بصيراً) أي عالماً بأحوالنا وبأن النعاضة ما يصلحنا وأن هرون نعم المعين والشاد
لعضدي بأنه أكبر مني سناً وأفصح لساناً ۝ السؤال الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى
مأكول ۝ الوحي إلى أم موسى إما أن يكون على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى وإذ أوحيت إلى الخواصين ويبحث إليها
ملكاً لآعلى وجه النبوة كما بحث إلى مريم أو غيرها ذلك في المنام فتنبه عليه أو يلهمها كقوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل
أي أوحينا إليها أمراً لاسيلاً إلى التوصل إليه ولا إلى العلم به إلا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب أن يوحى ولا يخل
به أي هو بما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم مثله يحق بأن يوحى (إن) هي المفسرة لأن الوحي بمعنى القول ۝ القذف مستعمل
في معنى الإلقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال ۝ غلام رماه الله بالحسن يافعا ۝
أي حصل فيه الحسن ووضع فيه والضمار كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجته لما
يؤدي إليه من تنافر النظم (فإن قلت) المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى إلى الساحل (قلت) ما ضرك لو قلت
المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فتتأخر عليك النظم الذي هو أم إجاز القرآن والقانون
الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم مما يجب على المفسر ۝ لما كانت مشيئة الله تعالى وإرادته أن لا تخطف جرية ماء اليم
الوصول به إلى الساحل وألقاه إليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الأمر ويمثل رسمه
فقبل (فليلقنه اليم بالساحل) روى أنها جعلت في التابوت قطناً مخلوجاً فوضعت فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان
يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا
صبي أصبح الناس وجهها فأحبه عدو الله حباً شديداً لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ أن البحر ألقاه بساحله
وهو شاطئه لأن الماء يسجله أي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل
فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر إلى حيث البركة (منى) لا يخلو إما أن يتعلق بالقيت فيكون المعنى على إني أحببتك
ومن أحبه الله أحبته القلوب وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة محبة أي محبة حاصلة أو واقعة منى قدر كزتها أناني القلوب
وزرعها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك روى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحه لا يكاد
يصبر عنه من رآه (على عيني) لترين ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعى الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به
وتقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادى وبغيتي ولتضع معطوف على علة مضرة
مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه أو حذف معلاء أي ولتضع فعلت ذلك وقرئ ولتضع ولتضع بكسر اللام وسكونها
والجزم على أنه أمر وقرئ ولتضع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملاً وتصرفك على عين منى ۝ العامل في (إذ تمشي)

قوله تعالى والقيت عليك محبة منى ولتضع على عيني إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله (قال العامل
في إذ تمشي ألقيت أو تصنع الخ) قال أحمد والمعنى يوجب عمل ولتضع فيه لأن معنى صنيعه على عين الله عز وجل
تربيته مكلوماً بكلامه مصوناً بحفظه وزمان تربيته على هذه الحالة هو زمان رده إلى أمه المشفقة الحنونة وأما
إلقاء المحبة عليه فقيل ذلك أول ما أخذه فرعون وأحبه والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله رماه الله بالحسن يافعا) في الصحاح أيفع الغلام أي ارتفع وهو يافع ولا يقال موفع وهو من النوادر (قوله
ثم أداه إلى النهر) لعله أداه النهر (قوله ليتعطف عليك وترأم) أي تحب وتؤلف أفاده الصحاح

عَيْنَهَا وَلَا يَحْزَنُ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ
يَمُوسَى ۖ وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي ۖ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنبَأُ فِي ذِكْرِي ۖ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
طَغَى ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۖ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۖ

ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من إذ أوحينا (فإن قلت) كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدا
(قلت) كما يصح وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته إذذاك
وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها ۖ يروى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة
يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم فجاءت بالأم فقبل ثديها ويروي أن آسية استوهبته من فرعون
وتبنته وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع ۖ هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة
اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه
من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين هاجر إلى مدين (فتونا) يجوز أن يكون مصدرا على فعول في المتعدى كالشور والشكور
والكفور وجمع فتن أو فتنة على ترك الاعتدال بقاء التأنيت كجوز وبدور في حجرة وبدرة أي فتناك ضروبا من الفتن سأل
سعيد بن جبيران عباس رضي الله عنه فقال خلاصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير
وألفته أمة في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشرين سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان
يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الإنسان وكل ما يبطل الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر
والخير فتنة (مدين) على ثمانين مراحلا من مصر وعن وهب أنه لبث عند شبيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى أوفى
الاجلين ۖ أي سبق في قضائي وقدرى أن أكلبك وأستنبك وفي وقت بعينه قد وقته لذلك فاجئت إلا على ذلك القدر غير
مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة ۖ هذا تمثيل لما خوله من منزلة
التقريب والتكريم والتكليم : مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص أهلا لا يكون أحدا قرب
منزلة منه إليه ولا اللطف محلا في صطنعه بالكرامة والأثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع إلا بعينه وأذنه ولا يأتين
على مكنون سره إلا سواء ضميره ۖ الوحي الفتور والتقصير وقرئ تذا بكسر حرف المضارعة للاتباع أي لا تنسياني ولا أزال
منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تصيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين أن أمر أمن الأمور
لا يتمشى لأحد إلا بذكري ويجوز أن يريد بالذكري تبليغ الرسالة فإن الذكري يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها
وأعظمها فكان جديرا بأن يطاق عليه اسم الذكري ۖ روى أن الله تعالى أوحى إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل
سمع بمقبله وقيل ألم ذلك ۖ فرئ (لينا) بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى ۖ
لأن ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه من الفوز العظيم وقيل عداه شبابا بالايهرم بعده وملكا لا ينزع منه إلا بالموت
وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وقيل لا تجباه بما يكره وأطفاله في القول لماله من حق تربية موسى
ولما ثبت له من مثل حق الأبوة وقيل كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة ۖ والترجي لها
أي اذهب على رجائك وطمعك وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يشر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحشد
بأقصى وسعه وجدوى إرسالها إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجوة وقطع المعذرة ولو أنا أهلكتناهم بعداب من قبله لقالوا
ربنا لو أرسلت إلينا رسولا فاتبع آياتك أي يتذكروا ويتأمل فيذل النصفه من نفسه والإذعان للحق (أويخشى) أن يكون الأمر

(قولاً على مكنون سره إلا سواء ضميره) في الصحاح سواء الشيء وسطه (قوله وقيل لا تجباه بما يكره) في الصحاح جبهته
بالمكروه إذا استقبلته به وفيه اللطف في العمل الرفق به (قوله ويحشد بأقصى وسعه) أي يستعد ويتأهب أفاده الصحاح

قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ۖ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِيبِهِمْ
 قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ۖ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
 وَتَوَلَّىٰ ۖ قَالَ فَمَنْ رَبُّكَ يَا مُوسَىٰ ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۖ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ

كما تصفان فيجزه إنكاره إلى الهلكة ۖ فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل أي نخاف
 أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها ۖ وقرئ (يفرط) من أفرطه غيره إذا حمل على العجلة خافا أن يحمله حامل على المعالجة
 بالعقاب من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين
 حكي عنهم رب العزة قال الملا من قومه وقال الملا من قومه وقرئ يفرط من الإفراط في الأذية أي نخاف أن يحول بيننا وبين
 تبليغ الرسالة بالمعجلة ۖ أو يجاوز الحد في معاقبتنا إن لم يعاجل بنا على ما عرفنا وجزبا من شرارته وعتوه (أو أن يطغى)
 بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز باب
 من حسن الأدب وتحاش عن التفوه بالعظيمة (معكما) أي حافظكما وناصركما (أسمع وأرى) ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل
 فأفعل ما يوجهه حفظي ونصرتي لكما فجاز أن يقدر أقوالكم وأفعالكم وجائز أن لا يقدر شيء ۖ وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر
 سامع مبصر وإذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو ۖ كانت بنو إسرائيل
 في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الأعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع
 قتل الولدان واستخدام النساء (قد جئناك بآية من ربك) جملة جارية من الجملة الأولى وهي إننا رسول ربك مجرى البيان
 والتفسير لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا بآية التي هي المجيء بالآية إنما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لأن المراد
 في هذا الموضوع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما دعيناك من الرسالة وكذلك
 قد جئناك بآية من ربك فأت بآية إن كنت من الصادقين أولو جئناك بشيء مبين ۖ يزيد وسلام الملائكة الذين هم خزنة
 الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين ۖ خاطب الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى
 لأنه الأصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه
 لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى وبدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين
 (خلقه) أول مفعولي أعطى أي أعطى خلقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثابتهما أي أعطى كل شيء صورته
 وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع
 وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان
 نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزوج منها شيئا غير
 جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف أو للمضاف إليه أي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه
 (ثم هدى) أي عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل إليه والله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه
 لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق ۖ سأله عن حال من تقدم وخلام من القرون وعن شقاء من شقى

ۖ قوله تعالى «إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى» الآية (قال معنى يفرط علينا يعجل بعقوبتنا الخ) قال أحمد وإذا
 روعى في الأدب إطلاق هذه اللفظة عن مجرورها فلا يعذر أن يراعى في الأدب بالاعتراف بتقدمته الله ۖ وجل زيادة المجرور
 في قوله اشرح لي صدري كما قدمته انفا والله أعلم

(قوله يحمله خبثه ودعارته) أي فساده وفسقه

الْأُولَى ۚ قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۚ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ۚ كُلُّوا وَارْعَوْا أَنعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ

منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ شيئاً أو ينساه ۚ يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله إذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوائف القرون وتمادى كثرتهم وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به عليه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز أن عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل كما تفضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعى الربوبية بالجهل والوقاحة (الذي جعل) مرفوع صفة لربِّي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه (مهدا) قراءة أهل الكوفة أي مهدها مهدا أو يتمهدون لها فهي لهم كالهدى وهو ما يمهده للصبي (وسلك) من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين أي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والأودية والبراري (فأخرجنا) انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الاقتناز والإيدان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره وتدع عن الأجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء على إرادته ومثله قوله تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها أمتن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص أيضاً بأننا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد (أزواجا) أصنافاً سميت بذلك لأنها مزدوجة ومقترنة بعضها مع بعض (شئ) صفة للأزواج جمع شئيت كمرىض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به التابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شئ مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد إنما تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله أي قائلين (كلوا وارعوا) حال من الضمير في فأخرجنا المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها أراد بخلقهم من الأرض خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقبل إن الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان

قوله تعالى قال عليها عند ربِّي في كتاب لا يضل ربِّي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (قال هذا من باب الالتفات الخ) قال أحد الالتفات إنما يكون في كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى وما نحن فيه ليس من ذلك فإن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون عليها عند ربِّي في كتاب لا يضل ربِّي ولا ينسى ثم قوله الذي جعل لكم الأرض مهداً إلى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى إما أن يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك أمرنا وعمرنا وإنما يريدون الملك وليس هذا بالفتيات وإنما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله ولا ينسى ثم ابتداء الله تعالى وصف ذاته بصفات إنعامه على خلقه فليس الفتاتاً أيضاً وإنما هو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب وعلى هذا التأويل ينبغي للقارئ أن يقف وقفة عند قوله ولا ينسى ليستقر بانتها الحكاية ويحتمل وجهاً آخر وهو أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير إلى ذاته لأن الحاكي هو المحكى في كلام موسى فرجع الضميرين واحداً وهذا الوجه وجه حسن دقيق الحاشية وهذا أقرب الوجوه إلى الالتفات لكن الزمخشري لم يعنه والله أعلم

لأولى النهى ه منها خلقنكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ه ولقد آرينه آيتنا كلها فكذب وأبى ه
قال أجتذنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يموسى ه فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا تخلفه

الذى يدفن فيه فيبيدها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معاً ه وأراد بإخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلط بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر يوم يخرجون من الأجداث سراعا عند الله عليهم ما علق بالأرض من مراقبهم حيث جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوقات بهائمهم وهي أصلهم الذى منه تفرعوا وأمهم التي منها ولدوا ثم هي كفايتهم إذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالأرض فإنها بكم برّة (أريناه) بصرناه أو عرفناه صحته ويقناه بها وإنما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً وقوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وفي قوله تعالى (آياتنا كلها) وجهان أحدهما أن يحذى بهذا التعريف الإضافى حذو التعريف باللام لو قبل الآيات كلها أعنى أنها كانت لا تعطى إلا تعريف العهد والإشارة إلى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفاق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم وتلق الجبل والثاني أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الأنبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعاً (وأبى) أن يقبل شيئاً منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق ه يلوح من جيب قوله (أجتذنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك) أن فرائضه كانت ترعد خوفاً مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وإيقانه أنه على الحق وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادت وأن مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وأنه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلق وتجير وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر ه لا يخلو الموعد في قوله (فاجعل بيننا وبينك موعداً) من أن يجعل زماناً أو مكاناً أو مصدرأ فإن جعلته زماناً نظراً في أن قوله تعالى موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمت شيآن أن يجعل الزمان مخلفاً وأن يعضل عليك ناصب مكاناً وإن جعلته مكاناً لقوله تعالى مكاناً سوى لزمت أيضاً

ه قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعداً لا تخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى (قال إن جعلت موعد الأول اسم مكان ليطابق قوله مكاناً سوى لزمت الخ) قال أحمد وفي إعماله وقد وصف بقوله لا تخلفه بعد إلا أن تجعل الجملة معترضة فهو مع ذلك لا يخلو من بعد من حيث أن وقوع الجملة عقيب النكرة بحيزها الشأن أن تكون صفة والله أعلم ويحتمل عندى وجه آخر أخصر وأسلم وهو أن يجعل موعد اسم مكان فيطابق مكاناً ويكون بدلاً منه ويطابق الجواب بالزمان بالتقرير الذى ذكره ويبقى عود الضمير فتقول هو والحالة هذه عائد على المصدر المفهوم من اسم المكان لأن حروفه فيه والموعد إذا كان اسم مكان فحاصله مكان وعد كما إذا كان اسم زمان فحاصله زمان وعد وإذا جاز رجوع الضمير إلى مادلت قوة الكلام عليه وإن لم يكن منطوقاً به بوجه فرجوعه إلى ما هو كالمطوق به أولى وما يحقق ذلك أنهم قالوا من صدق كان خيراً له يعنون كان الصدق خيراً له فأعادوا الضمير على المصدر وقدروه منطوقاً به للنطق بالفعل الذى هو مشتق منه وإذا أوضح ذلك فاسم المكان مشتق من المصدر اشتقاق الفعل منه فالنطق به كاف في إعادة الضمير على مصدره والله أعلم وعلى هذين التأويلين يكون جواب موسى عليه السلام من جوامع كلم الأنبياء لأنه سئل أن يواعدهم مكاناً فلم أنهم لا بد أن يسألوه مواعده على زمان أيضاً فأسلف الجواب عنه وضمها جواباً مفرداً ه ولقائل أن يقول إن كان المسؤل منه المواعدة على المكان فلم أجاب بالزمان الذى لم يسئل عنه

(قوله ثم هي كفايتهم إذا ماتوا) أى موضعهم الذى يضمون فيه أفاده: الصحاح

نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سِوَى ۚ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۚ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ
 آتَى ۚ قَالَ لَهُمْ مَوْسَىٰ وَيَلِّكُمْ لَاتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ۚ فَتَنَزَّعُوا
 أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النِّجْوَىٰ ۚ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا

أن توقع الإخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا
 لأنه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقى أن يجعل مصدراً بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف أى مكان موعد ويجعل الضمير
 في تخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف (فإن قلت) فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من أن يجعله
 زمانا والسؤال واقع عن المكان لاعتن الزمان (قلت) هو مطابق معنى وإن لم يطابق لفظاً لأنهم لا بد لهم من أن يجتمعوا
 يوم الزينة في مكان بعينه مشتمر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فيذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر
 لا غير والمعنى إنجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا أيضاً من طريق المعنى ويجوز أن لا يقدر مضاف محذوف ويكون
 المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا تخلفه (فإن قلت) فبم ينتصب مكانا (قلت) بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (فإن
 قلت) فكيف يطابقه الجواب (قلت) أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة
 ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم
 بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سرقا ويتزينون
 ذلك اليوم قرئ (تخلفه) بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الأمر وقرئ (سوى) وسوى بالكسر والضم
 ومنونا وغير منون ومعناه منصفاً بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية
 لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه أن يجري الوصل بجرى الوقف ۚ قرئ (وأن يحشر الناس) بالناء والياء يريد وأن
 تحشر يافرعون وأن يحشر اليوم ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة أما على العادة التي يخاطب بها الملوك
 أو مخاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل أن يحشر الرفع أو الجزم عطفاً على اليوم أو الزينة وإنما
 واعدم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الأشهاد وفي الجمع الغاص
 لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبتلين وأشياهم ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر
 ويشيع في جميع أهل الورد والمدن (لاتفتروا على الله كذباً) أى لاتدعوا آياته ومعجزاته سحراً قرئ (فيسحتمكم) والسحت
 لغة أهل الحجاز والإسحاح لغة أهل نجد وبنى نعيم ومنه قول الفرزدق لإلمسحنا أو مجلف في بيت لاتزال الركب تصطك
 في تسوية إعرابه عن ابن عباس إن نجواهم إن غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة إن كان ساحراً فسغلبه وإن كان من السماء
 فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر أنهم تشاوروا في السر وتجادبوا أهداب
 القول ثم قالوا إن هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفاً من غلبتهما وتثيلاً للناس عن
 اتباعهما قرأ أبو عمرو (إن هذين لساحران) على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص إن هذان لساحران على

صريحاً وجعل جواب ما سئل عنه مضمناً (وجوابه) والله أعلم أن يقال اكتفى بقريته السؤال عن صريح الجواب وأما
 ما لم يسئل عنه فلو ضمنه لم يفهم قصده إليه إذ لا قرينة تدل عليه والله أعلم

(قوله ومكان بدل من المكان المحذوف) لعلمه ومكانا (قوله يوم عاشوراء ويوم النيروز) لعلمه النيروز بالزاي
 كعبارة غيره (قوله ومعناه منصفاً بيننا) أى وسطاً كافي الصحاح (قوله وكبت الكافر وزهوق الباطل) أى إذلاله
 أفاده الصحاح (قوله لإلمسحنا أو مجلف في بيت لاتزال الركب تصطك في تسوية إعرابه) هو قوله
 وعص زمان يا ابن مروان لم يدع ۚ من المسال لإلمسحنا أو مجلف والمسححت الملوك والمجلف الذي أخذ من جوانبه كافي الصحاح

بَطْرِيْقَتِكُمُ الْمِثْلِي ۝ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفَا وَقَدْ اَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ۝ قَالُوا يَا مُوسَى اِمَّا اَنْ تَاتِيَنَا
وَاِمَّا اَنْ نَكُوْنَ اَوَّلَ مَنْ اَلَى ۝ قَالَ بَلْ اَقْوَمُ فَازًا حِبَالَهُمْ وَعَصِيْمِهِمْ يَخِيْلُ اِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ اِنَّمَا تَسْعَى ۝ فَاَوْجَسَ
فِي نَفْسِهِ خِيْفَةً مُوسَى ۝ قُلْنَا لَا تَخَفْ اِنَّكَ اَنْتَ الْاَعْلَى ۝ وَالْقَى مَا فِي يَمِيْنِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا اِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا

قولك إن زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ أبي إن ذان لإسحاران وقرأ ابن مسعود
أن هذان ساحران بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة إن هذان لساحران هي لغة للحرث
ابن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلوها ياء في الجزر والنصب وقال بعضهم
أن بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخله على الجملة تقديره لها ساحران وقد أعجب به أبو إسحق سموا
مذهبهم الطريقة (المثلي) والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل أرادوا أهل طريقته المثلي وهم بنو إسرائيل
لقول موسى فأرسل معنابني إسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرفهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال
لواحد أيضاً هو طريقة قومهم (فأجمعوا كيدكم) يعضده قوله لجمع كيدهم وقرئ فأجمعوا كيدكم أي أزمعوه واجعلوه بجمعاً عليه حتى
لا تختلفوا ولا يخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها ۝ أمروا بأن يأتوا صفاء لأنه أهيب في صدور الرائيين وروى
أنهم كانوا سبعين الف عام كل واحد منهم جبل وعصا وقد أقبلوا إقبالة واحدة وعن أبي عبيدة أنه فسّر الصفا بالمصلى لأن الناس
يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين ۝ ووجه صحته أن يقع علماً لمصلى بعينه فأمروا بأن يأتوه أو يراوا مصلى
من المصليات (وقد أفلح اليوم من استعلى) اعتراض يعني وقد فاز من غلب ۝ أن مع ما بعده إما منصوب بفعل
مضمر أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الأمرين أو الأمر للقائك أو القافؤنا وهذا التخيير منهم
استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتذنيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم وكان الله عز و علا أهمهم
ذلك وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار الغائبم أولاً مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد
السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة
على السحر فحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بيده للعبثين ۝ يقال في إذا هذه إذا المفاجأة والتحقيق فيها أنها إذا
الكاتبة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً وهو
فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فإذا حبالهم وعصيمهم فقاجاً موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيمهم
وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيمهم مخيلة إليه السعى يقرئ (عصيمهم) بالضم وهو الأصل والكسر اتباع ونحوه
دلى ودلى وقسى وقسى وقرئ (تخييل) على إسناده إلى ضمير الحبال والعصى وإبدال قوله (أنها تسعى) من الضمير بدل
الاشتمال كقولك أعجبتني زيد كرمه وتخييل على كون الحبال والعصى مخيلة سعيها وتخييل بمعنى تخييل وطريقه طريق تخييل
وتخييل على أن الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت

۝ قوله تعالى وقالوا يا موسى إنا أن تاتي وإنا أن نكون أول من ألقى ، (قال محمود لقد أهمهم الله حسن الأدب مع موسى
عليه السلام في تخييره وإعطاء النصفة من أنفسهم) قال أحمد وقبل ذلك تأدبوا معه بقولهم فاجعل بيننا وبينك موعداً لا تخلفه
فقوضوا ضرب الموعد إليه وكما أهم الله عز وجل موسى ههنا أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون إلقاؤه العصا بعد
قذفا بالحق على الباطل فدمغه فإذا هو زاهق كذلك أهمه من الأ قول أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ليكون
الحق أبلج على رؤس الأشهاد فيكون أفصح لكيدهم وأهتك لستر حرهم والله أعلم ۝ قوله عز وجل ۝ والقي ما في يمينك

(قوله إذا للمفاجأة والتحقيق) لعله إذا المفاجأة كعبارة النفسى

سِحْرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۝ فَالِقَ السِّجْرِ سُبْحَانَ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ۝ قَالَ ءَأَمَّنتُمْ لَهُ قَبْلَ

واهتزت تخيلت ذلك ۝ إيجاس الخوف إضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأه يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبل البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعه (إنك أنت الأعلى) فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وتكرير الضمير وبلاد التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتمييز وقوله (مافي يمينك) ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيراً لها أي لا تبال بكثرة جبالهم وعصيمهم وألق العويد المراد الصغير الجرم الذي في يمينك فإنه بقدره الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمتها وجائز أن يكون تعظيماً لها أي لا تخفّل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأزره عنده فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها وقرئ (تلقف) بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف (صنعوا) ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون قرئ (كيد ساحر) بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذى سحر أو ذوى سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحربعينة وبذاته أو بين الكيد لأنه يكون سحر أو غير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو (فإن قلت) لم وحد ساحر ولم يجمع (قلت) لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخليل أن المقصود هو العدد الأتري إلى قوله (ولا يفلح) (الساحر) أي هذا الجنس (فإن قلت) فلم نكر أو لا وعرف ثانياً (قلت) إنما نكر من أجل تكبير المضاف لا من أجل تكبيره في نفسه كقول العجاج ۝ في سعي دنيا طالما قدمت ۝ وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة المراد تكبير الأمر كأنه قيل إن ما صنعوا كيد سحرى وفي سعي دنيا وأمر دنيا وأخرى (حيث أتى) كقولهم حيث سيروا أية سلك وأينما كان ۝ سبحانه الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا جبالهم وعصيمهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر

تلقف ما صنعوا (قال محمود وقال مافي يمينك ولم يقل عصاك الخ) قال أحمد وإنما المقصود بتحقيرها في جنب القدرة تحقير كيد السحرة بطريق الأولى لأنها إذا كانت أعظم منه وهي حقيرة في جانب قدرة الله تعالى فما الظن بكيدهم وقد تلقفته هذه الحقيرة الضئيلة ولاصحاب البلاغة طريق في علو المدح بتعظيم جيش عدو المدوح ليلزم من ذلك تعظيم جيش المدوح وقد قهره واستولى عليه فصغر الله أمر العصا ليلزم منه كيد السحرة الداخض بها في طرفه عين ۝ عاد كلامه (قال محمود ويجوز أن يكون تعظيماً لا أمرها إذ فيه تذييل لقلب موسى على النصر) قال أحمد وههنا لطيفة وهو أنه تاق من هذا النظم أو لا قصد التحقير وثانياً قصد التعظيم فلا بد من نكتة تناسب الأمرين وتلك والله أعلم هي إرادة المذكور مبهماً لأن مافي يمينك أبهم من عصاك وللعرب مذهب في التكبير والإبهام والإجمال تسلكه مرة لتحقير شأن ما أبهمته وأنه عند الناطق به أهون من أن يخصه ويوضحه ومرة لتعظيم شأنه وليؤذن أنه من عناية المتكلم والسامع بمكان يعنى فيه الرمز والإشارة فهذا هو الوجه في إسماعه بهما جميعاً وعندى في الآية وجه سوى قصد التعظيم والتحقير والله أعلم وهو أن موسى عليه السلام أول ما علم أن العصا آية من الله تعالى عندما سأله عنها بقوله تعالى وما تلك يمينك يا موسى ثم أظهر له تعالى آيتها فلما دخل وقت الحاجة إلى ظهور الآية منها قال تعالى وألق مافي يمينك ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له وما تلك يمينك وقد أظهر له آيتها فيكون ذلك تنبيهاً له وتأنيساً حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت ظهور آيتها وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت ألا ترى إلى قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله تسمع نبأه يسيرة منه) في الصحاح النبأ الصوت الخفى (قوله وقرئ تلقف بالتخفيف) عبارة النسق تلقف بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص وتلقف ابن ذوران البا قون تلقف فليحزر (قوله أو بين الكيد لأنه يكون سحرأ) لعله قبله سقطاً تقديره بالسحر

أَنْ أَعِزَّنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كَمَا الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَيْكُمْ
 فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلْتَعْلَمَنَّ أَيْسًا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا
 فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
 عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۗ إِنَّهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَبِّهِ جَرَّمَا فِئْتَانًا لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۗ وَمَنْ يَأْتِهِ
 مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۗ جِذَّتْ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ
 جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۗ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ

والسجود فأعظم الفرق بين الإلقاءين وروى أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وأواب أهلها وعن عكرمة لما
 خروا سجداً أراهم الله في سجدتهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة (لكبيركم) لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلامهم درجة في صناعتهم
 أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيرى وقال لي كبيرى كذا يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء ۖ قرئ
 (فلا قطعن) ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف
 الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لا بداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو
 لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لا قطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضها فقد اتصفت
 بالاختلاف ۖ شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل (أينا) يريد نفسه
 لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله آمتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله غير الله تعالى كقوله تعالى يؤمن بالله
 ويؤمن للثومنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيح لموسى عليه
 السلام واستضعاف له مع الهزم به لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء (والذي فطرنا) عطف على ما جاءه نأ أو قسم ۖ
 قرئ (تقضى هذه الحياة الدنيا) ووجهها أن الحياة في القراماة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف بإجرائه
 مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة وروى أن السحرة يعني رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط
 والساثر من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نأما ففعل
 فوجدوه نحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لأن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه (تزكى) تطهر
 من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله قيل في هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على
 وجه الحكاية (فاضرب لهم طريقاً) فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهماً وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف
 به يقال يبس ييبس وييبس ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا ييبس وناقنا ييبس إذا جف لبنها
 وقرئ ييبس ويابس ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففاً عن اليبس أو صفة على فعل أوجع يابس كصاحب وصحب وصف به

ۖ قوله تعالى ۖ فالتقى السحرة سجداً ۖ الآية (قال سبحان من فرق بين الإلقاءين إلقاءهم جباهم وعصيمهم الخ) قال أحمد
 وفي تكرير لفظ الإلقاء والعدول عن مثل فسجد السحرة لإيقاظ السامع لالطاف الله تعالى في نقله عباده من غاية الكفر
 والعداوة إلى نهاية الإيمان والساداد وهذا الإيقاظ لا يحصل على الوجه إلى هذا القصد إلا بتكرير لفظ واحد على معنيين
 متناقضين وهو يناسب ما قدمته آنفاً في إيجاز الخطاب في قوله وألق ما في يمينك وماتلك يمينك فتأمله فإن الحق حسن متناسب
 والله الموفق ۖ قوله تعالى فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً (قال قرئ بسكون الباء وبفتحةها الخ) قال أحمد ووجه آخر

(قوله وفيه نفاجة باقتداره) في الصحاح رجل نفاج إذا كان صاحب نحر وكبير

دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۝ فَاتَّبِعْهُمْ فَرْعُونَ بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم ۝ وأضل فرعون قومه وما هدى ۝
 يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ ۝ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلْوَى ۝
 كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ۝ وَإِنِّي

الواحد تا كيدا كقوله ومعنى جياعا جعله لفرط جوعه بكجاعة جياع (لاتخاف) حال من الضمير في فاضرب وقرئ لاتخف على الجواب وقرأ أبو حيوه (دركا) بالسكون والدرك والدرك اسمان من الإدراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في (ولاتخشى) إذا قرئ لاتخف ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لاتخشى أى ومن شأنك أن آمن لاتخشى وأن لاتكون الآلف المنقلبة عن الياء التى هى لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السيلا وتظنون بالله الظنونا وأن يكون مثل قوله ۝ كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا ۝ (ماغشيهم) من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أى غشيهم مالا يعلم كنهه إلا الله وقرئ فغشاهم من اليم ماغشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم إما الله سبحانه أو ماغشاهم أو فرعون لأنه الذى ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله (وما هدى) تهكم به فى قوله وما هديكم لإسبيل الرشاد (يابنى إسرائيل) خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بأبائهم والوجه هو الأول أى فلنا يابنى إسرائيل وحذف القول كثير فى القرآن وقرئ (أنجيتكم) إلى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ (الآن) بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الألواح وإنما عدى المواعدة اليهم لأنها لا يستم وأصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها دينهم وشرعهم وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه ۝ طغيانهم فى النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعيم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها فى المعاصى وأن يزورا حقوق الفقراء فيها وأن يسرفوا فى إنفاقها وأن يبظروا فيها ويأشروا ويتكبروا قرئ (فيحل) وعن عبد الله لا يحلن (ومن يحل) المكسور فى معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أداءه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله والمضموم فى معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول (هوى) هلك وأصله أن يسقط من جبل فهلك

وهو أن قدر كل جزء من أجزاء الطريق طريقا وقد كانت بهذه المثابة لأنها كانت اثني عشر طريقا لكل سبط طريق والله أعلم قوله تعالى وأضل فرعون قومه وما هدى (قال إنما قيل وما هدى تهكابه) قال أحمد فإن قلت التهكم أن يأتي بعبارة والمقصود عكس مقتضاها كقولهم إنك لانت الحليم الرشيد وخرضهم وصفه بضد هذين الوصفين وأما قوله تعالى وما هدى فمضمونه هو الواقع فهو حينئذ مجرد إخبار عن عدم هدايته لقومه قلت هو كذلك ولكن العرف مثل ما هدى زيد عمر أثبت كون زيد عالما بطريق الهداية مهتديا فى نفسه ولكنه لم يهد عمرا وفرعون أضل الضائين فى نفسه فكيف يتوهم أنه يهدى غيره وتحقيق ذلك أن قوله تعالى وأضل فرعون قومه كاف فى الإخبار بعدم هدايته لهم مع مزيد إضلاله إياهم فإن من لا يهدى قد لا يضل فيكون كفايا وإذا تحقق غناء الأول فى الإخبار تعين كون الثانى لمعنى سواء وهو التهكم والله أعلم قوله تعالى ومن يحل عليه غضبي فقد هوى (قال الغضب عقوبة الله تعالى لهم الخ) قال أحمد لا يسهه أن يحمل الغضب إلا على العقوبة لأنه ينفي صفة الإرادة فى جملة ما ينفونه من صفات الكمال وأما على قاعدة السنة فيجوز أن يكون المراد من الغضب إرادة العقوبة فيكون من أوصاف الذات ويحتمل أن يراد به معاملتهم بما يعامل به من غضب عليه شاهدا فيكون من صفات الأفعال وأما وصفه بالحلول فلا يتأتى محله على الإرادة ويكون بمنزلة قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا إلى سماء الدنيا على

(قوله قرئ فيحل وعن عبد الله) يفيد أن القراءة المشهورة فيحل ومن يحل بالكسر ولتحرر قراءة لا يحل هل هى بالكسر أو بالضم

لَغْفَارٍ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۝ وَمَا أَجْزَلُكَ عَن قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَىٰ
وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۝ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ

قالت : هوى من رأس مرقبة ۝ ففتت تحتها كعبه

ويقولون هوت أمه أو سقط سقوطاً لانحوض بعده ۝ الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى وإن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلين دلالاتاً على تباين الوقفين في جاني زيد ثم عمرو أعني أن منزلة الاستقامة على الخير مباحنة لمنزلة الخيز نفسه لأنها أعلى منها وأفضل (وما أعجلك) أي شيء عجّل بك عنهم على سبيل الإنكار وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقاً إلى كلام ربه وتجزؤاً وعده به بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب إلى رضا الله تعالى وذل عنه أنه عز وجل ما وقت أفعاله إلا نظراً إلى دواعي الحكمة وعلماً بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح ياباه قوله (هم أولاء على أترى) وعن أبي عمرو ويعقوب إثرى بالكسر وعن عيسى بن عمراثرى بالضم وعنه أيضاً أولى بالقصر والإثر أفصح من الأثر وأما الإثر فمبسوط في فرند السيف مدون في الأصول يقال إثر السيف وأثره وهو بمعنى الإثر يتريب (فإن قلت) ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك وتجزؤاً موعداً وقوله هم أولاء على أترى كما ترى غير منطبق عليه (قلت) قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما إنكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجراب السؤال عن السبب فقال (وعجلك إليك رب لترضى) ولقائل أن يقول حار بما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام ۝ أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف مانجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفاً (فإن قلت) في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقتهم عشرين ليلة وحسبوا أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه إنا قد فتنا قومك (قلت) قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترتبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته أو افتراض السامري غيبته فعزم على إضلالهم غب انطلاقه وأخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجوداً ۝ قرئ (وأضلهم السامري) أي وهو أشدهم ضلالاً لأنه ضال مضل وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل

النأويل المعروف أو عبر عن حلول أثر الإرادة بحلولها تعبيراً عن الأثر بالمؤثر كما يقول الناظر إلى عجيب من مخاوقات الله تعالى انظر إلى قدرة الله يعني أثر القدرة لأنفسها والله أعلم قوله تعالى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على ترى وعجلك إليك رب لترضى (قال فيه إن قلت مثل عن سبب العجلة الخ) قال أحمد وإنما أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة وهو أعلم أن يعلم موسى أدب السفر وهو أنه ينبغي تأخير رئيس القوم عنهم في المسير ليكون نظره محيطاً بطائفته وناقداً فيهم ومهيماً عليهم وهذا المعنى لا يحصل في تقدمه عليهم إلا ترى الله عز وجل كيف علم هذا الأدب لوطاً فقال واتبع أديبارهم فأمره أن يكون أخيرهم على أن موسى عليه السلام إنما أغفل هذا الأمر مبادرة إلى رضا الله عز وجل ومسارة إلى الميعاد وذلك شأن الموعود بما يسره يودلوركب إليه أجنحة الطير ولا أسر من مواعده الله تعالى له صلى الله عليه وسلم

(قوله فرند السيف) أي ربه ووشيه كذا في الصحاح

غَضِبْنَا اسْمًا قَالَ يَقُومِ الْمَ يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ
مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْهَدِي ۖ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ
فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ اتَى السَّامِرِيُّ ۖ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ قَنَسِي ۖ
أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۖ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلِ يَقُومِ إِنَّمَا

كان من أهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الإسلام وكان من قوم
يعبدون البقر ۖ الأسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجأة رحمة للؤمن وأخذة أسف للكافر
وقيل الحزين (فإن قلت) متى رجع إلى قومه (قلت) بعد ما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة ۖ وعدم الله
سبحانه أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجل حكي لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة
ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا (العهد) الزمان يريد مدة مفارقتهم لم يقال طال عهدي بك أي طال زمانى بسبب
مفارقتك وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل (بملكنا) قرئ
بالحركات الثلاث أي ما أخلفنا موعداً بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا وراينا لما أخلفناه ولكننا غلبنا
من جهة السامري وكيدته ۖ أي حملنا أحمالا من حلى القط التي استعرتها منها وأرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأهم
كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنائم لم تكن تحمل حينئذ
(فقدناها) في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلى وقرئ حملنا (فكذلك أتى السامري)
أراه أنه يلتقي حليا في يده مثل ما ألقوا وإنما ألقى التربة التي أخذها من موطن حيزوم فرس جبريل أوحى إليه وليه
الشیطان أنها إذا خالطت مواتا صار حيوانا (فأخرج لهم) السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلى التي سبكتها النار
ينخور كما تنخور العجاجيل (فإن قلت) كيف أثرت تلك التربة في إحياء الموات (قلت) أما يصح أن يؤثر الله سبحانه
روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما أثره بغيرها من الكرامات وهي أن يباشر فرسه بحافره تربة إذا لاقته تلك
التربة جمادا أنشأه الله إن شاء عند مباشرته حيوانا ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه في الدرع (فإن
قلت) فلم خلق الله العجل من الحلى حتى صار فتنة لبني إسرائيل وضلالا (قلت) ليس بأول فتنة من خلق الله عباده ليثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق إبليس أعجب والمراد بقوله
إننا قد فتنا قومك هو خلق العجل للمتجانين أى امتحانهم بخلق العجل وجمهم السامري على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم (هذا
إلهكم وإله موسى قنسى) أي قنسى موسى أن يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور أو قنسى السامري أى ترك ما كان عليه من الإيمان
الظاهر (يرجع) من رفعه فعلى أن أن مخنفة من الثقلية ومن نصب فعلى أنها الناصبة للأفعال (من قبل) من قبل أن يقول لهم السامري
ما قال كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامري بأدبهم
هرون عليه السلام بقوله (إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن) لا مزيدة والمعنى ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر
عن الكفر والمعاصى وهلا قانتك من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهداً أو مالك

ۖ قوله تعالى قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك (قال إن قلت لم خلق الله العجل فتنتهم) قال أحمد هذا السؤال وجوابه تقدما له في
أول سورة الأعراف وقد أوضحنا أن الله تعالى إنما تعبدنا بالبحث عن عمل أحكامه لا علة لأفعاله وجواب هذا السؤال في قوله تعالى
لا يستل عما يفعل وهم يسئلون فهذا الأمر جائز وقد أخبر الله تعالى بوقوعه فلا ينبغي وراء ذلك سيلا لكن الزمخشري تقتضى
قاعده في وجوب رعاية المصالح على الله تعالى وتحتم هداية الخلق عليه أن يؤول ذلك ويحرفه فذرهم وما يفترون

فَتَنَّمُ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۖ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
 مُوسَىٰ ۖ قَالَ يَهْرُونَ مَأْمَنَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۖ قَالَ يَبْتَنُونَ لَا يَخُذْ بِلِحْيَتِي
 وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۖ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِرِيُّ ۖ قَالَ
 بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتِ لِيَ نَفْسِي ۖ قَالَ فَاذْهَبْ
 فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخَلِّفَهُ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا

لم تلحقني ۖ قرئ (بلحيتي) بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه زجلا حديداً مجبولاً على الحدة
 والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله بعد ما رأوا
 من الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف بأخيه
 وخليفته على قومه فأقبل عليه إقبال العذر المكاشف قابضاً على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره إليه ۖ أي
 لوقاتك بعضهم ببعض لئفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت عتابك على
 أطراح ما وصيتني به من ضم النثر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بدمن رقبة وصيتك والعمل على موجهها ۖ الخطب مصدر
 خطب الأمر إذا طلبه فإذا قيل لمن يفعل شيئاً ما خطبك فعناه ما طيلك له ۖ قرئ (بصرت بما لم يبصروا به) بالكسر
 والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفظنوا له ۖ قرأ الحسن (قبضة) بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة
 وأما القبضة فالمرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير وقرأ أيضاً قبضت
 قبضة بالصاد المهملة الضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف
 بمقدمه . قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول (فإن قلت) لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس (قلت) حين حل
 ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامري فقال
 إن لهذا شأننا فقبض قبضة من تربة موطنه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول
 الميعاد وله لم يعرف أنه جبريل ۖ عوقب في الدنيا بعقوبة لاشيء أظم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس
 منعاً كلياً وحزم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً وإذا اتفق أن يماس
 أحدا رجلاً أو امرأة جم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لامساس وعاد في الناس أوحش من
 القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال إن قومه باق فيهم ذلك إلى اليوم وقرئ (لامساس) بوزن
 فجار ونحوه قولهم في الظباء إذا وردت الماء فلاعباب وإن فقدته فلا أبواب وهي أعلام للسهة والعبه والآبة وهي المرة
 من الأب وهو الطالب (لن تخلفه) أي لن يخلفك الله موعدة الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض ينجزه لك في
 الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فأنت بمن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من
 أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً قال الأعشى
 أثوى وأقصر ليله ليزودا ۖ فمضى وأخلف من قبيلة موعدة
 وعن ابن مسعود تخلفه بالنون أي لن يخلفه الله كأنه حكى قوله عز وجل كما مر في لآهب لك (ظالت) وظلت وظللت

(قوله قرئ بلحيتي بفتح اللام) والقراءة المشهورة بالكسر (قوله وكان أفرع) أي تام الشعر أفاده الصحاح (قوله
 وحفظ الدهماء) أي الجماعة أفاده الصحاح (قوله وقرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر) والقراءة المشهورة بالضم
 وقرئ تبصروا به بالتاء وعبارة النسفي وبالتاء حمزة وعلى ولعلها سقطت هنا سهواً من الناسخ فليحرق

لنحرقنه ثم لننسفه في اليم نسفا ۝ إنا للهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما ۝ كذلك نقص عليك
من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ۝ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيمة وزرا ۝ خالدين
فيه وساء لهم يوم القيمة حملا ۝ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ۝ يتخفتون بينهم إن لبثتم

والأصل ظلت لحذفوا اللام الأولى ونقلوا حركتها إلى الظاء ومنهم من لم ينقل (لنحرقنه) ولنحرقنه. ولنحرقنه
وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه القراءتان من الإحراق وذكر أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن
يكون حرق مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (لننسفه)
بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي إبطال ما افتن به وقتن وإهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله
خير الماكرين ۝ قرأ طلحة الله الذي لا إله إلا هو الرحمن رب العرش (وسع كل شيء علما) وعن مجاهد وقادة وسع
ووجهه أن وسع متعد إلى مفعول واحد وهو كل شيء وأما علما فالتصا به على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما نقل نقل إلى التعدية
إلى مفعولين فضمهما معا على المفعولية لأن المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد
بالنقل ما كان فاعلا مفعولا ۝ الكاف في (كذلك) منصوب المحل وهذا موعود من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم
أى مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر أخبار الأمم وقصصهم
وأحوالهم كثيرا لبياناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتؤكد الحجة على من
عاند وكابر وأن هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الأقايص والاختبار الحقيقية بالتفكير والاعتبار
لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه ومن أعرض عنه فقد هلك وشقى ۝ يريد بالوزر العقوبة
الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفتح الحمل وينقض ظهره ويأتي
عليه بهره أولانها جزء الوزر وهو الإثم وقرئ يحمل ۝ جمع (خالدين) على المعنى لأن من مطلق متناول لغير معرض
واحد وتوحيد الضمير في أعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم
خالدين فيها (فيه) أى في ذلك الوزر أو في احتمالها (ساء) في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب أن يكون مبهما يفسره
(حملا) والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا ووزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد إنه
أواب أيوب هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا أى وساءت مصيرا جهنم (فإن قلت) اللام في لهم ما هي
وهم تتعلق (قلت) هي للبيان كما في هيت لك (فإن قلت) ما أنكرت أن يكون في ساء ضمير الوزر (قلت) لا يصح أن
يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم (فإن قلت) فلا يمكن ساء الذي حكمه بئس وليكن ساء الذي
منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى أمم وأحزن (قلت) كفاك صاداعنه أن يؤول كلام الله إلى قولك وأحزن
الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد أن تخرج عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب أسند النفخ إلى الأمر به فيمن
قرأ نفخ بالنون أولان الملائكة المقربين وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصيح لكرامتهم عليه وقرئهم
منه أن يسند ما يتولونه إلى ذاته تعالى وقرئ ينفخ بلفظ مالم بسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير
لله عز وجل أو لإسرافيل عليه السلام وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به إلا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صوره
وفي الصور قولان أحدهما أنه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني أنه القرن ۝ قيل في الزرق قولان أحدهما أن
الزرقه أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو أسود

(قوله بالحمل الذي يفتح الحامل) أى يثقله أفاده الصحاح (قوله ويأتي عليه بهره) أى غلته أفاده الصحاح

(قوله فإن قلت ما أنكرت) لعله لم أنكرت

إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ
يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَأَعْوَجَ لَهُ
وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۖ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ

الكبد أصهب السبال أزرق العين والثاني أن المراد العمى لأن حذقة من يذهب نور بصره تزداد ه تخافهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا إماما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار وإمالاتها ذهبت عنهم وتقصت والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت أطال الله بقاءك كفي بالانتهاء قصرا وإمالاتهم الآخرة وإنها أبدس بمد يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون أشد تقاؤلا منهم في قوله تعالى (إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما) ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاستل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور وبعضه قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث (ينسفها) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام (فيذرها) أي فيذر مقارها ومراكرها أو يجعل الضمير للأرض وإن لم يجرها ذكر كقوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة (فإن قلت) قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان والأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين (قلت) اختيار هذا اللفظه موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقت على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطاعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي ففي الله عزّ وعلا ذلك العوج الذي دقّ ولطف عن الإدراك اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني فليل فيه عوج بالكسر ۖ الامت التتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه أمت ۖ أضاف اليوم إلى وقت نفس الجبال في قوله (يومئذ) أي يوم إذ نسفت ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة ۖ والمراد الداعي إلى المحشر قالوا هو إسرئيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا يبدلون (لا عوج له) أي لا يعوج له مدعوق بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته ۖ أي خفضت الأصوات من شدة الفزع وخفتت (فلا تسمع إلا همسا) وهو الركن الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الإبل وهو صوت أخفها إذا همست أي لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر (من) يصلح أن يكون رفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة إلا شفاعته من (أذن له الرحمن) والنصب على المفعولية ومعنى أذنه (ورضى له) لأجله أي أذن للشافع ورضى قوله لأجله ونحو هذه اللام اللام في قوله تعالى وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ۖ أي يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما ۖ المراد بالوجوه وجوه العصاة وأنهم إذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية أي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى ونحوه قوله تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا

(قوله كقوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة) في الصحاح أن كلا من القاع والصفصاف بمعنى المستوى من الأرض فكان الصفصاف تأكيد (قوله وخفتت فلا تسمع إلا همسا) في الصحاح خفت الصوت سكن

قَوْلًا ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۝ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَنسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا

ووجوه يومئذ باسرة ، وقوله تعالى (وقد خاب) وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ۝ الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه ۝ والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجعون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ۝ أي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي (وكذلك) عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا يحث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة ۝ والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة ۝ وقرئ نحدث ونحدث بالنون والتاء أي تحدث أنت وسكن بعضهم التاء للتخفيف كافي فاليوم أشرب غير مستحقب ۝ إنما من الله ولا وائل

(فتعالى الله الملك الحق) استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته ۝ ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبأخ ما كان منه بحملا حتى يأتيك البيان ۝ وقرئ حتى نقضى إليك وحيه وقوله تعالى (رب زدني علما) متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم أي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدباجملا ما كان عندي فزدني علما إلى علم فإن لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما أمر الله ورسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم ۝ يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان أو عز إليه وعزم عليه وعهد إليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين إن قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل أن توعدهم بخالف إلى ما نهى عنه وتوعدني ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول إن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرفهم راسخ فيه (فإن قلت) ما المراد بالنسيان (قلت) يجوز أن يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصى به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها وقرئ قنسي أي نساء الشيطان ۝ العزم التصميم والمضي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له ۝ والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزمًا وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدم تاله عزمًا (إذ) منصوب بمضمرا أي واذكروا ما جرى عليه من معاداة إبليس وسوسته إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيدته حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولى العزم والثبات (فإن قلت) إبليس

قوله تعالى ۝ وكذلك أنزلناه قرآنًا عريبًا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ، (قال محمود معناه وكما أنزلنا عليك هذه الآيات المضمنة للوعيد الخ) قال أحمد الصواب في تفسيرها ليكونوا على رجاء التقوى والتذكر والإنذار أراد الله من جميعهم التقوى لو وقعت وقد تقدمت أمثالها والعجب أنه نقل عن سيبويه في تفسيره لعل أول هذه السورة عند قوله تعالى لعله يتذكر أو يخشى أن معناه كونا على رجائك كما ثم رجوع عن ذلك ههنا لأن المعتقد الفاسد يحذوه إلى هذا التأويل الباطل والله الموفق

لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۖ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكَ
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۗ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۗ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۗ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ

كان جنياً بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمن أين تناول الأمر وهو للملائكة خاصة (قلت) كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجنى الذى معهم أجدر بأن يتواضع كالوقام المقبل على المجلس عليه أهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى ترفع عن القيام (فإن قلت) فكيف صح استثناءه وهو جنى عن الملائكة (قلت) عمل على حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال (أبي) جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الآباء وتوقف وتثبط (فلا يخرجنك) فلا يكون سبباً لإخراجك وإنا أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشرأ كهما في الخروج لأن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن سعاده سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه وروى أنه اهبط إلى آدم نور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه قرئ (وإنك) بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع (فإن قلت) أن لا تدخل على إن فلا يقال إن أن زيداً مطلق والواو نائبة عن إن وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها (قلت) الواو لم توضع لتكون أبدأ نائبة عن إن إنما هي نائبة عن كل عامل فلهالم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة كأن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن الشبع والرى والكسوة والكن هي الأقطاب التي يدور عليها كغلاف الإنسان فذكره استجماعاً له في الجنة وأنه مكفى لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النبي لقائضها التي هي الجوع والعرى والظما والضحو ليطلق سمعه بأسمى أصناف

قوله تعالى «إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظما فيها ولا تضحي» (قال ذكر تعالى الأصناف التي بها قوام الإنسان الخ) قال أحمد تنبيه حسن وفي الآية سرٌ بديع من البلاغة يسمى قطع النظير عن النظير وذلك أنه قطع الظما عن الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها ولو قرن كلا بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة وقد رمق أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديماً وحديثاً فقال الكندي الأول:

كأنى لم أركب جواداً للذة ۖ ولم أتطن كاهبا ذات خلخال

ولم أرشف الرزق الروى ولم اقل ۖ لخيلي كترى كتره بعد أجفال

فقطع ركوب الجواد عن قوله لخيلي كترى كتره وقطع تبطن الكاهب عن ترشف الكاس مع التناسب وغرضه أن يعدد ملاذه ومفاخره ويكثرها وتبعه الكندي الآخر فقال:

وقفت وما في الموت شك لواقف ۖ كأنك في جفن الردى وهونائم

تمز بك الأبطال كلبى هزيمة ۖ ووجهك وضاح وثغرك باسم

فاعترضه سيف الدولة بأنه ليس فيه قطع الشيء عن نظيره ولكنه على فطنته قصر فهمه عما طالت إليه يد أبي الطيب من هذا المعنى الطائل البديع على أن في هذه الآية سرّاً لذلك زائداً على ما ذكر وهو أن قصد تناسب الفواصل ولو قرن الظما بالجوع فمقيل إن لك أن لا تجوع فيها ولا تظما لا تثر سلك رؤس الآي وأحسن به منتظماً والله أعلم

(قوله والظما والضحو) الذى فى الصبح ضحيت للشمس ضحاً ممدود إذا برزت الشمس لها وضحيت بالفتح مثله

قَالَ يَسَادِمَ هَلْ أَدْرَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لِيَبْلِي ۚ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا
 مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۚ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ عَلَيْهِ وَهَدَى ۚ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
 لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأِمَّا يَا تَيْبَتُكُم مَنِي هَدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۚ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
 مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۚ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ

الشبقوة التي حذره منها حتى يتحامي السبب الموقع فيها كراهة لها (فإن قلت) كيف عدى وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لها
 الشيطان وأخرى يلى (قلت) وسوسة الشيطان كولوثة الشكلى وروعة الذئب ووقوع الدجاجة في أنها حكايات للأصوات
 وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن الأعرابي ۚ
 وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ۚ فإذا قلت وسوس له فمعناه لأجله كقوله ۚ أجراس لهايا ابن أبي كباش ۚ ومعنى وسوس اليه
 أنهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه وأسر اليه ۚ أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها اخلد بزعمه كما قيل لخيزوم
 فرس الحياة لأن من باشر أثره حيي (وملك لا يبلى) دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم إلا أن تكونا ملكين
 بالكسر ۚ طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة
 قصيرة هي للشروع في أول الأمر وكاد لمشارفته والدنو منه قرئ (يخضفان) للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن
 يخرز عليها الخصاف أي يلزقان الورق بسواتهما للستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من
 تحت أصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع عن ابن
 عباس لا شبهة في أن آدم لم يمثل مارسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من
 أن يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لأن النى خلاف الرشد ولكن قوله (وعصى آدم ربه فغوى) بهذا الإطلاق
 وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة
 بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم أنظروا واعتبروا كيف نعت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف
 الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيآت والصغائر فضلا أن
 تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الأكل وهذا وإن صح على لغة من يقبل الياء المكسور
 ما قبلها ألفا فيقول في قى وبقى فنا وبقا وهم بنوطى تفسير خبيث (فإن قلت) ما معنى (ثم اجتبا ربه) (قلت) ثم قبله بعد
 التوبة وقربه اليه من جبي إلى كذا فاجتبيته ونظيره جلست على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل وإذا لم تأتهم بآية
 قالوا لولا اجتبيتها أي هلا جيت اليك فاجتبيتها وأصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها إذا اجتمعت نفسها
 راجعة بعد النفار و(هدى) أي وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى ۚ لما كان آدم وحواء عليهما السلام
 أصلي البشر والسيين اللذين منهما نشؤا وتفرعوا جعلنا كأنهما البشر في أنفسهما فخرطبا مخاطبتهم فقيل فيما يأتيكم) على
 لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل إلى السبب وهو في الحقيقة للسبب (هدى) كتاب وشريعة ۚ وعن ابن عباس ضمن
 الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) والمعنى
 أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامثل أوامره وانتهى عن
 نواهيها نجا من الضلال ومن عقابه ۚ الضنك مصدر يستوى في الوصف به المذكر والمؤنث ۚ وقرئ (ضنكى) على فعلي
 ومعنى ذلك إن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق مازقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا

(قوله كولوثة الشكلى) أي الحزينة (قوله فبشم من كثرة الأكل) في الصحاح البشم التخممة

أَيُّدِنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ۝ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِثَأْنِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبْقَى ۝ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي
النُّبُوَّةِ ۝ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۝ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

رافعاً كما قال عز وجل فلنجينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق فعيشه ضحك وحاله مظلمة كما قال بعض المتوصفة لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً وقال وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار وعن أبي سعيد الخدري عذاب القبر ۝ وقرئ (ونحشره) بالجزم عطفاً على محل فإن له معيشة ضنكاً لأنه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشروهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكاً وصماً وكما فسر الزرق بالعمى (كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعبر ولم تبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عمالك ولا نزيل عظامه عن عينيك ۝ لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) كأنه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول أبداً أشد من ضيق العيش المنقضى أو أراد ولتركنا إياه في العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا فاعل ۝ لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين أى تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون * وقرئ (يمشون) يريد أن قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون (في مساكنهم) ويعابنون آثارهم هلاكهم ۝ الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عاداً وثموداً لازماً لهؤلاء الكفرة ۝ واللام إمام مصدر لازم وصف به وإمافعال بمعنى مفعول أى ملزم كأنه آلة اللزوم لقرط لزومه كما قالوا لزاز خصم (وأجل مسمى) لا يخلو من أن يكون معطوفاً على كلمة أو على الضمير في كان أى لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازم لهم كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل (بحمد ربك) في موضع الحال أى وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة أو على ظاهره قدم الفعل على الأوقات أولاً والأوقات على الفعل آخراً فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعهد آناء الليل وأطراف النهار مختصاً لهما بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً وقال أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ولأن الليل وقت السكون والراحة فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين (فإن قلت) ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وإنما طرفان كما قال أقم الصلاة طرفي النهار (قلت) الوجه أمن الإلباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الأمرين في الآيتين مجيئهما في قوله ظهرهما مثل

طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۝ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَهُمْ بِزُجَّجٍ مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ

ظهور الترسين وقرئ وأطراف النهار عطف على آناء الليل ۝ ولعل للخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أي يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للنظور إليه وإعجابا به وتمنيا أن يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذرحظ عظيم حتى واجههم أولوا العلم والإيمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر إلى الزخارف كالمزكوز في الطباع وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يبدله نظره ويملا منه عينه قيل ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضاربه ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها يحصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (فإن قلت) علام انتصب (زهرة) (قلت) على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى أعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى إبداله من محل الجار والمجرور وعلى إبداله من أزواجا على تقدير ذوى زهرة (فإن قلت) ما معنى الزهرة فيمن حرك (قلت) معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن تكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم زاهر وهذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتعمون وتهل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الألوان والتقشف في الثياب (لنفتهم) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) هو ما ادخرته من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم أو مارزقه من نعمة الإسلام والنبوة أو لأن أموالهم الغالب عليها الغضب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال (خير وأبق) لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبت والحرام لا يسمى رزقا أصلا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودى وقال قل له يقول لك رسول الله أقرضني إلى رجب فقال والله لا أقرضته إلا برهن فقال رسول الله إنى لأمين في السماء وإنى لأمين في الأرض أحمل إليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك (وأمر أهلك بالصلاة) أي وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفى من عندنا ونحن رازقوك ولانسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك

قوله تعالى ورزق ربك خير وأبق (قال معناه أن رزق هؤلاء المتمتعين في الدنيا أكثر مكتسب من الحرام الخ) قال أحد لولا أن غرض القدرية من هذا إثبات رازق غير الله تعالى كما أثبتوا خالقا سوى الله تعالى لكان البحث لفظيا فالحق والسنة أن كل ما تقوم به البنية رزق من الله تعالى سواء كان حلالا أو غيره لا يلزم من كون الله تعالى رزقه أن يكون حلالا فكما يخلق الله تعالى على يدي العبد ما نهاه عنه كذلك يرزقه ما أباح له تناوله ومالا ، لا يستل عما يفعل وهم يستلون والله الموفق للصواب

(قوله ما معنى الزهرة فيمن حرك) أي حرك الهام بالفتح (قوله وتهل وجوههم) الذي في الصحاح تهل وجه الرجل من فرحه وهلهل النساج الثوب أرق نسجه وخففه (قوله وبهاء زيهم وشارتهم) في الصحاح الزى والشارة اللباس والهيئة (قوله والحرام لا يسمى رزقا أصلا) هذا عند المعتزلة ويسمى رزقا عند أهل السنة

عَلِيمًا لَّانْسُلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلتَّقْوَى ۝ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بَيِّنَاتٌ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لِمَ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَاتٌ مِمَّا فِي
الْصُّحُفِ الْأُولَى ۝ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْذَلَ وَنُخْزَى ۝ قُلْ كُلٌّ مَتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ۝

فقرغ بالك لأمر الآخرة وفي معناه قول الناس من دان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى
ماعد السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصابت
أمله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم بتلو هذه الآية ۝ اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل
لهم أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان مافي سائر الكتب
المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة
الحجة ۝ وقرئ الصحف بالتخفيف ۝ ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان والدليل قرئ (نذل ونخزي)
على لفظ ما لم يسم فاعله (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) للمراقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم ۝ وقرئ السواء
بمعنى الوسط والجيد أو المستوى والسوء والسوأى والسوى تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع
حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطى يوم القيامة ثواب
المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس

(قوله من دان في عمل الله كان الله في عمله) دان ذل ودانه أذله كذا في الصحاح

(تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث)

(وأوله سورة الأنبياء)

فهرس

الجزء الثاني : من تفسير الكشاف

صفحة	
٢	سورة الأنعام
٥١	» الأعراف
١١٢	» الأنفال
١٣٦	» التوبة
١٨٠	» يونس
٢٠٦	» هود
٢٤٠	» يوسف
٢٧٨	» الرعد
٢٩٢	» إبراهيم
٣٠٩	» الحجر
٣٢١	» النحل
٣٠٥	» الإسراء
٣٧٩	» الكهف
٤٠٤	» مريم
٤٢٦	» طه

